الدُرَرُ المنتَقَاة

مِمَا كُتِبَ لَهُ النجَاة مِنْ مَقَالَاتِ شَيْخِنَا الشَرِيْفِ العَلّامَة

(د. عَدَاب بْن مَحْمُود الحَمْش)

حفظه الله ورعاه وأدام ظله الشريف في صحة وعافية

جمع وترتيب وتعليق تلميذ الشيخ

د. أبو الحسن كريم بن طارق العشري السَبَادُلِي

عفا الله تعالى عنه

الطبعة الإلكترونية الأولى

2022

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، وصلاته على حبيبه ومصطفاه، وعلى آله ينابيع العلم، وأطواد الحلم، لا سيما شبيه الأنبياء في يقينه، ونظير الملائكة في عقد عزائم دينه، موضح المعالم وليث الملاحم، خدن المنابر وحليف البواتر، شهم الجنان، ماضي اللسان والسنان، فارس الكتائب، وقائد الحقائب، أبي الحسن علي بن أبي طالب!

ثم الرضى عن أصاحبه الأبرار، من المهاجرين والأنصار، ومن تبعهم من الأخيار.

وبعد:

فيسرني تقديم هذا الكتاب، والتي أجمعُ فيه بعون الله بعض المقالات التي كنت قد انتقيتها وحفظتها من صفحة شيخي الشريف العلامة عداب الحمش - حفظه الله ورعاه وأدام ظله الشريف في صحة وعافية -، والتي تفاجئنا بإغلاقها لكثرة البلاغات من الطائفيين والمتعصبين عاملهم الله بعدله!

وقد كان إغلاق صفحته -حفظه الله ورعاه- خسارة فادحة لكل طالب للعلم وباحث!

فقد كانت مقالاته -حفظه الله-مليئة بالفوائد والدرر التي لا يُدرِكُ غلاءها إلا العالمون، وكوني لم أظن يومًا انها تُغلق فقد كان حفظي للمقالات بمعايير غير التي كنت لأعتمد إذا حسبت أن هذا يحدث، لكن وبحمد الله فإن كثيراً من المقالات تم حفظها على يد تلاميذ الشيخ منهم العبد الفقير ومنهم أخونا الشيخ مالك عبد المجيد القادري الجيلاني - حفظه الله -، وغيره من تلاميذ شيخنا الفضلاء -وفقهم الله-.

أما عملي في الكتاب غير الجمع ثم النسخ - متحريًا عدم التغيير في النص الاصلي للمقالة كما أوصانا الشيخ الشريف حفظه الله ورعاه -، فكذلك الترجمة للشيخ – حفظه الله ورعاه وأدام ظله الشريف في صحة وعافية – ترجمة مختصرة،

وفهرسة المقالات بأسمائها التي وضعها لها شيخنا الشريف، وترتيبها على الموضوعات حسب ما ظهر لي، ليسهل على القارئ أن ينظر فيه فيجد بسهولة إن شاء الله الموضوع الذي يرغب بقرائته، دون أن يضطر إلى بحث طويل، وإن كان المجموع للأسف قليل.

وما لم يكن له عنوان من وضعه أو لم أحفظ عنوانه اخترت له عنوانًا بنفسي من سياق الكلام دون تكلف، وقد أفيد القارئ بشيء من الفوائد في الحواشي او توضيح لمبهم قدر قدر الطاقة.

وقد شاورت شيخنا الشريف قبل الشروع في الجمع فأذن لتلميذه العبد الفقير وشرفه بذلك.

هذا وأؤكد للقارئ أن أكثر هذه المقالات تعبر عن آخر رأي شيخنا - حفظه الله - فعامتها من آخر مقالاته بصفحته السابقة، وقليل منها ما قد يكون تغير إجتهاده فيها لأدلة أقوى ظهرت له بل قد لا يكون منها شئ تغير البتة،يعلم ذلك من يتابع صفحته الجديدة العامرة بموقع الفيسبوك، وما يكون من ذلك مما أعرفه أشير إليه إن شاء الله تعالى، والله وحده المستعان، وهو حسبنا ونعم الوكيل، والحمد لله رب العالمين.

راجي عفو ذي الجلالِ وخادمُ خير آلِ

د. أبو الحسن كريم بن طارق العشري السَبَادُلِي

عفا الله عنه وعن شيوخه ووالديه والمؤمنين اللهم آمين

ملحوظة مهمة: الفقير أبو الحسن كريم السَبَادُلِي –عفا الله عنه- صاحب هذا الكتاب ليس مقلداً لشيخه الشريف عداب –حفظه الله ورعاه- ويخالف الشيخ قطعاً في مسائل ومواقف وأساليب مما ورد في هذا الكتاب وغيره، وقد احتفظت بما اخالف الشيخ فيه لمقامه، فالمقام هنا مقام خدمة الشيخ، وليس مثلي أهل لمعارضة الشيخ في حضرته، فمن أراد أن يعرف موافقتي للشيخ في مسألة أو موقف أو اسلوب فليعد إلى المنشور من رسائلي وكتبي إن شاء الله أو يسألني مباشرة أجبه، وفقكم الله تعالى.

ترجمة شيخنا الشريف

ترجمة شيخنا الشريف

اسمه ونسبه الشريف

قال سبحانه وتعالى: (ذَٰلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ۗ قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ ۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ)(1).

وقال رسول الله -صلى الله عليه وآله-: (كُلُّ سَبَبٍ وَنَسَبٍ مُنْقَطِعٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلاَّ سَبَبِي وَنَسَبِي)(2).

هو الشيخ الهُمام، العالم الضرغام، المحدث الفقيه العلامة، الحبر البحر الفهامة، سيدي الشريف:

محمد فيصل (عداب) بن السيد محمود بن السيد إبراهيم بن السيد محمد (الملقب بالحمّش) بن خالد بن خضر بن قاسم بن محمد بن عبد الرحيم بن محمد مهران بن كنعان بن محمد أمين بن عبد الكريم البريفكاني بن السيد موسى بن السيد سليمان بن السيد عبد الغني بن السيد اسحاق بن السيد بابا منصور بن السيد حسين الاخلاطي بن السيد أبي الحسن علي بن السيد نظام الدين محمد بن السيد احمد الاخلاطي بن السيد زين العابدين علي الهمداني الموحد زوردافي بن صالح الهمداني بن يوسف بن السيد سليم العراقي بن السيد محمد يوسف الهمداني بن منصور بن عبد العزيز بن عبد الله بن إسماعيل بن موسى بن جعفر التقي بن علي المختار النقيب بن جعفر الزكي المبرقع بن الإمام علي الهادي بن الإمام محمد الجواد بن الإمام علي الرضا بن الإمام موسى الكاظم بن الإمام جعفر الصادق بن الإمام محمد الباقر بن الإمام علي زين العابدين بن الإمام الحسين الشهيد بن الإمام علي بن أبي طالب (عليهم السلام والرضوان).(3)

---

(1) سورة الشورى/ آية 23

(2) رواه الحاكم النيسابوري في (المستدرك) (142/3) عن سيدنا عمر بن الخطاب، ورواه الطبراني عنه وعن سيدنا ابن عباس، وقال الهيثمي في (مجمع الزوائد) (173/9): (رجاله ثقات)، وانظر (سير أعلام النبلاء) (500/3)، وهو حديث صحيح قاله شيخنا ومجيزنا الشريف المحدث العلامة حسن بن علي السقاف -حفظه الله ورعاه وادام ظله الشريف في صحة وعافية-.

(3) (الذيول السرمدية في نسب الأشراف البرزنجية المسلمية) للنسابة المحقق أبي مجد الدين سمير بن علي بن محمد بن أحمد الولي الرسي الحسني.

ميلاده

وُلد -حفظه الله ورعاه- في حماة سوريا بتاريخ 11/ 12/ 1949م (1369هـ).

بعض شيوخه في التلقي والإجازة

-أجازه بالمعقول والمنقول فقيه العراق الدكتور مصطفى الزلمي الشافعي، وأجازه كذلك بالفتوى.

- وأجازه بالمعقول والمنقول الشيخ محمد صالح العبيدي الأعظمي الحنفي، وأجازه بالفتوى على المذهب الحنفي.

-وأجازه بالمعقول والمنقول الشيخ محمد علي المراد الحموي، وأجازه بتعليم المذهب الحنفي.

وغيرهم...

منهم: السيد محمد عبد اللطيف سالم التجاني القاهري، والشيخ عبد الله الغماري، والشيخ محمد ياسين الفاداني، والشيخ إبراهيم بن داود الفطاني المكي...

من مؤلفاته ومصنفاته

1. ثعلبة بن حاطب...الصحابي المفترى عليه.
2. الإمام الترمذي ومنهجه في كتابه الجامع (الدكتوراة).
3. المهدي المنتظر في روايات أهل السنة والشيعة الإمامية.
4. محاضرات في علم تخريج الحديث ونقده.
5. رواة الحديث الذين سكت عليهم أئمة الجرح والتعديل.
6. الشعر في الإسلام (دور الشعر في خدمة الكتاب والسنة).
7. النور المحمدي، بين هدي الكتاب المبين وغلو الغالين.
8. المجتمعات الاسلامية المعاصرة...بين الإسلام والطائفية.
9. الوحدان من رواة الصحيحين ومروياتهم في كتب الحديث الشريف.
10. أوهام الجمع والتفريق عند المحدثين.
11. ضرورة الاقتصار على الأحاديث في العملية التربوية.
12. محاضرات في علم تخريج الحديث ونقده...تأصيل وتطبيق.
13. المهملون من شيوخ البخاري ومروياتهم في جامعه الصحيح.

خيرُ الكلام ما قلّ ودلّ !؟

(ماذا تُريدُ من منشوراتك الصّادمة)

اتّصل بي على (ماسنجر) قائلًا: (ما الّذي تُفيدُهُ من منشوراتك الّتي تُضعّفُ الحديث الفُلانيّ، وتُكذّبُ الرّواية الفُلانيّة، وتحُطُّ من قدر بعض الصّحابة والعُلماء؟!).

قُلتُ لهُ:

الّذي أظُنُّهُ بنفسي أنّني من أكثر أهل العلم احترامًا للعُلماء ولطلبة العلم من أيّ المذاهب كانوا!

فأُثني على المُحسن والمُجيد من (أهل السُّنّة) و(الشّيعة) و(الإباضيّة).

وأُجاهرُ بأنّ لي شُيوخًا من جميع المذاهب، أفتخرُ بهم وأترضّى عنهُم.

فكيف تتخيّلُ أنّني أحُطُّ من قدر الصّحابة رضي اللهُ عنهُم؟

أعوذُ بالله من ذلك!

لكنْ... لكنْ!...

لكنْ هُناك في تاريخنا الإسلاميّ أمرٌ مُهمٌّ هُو (صناعةُ تضخيم بعض الشّخصيّات) وفي الطّرف المُقابل (صناعةُ تهوين بعض الشّخصيّات).

وبناءً على آثار هذه (الصّناعة المُدمّرة)؛ يكونُ التّكفيرُ والتّفسيقُ والعداء!

فانظُر إلى صورة (عُمر بن الخطّاب) رضي اللهُ عنهُ وأرضاهُ عند (أهل السُّنّة)؛ تجدُها كما في روايةٍ ضعيفةٍ: (لو كان بعدي نبيٌّ؛ لكان عُمر!) فهُو العبقريُّ، الشُّجاعُ، الورعُ، التّقيُّ، المُلهُم، إلى آخر غير ذلك من صفات الكمال، حتّى أخطاؤُهُ الّتي وصلت أحيانًا إلى درجة الشّكّ بكلام الرّسول صلّى اللهُ عليه وآله وسلّم، كما في (صُلح الحُديبية) مثلًا؛ تُفسّرُ على أنّها منقبةٌ لهُ!

في الطّرف المُقابل: (عُمرُ بنُ الخطّاب) جبانٌ، ضعيفٌ، جاهلٌ، شاذٌّ جنسيًّا، ضرب (الزّهراء) وأسقط جنينها إلى آخر الكلام السّخيف الباطل في حقّه.

فالفقيرُ يهدفُ إلى:

أوّلًا : (الوُقوفُ على الحقيقة) كما هي؛ لأنّ (الحقيقة) مطلبٌ بحدّ ذاتها، إضافةً إلى أنّ معرفتها تُخفّفُ من غلواء الطّرفين المُتناحرين.

ثانيًا: (إعذارُ المُخالف) في بعض المواقف (في بعض) نتيجة التّراكمات الخاطئة والباطلة لدى الطّرفين.

ثالثًا : مُحاولةُ تفسير مواقف بعض العُلماء من (آل البيت)، وإعراضهم عن علمهم، والهدفُ من ذلك تاريخيٌّ من جهةٍ، وتصحيحيٌّ من جهةٍ ثانيةٍ.

رابعًا: مُحاولةُ تصويب بعض المُصطلحات السّائدة، وآثارها الكبيرة عند الفُرقاء!

فمثلًا مُنذُ العام (35هـ) وحتّى العام (600هـ) كان (النّصبُ) سائدًا في (بلاد الشّام) سيادةً تكادُ تكونُ مُطلقةً.

وقد أخرج (ابنُ عديٍّ) في الكامل (102:2) و(العقيليّ) و(المزيّ)، وأوردهُ (ابنُ حجرٍ) في التّهذيب (31:2) أنّ (ثور بن يزيد الكلاعيّ) كان مُهانًا في أهل (حمص) لأنّهُ كان لا يسُبُّ (عليًّا)، فكان بعضُ عُلمائهم يجلسون يسُبّون (عليًّا)، فإذا رفض (ثور) أن يسُبّ (عليًّا)؛ جرّوا برجله مهانةً لهُ!

وقد سمّوا من هؤُلاء السّفلة: (أزهر الحرازيّ)، و(أسد بن وداعة)!

ولو سألت عُلماء (أهل السُّنّة) قاطبةً: ألا يستحقُّ هؤُلاء السّفلة تضعيفهُم بدل توثيقهم، ورفض رواياتهم لأنّهُم من (المُنافقين)، بنصّ الحديث الصّحيح؟!

و(أزهرُ الحرازيّ) ثقةٌ، و(أسدُ بن وداعة) ترجمهُ (البُخاريُّ) في (التّاريخ) ونقل أنّهُ كان مرضيًّا وأقرّهُ، وقال بعضُهُم: كان عابدًا!

إنّ (النّواصب) رووا كثيرًا من (الأحاديث المُشكلة)، ومنها كثيرٌ من (أحاديث الفضائل)!

ونحنُ ليس بين أيدينا قوائمُ تُسمّي (النّاصبة)؛ فـ(الشّامُ) كُلُّها ناصبةٌ، وأكثرُ (البصرة) ناصبةٌ، وفي (الكوفة) نواصبُ كثيرون، فأين تمييزهُم، كما ميّزوا (الشّيعة)؟

وكيف نعرفُ أنّ رُواة هذه الأحاديث (ناصبةٌ) أم من (أهل السُّنّة)؟!

هذا لا يُمكنُ إلا إذا عمّمنا، فرفضنا (أحاديث الفضائل) الّتي ينفردُ بها (أهلُ الشّام) و(البصرة) مثلًا وهذا شيءٌ غيرُ مُمكنٍ، وغيرُ مقبولٍ عند (أهل السُّنّة) قاطبةً!

فأنا لاأهدفُ إلى التّقليل من شأن الصّحابة ولا العُلماء، لكنّني لستُ مُلزمًا بتصويب كُلّ ما يُصوّبُهُ (أهلُ السُّنّة)!

فأنا أعُدُّ كُلّ من سبّ (عليًّا)، أو أمر بسبّه؛ مُنافقًا، وليس من الصّحابة الكرام.

فـ(مُعاويةُ) مُنافقٌ، و(عمرو بنُ العاص) مُنافقٌ، و(مروانُ) مُنافقٌ، و(بُسْرُ بن أرطأة) مُنافقٌ، و(المُغيرةُ بنُ شُعبة) مُنافقٌ، وهكذا.

أمّا (أبو بكرٍ) و(عُمرُ) و(عُثمان) و(عليٌّ) وبقيّةُ العشرة، فرضي اللهُ عنهُم وأرضاهُم، وغفر لهُم ما أخطأوا فيه، وكُلُّهُم أخطأ حقيقةً لا احتمالًا.

وقد أنتقدُ بعض (المواقف السّياسيّة) لبعضهم؛ لأُؤكّد على ضرورة (الفصل) بين الفضل والمُمارسة الخطأ.

وهذا كُلُّهُ لأصل إلى أمرين اثنين:

الأوّل: اعتمادُ مواضع (الإجماع بين المُسلمين)، وليس بين (أهل السُّنّة) فقط!

الثّاني: اعتمادُ (الاجتهاد الجماعيّ) في كُلّ العُلوم الشّرعيّة.

واللهُ من وراء القصد، وهُو الهادي إلى سواء السّبيل.

والحمدُ لله ربّ العالمين.

القرآن الكريم

(القرآن)

القرآن قطعي الثبوت

القرآن الكريم قطعيّ الثّبوت.

وهو منقول بأعلى درجات التّواتر من لدن جيل الصّحابة إلى جيلنا هذا لم ينقص منه آية، ولم يزد فيه جملة.

وهو في اللّوح المحفوظ كما بين أيدينا نحن اليوم.

هذه عقيدتي المبنيّة على روايات أهل البيت.

إذ من المجمع عليه لدى الأمّة أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم كتب القرآن العظيم من أوّل سورة (المدّثّر) أو (اقرأ) إلى قوله تعالى: (واتّقوا يوما ترجعون فيه إلى الله).

هذه النّسخة لا وجود لها ولا ذكر في روايات أهل السّنّة.

لا في الصّحاح ولا في السّنن ولا في المسانيد.

بينما هي محفوظة عند الإمام عليّ!

وحين أراد أبو بكر نسخًا منها أعاره إيّاها عليّ، فنسخوا منها ثلاث نسخ ثمّ أعادوها إلى عليّ!!

أمّاروايات جمع القرآن على يد زيد بن ثابت وغيره، فهي تشكيكٌ صريحٌ في القرآن، وليس في تواتره.

ففي أحد الأحاديث في الصّحاح أنّه أثبت آيتين من آخر سورة {التّوبة} بشهادة أنصاريّ واحد (ذي الشّهادتين)، قال زيد: ولم أجدهما عند أحد غيره.

وهذا مخالفٌ لإجماع الأمّة من أنّ عليًّا وابن عبّاس وابن مسعود وزيد بن ثابت نفسه وأعمام أنس بن مالك كانوا يحفظون القرآن الكريم.

فكيف يستقيم قوله: لم أجدهما عند غيره؟!!!

الحديث الشريف

(الحديث)

هل وصلت إلينا (السُّنّةُ النّبويّةُ) كاملةً؟![1]

إن كان الجوابُ بنعم؛ فهاتوا (100) حديثٍ مكيّ، رواهُ صحابةٌ من المُهاجرين، ممّن يُمكنُ أن يكونوا سمعوهُ أو شاهدوهُ، مع أنّ (الفترة المكّيّة) لا تقلُّ عن عشر سنواتٍ؟![2]

وإن كان الجوابُ بلا؛ فهل يُمكنُ أن يضيعَ شيءٌ من السُّنّة المُوضّحة للقُرآن العظيم، والمُبتدئة بتشريعاتٍ غير واضحةٍ لنا فيه؟

وهل (السُّنّةُ النّبويّةُ) هي هذه الرّوايات، أو بينهُما عُمومٌ وخُصوصٌ؟

هل ضاع من (السُّنّة النّبويّةِ) شيءٌ؟

هل هذه الرّواياتِ؛ هي السُّنّةُ؟

هل نَهي الصّحابة عن كتابة الحديث؛ نهيٌ عن مُتابعة السُّنّة؟

وهل يُظَنُّ بسيّدنا عُمر بن الخطّاب أنّهُ كان يُخالفُ السُّنّة، أو يُريدُ طمس السُّنّة، حين قال: (حسبُنا كتابُ الله)؟

1- هناك مقالة أخرى لشيخنا الشريف –حفظه الله ورعاه وأدام ظله الشريف في صحة وعافية- بعنوان "هل ضاعت السنة النبوية" وقد ارتأيت أن لا أضعها هنا كاملة وأشير الى ما زاد من معلومات عن هذه المقالة هنا في الحاشية.

2- في المقالة السابق ذكرها أن شيخنا الشريف سُئل مرة من أحد المصلين عن إذا ما ضاع شيئًا من السنة النبوية نتيجة نهي الصحابة عن التدوين، فأجاب حينها أنه لم يضع من السنة النبوية شئ مطلقًا، وهذا أخذاً بتعريف السنة على أنها (طريقة النبي صلى الله عليه وآله في الدعوة وإقامة الدين) أو (الطريقة النبوية المثلى في تمثل هذا الدين وتبليغه)، أما الكلام هنا فهو موجه للقائل بالتعريف المشهور عند أهل الحديث والذي يجعل السنة كل حديث أو رواية منسوبة إلى الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله.

وهل (المعتزلةُ) أنفُسهُم كانوا يُنكرون السُّنّة، و يذهبون إلى الاستغناء عنها، أم إنّهُم فرّقوا عند الاحتجاج بين مراتب الأدلّة، ودرجات ثُبوتها؟

وحتى السّادة (الحنفيّة) فإنّهُم لا يُثبتون بالحديث الصّحيح الغريب فرضًا، رُكنًا أو شرطًا، وإنّما يُثبتون به واجبًا أحيانًا، وأحيانًا لا يُثبتون إلّا السُّنّيّة، فهل خالف (أبو حنيفة) السُّنّة، كما ذهب أبو بكر ابن أبي شيبة؟

إنّ الّذين يقتصرون على (القُرآن العظيم)، من دون الرُّجوع إلى (السُّنّة الشّريفة)؛ هُم جُهّالٌ قطعًا، ولا يُمكنُ أن يكونوا من طلبة العلم، فضلًا عن أن يكونوا من العُلماء!

فنحنُ ننظُرُ إلى (السُّنّة النّبويّة) من عدّة جهاتٍ:

الجهةُ الأولى: توصيفُ (السُّنّة الشّريفة):

فأهلُ الحديث يقولون: كُلُّ ما ثبت عن رسول الله صلّى اللهُ عليهِ وآلِهِ وسلّمَ من قولٍ، أو فعلٍ، أو إقرارٍ.

وزاد بعضُهُم: أو سيرةٍ، أو صفةٍ خَلقيّةٍ، أو خُلُقيّةٍ!

ولأنّ (المُعتزلة) لا يرون السُّنّة إلّا ما كان لهُ اتّصالٌ مُباشرٌ بأحكام الحلال والحرام، أو أحكام التّكليفِ؛ فإنّ بعض النّاس يُشنّعُ عليهم بأنّهُم يرُدّون (السُّنّة النّبويّة)، والأمرُ ليس كذلك!

الجهةُ الثّانية: ثُبوتُ (السُّنّة النّبويّة):

مُعظمُ (أهل الحديث) يعُدّون كُلَّ ما صحّ إسنادُهُ إلى الرّسول صلّى اللهُ عليهِ وآلِهِ وسلّمَ؛ فهُو سُنّةٌ صحيحةٌ!

حتّى إمامُنا الشّافعيُّ يرى ذلك، مع نصّه على التّفرقة بين أحاديث (العامّة) يعني المنقولة عن عددٍ من الصّحابة، وأحاديث (الخاصّة) الّتي لا تُعرفُ إلّا من طريق صحابيٍّ واحدٍ.

ويقولُ: إنّهُ يقبلُ أحاديث العامّة وأحاديث الخاصّة، لكنّهُ لا يُثبتُ بخبر الخاصّة ما يُثبتُ بخبر العامّة!

ولطالما أوضحتُ، ومثّلتُ بضرورة النّظر في مراتب الأدلّة النّقليّة، وما يُمكنُ أن يُبنى عليها من الأحكام العقديّة والفقهيّة.

وأرى من الواجب على مَن يسمعُ قولًا استدلّ به بعضُهُم؛ أن يعرف ما موقعُهُ التّشريعيّ؟

أهُو آيةٌ قُرآنيـّةٌ مُحكمةٌ؟

أهُو آيةٌ قُرآنيـّةٌ مُتشابهةٌ؟

أهُو آيةٌ قُرآنيـّةٌ عامّةٌ بقيت على عُمومها؟

أهُو آيةٌ قُرآنيـّةٌ عامّةٌ خُصّصت؟

أهُو آيةٌ قُرآنيـّةٌ لفظُها عامٌّ، والمُرادُ منها خاصٌّ؟

وثمّة أسئلةٌ كثيرةٌ أُخرى تتعلقُّ بآيات الأحكام القُرآنيـّة!

وإذا قيل: بل الدّليلُ هُو حديثٌ؛ عليه أن يعرف:

أهُو حديثٌ مُتواترٌ؟[1]

أهُو حديثٌ مشهورٌ؟

أهُو حديثٌ عزيزٌ؟

أهُو حديثٌ غريبٌ؟

1- قال شيخنا الشريف –حفظه الله ورعاه وأدام ظله الشريف في صحة وعافية-: (عدد الأحاديث المتواترة عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، حسب شروطي الخفيفة أنا، لا يتجاوز عشرة أحاديث!)، وقال – حفظه الله ورعاه وأدام ظله الشريف في صحة وعافية-: (إحصاء الأحاديث المتواترة: يتطلب العودة إلى تخريجي للصحيحين. وليس لدي مثل هذه الهمة. لكن من كان يظن بحديث متواتر، فليسألني وأنا أجيبه.

مما أذكر انه متواتر حسب شروطي الخفيفة في المتواتر:

"من كذب علي متعمداً، فليتبوأ مقعده من النار"، "أنزل القرآن على سبعة أحرف"، "من كنت مولاه، فعلي مولاه".

وليس من المتواتر أحاديث المهدي، ولا الدجال، ولا نزول المسيح، كما هو شائع).

وهل هُو ممّا اتّفقت ألفاظُهُ، أم اختَلَف بأدائها نقلتُهُ ؟

وهل هُو اختلافُ تنوُّعٍ ، أو اختلافُ تكامُلٍ، أو اختلافُ تضادٍّ؟

وهل هُو فردٌ في بابه، أو هُو مُعارضٌ بمثل قوّته، أو أرجح ؟

وإذا لم يكن مُعارضًا؛ فهل كان العملُ عليه ؟

والغريبُ من الحديث: هُو ما لم يروه عن الرّسول صلواتُ الله وسلامُهُ عليه إلّا صحابيٌّ واحدٌ، مثل حديث: (إنّما الأعمالُ بالنّيّات) فلا يُعرفُ من طريقٍ صحيحٍ، إلّا عن عُمر بن الخطّاب رضي اللهُ عنهُ.

وإذا كان الحديثُ غريبًا، فهل هُو غريبٌ مشهورٌ عن صحابيّه، رواهُ عن الصّحابيّ أكثرُ من ثلاثةٍ؟

أو هُو مُستفيضٌ، رواهُ عن الصّحابيّ ثلاثةٌ؟

أو هُو عزيزٌ، رواهُ عن الصّحابيّ اثنان ؟

أو هُو فردٌ مُطلقٌ ، لم يروه عن الصّحابيّ إلّا تابعيٌّ واحدٌ!

يا تُرى! هل درجةُ ثُبوت هذه الأحاديث واحدةٌ، أو هُناك (الصّحيحُ لذاته، ولغيره، والحسنُ لذاته، ولغيره، والجيّدُ، والصّالحُ، والقويّ)؟

وهل ما نبنيه من الأحكام على المُتواتر؛ مثلُ الّذي نبنيه على حديثٍ غريبٍ، أو صحيح الإسناد، لكنّهُ فردٌ مُطلقٌ ؟

وهل الفردُ المُطلقُ كُلُّهُ على درجةٍ واحدةٍ من الثُّبوت ؟

=وقال -حفظه الله ورعاه وأدام ظله الشريف في صحة وعافية-: (لم أنته من نقد أحاديث الدجال، فهي كثيرة ومتنوعة، وحسب ما وصلت إليه حتى الآن فهناك عدد من الأحاديث الصحيحة، وليس حديثًا واحداً، أما أحاديث المسيح عليه السلام، فليس فيها حديث صحيح ملزم، والأحاديث التي يرويها مسلمة أهل الكتاب كلها مشكوك فيها عندي، لكن مسألة الدجال، ليست بصورة التهويل والامتحان التي تعرضها الأحاديث المعلومة، ولا أستبعد أن يكون الدجال واحداً من الملوك المعاصرين، فالله أعلم).

هُناك فردٌ مُطلقٌ رواهُ عن التّابعيّ عشرةٌ من تلامذته؟

وهُناك فردٌ مُطلقٌ رواهُ عن التّابعيّ تسعةٌ، ثمانيةٌ، سبعةٌ، ستّةٌ، خمسةٌ، أربعةٌ، ثلاثةٌ، اثنان!

وهُناك فردٌ غريبٌ مُطلقٌ شاذٌّ، عند شُعبة ويحيى القطّان وغيرهما!

وهُو الحديثُ الّذي لا يرويه عن تابع التّابعيّ إلّا راوٍ واحدٌ فقط! فما معنى هذا؟

معنى هذا أنّ الحديث الفرد المُطلق؛ لا يعرفُهُ من الصّحابة، إلّا صحابيٌّ واحدٌ.

ثُمّ لا يعرفُهُ من التّابعين إلّا تابعيٌّ واحدٌ!

ثُمّ لا يعرفُهُ من أتباع التّابعين إلّا واحدٌ من الأُمّة فقط!

ولهذا شاع عندهُم لقبُ: (غيرُ محفوظٍ) أو(شاذٌّ)، وقالوا: (لا يأتيك بالحديث الشاذّ إلّا الرّجُل الشّاذّ).

فهل مثلُ هذا الحديث يُثبتُ عن الرّسول -صلّى اللهُ عليه وآله وسلّم- سُنّةً، يجبُ على الأُمّة الالتزامُ بها، أو يُندَبُ للأُمّة العملُ بها، وعلى وجه الإلحاح الجاهل، والمُوالاة والبراءة؟

ويرى جُمهورُ هؤُلاء أنّ الحديث الحسن لغيره، والحديث الجيّد، والحديث القويّ يُحتجُّ به، ويُوالى ويُعادى على مضمونه كذلك!

وأنا الفقيرُ أرى أنّ (الكارثة الفكريّة) إنّما جاءت من هُنا؛ لأنّ الحديث الحسن لغيره ينقسمُ على ثلاثةِ أقسام:

القسمُ الأوّلُ: الحديثُ الحسنُ بمجموع مُتابعاته الضّعيفة، دون المدار.

القسمُ الثّاني: الحديثُ الضّعيفُ بمجموع شواهده الضّعيفة.

القسمُ الثّالثُ: الحديثُ الضّعيفُ بمجموع مُتابعاته وشواهده الخاصّة، كأن يوجد لهُ شاهدٌ عامٌّ بمعناه، أو كان مُوافقًا لآيةٍ قُرآنيّةٍ؛ فحسّنهُ التّرمذيُّ أو غيرُهُ من أهل العلم.

بينما نحنُ لا نحتجُّ بواحدٍ من هذه الأقسام الثّلاثة للحسن، ولا نُثبتُ به حُكمًا شرعيًّا من حلالٍ أو حرامٍ، وإنّما نُثبتُ بالقسم الأوّل فقط المندوب والمكروه، أو خلاف الأَوْلى!

وإنّ أكثر الأحاديث الّتي صحّحها وحسّنها المُعاصرون، وفي طليعتهم الشّيخ الألبانيّ، هي من هذه الأقسام، وهُم يحتجّون بها في الحلال والحرام، بل وفي الاعتقادات.

فلك أن تتخيّل مئاتٍ كثيرةٍ من الأحكام تختلفُ بيننا وبينهُم!

ومذهبي في الحُكم على الحديث؛ هُو التّشدُّدُ للاحتياط في الدّين.

ومذهبُهُم في الحُكم على الحديث؛ هُو التّرقيعُ والتّساهُلُ؛ لأنّ الحديثَ الضّعيفَ أحبُّ إلى إمامهم أحمد وإليهم من رأي الرّجال.

فعلى مذهبنا الحديثيّ؛ وصلت إلينا السُّنّة العمليّة كاملةً، لم يذهب على الصّحابة منها سُنّةٌ واحدةٌ.

ومذهبُ عُمر رضي اللهُ عنهُ؛ هُو الإبقاءُ على هذه السُّنن العمليّة، والاهتمامُ بها، دون الرّوايات الّتي صدرت عن الرّسول صلواتُ الله عليه في المُناسبات، ووقائع الأحوال الّتي ليس لها عُمومٌ في فهمي.

لكن ضاع علينا أكثرُ تاريخ (الشّخصيّة النّبويّة)، وضاع علينا كثيرٌ من روايات الصّحابة الّذين ماتوا في عهد عُمر.

وضاع علينا أكثرُ خُطب الرّسول صلّى اللهُ عليه وآله وسلّم.[1]

وضاع علينا كثيرٌ، وكثيرٌ جدًّا من (الفقه السّياسيّ)، إذ ممّا لا يُعقلُ أن يُروى عن الرّسول صلواتُ الله وسلامُهُ ألفُ حديثٍ في الطّهارة، ولا يُروى عنهُ عشرةُ أحاديث في (الفقه السّياسيّ)!

هذا، واللهُ تعالى أعلمُ. والحمدُ لله ربّ العالمين.

1- ينقل شيخنا الشريف –حفظه الله ورعاه- في المقالة السابق ذكرها حواراً مع بعض الطلبة في الطائف مفيد في هذا الباب، يقول: (قلت: كم سنة عاش النبي الأكرم في المدينة؟ قالوا: عشر سنين! قلت: كم خطبة جمعة في السنة؟ قالوا: أكثر من خمسين! قلت: يعني خطب النبي الأعظم (500) خطبة؟ قالوا: نعم؟ قلت: من يأتيني ب(50) خطبة مدنية صحيحة الإسناد أو حسنة الإسناد فله راتبي كله!).

السُّنّة النّبويّة بين نقد المتن... وبين الهوى ؟!

كتب إليّ على الخاصّ يقولُ ما نصُّهُ :

(ما رأيُك بهذا الكلام ؟

بعد وفاة النّبيّ صلّى اللّهُ عليه وآله وسلّم، ارتدّ مُعظمُ العرب عن الإسلام.

ثمّ عادوا بقوّة السّيف إلى حظيرة الإسلام في حُروب الرّدّة، فهل عاد هؤُلاء المُكرهون إلى دائرة الإيمان أم إلى دائرة النّفاق ؟

هُنا قد يُقالُ: ما الدّاعي الآن إلى طرح هذا السُّؤال ؟

وهذا اعتراضٌ مقبولٌ، ولكن الّذي يُسقطُهُ أنّ علم رجال الحديث أغفل الإشارة إلى كون الرّاوي (الصّحابيّ) ممّن ارتدّ عن الإسلام وعاد؛ مُكرهًا أم لا ؟

وبديهيٌّ أن يكون مثلُ هذا حاقدًا على الإسلام مُستعدًّا لرواية أحاديث مكذوبةٍ!

وهي (بالآلاف) وقد تُخالفُ القُرآن صراحةً أحيانًا، كحديث التُّربة في مُسلمٍ الّذي يُنسب إلى أبي هُريرة رضي اللّهُ عنه، أو تطعن في النّبيّ وأزواجه كحديث همّ النبيّ صلّى اللّهُ عليه وآله وسلّم على الانتحار، وحديث المغافير الّذي يُسيءُ إلى أُمّهات المُؤمنين رضوان اللّهُ عليهنّ، وغير ذلك كثيرٌ.

أمَايَستحقُّ الأمرُ منّا في هذا الزّمان؛ الخروجُ من قُيود تقديم صحّة السّند، واعتبارها منهجيّةً قاصرةً، إلى تقديم صحّة المتن ؟) انتهى كلام السّائل.

فشرعتُ في جوابه على الخاصّ، لكنّني آثرتُ أن تُفيدوا من الجواب، وأن تُفيدوني بتعليقاتكم الهادئة العلميّة.

فأقولُ وبالله التّوفيق والرّشاد:

كلامُك أيُّها السّائلُ الكريمُ فيه نظرٌ من جهاتٍ:

الأولى: أنّ مشاهير المُرتدّين الّذين رجعوا إلى الدّين بقوّة السّلاح؛ منصوصٌ عليهم في كُتب الصّحابة، وفي بعضهم يقولون: حسُن إسلامُهُ، وفي بعضهم يسكتون، لكنّهُم يقولون: لم يرو عن النّبيّ صلّى اللّهُ عليه وآله وسلّم أيّ حديثٍ.

أو يقولون: جاء عنهُ حديثٌ أو حديثان، وإسناداهُما إليه ضعيفان، ونحو ذلك، وتجدُ هذا مبثوثًا في جميع كُتُب الصّحابة.

والإشكاليّةُ قائمةٌ في الأعراب المجهولين، لكنّ عددًا من العُلماء أهل الاستقراء ومنهُم ابن الوزير الصّنعانيّ قال في كتابه الفريد (العواصم والقواصم) ما معناهُ:

ولا يُعرفُ عن واحدٍ من مجهولي الصُّحبة حديثٌ احتيج إليه في شيءٍ من أُمور الدّين، ليس في الباب حديثٌ غيرُهُ.

وسيّدُنا عُمر طيلة خلافته كان ينهى عن إشاعة الحديث عن رسول الله صلّى اللهُ عليه وآله وسلم، حتّى لا تتلقّف الأجيالُ التّالية أحاديث غير موثوقٍ منها.

وجعل رواية الحديث مُقتصرةً على أحاديث الأحكام، وفي مجلسه فقط!

ولعلّهُ لهذا السّبب أيضًا لم يكن يقبلُ أن يُشاركَ في الفُتوح من أولئك الّذين ارتدّوا إلّا مَن وثق بحُسن إسلامه.

والثّانية: في عهد أحد خُلفاء بني العبّاس قدّموا أحدَ الزّنادقة الوضّاعين ليقتلوهُ بتُهمة الزّندقة، فقال لهُم: كيف وقد وضعتُ على نبيّكم (3000) حديثٍ، وهي مبثوثةٌ في أيدي النّاس؟

فقال لهُ ذلك الخليفة: لها فُلانٌ وفُلانٌ، يستخرجونها بالمنقاش!

وقيل لابن المُبارك: هذه الأحاديث الموضوعة؟

فقال: يعيشُ لها الجهابذةُ.

وفعلًا فقد عاش لها الجهابذةُ:

فعندنا كُتُبٌ مُختصّةٌ بالموضوعات والوضّاعين.

وأُخرى بالمُنكرات والأباطيل.

وثالثةٌ المُندرجةُ تحت العلل.

ورابعةٌ المُختصّةُ بالغرائب والأفراد.

وخامسةٌ الضّعيفةُ المُشتهرةُ على الألسنة.

وهذه قامت بطرد أكثر من 60 ألف روايةٍ غير مُعتبرةٍ، ولا معمولٍ بها، سوى الآلاف الكثيرة الّتي دفنها العُلماءُ ولم يتسرّب منها شيءٌ إلى الأجيال التّالية.

ومن يُمسكُ كتاب الكامل لابن عديّ والمجروحين لابن حبّان، يجدُ ما يأتي:

قال ابنُ حبّان في ترجمة أحمد بن محمد القيسيّ(1: 155) : (كتبتُ عنه شبيهًا بخمس مائة حديثٍ كلُّها موضوعةٌ).

وقال في ترجمة بشر بن عون الشّاميّ:(1: 190) : (روى نُسخةً فيها ستّ مائة حديثٍ كلُّها موضوعةٌ).

وقال في ترجمة منصور بن عبد الحميد الجزريّ:(3: 39) : (أخبرنا ابنُ الجُنيد عنه بنُسخةٍ شبيهًا بثلاثمائة حديثٍ، أكثرُها موضوعةٌ).

وفي ترجمة الحسن بن عليّ العدويّ (1: 241) قال: (يضعُ الحديث، حدّث بالأشياء الموضوعات ما يزيدُ على ألف حديثٍ).

وفي ترجمة جابر الجُعفيّ (1: 308): (روى عن جابر قال: عندي خمسون ألف حديثٍ، لم أُحدّث منها بشيءٍ! (يُريدُ ابن حبّان أنّها موضوعةٌ ومُنكرةٌ)).

ولا أُريد أن أسترسل أكثر، فما عليك إلا أن تذهب إلى المجروحين على الشّاملة، وتكتُب كلمة (نُسخة) وسيظهر لك (87) ترى فيها العجايب!

والثّالثةُ : قولُك إنّ في كُتب الحديث آلاف الأحاديث المكذوبة؛ غيرُ صحيحٍ وغيرُ دقيقٍ، بل دليلٌ على أنّك لا تعرفُ كُتب السُّنّة، فالآلافُ ثلاثةٌ فما فوق!

وجميعُ أحاديث البُخاريّ من دون تكرارٍ 2560 حديثًا، وأحاديثُ مُسلمٍ 3000، اتّفقا منها على 1870 حديثًا تقريبًا، فمجموع ما في الصّحيحين أقل من 4000 فهل فيهما 3000 مكذوبٌ ؟1

1- قال شيخنا الشريف –حفظه الله ورعاه وأدام ظله الشريف في صحة وعافية-: (منها 560 غير صحيحة في نظري).

الأحاديثُ المُشكلةُ في الصّحيحين عشراتٌ، وليست مئات فضلًا عن أُلوف! فاتّقوا الله تعالى.[1]

والرّابعةُ دعواك إلى نقد المتن لأنّ نقد السّند غيرُ كافٍ في استخراج هذه المُنكرات؟

غيرُ صحيحٍ أيضًا!

فما من علّةٍ في المتن، إلّا وهي راجعةٌ إلى اختلال حفظ الرّاوي، أو تُهمته.

وعُلماءُ الحديث استبعدوا كلّ مُتّهمٍ قطعًا، فلم يبق إلّا تُهمة سوء الحفظ أو اختلاله.

وقدتكلّم العُلماءُ قديمًا على معايير نقد المتن، لكن كلامهُم قليلٌ نسبيًّا؛ لأنّهُم إذا وجدوا الرّاوي قد وهم؛ فلماذا يسترسلون في نقد متن حديثه؟

ثُمّ مسألةُ (العرض على القُرآن العظيم) مسألةٌ فضفاضةٌ، لا تستطيعُ أن تُخرج من ورائها حديثًا مُتواترًا، أو مشهورًا، أو عزيزًا، أو صحيحًا غريبًا، أو حسنًا لذاته، أو لغيره!؟

فكيف ستُوظّفُ هذه الأحاديث في مواضعها من مسائل الاعتقاد والفكر والتّربية والفقه؟

إنّني على يقينٍ بأنّ كُلّ من يقولُ بهذا القول؛ فهُو لا يعرفُ علم الحديث، ولا جُهود المُحدّثين.

وأنا أدعوكُم جميعًا إلى استحضار كُلّ ما ترونه مُشكلًا عليكم من أحاديث الصّحيحين، حتّى أُظهر لكم وجه الحقّ فيه بإذن الله تعالى.

وإنّما خصصتُ الصّحيحين بالذّكر لأنّ أهل السُّنّة لا يلتزمون بصحّة كتابٍ غيرهما.

اعرضوا لي شُبُهاتكم في كُلّ حديثٍ، وأعطوني مُهلةً من الوقت حتّى أستخرج تخريجهُ من نُسختي من البُخاريّ أو مُسلم (المُخرّجتين) وأزيدُ عليه ما يقتضيه المقام.

عسى اللهُ تعالى أن يُذهب هذه الوساوس عنكم، إنّهُ هُو حسبُنا ونعم الوكيل!

1- أقول: لا يتوهمن القارئ أن هذا يتناقض مع قول الشيخ أنه هناك 560 حديثًا في البخاري غير صحيح يناقض قوله هنا ان الأحاديث المشكلة عشرات ومئات، لأنه يدخل في ال560 حسان الأحاديث ولا يقصد بانها غير صحيحة الضعف مباشرة فتنبه.

اعتذارٌ:كنّا ننشُرُ النّاجز من (ظاهرة العُنف) ثمّ استُدرجنا إلى (علم الخشوع)، ثمّ تركناهما إلى إزاحة شُبهةٍ عن كُتُب الحديث الشّريف؛ فأعتذرُ إليكم، وأعدُكم أنّ الحلقة القادمة عن (معالم علم الخُشوع) لنعود بعدها إلى (ظاهرة العُنف).

ثمّ نعود إلى دراسة الأحاديث الثّلاثة الّتي أوردها الأخُ السّائلُ، إن شاء اللهُ تعالى.

لكن في ظنّي أنّ منشور اليوم سيُفيدُكم كثيرًا، وسيُجيبُ على كثيرٍ من تساؤُلاتكم.

واللهُ تعالى أعلمُ.

والحمدُ لله ربّ العالمين.

(دروسٌ تطبيقيّةٌ في مراتب الأدلّة النّقليّة!)

1 -مقدّمةٌ تمهيديّةٌ مُوضّحةٌ!

كتب إليّ أحدُ أنبل نبلاء (أهل السُّنّة) في نظري، يقول :

(شيخنا ... أنت عالم... فركّز على إفادة طلبة العلم بما تميزت به عن الآخرين، في المسائل العلمية، مثلِ ما ذكرتَ سابقًا في مراتب الأدلّة، وتحيّاتي وأشواقي لكم).

تحدّثت سابقًا أنّ أهمّ مشروعٍ علميّ في حياتي؛ هو كتابة مصنَّفٍ نظريّ وتطبيقيّ في (مراتب الأدلّة النقليّة)، وهو على قسمين:

الكتاب الأول: مراتب الأدلة النقليّة في الاعتقادات.

والكتاب الثاني: مراتب الأدلّة النقليّة في العبادات

ذلك أنّ كتابة هذين الكتابين سيضعان بين أيديالعقلاء مادّة علميّة ضخمة، تسعفهم في ضرورة تجديد الخطاب الدينّي، وتُسندُهم في مراجعة أفكارهم واعتقاداتهم والأحكام الفقهية التي يتحاربون ويتذابحون انتصاراً لها.

(1)حين تقرأ في كتب أصول الحنفيّة والمالكيّة (تقديم القياس الجليّ على خبر الواحد) في الجملة.

(2)حين تقرأ في كتب أصول المالكيّة: (تقديم عمل أهل المدينة على خبر الواحد) في الجملة.

(3) حين تقرأ في أصول الإمام الشافعيّ ذاته: (تقديم القياس الجليّ على قول الصحابيّ وفعله).

(3)حين تقرأ في كتب أصول الحنفيّة قولهم: (لا يثبت بناء الركن بخبر الواحد، إنما نبني عليه الواجب).

(4)حين تقرأ في كتب أصول الماتريدية والأشاعرة: (لا يجوز بناء عقيدةً أصليّة على خبر الواحد الصحيح).

(5)حين تقرأ حين تقرأ في كتب أصول المعتزلة: (لا يؤخذ في أمور الاعتقاد إلا بالخبر اليقينيّ) وهو القرآن!

حين تقرأ ذلك كلّه وغيره بهدوء ومن دون تشنّج؛ لا بدّ أن تتساءل:

لم قال الحنفيّة بما قالوا؟

لم قال المالكيّة بما قالوا؟

لم قال الإمام الشافعيّ بما قال؟

لم قال المعتزلة بما قالوا؟

وما الذي يترتّب على هذا الخلاف؟

وهل أقوالهم هذه؛ هي نهايةُ النظر العقليّ تجاه المنقول؟

وهل ما كتبوه في مباحث (الد لالات) اتّفاقًا واختلافًا؛ هو نهاية المطاف، والذي علينا هو الانتصار لأحد القولين، أم إنّ هناك مساحاتٍ شاغرةً، تحتاجُ إلى إسكانِها بنتاج قرائحنا، واجتهاداتنا التي تكافئ عصرنا؟

إنّ من أعجب ما يحزنُ المسلم أنه حين يقرأ أيّ مسألة أصوليّة على الإطلاق؛ يجد فيها لدى العلماء اختلافًا كليًّا أو جزئيًّا، ومتى رأيت اختلافًا في مسألة ما؛ فاعلم أنّ هذه المسألة لا دليل عليها بعينها، أو أنّ دليلَها غير دالٍّ، أو أنه غير ثابتٍ، أو في ثبوته شكٌّ!

فأنت حين تعرض الخلاف بين العلماء؛ لا يشتمك أحدٌ، ولا يتّهمك أحدٌ، ولا يشكّك في نيّتك أحد!

لكنّك حين ترجّح أحد القولين على الآخر؛ يثني عليك مؤيّدوا القول الراجح عندك، ويسبّك الذين خالفت مذهبهم في ترجيحك!

أمّا إذا رفضت القولين الواردين كلاهما كليًّا أو جزئيًّا، وقرّرت رأيًا جديداً؛ فهنا يسهل إخراجك من الإسلام، باتّفاق الطرفين!

وهاهنا تحضرني قصّة طريفةٌ على حزنها وقبح دلالتها.

عندما رفضت اللجنة الفاحصة في العراق أطروحتي لدرجة الدكتوراه (الوحدان من رواة الصحيحين) حدثت في العراق ضجة كبيرة جدّاً، ربما لم يحصل مثلها في التاريخ العلميّ المعاصر!

فنحن لم نسمع أنّ مناقشة أطروحة علمية تستغرق من ا لوقت من الساعة التاسعة صباحًا، حتى بعد أذان العشاء!

ونحن لم نسمع أن مناقشة رسالة علمية يحضرها أكثر من ستة آلاف نسمة!

ونحن لم نسمع أنّ كليّة من الكليات تعطّل الدراسة فيها يوماً كاملاً؛ لتستقبل قاعاتها هؤلاء الآلاف!

ونحن لم نسمع أنّ مناقشة أطروحة يحفظُ أمنها (500) رجل أمن!

عقب رفض اللجنة الناصبيّة الحاقدة حقيقةَ (الأطروحة) طالب بعض علماء العراق بقتلي على الردّة، وبعضهم طالب بسجني واستتابتي، وبعضهم طالب بطردي!

كان أستاذي الدكتور مُحمّد رمضان عبد الله الحُسينيّ الكورديّ يعلّم في (كليّة صدّام لإعداد الكادر الحزبيّ المتقدّم) التي أنشأها صدام حسين بإشارتي، وتنظيري لها!

فحدّثني أنّ أحد ضبّاط الجيش العراقيّ الكبار، برتبة لواء ركن، أو فريق ركن، سأله في قاعة الدرس قال: دكتور مُحمّد أنت تعرف عداب الحمش النّعيميّ السّوريّ هذا؟

قال الدكتور محمّد، وكيف لا أعرفه، هو صديقي وتلميذي!

قال الضابط: هو من أهل العلم؟

قال الدكتور رمضان: طبعًا من أهل العلم!

قال الضابط: هو سنّيّ!

قال الدكتور رمضان: هو ليس سنيًّا بالمعنى التقليديّ!

قال الضابط: هو شيعيّ!

قال الدكتور رمضان: لا، ليس شيعيًّا أبداً!

قال الضابط: إذا لم يكن شيعيًّا ولا سنيًّا؛ فهو كافر، صفّوه واخلصوا من شرّه!

حدثني الدكتور محمّد رمضان قال: فضحكت وقلت له: تفضل استمع إليّ.

فشرح له الدكتور رمضان حقيقةَ ما جرى، فقال: إذن يجب على هذه اللجنة الخائنة أن يعاقب أفرادها جميعًا؛ لأنّ هذا الرجل ضيف، وقصته صارت على كلّ لسان، وهو مظلوم... إلى آخره!

ما أقصده أنّ (الأبيض والأسود) هما الماثلان في العقل المسلم، مع أنّ ثمّة مساحةً ليست بالأبيض ولا بالأسود، وفيها كثيرٌ من الحقّ والخير، الذي قد يؤول في النهاية إلى أشدّ البياض!

وفي الدرس الأوّل القادم سأتناول تخريج حديثٍ متواتر، وأفصّل القول بما يمكن أن يبنى عليه من أحكام شرعيّة إن شاء الله تعالى، والحمد لله ربّ العالمين.

(دروسٌ تطبيقيّةٌ في مراتب الأدلّة النّقليّة!)

2 ماذا يعني البحث في (مراتب الأدلّة النقليّة)؟

حتّى تكون المباحث مترابطةً، فلا بأس من اختصار ما سبق نشره، حيال هذا الموضوع الخطير!

القرآن العظيم منقول.

والسنّة النبويّة منقولة.

والروايات الحديثيّة منقولة.

والإجماع منقول.

فلم الحديث عن الروايات المسندةِ، دون القرآن الكريم، والإجماع؟

جوابُ ذلك أنّ مباحثَ ثبوتِ نقلِ القرآن الكريم؛ أقربُ إلى الرفاهية منها إلى الحاجة!

أما مباحث الدلالات؛ فلا صلة قريبةً لها بالمنقول.

وأمّا الإجماع، وإن كان منقولاً عن السلف؛ لكنّ أكثره دعاوى، ثم هو في جملته إجماع (مذهبيّ) أو (طائفيّ)، نعرّج عليه في موضع بحثه، وليس في هذه المنشورات الوجيزة.

إن دراسة آيات الدعوةِ والعقيدة والأحكام؛ الهدف منها محاولة فهم مرادِ الله تبارك وتعالى، من وراء دراسة دلالات الألفاظ.

ونتائج هذه الدراسة؛ (أحكام تكليفيّة): حلال وحرام وواجب ومندوب.

وفي منهج فهم (مراتب الأدلّة النقليّة)؛ لا بدّ من الانتباه إلى أمرٍ في غاية الأهميّة، وهو أنّ صحّة إسنادِ حديثٍ ما؛ مظنّة راجحة لثبوته، وضعف إسناد حديث ما؛ مظنّة راجحة في عدم ثبوته.

فقد يخطئ الثقة ويهم.

وقد يضبط الضعيف يحفظ.

والمسألة كلها في إطار الاجتهاد ومراعاة القواعد.

هكذا يقول المحدّثون والأصوليون معًا.

لكنّ هذا الإطلاق من كلا الفريقين في نظري القاصر؛ غير دقيق؛ لتفاوت (مراتب الروايات) تفاوتًا بعيدًا جدًّا!

الله تبارك وتعالى أوجب (أربعة شهداء عدولٍ) لثبوت (جريمة الزنى)، التي تفضح متّهماً عَزَباً، وتنهي حياةَ متّهم محصن!

وهذا يعني أنّ اتّفاق (أربعةٍ) على (شهادةٍ) أو (روايةٍ)؛ لا يقارن به شهادةُ واحدٍ، أو روايته، ولهذا كان (الشافعيّ) يكثر من قوله: (العلم العامّ) و(العلم الخاصّ) أو (خبر العامّة) يعني الكثيرين، و(خبر الخاصّة) يعني الذي يتفرّد به صحابيّ واحد!

وحتى الذي يتفرّد بنقله عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلّم صحابيّ واحدٌ، وهو أكثر الأحاديث المروية؛ مراتبه كثيرةٌ جدّاً، وليست مرتبة واحدة.

فإذا رواه أكثر من ثلاثة عن الصحابيّ؛ فهو حديثٌ (مشهورٌ) عنه، فكيف إذا رواه عنه عشرة؟

فهذا وهذا، وإن كان مخرجه واحدًا، لكنه مشهور عنه، ثابت النسبة إليه.

فإذا انضاف إلى هذا؛ أن يكون الصحابي مشهورًا، وعالمًا، وضابطًا مشهودًا له بالحفظ؛ فالاطمئنان إلى صحّة نسبة حديثه الفرد إلى الرسول صلى الله عليه وآله وسلّم؛ لا يعدله رواية واحدٍ، أو اثنين عن الصحابيّ مخرج الحديث الأعلى .

والحديث الذي لا يرويه عن التابعيّ إلا راوٍ واحدٌ؛ هو الفرد المطلق، وهو ساحة علل الأحاديث والروايات الكبرى.

نعم يقع التمايزُ بين حديثٍ من هذه البابة وآخر، على حسب تفاوت صفات الرواة.

فحين يروي (الزهريّ) عن (سالم بن عبد الله بن عمر)، عن أبيه (عبد الله بن عمر)، عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلّم حديثًا فردًا مطلقًا!

ليس مثله لو روى (يحيى بن سعيد الأنصاري) عن (محمد بن إبراهيم التيميّ)، عن (علقمة بن وقاص الليثيّ)، عن (عمر بن الخطّاب)، عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلّم حديثًا فردًا مطلقًا أيضًا.

فالأوّل أرجح بمراتب، لماذا؟

لأنّ (الزهريّ) إمام، و(سالمٌ) إمامٌ خيرٌ منه وأعلم، و(عبد الله بن عمر) صحابيّ جليل من علماء الصحابة المتّبعين ألفاظ الرسول.

أما الحديث الفرد الثانيّ:

فـ(يحيى بن سعيد الأنصاريّ) إمام.

و(محمّد بن إبراهيم التيميّ)؛ اختلف العلماء في توثيقه، وقال (أحمد ابن حنبل): روى أحاديث مناكير!

و(علقمة بن وقاصٍ الليثيّ)؛ ليس له عن عمر سوى هذا الحديث الواحد، الذي لا يعرفه غيره من جيل التابعين رحمهم الله تعالى، وليس له كثير حديثٍ، ولا علم، إنما هي أربعة أو خمسة أحاديث!

فمن الخطأ البيّن من وجهة نظري؛ ما فعله العلماء من الاحتجاج بالإسناد الثاني كما احتجّوا بالإسناد الأوّل!

وما دون هذه الأسانيد من القوّة، وهي التي يعطونها درجة (حسن) أو (حسن لغيره) فملأى بالعلل والمنكرات التي يجب وجوبًا شرعيًّا معاودة النظر في أسانيد ومتون هذه الأحاديث جميعها، وعدمُ التعصّب لما بني عليها من أحكام فيها كبير نظر!

ونحن لا نستطيع فيما تبقّى من العمر أن نراجع ذلك كلّه، لكننا سنجعل من دراساتنا في هذا الموضوع معالم ومناراتٍ، يستضيء بها الباحث، ويتابع البحث والدرس، بالإضافة إلى تقويمه وتصويبه وتطويره لعملنا الذي لم يقم بمثله أحد فيما أعلم.

واللهُ تعالى أعلمُ.

والحمدُ لله ربّ العالمين.

الدكتور الشيخ محمود سعيد أعلم بالحديث ونقده، من جميع علماء وشيوخ التصوف –رضي الله عنهم-، من لدن سيدنا الجنيد وإلى يومنا هذا.1

ولا يليق بالسادة الصوفية أن يستهينوا بمعرفته الحديثية والعلمية عامة.

وإذا اختلفت معه أنا أو غيري، فإنما أختلف مع عالم كبير.

إلا ترى أنني لا ألتفت إلى مخالفة فلان وفلان ممن يخالفونني!؟

والسيد أحمد التجاني رضي الله عنه، ليس من أهل الحديث ولا يعرف عنه قليلاً ولا كثيراً .2

وشكراً لكم.

1- هو العلامة المحدث محمود سعيد بن محمد ممدوح بن عبد الحميد بن محمد بن سليمان القاهري المصري الشافعي، ولد في جمادي الأولى سنة 1371هـ بالقاهرة، له "وصول التهاني بإثبات سنية السبحة والرد على الألباني" قال عن الكتاب شيخنا ومجيزنا العلامة المحدث الشريف حسن بن علي السقاف – حفظه الله ورعاه وأدام زله الشريف في صحة وعافية – في كتابه "صحيح صفة صلاة النبي" ص238-239: (ولأخينا العلامة محمود سعيد ممدوح رسالة "وصول التهاني بإثبات سنية السبحة..." وهي رسالة نافعة جداً حاول بعض المبتدعة أن يرد عليها فأخرج رداً مهلهلاً فلم يفلح!)، وله أيضًا: "مباحثة السائرين بحديث اللهم إني أسألك بحق السائلين"، و"كشف المستور عما أشكل من أحكام القبور"، و"رفع المنارة لتخريج أحاديث التوسل والزيارة"، وغيرها الكثير، وهو لا يزال حيًا وفقه الله.

2- هو أبو العباس أحمد بن محمد بن المختار بن أحمد بن محمد سالم التيجاني، وأمه عائشة بنت محمد بن السنوسي المضاوي التجاني، صاحب الطريقة التيجانية ولد سنة 1150هـ بقرية عين الماضي بالجزائر وهي بلده ومقر أسلافه، لقى ربه في صبح يوم الخميس السابع عشر من شوال سنة 1230هـ وله يومئذ ثمانون سنة، ودفن في فاس رحمه الله.

"تشنيف الأسماع بشيوخ الإجازة والسماع؟!"

شيخنا العلامة محمود سعيد بن محمد ممدوح الشافعي المصري القاهري، من أكابر العلماء الذين عاصرتهم، وعقب طباعة كتابه (غاية التبجيل وترك القطع في التفضيل) بين الصحابة، لقبته ب(ناصر العترة الشريفة).

شيخنا محمود سعيد، ليس بيني وبينه في السن سوى سنتين، فهو من مواليد عام (1367هـ) والفقير عداب من مواليد عام (1369هـ) لكنه أكبر مني في العلم والقدر، وأقدر مني على المجاهرة والمواجهة، إذ إني أدندن منذ أكثر من أربعين سنة على ضرورة الالتقاء على المشتركات في الاعتقاد والفكر والفقه والفتوى، بينما كان فضيلته يرى ضرورة التميز، ومباعدة خلط الأمور![1]

وإن كان في المرحلة الأخيرة غدا أقرب إلى ما اخترته أنا من مذهب!

ليس في كتاب الشيخ محمود سعيد القاهري كتاب حسن، وآخر أحسن، فكل كتبه جليلة مفيدة، لا يستغني عنها من من هو في مثل سني، وقليل علمي، فضلاً عن طالب العلم الشادي.[2]

أمتع الله لنا ولأحبابه بحياته المباركة، ونفع طلاب العلم بشخصه الكريم، وبمصنفاته المتميزة في فنونها.

وفي مساء هذا اليوم، أوقفني تلميذه البار بي وبه، ولدي السيد محمد بن عداب على المجلد الأول من كتابه (تشنيف الأسماع بشيوخ الإجازة والسماع) وهو كتاب ترجم فيه شيخنا محمود سعيد لشيوخ شيخنا الجليل مسند العصر محمد ياسين الفاداني، ثم المكي (1335 -1410هـ)...[3]

1- هنا ذكر شيخنا الشريف العلامة عداب الحمش أن الشيخ محمود سعيد ولد في سنة (1367هـ) وعلى هذا فهو يكبره كما ذكر بسنتين، بينما وجدت من ترجم للشيخ محمود سعيد ذكر أنه ولد سنة (1371هـ) وعلى هذا يكون شيخنا الشيف العلامة عداب أكبر بسنتين، ولعل ما ذكره شيخنا أضبط مما ذكر من ترجم للشيخ محمود سعيد والله أعلم.

2- هذه المقالة نُشرت بتاريخ 6 مارس 2016م وعليه يكون شيخنا الشريف عداب – حفظه الله ورعاه وأدام ظله الشريف في صحة وعافية- حينها في عامه ال67.

3- للمقالة بقية، وبقيتها ليست عندي للأسف.

كتب الدكتور محمود سعيد يقول:

(ولو أقسمت بين الركن والمقام، أنهم ليسوا أصحاب أهلية معارضة تصحيح البخاري ومسلم، ولم يسلكوا المسالك الصحيحة في النظر، لما حنثت في يميني.

وهؤلاء أصحاب توجهات وارتباطات. والمؤسسات الموجهة، توظف هؤلاء لأغراض خبيثة، وكنت أعمل في إحدى المؤسسات، وهي تحمل مشروعًا كبيراً كان من علاماته إسقاط الثقة بالصحيحين.

عن طريق توجيه أحد الباحثين من ذوي الميول المعارضة للحديث والصحيحين بالذات، بالنظر في الصحيحين حديثًا حديثًا، وقد شاء الله تعالى أن يفشل مشروعهم).

قال الفقير عداب عفا الله عنه:

الله يشهد وملائكته يشهدون أن هذا الكلام بهتان صريح، وافتراء رخيص، وفجور ولدد في الخصومة.

أنشأ الشيخ صالح كامل رحمه الله تعالى مؤسسة (اقرأ) لعلوم القرآن والسنة.

وأنا الذي رسمت مخططها الفكري والحديثي العام.

وأنا الذي توليت نقد الصحيحين.

والشيخ محمود اختار تخريج ونقد مجمع الزوائد، ثم أضاف إليه كتبًا أخرى.

الشيخ محمود سعيد يخرج وفق اجتهاده.

والشيخ صلاح الإدلبي يخرج وفق اجتهاده.

والشريف المحطوري رحمه الله تعالى، يخرج وفق اجتهاده.

والفقير عداب كان يحقق ويخرج صحيح البخاري وفق اجتهاده.

ولم يتدخل الشيخ صالح كامل بشئ من أعمالنا، ولم يصرح أو يلمح إلى شئ يريد، سوى خدمة السنة النبوية وتمحيصها.

وقول محمود سعيد بأن لهذه المؤسسة مشروعًا كبيراً، من علاماته إسقاط الثقة بالصحيحين، تهمة مفتراة باطلة، هو يعلم أنها باطلة!

فأنا وحدي الذي أشرف على الصحيحين.

وقد خرجتهما تخريجًا عامًا تامين.

ثم خرجت تخريجًا نقديًا (1394) حديثًا تصفو بلا تكرار (665) حديثًا.

ضعفت منها أربعة أحاديث فحسب!

سألني الشيخ صالح كامل رحمه الله تعالى قبل إنشاء المؤسسة، عندما اقترحت أنا عليه نقد الصحيحين، قال: كم تقدر عدد الأحاديث الضعيفة في صحيح البخاري؟ قلت له: (5%) تقريبًا.

و(10%) في صحيح مسلم.

قال: هذه دعوى، كيف تقيم الأدلة عليها؟

قلت له: تخريجنا للصحيحين، وحكمنا على أحاديثهما، هو الأدلة على صحة ما أقول!

أنت يا شيخ محمود، تتهم الشيخ صالح بنواياه، وأنت والله آثم في دعواك!

وتتهمني بأنني أريد إسقاط الصحيحين، أيها المفتري، وأنا لم أضعف حتى (1%) مما حكمت عليه من أحاديث الصحيحين.

ولا أظنك كثير الحرص على الصحيحين، ولا على غيرهما من كتب أهل السنة.

إنما همك مسند زيد، وكتب الزيدية، وأنا لست ضدك في ذلك، لكن وسيلتك إلى ذلك غلط وجبن!

قلت لي بالحرف الواحد:

يجب أن لا نجعل الصحيحين محلاً لنقدنا، وإن كنا نعلم بوجود أحاديث ضعيفة فيهما.

لأننا إذا ضعفنا أحاديث في الصحيحين، فماذا سنترك لكتب أئمة أهل البيت، وأسانيدها كما تعلم.

وقد أفصحت عن خبيئة نفسك بمنشور الأمس، إذ كان كل اهتمامك، بتصحيح أسانيد كتب دون صحتها خرط القتاد!

قلت لك وللشهيد المحطوري وللشيخ صالح كامل رحمها الله تعالى:

أنا لا تعنيني كتب الشيعة ولا كتب الإباضية في شئ، فقد كتبت عنها كتابًا مفرداً، قبل عام (2000) ولم أرها تستحق عناء خدمتها أصلاً.

والكتاب في مكتبتك، وتحت يدك، وحدثتني أنك أفدت منه في بعض كتبك.

ولا تنس يا شيخ محمود أنك توسلت الي لأشفع لك عند الشيخ صالح ليوظفك عنده.

وقد كان رافضًا لعملك معه، وكان والله أصدقنا فراسة بك، فقد قال لي:

يا شيخ عداب، قلبي ينفر منه كلما رأيته!

زعمت لي يا شيخ محمود أنك لا تملك نفقة شهر واحد في مصر، ونشدتني أن أشفع لك.

فشفعت لك عند الشيخ صالح، ورفعت لك مرتبك عنده.

أي وفاء عندك للرجل الذي رفعك وأكرمك ووهبك، يا أخي؟

وما دمت تعلم أنه فاسد، يريد تدمير السنة، فكيف رضيت على شهامتك أن تعيش على مرتبك منه أكثر من عشر سنين؟

أرجو أن تكف عن الافتراء وسوء الظن.

فأنا على يقين بأنك تعلم من نزاهتي أكثر مما تعلمه من نزاهتك بكثير!

فأوصيك ونفسي بالتوبة إلى الله تعالى.

وأوصيك بأن تكون شجاعاً وتقول:

أن ما يهمك هو كتب الزيدية، وأنك تدافع عن الصحيحين، وتكيل لنا الاتهامات شرقاً وغربًا، ليسوغ لك ما كتبته أنت في منشور قريب، من أن اسناد مسند زيد صحيح، وبقية كتب الزيدية التي عددتها، ما بين صحيح، أو مقبول للعمل به!

أنت تعلم أنك غير صادق فيما تفتري علينا وتكيل!

والله لو كنت أرى مسند الربيع بن حبيب يساوي التعب، لكرست لخدمته سنتين من عمري، ولا أبالي بأحد من الخلق![1]

أسأل الله تعالى أن ينير بصيرتك، ويبيض قلبك الأسود على كل من يخالفك، وهذه إمارة مرض نفسي بالتأكيد.

والله تعالى أعلم.

والحمد لله على كل حال.

1- مسند الربيع بن حبيب هو أحد كتب الحديث عند الإباضية، ويعد أهم وأصح كتب الحديث عندهم حيث يطلقون عليه: "الجامع الصحيح"، وهو ينسب إلى ثالث أئمة الإباضية الربيع بن حبيب الأزدي، وهو أبو عمرو الربيع بن حبيب بن عمرو بن الربيع بن راشد بن عمرو الأزدي الفراهيدي العماني، والكتاب من ترتيب الشيخ الإباضي أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم بن مياد، قال عنه شيخنا الشريف العلامة عداب كما في "أجوبة الفقير عداب على أسئلة الأحباب" ص29: (كتبت عن "مسند الربيع بن حبيب" بحثًا قارب مائة صفحةٍ، وخَرَّجْتُ كثيراً من أحاديثه، ومن وراء ذلك أقول: "مسند الربيع" يشبه الكتب غير المسندة، مثل رياض الصالحين، والترغيب والترهيب.

فأسانيده يصعب الإعتماد عليها، للجهالة المحيطة بالربيع نفسه، فضلاً عن غيره، ولعيوب صناعة حديثية يعرفها علماء الإباضية المحدثون.

أما متونه، فأكثرها موجود في كتب أهل السنة بأسانيدهم، فهذه ينطبق عليها ما ينطبق على نظائرها من المسندات عند أهل السنة.

وما تفرد به الربيع، فيحتاج إلى درس خاص).

نقاش مع الشيخ محمود سعيد حول حديث: (من عادى لي وليًا...)

بَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا، وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا، وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ)1.

رَبَّنَا لا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا، وَاغْفِرْ لَنَا، رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)2.

هذا الحديث؛ من أعظم الأحاديث التي يحتجّ بها السادة الصوفيّة على ضرورة تقديس مشايخهم (الأولياء) ودوام طاعتهم وامتثال أوامرهم.

وممّا لا ريبَ فيه أنّ المريدَ العاميَّ، إذا لم يعتقد بشيخه الكمالَ البشريّ؛ فمن العسير أن ينتفعَ به!

فإذا كان العوام (99%) من مجتمعاتنا العربيّة؛ فمن الضروريّ عدمُ تنقيصِ الشيوخ المتصدّرين لإرشاد الناس؛ إذ ليس في هذا مصلحةٌ شرعيّة من جهة، وفي ذلك ما فيه من ضررٍ بالغٍ على المسيرة التربويّة الدينيّة.

بيدَ أنّنا نرغب في أن يتنبّهَ الشيوخ أنفسُهم وتلامذتهم المثقفون؛ إلى ضرورة تعليم المريدين الاعتدالَ والابتعاد عن الغلوّ، الذي قد يقود إلى الخروج من الدين، من دون أن يعرف المريد أنّه خرجَ، أو على وشك الخروج!

حدّثني أحد المثقفين الصوفيّة – رحمه الله تعالى – أنّه مرّ في مرحلةٍ من حياته، كان يحبُّ شيخَه أكثرَ من الله تعالى ورسولِه، وأخبر شيخَه بذلك، فنبهه إلى قوله تعالى: (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ، وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لله).2

قوله تعالى: (وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لله) فيه إشارة إلى أنّ أولئك الناس؛ ليسوا من المؤمنين!

وإنني لاحظتُ في بعض التكايا أنّ الدراويشَ يستبشرون بذكر أسماء شيوخهم، وتنتابهم الأحوال، ويعلو الوجد والصراخ، بينما لا يحصل لهم شيء من ذلك، إذا ذكروا الله تعالى، أو ذُكر أمامهم، وتلك مصيبة!

1- سورة الممتحنة/ آية 4.

2- سورة البقرة/ آية 165.

قال الله تعالى:

(وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ؛ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ! وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ؛ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ).1

ومهما يكن من أمرٍ؛ فعلينا أن نخرّج هذا الحديث أوّلاً، ثم نتكلّم على ما في متنه من إشكالاتٍ غيرِ مقبولة!

بإسنادي إلى الإمام البخاريّ في جامعه الصحيح، كتاب الرقاق، باب التواضع (6502) قال رحمه الله تعالى:

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عُثْمَانَ بْنِ كَرَامَةَ قال: حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ مَخْلَدٍ قال: حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ بِلَالٍ قال: حَدَّثَنِي شَرِيكُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي نَمِرٍ – فيما رواه - عَنْ عَطَاءٍ – فيما رواه عطاء - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ اللهَ قَالَ:

(مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا؛ فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ!

وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ، أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ.

وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ؛ حَتَّى أُحِبَّهُ!

فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ؛ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا.

وَإِنْ سَأَلَنِي؛ لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي؛ لَأُعِيذَنَّهُ!

وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ؛ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ، وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ).

وأخرجه ابن حبّان في صحيحه (347) من حديث محمد بن إسحاق الثقفيّ مولاهم عن مُحَمَّدُ بْنُ عُثْمَانَ بْنِ كَرَامَةَ، به مثله، وقال: (لَا يُعْرَفُ لِهَذَا الْحَدِيثِ إِلَّا طَرِيقَانِ اثْنَانِ:

طريقُ هِشَامٍ الْكِنَانِيِّ عَنْ أَنَسٍ.

وَطريقُ عَبْدِالْوَاحِدِ بْنُ مَيْمُونٍ عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عَائِشَةَ.

وَكِلَا الطَّرِيقَيْنِ؛ لَا يَصِحُّ، وَإِنَّمَا الصَّحِيحُ مَا ذَكَرْنَاهُ).

1- سورة الزمر / آية 45.

وأخرجه البزار في مسنده المعلّل (15: 270) من طريق مُحَمَّدُ بْنُ عُثْمَانَ بْنِ كَرَامَةَ، به نحوه، وقال: وَهَذَا الْحَدِيثُ، لا نعلمُهُ يُرْوَى عَن أَبِي هُرَيرَةَ، إلاَّ من هذا الوجهِ، بهذا الإسناد.

وأخرجه اللالكائيّ في كرامات الأولياء (43) من طريق مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ بَرَكَةَ، به، بلفظ: (إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ) فحسب!

وأخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (1: 4) من طريق محمدبن إسحاق الثقفيّ مولاهم عن مُحَمَّدُ بْنُ عُثْمَانَ بْنِ كَرَامَةَ، به مثله.

ومن هذه الطريق أخرجه البيهقيّ في الأسماء والصفات (1029) وفي السنن الكبير (3: 482) و.(10: 370)

وأخرجه البغويّ في شرح السنة (1247) من طريق مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ الفِرَبريّ قال: حدّثنا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، به مثله.

وأخرجه ابن عساكر في معجم شيوخه (1438) من طريق محمد بن مَخْلَدِ بن حَفصٍ العَطارِ عن محمد بن عثمان بن كرامة، به مثله.

وأخرجه ابنُ العَديمِ في تاريخ حلب (8: 3636) من طريق العطّار عن ابن كرامة، به مثله.

وأخرجه المزيّ في ترجمة محمد بن عثمان بن كرامة، من تهذيبه (26: 94) وقال: (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ في صحيحه عَنِ ابْنِ كرامَة، فَوَافَقْنَاهُ فِيهِ بِعُلُوٍّ، ولَيْسَ لَهُ عَنْهُ فِي الصَّحِيحِ غَيْرُهُ، وهُوَ مِنْ غَرَائِبِ الصَّحِيحِ ، مِمَّا تَفَرَّدَ بِهِ شَرِيك بْنُ عَبد الله بْن أَبِي نمر عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرة. وتَفَرَّدَ بِهِ خَالِدُ بْنُ مَخْلَدٍ عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ بِلالٍ، عَنْ شَرِيك، واللَّهُ أَعْلَمُ).

وأخرجه الذهبي في تذكرة الحفاظ (4: 170) وقال: أخرجه البخاريّ عن محمد بن عثمان بن كرامة فوافقناه، وهو من أغرب شيء في الصحيح.

ما أتى به سوى ابن كرامة.

رواه أيضًا القاضي المحامِلِّي وأبو العباس السراج عن ابن كرامة. يريد: فلم ينفرد به البخاريّ.

وأورده الذهبي في ميزان الاعتدال (1: 641) وقال: هذا حديث غريب جدا، لولا هيبة الجامع الصحيح؛ لعدّوه في منكراًت خالدِ بنِ مَخلَدٍ، وذلك لغرابة لفظه، ولأنه مما ينفرد به شريك، وليس بالحافظ، ولم يرو هذا المتن إلا بهذا الإسناد، ولا خرجه من عدا البخاري، ولا أظنه في مسند أحمد.

1...

2...

والإمام ابن حبان أعلم من الدكتور محمود سعيد، ومن شيوخه الغماريين مجتمعين.

رحمهم الله أجمعين.

وهو نص على أن لهذا الحديث ثلاث طرق، قال: (لا يعرف لهذا الحديث إلا طريقان اثنان:

1- هشام الكناني عن أنس.

2-وعبدالواحد بن ميمون عن عروة، عن عائشة.

وكلا الطريقين لا يصح.

إنما الصحيح ما ذكرناه).3

يريد: طريق خالد بن مخلد عن شريك ابن ابي نمر، عن عطاء، عن أبي هريرة.

وهو حديث فرد مطلق في خمس طبقات.

أبهذا تثبت عقيدة؟

1- للمقال بقية ليست عندي.

2- قال الشيخ محمود سعيد ممدوح: (حديث "من عادى لي وليًا" صحيح أخرجه البخاري في صحيحه، وصححه عدد من الحفاظ، ومن المصححين له الحافظ ابن حبان (الإحسان رقم 347))، وردوده على صفحته بموقع الفيسبوك لمن أراد المراجعة.

3- صحيح ابن حبان (2/ 60)، تحقيق وتخريج وتعليق شعيب الأرناؤط، مؤسسة الرسالة، بيروت 1988.

ثم إن الدكتور محمود سعيد وشيخه عبدالعزيز، وا ٔكثر أهل الحديث وا ٔكثر الصوفية مجسمة، وترقيعاتهم هي لنصرة مذهب التجسيم.

والشيخ محمود قال لي شخصيا: إنه يثبت هذه الأحاديث على ظاهرها.

ويؤمن بحديث (خلق آدم على صورته) يعني على صورة الرحمان.

وحدثني أنه يذهب إلى فناء النار أيضا.

وقال: أين الحكمة والرحمة في أن يعذب الله الكفار إلى ما لا نهاية.

وأبو هريرة ا ٔكبر مجسم، فهو تلميذ كعب اليهودي.

أنا صريح واضح:

الحديث الصحيح الفرد المطلق الغريب؛ لا أبني عليه ا ٔكثر من المندوب والمكروه.

سواء كان ذلك في العقائد، أو في الأحكام.

ومذهبي معروف بعدم تقوية حديث عمرو الضعيف بحديث عمران الضعيف.

ومهما يكن من أمر؛ فالشيخ محمود وشيوخه الغماريون مسبوقون في المبالغة بالإثبات.

فهناك مئات الرواة يثبتون إقعاد الله تعالى رسوله محمدا صلى الله عليه وآله وسلم معه على العرش.

وليس بين أيديهم حديث واحد صحيح او حسن، ولو كان فردا مطلقا في خمس طبقات.

أهل الحديث مهووسون بالتجسيم، والعياذ بالله تعالى.

وقريبا انتهي من تحقيق وتخريج فصل المقام المحمود لأبي بكر الخلال.

وسترى أخي القارئ كم من المحدثين من يكفر الذي ينكر أثر مجاهد في القعود على العرش.

وبعد: أنا الفقير لست مطالبا شرعا بمتابعة السلف، ولا بمتابعة الخلف.

أنا أذهب إلى التأويل البلاغي الأصيل، الذي لا يحرف دلالة اللغة، ولا يجاري عربية العوام.

وفهوم الصحابة أنفسهم ليست حججا شرعية، فضلا عمن وراءهم.

لكن الذي بين يديك أخي القارئ أن في سند الحديث عللا وليست علة واحدة.

فضلا عن متنه الغريب العجيب.

وختاما: مسألة الإثبات والنفي لن تنتهي بقول الشيخ محمود سعيد ولا بقولي.

وكلامي واضح وصريح، فمن اقتنع بكلام المثبتين؛ فشأنه.

ومن اقتنع بتخريجي وتوضيحي؛ فهو أنجى له عند الله تعالى؛ لأنه الأقرب إلى تنزيه الله تعالى عن الذراع والباع والمشي والهرولة.

والله تعالى أعلم.

وعندما يقول ابن حبان أو غيره من الحفاظ: ليس لهذا الحديث إلا هذه الطريق، أو لهذا الحديث طريقان؛ فمعنى هذا أن بقية الطرق ليست مما ينظر إليه.

وأنا لا أجهل بقية الطرق الواهية.

أما الوجه الثاني: وهو دعوى الدكتور بأنني خالفت ابن حبان كثيرا؛ فهذا صحيح، وليس في ذلك بأس.

وأما قوله: إنني خالفت ابن حبان في الصفات، فأثبت النزول والرؤية والعين والقدم والرجل والضحك؛ فهذه من الدكتور محمود فرية بلا مرية!

بل هو كذب صريح.

ابن حبان يثبت رؤية الباري في الآخرة، وأنا لا أثبت ذلك.

وأنا ختمت الكلام بقولي:

(المراد من رؤية الله تعالى في الآخرة سرور المؤمن بمشاهدة جمال وجلال الله تعالى...

وسواء تحقق هذا برؤية قلبية كاشفة صادقة، أم تحقق بالعين الباصرة).

راجع كتابي ابن حبان (١: ٢٨٧).

وكتابي عن ابن حبان بين يدي الدكتور محمود، منذ العام (٢٠٠٧) وكلامي فيه على مذهب ابن حبان في الصفات بين أيدي الجميع (١: ٢٧٧ - ٣١٥).

حبذا لو أتى لنا الدكتور بنص من كتبي أثبت فيه هذه الصفات.

أنا إنما عرضت مذاهب العلماء ومذهب ابن حبان، وأكدت على مذهب ابن حبان والخطابي ومحدثي الشافعية في رسالتي للماجستير؛ لعدم قدرة الطالب أن يقول كل ما يريد.

ولو سلمنا جدلا بأنني كنت أثبت هذه الصفات في عام (١٩٨٦) فأنا أؤول جميع الصفات، منذ دهر.

وطالب العلم يرتقي علميا في كل يوم.

أما الذين يجمدون على رأي تقليدي واحد؛ فهم مقلدة جهال في واقع الأمر.

اتق الله تعالى يا دكتور محمود.

لا يليق بمن هو في سني وسنك الافتراء والكذب، فأنت تفتري علي، وأنت تعلم أنك مفتر كذاب.

انتهى.

(الهُجومُ على (الصّحيحين)؟!)

إنّ مما يمنعني ويمنع غيري من (أهل العلم) من نقد بعض أحاديث (الصّحيحين) المشكلة؛ هو ما نراه من هجوم أناسٍ عليهما، ممن لا نعرف لهم سابقةً في الدين، ولا معرفةً في (علوم الشريعة) عامّة، وعلم (نقد الحديث) خاصّة!

وفي الآونة الأخيرةِ شاهدتُ كلامًا لبعض مَن كنت أحسن الظنّ بعقله وفهمه، يتّهم الصوفيّة بوضع أحاديث في فضل الإكثار من الصلاة والسلام على الرسول محمد صلّى اللهُ عليه وآله وسلّم.

وشاهدتَ كلامًا لغيره ينكر حدّ الرجم.

وكلامًا لثالث ينكر (رحلة المعراج)، أو ينكر حتى (رحلة الإسراء والمعراج)، ويؤوّل صدرَ (سورة الإسراء) تأويلاً بارداً سخيفًا.

ونحن المسلمين لدينا معيارٌ للقصدِ الحسن والقصدِ السيّء، ظاهرٌ في قول الله تبارك وتعالى:

(هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ.

فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ؛ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ؛ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ، وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ.

وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ.

وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ: آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا. وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ.(7)

رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ (8)) (سورةُ آل عمران).

الله الذي أنزل الكتاب على الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم؛ هو الذي جعل منه آياتٌ متشابهات (تحتمل من التأويل أكثر من معنىً واحد) لأنّ هذا القرآن كتاب البشرية الهادي حتى آخر الزمان.

فالله تعالى قال بخصوص رحلة الإسراء:

(سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (1)) (سورة الاسراء).

أسرى بعبده؛ يعني أسرى بعبده روحه وجسده ويقظته؛ ليثبت فؤاده ويريه من آياته في الكون والآفاق.

وهو سبحانه وتعالى قال بخصوص رحلة المعراج:

(وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى (1) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى (2) وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (3) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى (4) عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى (5) ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى (6) وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى (7) ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى (8) فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى (9) فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى (10) مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى (11) أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى (12) وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى (13) عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى (14) عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى (15) إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى (16) مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى (17) لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى (18) (سورة النجم).

هذه الآيات الكريمة، منها آياتٌ محكمات، لا تحتمل من التأويل إلى معنىً ظاهراً واضحًا.

(مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى (2) وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (3) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى (4) عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى (5)).

فالرسول بكامل قواه العقلية والروحية والنفسية، لم يَتِهْ ولم يغفل في رحلته تلك.

(فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى (10)).

ما أوحى من صنوف الرحمة والبشريات والتكليفات والتأييدات.

(مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى (11) أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى (12)).

إنّ قلبه مطمئنّ لما رأى بصره، فلا يحقّ لأحدٍ مجادلته فيما رأى؛ لأنّ مجادلة الرسول في الوحي تكذيب له .

(وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى (13) عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى (14) عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى (15)).

إنّ رفيق الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في (رحلة المعراج) هو رفيقه في رحلة القرآن العظيم ورحلة رسالته كلها؛ جبريل عليه السلام.

فقد رآه مرةً ثانيةً عند سدرة المنتهى، وسدرة المنتهى في السماوات العلى، وهناك جنة الخلود والسكن والراحة (المأوى).

(إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى (16) مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى (17) لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى (18)).

كلام في غاية الوضوح، لا يحتاج إلى الأحاديث الواردة في (رحلة المعراج) إلا من أجل بعض التفصيلات.

فقول أحدهم: لم يرد في القرآن ذكر لـ(رحلة المعراج)؛ غلط ظاهر!

لكن لأنه ورد في سياق بلاغيّ بيانيّ، لا يتملاه سوى أهل الذوق البيانيّ؛ غدا عالموه من أهل الخصوصية.

وعلى الآخرين أن يسلّموا لهم فهمهم؛ لأنّ الاختصاص أمرٌ مقدّر من جميع العاقلين.

قال تعالى:

((وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ؛ أَذَاعُوا بِهِ.

وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ.

وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا (83)) (سورةُ النّساء).

أنالفقير إلى الله تعالى جيّد المعرفة في (علوم اللغة العربية)، فلو أنشأت مركزاً لتعليمها؛ أرجو أن لا يؤاخذني الله تعالى.

لكنني لا أحفظ (10) كلماتٍ في اللغة (التركيّة).

ولا أحفظ (50) كلمة في اللغة (الانجليزية).

فما رأي أولئك الذين يخوضون في آيات الله تعالى، وفي أحاديث رسوله صلى الله عليه وآله وسلّم، لو أعلنت عن افتتاح دورة لتعليم اللغة (التركيّة)، أو دورة نقد الأدب (الانجليزيّ)؟

فكما لا يجوز لي أن أقوم بواحد من هذين العملين؛ كذلك لا يجوز لأولئك أن يتطاولوا على دين الله عزّ وجلّ، بحجّة أنّ القرآن واضح، وأنّ الدين تكليف الجميع.

هذا كلام مجمل، يعرفه أهل العلم.

تعلّم وتخصّص، ثم أهلاً وسهلاً بك.

فـ(الإسراء) حقيقة، و(المعراج) حقيقة، ولا يجوز لمسلم أن ينكر (الإسراء) ولا (المعراج).

أما تفاصيل رحلتي (الإسراء والمعراج)؛ فهي من اختصاص (نقّاد الحديث) على وجه الحصر والتخصيص، وهم لا يزيدون على (20) ناقّداً في زماننا هذا، من بين مليار مسلم!

والله تعالى أعلم، والحمد لله على كلّ حال.

صحيح البخاري أصح كتب الإسلام كلها!

البخاريّ أصحّ كتب الإسلام كلّها، وليس كتب القوم فقط.

فليس لدى الشّيعة الإماميّة كتابٌ يساوي قيمة علميّة عشر معشار قيمة البخاريّ.

وأنا الفقير أعرف منهم ومن غيرهم بتلك الكتب المحشوّة بالغلوّ والكذب وروايات المجاهيل، فلا ترم حائط غيرك وبيتك كلّه من زجاجٍ كالقوارير!

وقد خرّج البخاريّ ومسلم لمئات من الرّواة الشّيعة.

ونحن نستنكر عدم تخريجه لبعض أئمّة أهل البيت.

لكن هذا لا يجعله خصمًا لأهل البيت وهو راوي فضائلهم!!

نحن مع القرآن ومنه ننطلق، لا من البخاريّ ولا من غيره.

وليس في القرآن آية واحدة في فضل عليّ.

كما ليس فيه آية عن إمامته.

فلا تُتعبوا قلبي بكلامٍ مكرورٍ لا يُثبت شيئًا ولا ينفي.

آل البيت انتهى زمان إمامتهم المفترضة منذ عام 260 هجريّة.

ولم يولد مهديّ ولا يوجد مهديّ أصلًا.

كلّها روايات كاذبةٌ هزيلةٌ لا تُساوي شيئًا.

وأنتم عمليًّا تجاوزتم مسألة الإمامة منذ اخترعتم ولاية الفقيه، وخيرًا صنعتم،

فولاية الفقيه تجاوزٌ لمسألة انحصار الإمامة في آل البيت.

فخاطبوا الآخرين بتطبيقكم العمليّ اليوم.

ودعوا آل البيت في رضوان الله تعالى ورحمته.

هل نظام الدّولة الإيرانيّة على وفق العقائد والفقه الجعفريّ القديم؟

كلّا وألف كلّا.

إذن غدت مسألة (آل البيت) مسألةً تاريخيّةً لم تبلغ الأمّة في زمان الأئمّة من الوعي والنّضج والفهم ما بلغه أئمّتكم، فلم تُسلّم الأمّة لآل البيت قيادها.

وما لديكم في كتبكم من روايات لا تصلح لإثبات المدّعى عندي وعند المحدّثين.

فكيف تريدون منّا متابعتكم وما عندنا من روايات خيرٌ ممّا عندكم بكثيرٍ وكثيرٍ جدًّا.

مذهبكم السّياسيّ من أوّله إلى آخره باطلٌ عندي أنا وليس عند أهل السّنّة.

ولأنّه باطلٌ وغير قابلٍ للتّطبيق في عصرنا؛ فقد انتقلتْ عنه إلى غيره حكومة إيران وخيرًا فعلت!!!

وليت دُولنا السّنّيّة كلّها نهجت نهجها (الدّيمقراطيّ) الشّوريّ.

دعونا من الماضي السّحيق، وعالجوا لنا حال الأمّة المُفضي إلى دمارها.

وكفى!

نسبةُ الصّحيح في صحيح البُخاريّ؟!

فيم أنا أتجوّلُ في حسابات الفيسبوك؛ استمعتُ إلى أحد الزُّملاء يتكلّم عن نسبة الوُثوق بأحاديث (صحيحي البُخاريّ ومُسلمٍ) فذكر أنّه طبّق نظريّة الاحتمال الرّياضيّة على عدّة طبقاتٍ عشوائيّةٍ، فظهر لهُ أنّ نسبة الوُثوق بلغت عنده(90%) .

بينما قام بالتّجربة ذاتها أُستاذٌ جامعيٌّ غيرُهُ، فبلغت نسبة الوُثوق عندهُ (98%) أو لا تقلُّ عن هذه النّسبة.

ثُمّ قال: لا تتوافرُ هذه النّسبةُ حتّى في التّجارب الفيزيائيّة، وفي نظريّة (داروين) الّتي يُرادُ لها أن تُجعل دينًا!

أقولُ وبالله التّوفيق:

أنا مُؤمنٌ غاية الإيمان أنّ العقل الرّياضيّ (العلميّ) أقدرُ على فهم الأديان وتحليلها ونقضها ونُصرتها، من العقل الاجتماعيّ الأدبيّ.

ولذلك كنتُ وما زلتُ أقولُ:

لو كان لي في أمر المُسلمين شيءٌ؛ لقصرتُ دراسة العُلوم الإسلاميّة على حملة الشّهادة الثّانويّة/الفرع العلميّ، بتقدير (90%) فما فوق!

ثُمّ يُخصّص لهؤُلاء سنةٌ تمهيديّةٌ إلزاميّةٌ يدرُسون فيها ثلاثة عُلومٍ فقط:

عُلومُ اللُّغة العربيّة الأساسيّة.

وعُلوم إحدى اللُّغات الأجنبيّة.

وعلمُ المنطق.

ولا يحقُّ لأحدٍ أن يلتحق بالسّنة الأولى الجامعيّة الأساسيّة حتّى يحصُلَ على درجة (90%) في هذه السّنة التّمهيديّة المُكثّفة.

عندما أراد شيخُنا مروان حديد رحمهُ اللهُ تعالى أن يدرُسَ (الفلسفة) بعد حُصولِهِ على (الهندسة الزّراعيّة) لم يُعجبني هذا التّوجّه منهُ، واقترحتُ عليه أن يدرُس الشّريعة الإسلاميّة، ماذا يصنعُ بالفلسفة؟

بلغني أنّهُ حاول فعلًا أن يدرس الشّريعة، لكن القوانين لم تُساعدهُ على ذلك؛ لأنّهُ حصل على الثّانويّة عام (1956م) وأراد أن يُسجّل في الجامعة عام (1966م).

ومن المعلوم أنّ قَبول طالبٍ في السّنة الأولى الجامعيّة بعد عشرِ سنواتٍ من حُصوله على الثّانويّة؛ ليس مُيسّرًا في سوريا.

كُنتُ سعيدًا جدًّا عندما علمتُ أنّ الشّيخ سعيد حوّى رحمهُ اللهُ تعالى التفت إلى رأيي هذا، فدَرَس أولادُهُ الصّالحون العُلماءُ الثّلاثةُ الثّانويّة العامّة الفرع العلميّ ثُمّ درسوا الشّريعة!

عندما سكنتُ في القاهرة؛ كان لي جارٌ مُهندسٌ مدنيٌّ، يحفظُ القُرآن العظيم، ولديه إجازةٌ في القراءات العشر، فكنتُ آنس به كثيرًا، وأتذاكرُ معهُ القُرآنَ العظيم وعُلومَه .

ووجّهتُهُ إلى القيام بعمليّةٍ رياضيّةٍ دقيقةٍ، لمعرفة نسبة الحُروف المُتواترة من (السّبعة) ومن (العشرة) لأنّ الجَزمَ بتواتُر (أفراد القراءات) من الجهل غير المُسوّغ أبدًا!

وحين أتعرّفُ إلى طبيبٍ أو مُهندسٍ لهُ عنايةٌ بدراسة الشّريعة؛ أغبطُهُ كثيرًا وأُعنى به حتّى بالدُّعاء أكثر؛ لاعتقادي أنّهُ أنفعُ للإسلام والمُسلمين منّي!

صاحبُ تطبيق نظريّة (الاحتمال الرّياضيّ) على صحيح البُخاريّ أخٌ فاضلٌ وصديقٌ قديمٌ، يحملُ درجة مُهندسٍ، وقد أكرمهُ اللهُ تعالى، فحصل على درجة دُكتوراه في العقيدة.

وأنا ليس من منهجي التّقليلُ من شأن أحدٍ من المُسلمين، لكنّني أغارُ على التّخصُّص، غيرتي على الدّين ذاته؛ لأنّهُ لن يكون ثمّة دينٌ حقٌّ، إن لم يكن ثمّة تخصُّصاتٍ كثيرةٍ دقيقةٍ في فُروع الشّريعة!

ومن المعلوم المُشاهد أنّ دارسي التّفسير والفقه والأُصول وعلم الكلام؛ مُقلّدةٌ في تخريج الحديث، وغالبًا ما يكونون ضُعفاء للغاية في علم تخريج الحديث، فضلًا عن نقده.

فإذا قام واحدٌ من هؤُلاء، وطبّق نظريّة (الاحتمال الرّياضيّ) فسيأتي بالعجب!

كما فعل صديقُنا المُحترم هُنا.

إنّ نظريّة (الاحتمال الرّياضيّ) غدت فرعًا من فُروع علم الإحصاء، مع أنها لم تَنَلْ صفة النّظريّة الرّاجحة حتّى الآن!

وممّا يعلمُهُ الأخُ صاحبُ (المقطع) أن نظريّة (الاحتمال الرّياضيّ) تهتمُّ:

بتحليل الظّواهر العشوائيّة، والاحتمال فيها يبحثُ في إمكانيّة وُقوع أمرٍ ما، لسنا على ثقةٍ تامّةٍ بحُدوثه.

ويلعبُ الاحتمالُ دورًا أساسيًّا في الحياة اليوميّة، بالتّنبُّؤ بإمكانيّة وُقوع حدثٍ ما!؟

وهو النّظريّة الّتي يستخدمُها الإحصائيّ؛ لتُساعدهُ في معرفة مدى تمثيل (العَيّنةِ) العشوائيّة محلّ الدّراسة للمُجتمع المأخوذ منهُ (العيّنة).

وتنحصرُ قيمةُ الاحتمال بين الصّفر والواحد الصّحيح، والصّفر للاحتمال المُستحيل في حين الواحد الصّحيح للاحتمال المُؤكّد، والاحتمالُ يبحثُ في ثلاثة مسائل هامّةٍ مُعتمدةٍ على القواعد الخاصّة بالاحتمال الّتي سنذكُرها في حينها والمسائل الثلاثة هي:

1. حسابُ الاحتمال المُتمثّل بالتّكرار النّسبيّ.

2. حسابُ الاحتمال بدلالة احتمالاتٍ أُخرى معلومةٍ منخلال عمليّاتٍ مثل الاتّحاد والتّقاطُع والفرق.

3. طُرُقُ إجراء التّقدير كالتّوزيعات الاحتماليّة) عن الموسوعة الحُرّة.

إنّ تطبيق هذه النّظريّة الإحصائيّة الاجتماعيّة على (صحيح البُخاريّ) أو على (صحيح مُسلمٍ) أو أيّ كتابٍ حديثيٍّ آخر؛ مُحالٌ، والنّتائجُ باطلةٌ بنسبة (100%)!

لماذا يا هذا؟!

أوّلًا لأنّ الرُّواة ليسوا قوالب مُتطابقةً، فلفظةُ (ثقة) على (زيدٍ) ليست مثل هذه اللّفظة ذاتها عن (عمرو).

ولفظةُ (ثقة) على (زيدٍ) ذاتها؛ لا تنسحبُ على جميع أحاديثه!

فهُناك أحاديثُ غلّطهُ فيها العُلماء من مُعاصريه أو بعدهم!

وهُناك أحاديثُ حدّث بها من كتابه، وأحاديث لم يُحدّث بها من كتابه، فما حدّث به من كتابه؛ حفظهُ غالبًا، وما حدّث به من حفظه؛ فمحلُّ نظرٍ في كثيرٍ أو قليلٍ من الرّوايات.

وهُناك أحاديثُ حدّث بها عن شُيوخٍ ثبت لقاؤُهُ بهم، وهُناك شُيوخٌ لقاؤُهُ بهم احتماليٌّ!

وهُناك أحاديثُ رواها عن شُيوخٍ أكثر من مُصاحبتهم، وهُناك أحاديثُ رواها عن شُيوخٍ لم يلقهم إلّا يسيرًا.

ثمّ إنّ كلمة (عدالة) الّتي ذكرها المُتحدّثُ الفاضل؛ ليست كُلّ المطلوبِ في الرّاويّ، فالضّبطُ عند التّحقيق أهمُّ من العدالة بكثيرٍ!

لأنّ الرّاوي إذا كان من أهل السُّنّة، ولا يُعرفُ عنهُ جرحٌ؛ فالتّطبيقُ العمليّ أنّهُ عدلٌ، ولهذا كان اهتمامُ العُلماء بمسألة (الضّبط) أضعافُ اهتمامهم بمسألة (العدالة) لُرواة أهل السُّنّة!

ألا ترى إلى راوٍ مثل إسماعيل بن عبد الله بن أبي أُويس مثلًا، فقد نقل الحُفّاظُ عنهُ أنّهُ اعترف بوضع أحاديث!

فاعتذر الذّهبيُّ بأنّ هذا كان في شبابه، ثمّ تاب، ولا دليل صحيحًا على هذه التّوبة المزعومة سوى أنّ البُخاريّ ومُسلمًا أخرجا عنهُ، بمعنى لولا أنّهما يعلمان أنّهُ تاب؛ ما أخرجا عنهُ!

ومع هذا روى عنهُ البُخاريُّ أكثر من (100) حديثٍ غير مُكرّرةٍ، وهي بالتّكرار (229) روايةً!

فما الّذي جعل البُخاريَّ يُخرّجُ لهُ هذا القدر الكبير من الرّوايات؟

قام البُخاريُّ بسبر رواياته، فوجد بالمُقارنة أنّهُ ضابطٌ، فخرّجها لهُ لعُلوّ إسناده، لا لأنّهُ عدلٌ!

والأمرُ الأهمُّ من هذا:

هُناك في الصّحيحين (39) راويًا مجهولًا!

وفيهما (100) راوٍ من (الوُحدان) يعني هُو اسمٌ مُلطّفٌ عن المجاهيل عندي!

وفيهما (141) راويًا من المقبولين في المُتابعة فقط!

وفيهما (200) راوٍ ضعّفهُم الحافظُ ابنُ حبّان في كتاب المجروحين!

والأمرُ الأهمّ ممّا سبق كُلّه أنّني خرّجت (1394) حديثًا تخريجًا نقديًّا، فلم أجد فيها أيّ حديثٍ مُتواترٍ عن الرّسول صلّى اللهُ عليه وآله وسلّم.

إنّما وجدتُ حديثًا واحدًا مُتواترًا عن أحد كبار الصّحابة، وهُو الحديثُ (18) حسنٌ صحيحٌ مُتواترٌ عن عُبادة، وليس عن الرّسول.

ووجدتُ ثلاثة أحاديث مُتواترةً عن طبقة صغار الصّحابة.

فاثنان منها (167، 182) عن أبي هُريرة.

والثّالث (710) عن أنس بن مالك.

والمُتواترُ عندي هُو ما يرويه خمسةٌ من الصّحابة إلى رسول الله صلّى اللهُ عليه وآله وسلّم، وينالُ درجة صحيحٍ لذاته، أو صحيحٍ لغيره، أو حسنٍ لذاته في فهمي.1

والمُتواترُ عن الصّحابيّ أن يرويه عنهُ خمسةٌ من تلامذته، مثلُ ذلك.

أمّا حسب تعريف الحديث المُتواتر الخياليّ؛ فلا يوجدُ أيّ حديثٍ في هذا القدر الّذي خرّجتُهُ !

وكانت الأحاديثُ المشهورةُ عن طبقة كبار الصّحابة (22) حديثًا.

بينما كانت الأحاديثُ المشهورةُ عن طبقة صغار الصّحابة (197) حديثًا.

أمّا الأحاديثُ الّتي تُسمّى بالعزيزة؛ فهي ستّةُ أحاديث، اثنان منها عن طبقة كبار الصّحابة، وأربعة أحاديث عن صغارهم .

وكانت نسبةُ الأحاديث الصّحيحة المشهورة، والصّحيحة لذاتها ولغيرها معًا (37%) من مجموع الأحاديث موضع البحث.

أمّا نسبةُ الأحاديث الحسنة؛ فبلغت.(62%)

ولم أضعّف إلّا أربعة أحاديث فقط (59، 82، 88، 155)!

فكيف تكونُ نسبةُ الوُثوق (90%) أو (98%)!

1- غير شيخنا الشريف اجتهاده في تعريف التواتر إلى الذي يصح أو يحسن عن سبعة من الصحابة قياسًا على تواتر القرآن العظيم في الصدر الأول، فقد ذكر الذهبي في "معرفة طبقات القراء الكبار على الطبقات والأعصار" ص9-20 أن الذين اتصلت بهم الأسانيد من الصحابة سبعة.

وفي كثيرٍ من هذا الأحاديث، ما هُو فردٌ مُطلقٌ غريبٌ، لم ينقُلهُ عن الرّسول صلواتُ الله وسلامُهُ عليه (وآله) إلّا صحابيّ واحد، ولم يروه عن الصّحابيّ إلّا تابعيّ واحد، ولم يروه عن التّابعيّ إلّا واحدٍ أيضًا.

وهذا الصّنفُ كثيرٌ، يزيدُ على ثُلُثِ عدد هذه الأحاديث!

وهذا الصّنفُ كُلُّهُ كُلُّهُ كُلُّهُ محلُّ نظرٍ!

فما قيمةُ حديثٍ غير مُتداولٍ عند الأُمّة، لا ينقُلُهُ منها إلّا فردٌ عن فردٍ عن فردٍ (150- 200) سنة؟

أهذا حديثٌ يُبنى عليه دينٌ، إن لم يصحبهُ عملٌ سابقٌ؟!

إنّ مسألة (الدّفاع عن الصّحيحين) غدت هوسًا عند كثيرين من أهل السُّنّة حتّى عقدوا لها المُؤتمرات، الّتي أفرزت تنظيراتٍ جيّدةٍ، لكنّ التّطبيقاتعالمليّة خاويةُ الوفاض؛ لأنّ أكثرَ الّذين شاركوا في كتابتها؛ لا يُعرفون بنقد الحديث استقلالًا أبدًا!

أنا لا أدّعي أنّ نتائجي صحيحةٌ (100%) وهي عندي كذلك طبعًا.

لكن لو اجتمع أهلُ الأرض أجمعون؛ فلا أظُنُّهُم يستطيعون أن يجعلوها (90%) وأتحدّى جميعَ من يُعارضُ!

هذه الأحاديث (1394) حديثًا، هي من دون تكرارٍ (663) حديثًا، قد خرّجتُها في (2750) صفحةٍ طباعيّةٍ.

مَن قَبِل التّحدّي؛ لا أُكلّفُهُ أن يُخرّجها؛ لأنّهُ يحتاجُ إلى ثلاث سنواتٍ على الأقلّ، وإنّما أُرسلُها إليه على إيميله، إن كان من أهل الاختصاص!

أمّا غير أهل الاختصاص؛ فنحترمُ تخصُّصاتهم، ونقولُ لهُم:

لا تتكلّموا في غير ما قد تُحسنون، فتغلطوا وتُسيؤوا إلى دينكم وإلى علمكم من حيث تظُنّون أنّكم تُحسنون!

واللهُ تعالى أعلمُ، والحمدُ لله ربّ العالمين.

هل أخرج البخاري في صحيحه لمروان بن الحكم وما تفسير ذلك عندكم إن صح؟

كتب إلي أحد الإخوة بهذا الكلام.

أقول وبالله التوفيق:

أهل الحديث بوجه عام يشترطون العدالة في راوي الحديث، ويستثنون من ذلك صنفين من الناس:

يستثنون من ذلك الصحابة، فمهما صنع الصحابي، فهو متأول، ولا يخل ظلمه بعدالته.

ويستثنون من ذلك الحكام، وخاصة الأمويين منهم!

والإمام الذهبي ترجم مروان بن الحكمفي سير أعلام النبلاء (3: 476) فما بعد ووصف مروان بأنه:

كان يلقب: خيط باطل!

وجزم أنه قتل طلحة بن عبيد الله يوم الجمل!

وحارب الضحاك الفهري وقتله وتسلم الخلافة.

وكان يحرض جيش يزيد على أهل المدينة في واقعة الحرة.

وأنه خان عثمان وبسبب خيانته له، قُتل عثمان رضي الله عنه.

وكان يسب علياً على منبر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بحضور الحسن والحسين.

وكان سيء الخلق مع أهل بيته، فخنقته زوجته وجواريها.

مثل هذا المجرم القاتل الفاسق، معفو عن كل جرائمه، لأن الجرائم السياسية معفو عنها إن ارتكبها الحاكم.

وبناء على هذا، فلقد أخرج له البخاري في (20) موضعًا من صحيحه!

أما حبيبنا وإمامنا مالك إمام أهل المدينة، فكان يتبع قضاء مروان ويستحسنه!

ففي الموطأ (1171) وحدثني يحيى بن يحيى عن مالك، عن ابن شهاب، أن مروان بن الحكم: (كان يقضي في الذي يطلق امرأته البتة أنها ثلاث تطليقات).

قال مالك: (وهذا أحب ما سمعت إلي في ذلك).

وفي الموطأ (1180): (وحثني يحيى عن مالك، عن عبد الرحمن بن القاسم، عن أبيه، أن رجلاً من ثقيف مَلَّكَ امرأته أمرها "يعني فوضها بطلاق نفسها منه".

فقالت: أنت الطلاق، فسكت!

ثم قالت: أنت الطلاق، فقال: بفاكِ الحجر!

ثم قالت: أنت الطلاق، فقال: بفاكِ الحجر!

فاختصما إلى مروان بن الحكم، فاستحلفه ما مَلّكَهَا إلا واحدة "فحلف أنه ما مَلّكَهَا إلا واحدة" وردها إليه!

قال مالك: قال عبد الرحمن: فكان القاسم يعجبه هذا القضاء، ويراه أحسن ما سمع في ذلك.

قال مالك: وهذا أحسن ما سمعت في ذلك، وأحبه الي!).

خلاصة الكلام:

نحن نحتاج إلى إعادة النظر في روايات النواصب جميعها، وفي فتاوى النواصب جميعها.

ومن يظن أهل السنة من النواصب فقد ظلم أهل السنة.

أهل السنة مجمعون على أن معاوية ظالم باغ قاتل من أجل الدنيا والملك، ولم يكن الصدر الأول من أهل السنة يترحمون عليه أبداً!

لكن غلو العباسيين في قتل بني أمية وتشريدهم، أحدث ردة فعل لدى العلماء، فرأوا بني أمية خير من بني العباس، والناس بفطرتهم يبغضون الظلم، ويقفون مع الضعيف!

ومن هنا اختلط أهل السنة بالنواصب، وسادت فكرة (السكوت عما جرى بين الصحابة والترضي عنهم وأنهم جميعًا في الجنة) فتشرب كثير من أهل السنة النصب، وهم يظنونه الورع والدين!

والله تعالى أعلم.

والحمد لله على كل حال.

موقف السادة الغماريين من أحاديث الصحيحين ؟![1]

رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا، وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا، وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ.

رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا، وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا، إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ).1

كم كان يسعدني؛ أن أكونَ تلمذتُ للسادة الغماريين، أم لا!

وليتني أستطيع الآن؛ أن أقرأ جميع ما خطّوه، أم بعضه!

بيد أنّ قراءةَ ألف صفحة لأيّ كاتب على وجه الأرض؛ تجعله أمامك صفحةً صغيرةً مفتوحة، لا يكاد يخفى عليك منها شيء!

خاصّةً إنّ كتابات السادة الغماريين؛ يسيرة العبارة، مفهومة، لا تحتاج إلى عمقٍ كبير في تأملها، ككتاباتِ الرافعيّ الأدبية مثلا!

لغة جميعم يسيرة، مفهومة لمن قرأها من طلبة العلم ولا تحتاج إلى مرشدٍ متخصص يشرحها لنا؛ لأنها ليست أحاجِيَ ولا ألغازاً!

في حدود ما قرأتُ للسيد أحمد ابن الصديق، وفي حدود ما قرأت لشيخي السيد عبدالله ابن الصدّيق، في ثمانينات وتسعينات القرن الماضي؛ رأيتُ اطّلاعًا واسعًا، وتعرفت إلى كتب لم أكن سمعت بها من قبل، فذهبت أبحث عن جميعها، حتى تعرّفت إليها من أقرب سبيل، من تاريخ الإسلام، وسير أعلام النبلاء للذهبيّ، ومن كشف الظنون، وهداية العارفين، ومعجم المطبوعات، والأعلام، وغيرها.

فأفدت من وراء ذلك فوائد جليلة، وكثيراً جدّاً!

1- السادة الغمارية المقصودون هم الأشقاء الخمسة الصديقيون الغماريون المغاربة: السيد أحمد، والسيد عبد الله، والسيد الزمزمي، والسيد عبد الحي، والسيد عبد العزيز أنجال السيد المبجل محمد بن الصديق وهم أعلام أجلاء، ومن نوادر التاريخ وجود خمسة أشقاء علماء ثلاثة منهم من كبار محدثي زمانهم، رحمهم الله تعالى ورضي عنهم.

الشيء الأكبر الذي كان يضايقني وأنا أقرأ؛ هو حدة السيّد أحمد، إلى درجة التنفير أحيانًا![1]

وعندما قرأت الجزءَ الذي ردّ فيه السيد أحمد على الإمام الكوثريّ رحمه الله تعالى استأت كثيرا من طريقته وأسلوبه الذي لا نوافقه عليه؛ لما نعلم من فضل ودفاع الشيخ الكوثري رحمه الله تعالى عن الحق وعن عقيدة التنزيه وإن كنا لا نوافقه في بعض الأمور الأخرى![2]

لِمَ هذا الحقد والضغينة إلى هذه الدرجة؟!

هل يستحقّ الشيخ الكوثريّ كلَ هذا السباب والشَتْمَ والإهانة؟

كيف يكون السيّد أحمدُ وليّا لله تعالى، وشيخَ طريقةٍ صوفيةٍ، ويستحلُّ مثل هذا الأسلوب العنيف في معاملة الآخرين؟

خلَصتُ إلى نتيجة أوّليةٍ؛ هي أننا بشر، وأنّ تغيير طبائع النفوس؛ ليس بالأمر الهيّن!

وسلوك طريق التصوّف؛ هو السبيل الوحيد لتهذيب النفس، وإلزامها حدود الله!

لكنْ ليس لدى كل صوفي طاقة، أو مقدرة كاملة في ضبط نفسه على الدوام!

وَا(لْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) (آل عمران/ 134).

1- هو العلامة المحدث الشيخ الصوفي الشريف شهاب الدين أبو الفيض أحمد بن الفقيه العلامة شيخ الطريقة الصديقية محمد بن الصديق بن أحمد بن محمد بن قاسم بن محمد بن محمد بن عبد المؤمن الإدريسي الحسني، ولد بقبيلة بني سعيد بناحية تطوان يوم الجمعة 27 رمضان عام 1320هـ، انتقل إلى الرفيق الأعلى بالقاهرة يوم الأحد فاتح جمادي الثانية عام 1380هـ ودفن بها.

2- هو الأستاذ الكبير القدوة حجة الإسلام محمد زاهد بن الحسن بن علي الكوثري الحنفي الماتريدي الصوفي، ولد بقرية حاج حسن قريسي شرق الأستانة بتركيا يوم ثلاثاء من شوال عام 1296هـ، توفي بتاريخ 19 من ذي القعدة 1371هـ الموافق 11 اغسطس 1952م، عن خمس وسبعين سنة.

كان أخونا السيّد حسن بن عليّ السقّاف، كتب كتابًا عن تناقضات الشيخ الألبانيّ وكتابًا آخر عن قاموس شتائم الألباني، وقد أجاد في ذلك وأحسن، فتنبّه كثيرون إلى ضرورةِ تركِ الغلوّ في المشايخ المشهورين، الذين روّج لهم الإعلا م لأغراضٍ تُهِمّ القائمين عليه![1]

لكنني كنت أقول في نفسي، ولا أتذكّر إن كنت كلّمته بذلك:

ليس وجود رأيين في مسألة واحدة لعالمٍ؛ هو تناقضًا بالضرورة، فقد يكون حصّل من المعلوماتِ؛ ما جعل اجتهاده يتغيّر!

الفقير عداب الحمش عندما أنجز خامس كتاب له (القرآن الكريم ودعاوي النسخ فيه) في نيسان (1977م) ليس هو عداب الحمش في عام!(2020)

وإذا بقي عَقلُ عدابٍ وفكره وعلمه وأدبه، في مستوى ذلك التاريخ؛ فهذا يعني أنّه إنسانٌ محدود الذكاء، غير قابل للتطور، غيرُ جدير بوصف طالب علم، فضلاً عمّا هو أعلى من ذلك!

وكذلك السيّد أحمد ابن الصدّيق، والسيّد عبدالله بن الصدّيق!

بل كذلك كان عمر بن الخطّاب، رضي الله عنه، ذاته!

فهو حين تولى خلافة المسلمين بعهدٍ ممن ولّاه عُمَر الخلافةَ مِن قَبلُ؛ كان يستنكر كثيراً مما يشاهده ويسمعه من صغار الصحابة، ومن حديثي العهد بالإسلام؛ لأنّه لا يعرفه!؟

لكنّه بعد عشر سنواتٍ من الاضطرار والحاجة والحرص؛ غدا من العلماء المجتهدين، وإن بقي على بعض آرائه المنفردةِ، إلى أن مات!

وللسيّد أحمد بن محمّد بن الصدّيق منزلة عالية، وجهودٌ كبيرةٌ جدّاً في الحديث وعلومه، عدّها أحد الباحثين، في بحثٍ نشره على ملتقى أهل الحديث؛ فبلغت (170) كتابًا.

1- هو شيخنا ومجيزنا المحدث العلامة المربي الشريف حسن بن علي بن هاشم بن أحمد بن علوي بن أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن حسين بن عيدروس بن أحمد بن أبي بكر باعقيل بن عبد الرحمن بن عمر الباعلوي الحسيني الشافعي، ولد في مدينة عمان بالأردن في الرابع عشر من شهر شوال سنة 1380هـ، له "صحيح شرح العقيدة الطحاوية" و"تنقيح الفهوم العالية" وغيره، حفظه الله ورعاه.

ومن الملاحظ أنْ ليس في شيوخ ِ أحمدَ ابن الصدّيق شيخٌ واحدٌ، له اشتغال في نقد الحديث!

إنما كان تميّزه هذا؛ ممّا فتح الله به عليه، وخصّه به دون غيره، من علماء المغرب في عصره، في حدود معرفتي!

اشتغلت ليلةَ أمس على كتابيه الموجودين على قرص الشاملة؛ فوجدت اختلافًا كبيراً بين منهجه في (المداوي) ومنهجه في تخريج (بداية المجتهد) لابن رشد.

وتتبعت ما قاله في الصحيحين، وما قاله في أفراد صحيح البخاري، وما قاله في أفراد صحيح مسلم ؛ فأيقنتُ أنّ تصنيفَه كتاب الهداية؛ كان بعد كتاب المداوي!

إذ لم يضعّف في المُداوي حديثًا واحداً من أحاديث البخاري ومسلم، حتى لو كان من أفرادِ إسماعيل بن أبي أويس، أو من أفراد شريك بن أبي نمر، أو من أفراد فُليح بن سليمان، أو حتى حريز بن عثمان!

إنما كان يسفّه المُناوي والسيوطي، إذا حسّن أحدُهما حديثًا فيه واحدٌ من رواة الصحيحين!

وأشدّ المواضع التي وقفت عليها صراحةً في هذا الاتّجاه؛ ما ذكره في ترجمة الناصبيّ الكبير قيس بن أبي حازم، من المداوي:(6: 205)

(قلت: قيس بن أبي حازم، لا يَذكره مُعَلّلا به الحديثَ؛ إلا جاهلٌ بِمَرّة، لا يَعلم عن الحديث خُبْرًا أصلاً!

لأنّ الرجل ثقةٌ إمامٌ، مِن رجال الصحيحين، الذين أجمعت الأمة على ثِقتِهم وصحّة حديثِهم).

فها هو يزعم هنا أنّ قيس بن أبي حازم الناصبيّ، المختلف فيه ما بين إمام، إلى كذّابٍ؛ لا يضعّف الحديثَ الذي ينفرد به، عند السيد أحمد؛ إلا جاهل!

وأنا الفقير؛ لا أقبل له حديثًا في الفضائل والأحكام، يتوافق وهواه الناصبيّ!

ماذا يعني هذا؟

هذا يعني أنّه في مرحلة تصنيفه كتاب المداوي وبعده؛ كان مقلّداً للشائع العامّ، لدى طلبة علوم الحديث، من دعوى الإجماع على صحة ما في الصحيحين من أحاديث!

لكنّ فهمه واجتهاده؛ تغيّر فيما بعد، فصار يردّ كلامَ البخاري ومسلم والترمذي والنسائي والدارقطني مجتمعين!

في كتابه الهداية (1: 420) قال تعقيباً على حديث: (قلت: بل هو صحيح!

وإن ضعّفه كثير من الحفاظ والفقهاء المحدثين، كأحمد وعلي ابن المدينيّ، ومحمد بن يحيى الذهلي، والبخاري، والبيهقي، والرافعي، والنووي، وصحّحوا وقفه على أبي هريرة، وقال الشافعي: إنْ صَحّ؛ قُلتُ به)!

وقال فيه (1: 343): (قال ابن رشد: وإلى تصحيحه مال أبو عمر بن عبد البر.

قلت: وهو الواقع!

كان أعلّه البخاري، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، والدارقطني، والبيهقي، وابن حزم، وجماعة، وزعموا أنه لا يصحّ في هذا الباب شيء).

ثمّ نقل ما قال هؤلاء في تضعيف الحديث، وختم بقوله:

(وكل هذا؛ لا شيء، والحديث صحيحٌ، مقطوعٌ به، إن شاء الله تعالى. وإنما يحملهم على التتابع في الطعن والتَعْليل بدون دليل؛ عدمُ إدراكهم المخرجَ من معارضة النصوصَ التي هي أقوى وأصح في نظرهم، أو في الواقع، كظاهر القرآن!

ولو أدركوا المخرج من ذلك، لَـمّا احتاجوا إلى مخالفة الأصول، ومناقضة القواعد، التي يثبت بمثلها الحديث، فإنها قاضية بصحّة هذا الحديث، لمن التزم الإنصاف).

على مهلك سيّدنا الشريف!

حديثٌ أعلّه البخاري، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، والدارقطني، والبيهقي، وابن حزم، وجماعة، ثم تقطع بصحّته؟!

لو حسّنته مثلاً؛ لقلنا: ربما كشف الله له!

ولو صححته على مذهب الإمام أحمد: (ثقة عن ثقة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله؛ أقول: صحيح، ولا أقطع بثبوته) لكان ممكنًا!

أمّا القطع: اليقين بصحته؛ فغير متصوَّرٍ أصلاً!

وفي أواخر كتابه المغير (ص: 137) ومطبوعته مرفوعة على الإنترنيت!

قال: (فكم من حديث صحّحه الحفّاظ، وهو باطل، بالنظر إلى معناه، ومعارضته للقرآنِ، أو السنة الصحيحة ، أو مخالفته للواقع والتاريخ!

وذلك لدخول الوهم والغلط فيه على المعروف بالعدالة ، بل قد يتعمَّد الكذبَ!

فإنَّ الشهرة بالعدالةِ؛ لا تفيد القطع في الواقع!

ومنها أحاديثُ الصحيحين؛ فإنَّ فيها ما هو مقطوع ببطلانه، فلا تغترَّ بذلك، ولا تتهيب الحُكم عليه بالوَضْع؛ لما يذكرونه من الإجماع على صحة ما فيهما!

فإنها دعوى فارغة ، لا تثبت عند البحث والتمحيص؛ فإنَّ الإجماع على صحة جميع أحاديث الصحيحين؛ غير معقول ولا واقع، ولتقريرِ ذلك موضعٌ آخر!

وليس معنى هذا؛ أنَّ أحاديثهما ضعيفةٌ أو باطلةٌ، أو يوجد فيها ذلك بكثرةٍ كغيرهما من المصنَّفات في الحديثِ!

بل المراد أنه يوجد فيهما أحاديثُ غير صحيحة لمخالفتها للواقع، وإن كان سندُها صحيحًا على شرطهم).

وقال السيد أحمد في الجواب المفيد للسائل والمستفيد (ص: 83): (وليس كل الكتب مشتملة على الصحيح ؛ إلا كتاب الله تعالى وحده.

وهذا صحيح البخاري ومسلم فيه الكثير من الغلط , والباطل المحقق!

فعليك بقبول الحق والصواب , ورد ماهو باطل بحسب ميزان العلم والعقل).

صنّف سيّدي الشريف عبدالله ابن الصديق، المهذّب العفّ اللسان، رضي الله عنه كتابه (الفوائد المقصودة في بيان الأحاديث الشاذة المردود).

وأورد في كتابه هذا عدداً من أحاديث من أحاديث الصحيحين، عدّها من الشاذّ المردود، منها:

الحديث الأول (ص: 21): حديث الجارية الطويل، وفيه لفظ (أين الله ؟) أخرجه مسلم في المساجد ومواضع الصلاة(836).

الحديث الثاني (ص: 25): زيارة الرسول صلّى الله عليه وآله وسلمّ قبرَ أمّه وفيه:

(اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي فِي أَنْ أَسْتَغْفِرَ لَهَا؛ فَلَمْ يُؤْذَنْ لِي، وَاسْتَأْذَنْتُهُ فِي أَنْ أَزُورَ قَبْرَهَا؛ فَأُذِنَ لِي) أخرجه مسلم في كتاب الجنائز.(1622)

الحديث الثالث (ص: 27): (إِنَّ أَبِي وَأَبَاكَ فِي النَّارِ) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان.(302)

الحديث الرابع (ص: 31): (خلق التربة) وفيه: قَالَ الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم (خَلَقَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ التُّرْبَةَ يَوْمَ السَّبْتِ، وَخَلَقَ فِيهَا الْجِبَالَ يَوْمَ الأَحَدِ، وَخَلَقَ الشَّجَرَ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ، وَخَلَقَ الْمَكْرُوهَ يَوْمَ الثُّلاثَاءِ، وَخَلَقَ النُّورَ يَوْمَ الأَرْبِعَاءِ، وَبَثَّ فِيهَا الدَّوَابَّ يَوْمَ الْخَمِيسِ، وَخَلَقَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلام بَعْدَ الْعَصْرِ، مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ، فِي آخِرِ الْخَلْقِ، فِي آخِرِ سَاعَةٍ مِنْ سَاعَاتِ الْجُمُعَةِ، فِيمَا بَيْنَ الْعَصْرِ إِلَى اللَّيْلِ) أخرجه مسلم في صفة القيامة.(4997)

الحديث الخامس (ص: 37): زواج الرسول صلى الله عليه وآله وسلّم من أمّنا أمّ حبيبة

وفيه: عن ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: (كَانَ الْمُسْلِمُونَ لا يَنْظُرُونَ إِلَى أَبِي سُفْيَانَ، وَلا يُقَاعِدُونَهُ!

فَقَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا نَبِيَّ اللهِ: ثَلاثٌ أَعْطِنِيهِنَّ؟! قَالَ: نَعَمْ!

قَالَ أبو سفيان: عِنْدِي أَحْسَنُ الْعَرَبِ ، وَأَجْمَلُهُ أُمُّ حَبِيبَةَ بِنْتُ أَبِي سُفْيَانَ، أُزَوِّجُكَهَا؟

قَالَ: نَعَمْ!

قَالَ أبو سفيان: وَمُعَاوِيَةُ تَجْعَلُهُ كَاتِبًا بَيْنَ يَدَيْكَ؟ قَالَ: نَعَمْ!

قَالَ أبو سفيان: وَتُؤَمِّرُنِي حَتَّى أُقَاتِلَ الْكُفَّارَ، كَمَا كُنْتُ أُقَاتِلُ الْمُسْلِمِينَ؟ قَالَ: نَعَمْ!

قَالَ أَبُو زُمَيْلٍ: (لَوْلا أَنَّهُ طَلَبَ ذَلِكَ مِنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ مَا أَعْطَاهُ ذَلِكَ، لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يُسْأَلُ شَيْئًا؛ إِلَّا قَالَ: نَعَمْ).1

1- أخرجه مسلم في صحيحه (2501)، قال شيخنا ومجيزنا العلامة المحدث الشريف حسن بن علي السقاف –حفظه الله ورعاه- في تحقيقه على "دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه" لأبي الفرج ابن الجوزي الحنبلي: (من هذا الحديث استدل النواصب على أن معاوية كان كاتبًا للوحي وليس كذلك).

الحديث السادس (ص: 44) التجسيم المحض، وفيه: عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عن، عن النَبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: يُلْقَى فِي النَّارِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ حَتَّى يَضَعَ قَدَمَهُ فَتَقُولُ قَطْ قَطْ الجبّار تعالى يضع قدَمَه في النار) أخرجه البخاري في التفسير (4848) وأعاده في مَواضع، ومسلم في الجنة وصفة نعيمها (5082).

الحديث السابع (ص: 38): (لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ) أخرجه البخاري في كتاب الصلاة (436) وكرره في صحيحه (6) مرّات!

الحديث الثامن (ص: 52): حديث أصابع الله -تعالى عن ذلك-، وفيه « جَاءَ حَبْرٌ مِنْ الْأَحْبَارِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ: إِنَّا نَجِدُ أَنَّ اللهَ يَجْعَلُ السَّمَوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ وَالأَرَضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْمَاءَ وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الْخَلائِقِ عَلَى إِصْبَعٍ، فَيَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ.

فَضَحِكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ، تَصْدِيقًا لِقَوْلِ الْحَبْرِ!

ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ، وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ).

أخرجه البخاري في التفسير (4811) ومسلمٌ في صفة القيامة(4992) .

الحديث التاسع (ص: 62)حديث الدجال الأعور، وفيه (سَأَقُولُ لَكُمْ فِيهِ قَوْلًا، لَمْ يَقُلْهُ نَبِيٌّ لِقَوْمِهِ: تَعْلَمُونَ أَنَّهُ أَعْوَرُ، وَأَنَّ اللهَ لَيْسَ بِأَعْوَر).

الحديث العاشر (ص: 81)حديث الرضاع المحرّم، وفيه: عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا قَالَتْ:

(كَانَ فِيمَا أُنْزِلَ مِنْ الْقُرْآنِ؛ عَشْرُ رَضَعَاتٍ مَعْلُومَاتٍ يُحَرِّمْنَ، ثُمَّ نُسِخْنَ بِخَمْسٍ مَعْلُومَاتٍ، فَتُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُنَّ، فِيمَا يُقْرَأُ مِنْ الْقُرْآنِ).

هذه عشرة أحاديث كاملة، ممّا في الصحيحين، أو أحدهما، أودعها شيخنا ومجيزنا السيّد عبدالله ابن الصدّيق كتابه (لفوائد) الذي أودع فيه (43) ثلاثةً وأربعين حديثًا، حكم عليها بالشذوذ!

وفي حواراتٍ معه، استمّرت عشرَ ليالٍ، من ليالي عام (1410) في غالب الظنّ، في منزل شيخنا المسند ياسين الفاداني، رضي الله عنهما، بمكة المكرمة.

اعترض السيد عبدالله على ترجيحي تعريف الشاذّ والمنكر، وقال: كما نقلتَ أنت في رسالتك: إنّ العلماءَ اختلفوا في ذلك، وترجيحَك كلام ابن حجر في النكت؛ لا يعني أنّك رجّحت، إنما أنت ارتضيت تقليدَ ابن حجر، من دون معرفة دليله.

نعم نحن نقول: إنّ الشاذ هو مخالفة الثقة لمن هو أوثق منه، أو أكثر عدداً من الثقات في الجملة؛ لكنّ هذا يحتاج إلى استقراءٍ تامّ، لرصد عمل الحفاظ النقّاد المتقدمين، أهل التخريج!

فأنا لا أظنّ أنهم كانوا يفرقون بين الشاذّ والمنكر، والأمر يسير في التطبيقات على كلّ حال.

****

وللسيّد عبدالعزيز ابن الصدّيق كتابٌ ماتع عنوانه (الباحث في علل الطعن بالحارث) قرأته مرّات، بعد ضياع بحثي في توثيق الحارث الهَمْداني، رحمه الله تعالى، عندما انتقالنا من الحجاز إلى الأردن، وأفدت منه فوائد غالية!

قال في (ص: 5) من هذا الكتاب: (معاذ الله أن يكون الكتاب (صحيح البخاري) الذي فيه حديث حريز بن عثمان، وعمران بن حطان؛ من الكتب المقتصرة على الصحيح، ولو أجمع على ذلك الجنُّ، كما أجمَعَ عليه البَشر!)

ومن رجع إلى ترجمة حريز بن عثمان (في الكتاب نفسه) (ص: 26) يعرف ما نقول، ويتحقق أنَّ حديث الملعون ينبغي أن يُذكر في الموضوعات لابن الجوزي.

وفي ترجمة إسماعيل بن أبي أُويسٍ (ص: 23) قال:

(والحقّ مع النسائيّ، فإنّ أبلغَ ما يدلُّ على الكذب؛ اعتراف صاحبه به.

وقول الحافظ ابن حجر في الدفاع عنه: (لعلّ ذلك كان منه في شبيبته، ثم انصلحَ؛ لا يصلح للدفاع عنه، مع الاعتراف بالوضع. وحتى لو صَلَحَ؛ فلا يكون ذلك مسوّغًا لأن يكون من رجال الصحيحين، المحتجّ بهم).

وفي ختام ترجمته (ص: 24) يقول مصنّف الكتاب السيد عبد العزيز ابن الصديق الغماري:

(والحقّ أنّ ابنَ أبي أُويس؛ ضعيف متروك، ولو كان نصف الصحيح مرويّاً من طريقه)!

وهي ترجمة نقدية ماتعة، يحسن بك أخي القارئ أن تقرأها، فالكتاب على النت؛ متاحٌ للتصفّح والتحميل!

قال الفقير عداب:

فالذين يزاودون علينا بمعرفتهم بعلوم السادة الغماريين، وخاصّةً السيّد أحمد، ويحرّمون على الناس تقليدَ أحدٍ، سوى الغُماريين؛ عليهم أن يخبرونا:

أنقلّد السيّد أحمد ابن الصديق ، حين كان يقول بالإجماع على صحة الصحيحين؟

أم نقلّده حين نَضِجَ وتفهّم علل الحديث، فذهب إلى أنَّ بعض ما في الصحيحين؛ هو مقطوع ببطلانِه؟!

هؤلاء علماء آل الصديّق – رضي الله عنهم – ثلاثتهم كانوا يذهبون إلى ما نذهب إليه اليوم أنا الفقير، وجميع تلامذتي، حتّى الذين يدارون، ويتحفظون من إثارة الغوغاء عليهم!

ومعنا من علماءِ الحديثِ المعاصرين في ذلك؛ السيد حسنُ السقّاف، والشيخ حسّان عبدالمنّان، والدكتور الشريف حاتم العوني، والدكتور عمّار الحريريّ، والدكتور خالد الدريس، والدكتور محمد الشريفين، وغيرهم كثير!

جميعهم يذهبون إلى أن ليس كل ما في الصحيحين من الأحاديث صحيحًا!

كما أنه ليس كل ما في صحيح ابن خزيمة أو صحيح ابن حبان صحيحًا!

فالذي يرفع رايةَ آل الصدّيق، وينصّب من نفسه الناطقَ بلسانهم، والأمينَ على تراثهم، يَعرف هذا الكلام، أم يَجهلُه؟!

إنْ كان لا يعرفه: فمن عرف؛ حجّةٌ على مَن لا يعرف!

وإن كان يعرفه، ويخالفُ مشايخه؛ فهذا يعني أننا أتبعُ للسادة الغماريين منه!

وهو يعني أيضًا؛ أنه جوّز لنفسه مخالفة علماء السادة الغماريين الثلاثة!

فما الذي يجعلنا مرغمين وملزمين بتقليده هو، فيما خالفَ فيه مشايخَه الذين يتباهى بالانتماء إلى علومهم الفريدة؟

ولسنا في هذا مُبدِعين ولا مبتدعين، فقد ذكرت أنا الفقير، والسيد حسن السقاف، والدكتور عمّار الحريري، والدكتور محمّد الشريفين، في مقالاتنا القريبة؛ عدداً كبيراً من الحفّاظ المتقدّمين، الذين يقولون بوجود أحاديث ضعيفة، وشاذّة، ومنكرة، في الصحيحين، لكنّ أعدادها قليلة، أقلّ من بقيّة كتب رواية الحديث!

وأخونا الأمين على تراثِ ساداتنا الغماريين، والناطق الوحيد باسمهم؛ لم نزاحمه على دعواه هذه قطّ، وكلنا نحترمه ونجلّه؛ لكننا لم نكن نراه في يومٍ من أيّام حياتنا؛ في منزلةٍ من يلزمنا تقليدُه، أوتقليدُ غيره!

ختامًا: أرجو من أخينا وحبيبنا (أمين علوم السادة الغماريّة) أن يسيرَ هو في حال سبيله، وليدعنا نسير في وجهتنا الصحيحة، التي نحن عليها!

فهو فيما بيني وبينه؛ لم يكنْ يقول بصحة جميع ما في الصحيحين!

وقال لي مرّة: أحسنت يا شيخ عداب، فأنت لم تضعّف من أحاديث البخاريّ إلا أحاديث قليلة، وليس هناك فارق كبير بين التصحيح والتحسين (زيّ بعضه)!

وقد أخبرني السيّد حسن السقاف صديقُه القديم وزميلُه في التلقّي على بعض السادة الغماريين؛ أنّ الناطق الرسمي الوحيد باسم السادة الغماريين قال له مِراراً وتِكراراً عند مُناقشته إيّاه: إنّ الناطق الرسميّ؛ لا يقول بصحة كل ما في الصحيحين، وأنّ فيهما مَوضوعاتٍ، لكنه يخشى أن يظهر هذا؛ لئلا يسقط حسب تصوره كتابه (تنبيه المسلم إلى تعدي الألباني على صحيح مسلم) هكذا قال السيد السقاف!

وأخونا وحبيبنا الذي نريد له والله كلَّ خير؛ هو ذاته يتغيّر اجتهاده أيضًا، لكنْ بعكس ما يتغير اجتهاد مشايخه واجتهادنا!

ولعلّه لم ينسَ أنّه عقب طباعة كتابه (تنبيه المسلم إلى تعدّي الألباني على صحيح مسلم) زارني في منزلي بمكة المكرمة، وأهداني نسخة من الكتاب، وتناقشت معه في دفاعه عن صحيح مسلم، فغضب مني، ولم يزرني بعدها (هذا ما أتذكره)!

وبعد سنوات في عام (1409) صدرت الطبعة الأولى الشرعية من كتاب آداب الزفاف – كما هو على غلافها – تحدّث فيها الشيخ الألباني باستغرابٍ شديدٍ عن هجومِ أخينا صاحب كتاب (تعدّي الألباني على صحيح مسلم) واقتطفَ من رسالةٍ كان أرسلها إليه صفحتين تقريبًا، منها (ص: 51 - 52) وأنا أنقل منها الآن قوله عن الشيخ الألباني: (الأستاذ الشيخ العلامة المحدّث).

وقوله: (أستاذنا العلّامة، إننا ولله الحمد؛ نحَمد الله أن يوجَد مَن يقوم بخدمة السنة، وتحقيق الصحيح من الضعيف وتمييز الطيّب من الخبيث!

وقد وجدت ولله الحمدَ تحقيقاتٍ لكم، رائعة رائقة فائقة، ودافعت عنكم في غير ما محفل، بحيث نُسبنا إليكم).

وقال أيضًا: (ثمّ إنكم عندما رجعتم بعد قليل – إلى القاهرة – كنت أوّلَ المستمعين لكم؛حبّب الله لي بسبب ذلك – وهذا من أسباب أخرى – علم الحديث، ودراسة السنة الشريفة، بحيث لا يمرّ علي وقتٌ إلا وكتب السنة المشرفة بين يديّ) وكتب الشيخ الألباني اسمه واسم أبيه وجدّه وجدّ أبيه.

وكناه أبا سليمان القاهري، نزيل الرياض حاليّاً.(1401 /2 /22)

أمّا جوابُ الشيخ الألباني على مسألة دعوى صاحب (تنبيه المسلم)فسأفرد لها منشوراً مستقلّاً، فللشيخ الألباني علمه ومعرفته وجهودُه العلمية، خالفناه أم وافقناه!

ويجب أن نذكّر أتباعه الوهابيّة أيضًا بموقفه من الصحيحين!

وصاحب تنبيه المسلم؛ لا يختلف مع الشيخ الألباني فيمنهجه البتة، فمنهج كليهما؛ الترقيع المُريع (حسن لغيره، حسن بغيره، حسن بشواهده، إسناده قابل للتحسين، تعدّد طرقه الواهية؛ يدلّ على أنّ له أصلاً) وأمثال هذا الكلام الفارغ، الذي يوحي للقارئ النبيه؛ أنْ ليس عندنا سوى هذه الأحاديث المرقّعة الكثيرة، لنبني عليها ديننا!

أكتفي بهذا المقدار، فقد طال المنشور؛ وفي منشورٍ تالٍ إن شاء الله تعالى؛ سأناقش عقيدةَ السيد أحمد ابن الصديق وعلاقتها بعقيدة الشيخ محي الدين ابن عربي!

لقدرابني من عامرٍ أن عامراً ..بِعينِ الرضا يَرنو إلى مَن جفانيا

ويَأتي، فُيدي الوُدّ والنُصح دائِبًا...ويُمسي لأعدائي خَليلاً مُؤاخيا

فَيا ليتَ ذاك الودَّ والنُصحَ لم يَكنْ..ويا ليته كان الخصيمَ المُجافِيا

أسأل الله تعالى أن يشفي أمراض قلوبنا من كلّ ما يغضبه، وأن يؤلّف بين قلوبنا على محبّته، وأن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم، وأن يوجّه نوايانا في إجاباتنا على التساؤلات؛ لتكون صادقة نصوحًا.

وأسأله تبارك وتعالى أن يغفر لنا ذنوبنا، وأن يتلطّف بنا، وأن يطهّر قلوبنا من الغلّ والحقد والحسد والنَفاسَة والنكران. والحمد لله على كلّ حال.

1- احذروا أحاديث النّواصب ؟!

كتب يقولُ:

(السّلامُ عليكم ورحمةُ الله، بارك الله فيكم شيخنا الفاضل،

انتشر في الفيس، وفي وسائل التّواصُل الاجتماعيّ حديثٌ عن النّبيّ صلّى اللهُ عليه وسلّم، وفيه أنّ آل بيت رسول الله صلّى اللهُ عليه وسلّم يكفؤون الأُمّة عن دينها.

فما مدى صحّة هذا الحديث، وما تأويلُهُ إن صَحّ!

أخرج الحديث أحمدُ والبزّارُ والطّبرانيُّ وغيرُهُم من حديث مُعاذ بن جبل، قال:

(لما بعثهُ رسولُ الله صلّى اللهُ عليه وسلّم إلى اليمن؛ خرج معهُ رسولُ الله صلّى اللهُ عليه وسلّم يوصيه ومُعاذ راكب، ورسولُ الله صلّى اللهُ عليه وسلّم تحت راحلته!

فلما فرغ، قال:

(يا معاذ، إنّك عسى أنْ لا تَلقاني بعد عامي هذا، لعلّك أن تَمُرَّ بمسجدي وقبري)

فبكى معاذ خشيةَ فراق رسول الله صلّى اللهُ عليه وسلّم.

ثُمّ التفت رسولُ الله صلّى اللهُ عليه وسلّم نحو المدينة، فقال:

(إنّ أهل بيتي هؤلاء يرون أنّهُم أولى النّاس بي، وإنّ أولى النّاس بي المُتّقون، مَن كانوا، وحيثُ كانوا.

اللّهُمّ إنّي لا أُحِلُّ لهُم فسادَ ما أصلحتُ، وايمُ اللهِ؛ ليكفؤون أُمّتي عَن دينِها كما يُكفَأ الإناءُ في البطحاء)!؟

تحت هذا العنوانِ يتداولون الحديثَ أعلاه (دور أهل البيت في نَقض دين الأمّة وفتنتها)) انتهى.

أقولُ وبالله التّوفيق:

حديثُ مُعاذِ بن جبلٍ هذا أخرجهُ أحمدُ (22052) والبزّارُ (2647) وابنُ أبي عاصم في السُّنّة (1011) وابنُ حبّان في صحيحه (647) والطّبرانيُّ في مُسند الشّاميّين (991) جميعُهم وغيرهُم، من حديث صفوان بن عَمْرٍو عَنْ رَاشِدِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ عَاصِمِ بْنِ حُمَيْدٍ، عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، مرفوعًا.

وقد صحّحهُ الشّيخُ الألبانيُّ في تخريجه كتابَ السُّنّة، وقال الشّيخُ الأرناؤوط: إسنادُهُ قويٌّ!

قال الفقيرُ عداب:

في كُتُب الحديث ثلاثةُ أحاديثَ ظاهرة النّصب، هذا واحدٌ منها.

وسأخرّجها تباعًا؛ ليتّقي الله تعالى أُناسٌ يرغبون في الإساءة إلى آل بيت الرّسولِ صلّى اللهُ عليه وآله وسلّمَ، وليعلمَ الإخوة المُثقّفون قيمة ما يُصحّحهُ الشّيخان الألبانيّان (ناصر نوح) و(شُعيب الأرناؤوط).

وللأمانة أقول:

لم ألحظ لدى الشّيخ ناصر الألبانيّ نصبًا ظاهرًا أبدًا، بل وجدتُ له احتفاءً بأهل الكساء عليهم السّلام!.

أمّا الشّيخ شُعيبٌ؛ فهُو شاميٌّ ظاهرُ النّصب، وقد سمعتُ لهُ (فيديو) مُوَثّقٌ يقولُ فيه:

إنّهُ لو كان في زمان الحُسين ويزيد؛ لكان في جيشِ يزيدَ ضدّ الحُسين!

وأنا أسألُ الله تعالى أن يجمعَ مع يزيدَ كُلّ من يسكتُ عنهُ، فضلًا عن المُجاهرين بالدّفاع عنهُ، فكيف بالّذين يُحبّونهُ؟

وهذا الحديثُ إسنادُهُ ضعيفٌ، ومتنُهُ ناصبيٌّ مُنكرٌ!

في سنده عاصم بن حُميد السّكونيّ الحمصيّ، وصفهُ بعضُهُم بأنّهُ من طبقة كبار التّابعين، ووصفهُ بعضُهُم بأنّهُ مُخضرمٌ!

وهُما وصفان زمنيّان، وليسا وصفين مُؤثّرين في مكانته في الجرح والتّعديل.

وهذه الطّبقة في أهل الشّام؛ أصلُ النّصب الظّاهر، وليس الخفيّ!

ولو لم يكن في عاصم هذا، سوى تُهمة النّصب؛ لكفى لردّ حديثِهِ المُؤيّد لبدعته!

قال الدّارقُطنيّ: ثقةٌ!

والدّارقُطنيُّ لم يُعاصرهُ، فبينهُما ثلاثُ مائة سنةٍ!

إنّما بنى توثيقهُ هذا على رواياته القليلة الّتي أعجبتهُ، وهي عند أحمد وابن ماجه وأبي داود والنّسائيّ في المُجتبى!

وأنا لن أُنلقى من رواياته في مُسند أحمد والسُّنن المُشار إليها، سوى هذه الرّواية النّاصبيّة الخبيثة.

قال البزّارُ (5: 235): (روى عن مُعاذٍ، ولا أعلمُهُ سمع منهُ.

ولم يكنْ لهُ من الحديثِ ما يُعتبَرُ به حديثهُ) زاد مُغلطاي (على استقامة حديثِه).

انظُرْ إكمال تهذيب الكمال لمُغلطاي.(2621)

وَقَال ابنُ القطّان في كتابه "الوهم والإيهام" (4: 139): (سكتَ عبدُ الحقّ عن الحديثِ، وهُو من رواية عَاصِم بن حميد السّكوني، وَلا يُعرَف أَنّهُ ثِقَة، وَهُوَ يروي عَن مُعَاذ حديثين أَو ثَلَاثَة، وَعَن عَوْف بن مَالك، وَعَائِشَة.

فَالْجَوَاب أَن نقُول: أَبُو عمر (ابن عبد البرّ) فِي هَذَا؛ كأبي مُحَمَّد (ابن حزم):

إِنْ لم يَأْتِ فِي توثيقِهِ إِيَّاهُ بِقولِ مُعاصرٍ، أَو قَولِ مَن يُظَنّ بِهِ الأَخْذُ عَن مُعاصِرٍ لَهُ؛ فَإِنَّهُ لا يُقْبل مِنْهُ، إِلَّا أَن يكون ذَلِك مِنْهُ فِي رجلٍ مَعْرُوفٍ، قد انْتَشَر لَهُ من الحَدِيث مَا تُعرفُ بِهِ حَالُه، وَهَذَا لَيْسَ كَذَلِك، فاعلمه) انتهى.

فهذا الرّاوي عاصم:

لم يثبُت عند البزّار تصريحٌ بسماعه من مُعاذ بن جبل، بينما هُو صرّح بسماعه من عوف بن مالك وعائشة!

والّذين قالوا: سمعَ مُعاذًا، إنّما أخذوا ذلك من صيغة (عن) و(أن) ممّن ليس بمُدلّسٍ، وهُو احتمالٌ فقط!

والرّجُل مجهولُ الحال عند البزّار وابن القطّان، وهُو كذلك على مذهب ابن عبد البرّ وابن حزمٍ، كما يقولُ ابنُ القطّان.

فالحديثُ مُنقطعٌ في نظر البزّار، وأحاديثُهُ لا تصلحُ للاعتبار، وهُو مُقارنتُها بأحاديث الثّقات، فيبقى الرّجُلُ في دائرة الجهالة.

وتوثيقُ الدّارقُطنيّ إيّاهُ؛ يُحمل على عدم وُرود جرحٍ فيه، وهُو العدالة الدّينيّة، وليس العدالة الحديثيّة!

أمّا راشدُ بنُ سعد الحبرانيّ الحمصيّ؛ فقال الذّهبيُّ في النُّبلاء: (490: 4):

(وَثَّقَهُ: غَيْرُ وَاحِدٍ، مِنْهُم: ابْنُ مَعِيْنٍ، وَأَبُو حَاتِمٍ، وَابْنُ سَعْدٍ.

وَقَالَ أَحْمَدُ ابنُ حَنْبَلٍ: لاَ بَأْسَ بِهِ.

وَقَالَ ابْنُ حَزْمٍ وَحْدَهُ: هُوَ ضَعِيْفٌ، فَهَذَا مِنْ أَقْوَالِهِ المَرْدُوْدَةِ.

وَقَدْ قَالَ الدَّارَقُطْنِيُّ: لاَ بَأْسَ بِهِ، يُعْتَبَرُ بِهِ.

وَقِيْلَ: أَنَّهُ يَرْوِي أَيْضًا عَنْ عَوْفِ بنِ مَالِكٍ الأَشْجَعِيِّ، وَأَنَّهُ شَهِدَ صِفِّيْنَ مَعَ مُعَاوِيَةَ، فَإِنْ صَحَّ هَذَا، وَهُوَ مُمْكِنٌ؛ فَقَدْ عَاشَ نَحْوَ التِّسْعِيْنَ).

قال عدابُ:

قولُ الدّارقُطنيّ: لا بأس به، يُعتبرُ به، وقولُ أحمد: لا بأس به؛ يعني يُعتبر به، ولا يُحتجُّ بحديثه.

وهُو قريبٌ من تضعيف ابن حزمٍ، إذا جعلنا كلمة (ضعيف) من درجات المُتابعة الدُّنيا؛ فيكونُ الرّجُلُ في أحسن أحواله؛ يُعتبر به إذا توبع على حديثه، ولم يُتابع على حديثِه الخبيث هذا أبدًا!

ولو ثبت شُهودُه صفّين مع الباغي مُعاوية؛ فهذا يُسقطُ عدالتَه عندي، مثلما سقطت عدالةُ إمام البُغاة تمامًا.

خُلاصةُ القول:

لم يثبُت سماعُ عاصم من مُعاذ، ففي الحديث شُبهةُ انقطاعٍ، وفي إسناده مجهولُ الحال، لم تثبُت ثقتُهُ كما يقولُ ابنُ القطّان وابنُ حزم، وفيه راوٍ آخر ضعيف!

ناهيك عن نصبهما المعروف، فإسنادُ الحديث ضعيفٌ.

وبهذا البيان الوجيز؛ يكونُ حديثُ مُعاذٍ هذا ضعيفَ الإسنادِ، مُنكر المتن، مُخالفًا أحاديثَ عديدةً في فضائل أهل البيت، وأنّهُم قُرناءُ الكتاب.

وفي هذا الباب حديثان آخران، يتعيّنُ بيانُ مرتبتهما الحديثيّة، سأتناولُهُما في منشورين تاليين، إن شاء اللهُ تعالى، والحمدُ لله على كُلّ حالٍ.

2- احذروا أحاديث النّواصب؟!

بإسنادي إلى الإمام أحمد في مُسند المُكثرين من الصّحابة (6168) قال رحمهُ اللهُ تعالى:

حَدَّثَنَا أَبُو الْمُغِيرَةِ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَالِمٍ: حَدَّثَنِي الْعَلَاءُ بْنُ عُتْبَةَ الْحِمْصِيُّ، أَوِ الْيَحْصُبِيُّ عَنْ عُمَيْرِ بْنِ هَانِئٍ الْعَنْسِيِّ قال: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ يَقُولُ:

كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُعُودًا، فَذَكَرَ الْفِتَنَ، فَأَكْثَرَ ذِكْرَهَا، حَتَّى ذَكَرَ فِتْنَةَ الْأَحْلَاسِ!

فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا فِتْنَةُ الْأَحْلَاسِ؟

قَالَ:

(هِيَ فِتْنَةُ هَرَبٍ وَحَرَبٍ، ثُمَّ فِتْنَةُ السَّرَّاءِ، دَخَلُهَا [أَوْ دَخَنُهَا] مِنْ تَحْتِ قَدَمَيْ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، يَزْعُمُ أَنَّهُ مِنِّي، وَلَيْسَ مِنِّي، إِنَّمَا وَلِيِّيَ الْمُتَّقُونَ!

ثُمَّ يَصْطَلِحُ النَّاسُ عَلَى رَجُلٍ كَوَرِكٍ عَلَى ضِلَعٍ!

ثُمَّ فِتْنَةُ الدُّهَيْمَاءِ، لَا تَدَعُ أَحَدًا مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ إِلَّا لَطَمَتْهُ لَطْمَةً!

فَإِذَا قِيلَ: انْقَطَعَتْ؛ تَمَادَتْ!

يُصْبِحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤْمِنًا، وَيُمْسِي كَافِرًا، حَتَّى يَصِيرَ النَّاسُ إِلَى فُسْطَاطَيْنِ: فُسْطَاطُ إِيمَانٍ، لَا نِفَاقَ فِيهِ!

وَفُسْطَاطُ نِفَاقٍ، لَا إِيمَانَ فِيهِ!

فَإِذَا كَانَ ذَاكُمْ؛ فَانْتَظِرُوا الدَّجَّالَ مِنَ الْيَوْمِ أَوْ غَدٍ)؟!

وأخرجهُ أبو داود في السُّنن (4242) والطّبرانيّ في مُسند الشّاميّين (2551) ومن طريقه أبو نُعيم في الحلية (5: 158) وقال:

(غَرِيبٌ مِنْ حَدِيثِ عُمَيْرٍ وَالْعَلَاءِ، لَمْ نَكْتُبْهُ مَرْفُوعًا؛ إِلَّا مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَالِمٍ).

وأخرجهُ الحاكمُ في المُستدرك (8441) وقال:

هَذَا(حَدِيثٌ صَحِيحُ الا ً سْنَادِ، وَلَمْ يُخْرِجَاهُ).

وأخرجهُ جمعٌ غيرُهُم من حديث عَبد اللهِ بن سالم اليحصبيّ الشّاميّ به مرفوعًا.

وأخرجهُ نُعيم بن حمّاد في كتاب "الفتن" (93) من حديث الوليد بن مُسلم، عن عبد الرّحمن بن يزيد بن جابر، عن عمير بن هانئ، مُرسلًا، ليس فيه ذكر عَبد اللهِ بن عُمر رضي اللهُ عنهُما.

قال الشّيخُ الألبانيُّ: إسنادُهُ صحيحٌ!

وقال الشّيخُ شُعيبٌ: رجالُهُ ثقاتٌ!

قال عداب:

الشّيخان الجليلان رحمهُما اللهُ تعالى، يسيران غالبًا على ظاهر الإسناد، ومع هذا؛ يتساهلان حتّى في هذا الظّاهر.

واليك بيانُ ذلك باختصارٍ:

أوّلًا: رُواةُ الحديث من شيخ أحمد أبي المُغيرة عبد القُدّوس بن الحجّاج الخولانيّ حتّى التّابعيّ عمير بن هانئ العَنسيّ، جميعُهُم من أهل الشّام، وجميعُهُم من النّواصب!

وهذا وحدَهُ قدرٌ كافٍ للتّوقُّف بحثًا عن وُجود مُتابعٍ لبعضهم أو شاهدٍ.

(1) عميرُ بن هانئ العنسيّ النّاصبيّ، أجمعت مصادرُ ترجمته أنّهُ كان من رجال دولة بني أُميّة.

قال العجليُّ (1311): شاميٌّ تابعيٌّ ثقةٌ!

وقال الفَسَويُّ: لا بأس به، كما في تاريخ الإسلام.(3: 477)

(2) العلاءُ بن عُتبة اليحصبيّ الحمصيّ.

قال أبو حاتم الرّازيّ: شيخٌ صالحُ الحديث، كما في تهذيب الكمال(22: 526) .

وقال الذّهبيُّ في تاريخ الإسلام (3: 465): صُويلحُ الحديث!

فكيف يكونُ رجالُ الإسناد ثقاتٌ، وأحدُ رُواته: لا بأس به، والآخرُ: (صُويلح) ثمّ يُحكَم على الحديث بأنّهُ صحيحٌ!

سُبحان الله العظيم!

ثانيًا: اختُلف على عمير بن هانئ النّاصبيّ في إسناد هذا الحديث:

فرواهُ عنهُ العلاءُ بن عُتبة الحمصيّ النّاصبيّ عن عَبد اللهِ بن عُمر، مرفوعًا.

ورواهُ عبد الرّحمن بن يزيد بن جابر الشّاميّ النّاصبيّ عن عمير بن هانئ النّاصبيّ عن النّبيّ صلّى اللهُ عليه وآله وسلّم، مُرسلًا.

(3)عبدُ الرّحمن بن يزيد بن جابر، وثّقهُ الأكثرون، وقال أحمدُ: ليس به بأس! كما في تهذيب الكمال(7 :18) .

والاختلافُ بين الوصل والإرسال علّةٌ من علل الحديث، كما هُو معلومٌ.

وعقب ترجمة عمير والرّاويين عنهُ؛ سنلجأُ إلى التّرجيح.

ويترجّحُ المُرسلُ على الموصول هُنا؛ لرُجحان ابن جابرٍ على العلاء بن عُتبة!

فهُما، وإن اشتركا في النّصب، بيد أنّ ابن جابر أحفظُ وأوثقُ!

والمُرسلُ من الحديث ضعيفٌ، كما هُو معلومٌ!

ثالثًا وأخيرًا: سأل عبدُ الرّحمن بن أبي حاتم أباهُ عن هذا الحديث كما في العلل (2757) فقال أبو حاتم:

رَوَى هَذَا الحديثَ ابنُ جَابِرٍ عَنْ عُمَير بْنِ هانئ، عن النّبيّ صلّى اللهُ عليه وآله وسلّم، مُرسَلًا، والحديثُ عندي؛ فليس بِصَحِيحٍ، كأَنَّهُ موضوعٌ.

قال عدابُ:

أبو حاتم الرّازيّ لا يُتّهمُ بالميل إلى آل البيت، فهُو سُنّيٌّ جلدٌ!

فليهنأ النّواصبُ بهذا الحديث، إن شاؤوا أن يقبلوهُ (مُرسلٌ ضعيفُ الإسناد) كما هُو عندي، أو يقبلوهُ (كأنّهُ موضوعٌ!) عند الإمام أبي حاتم الرّازيّ!

فيغدو كلامُ الشّيخين الألبانيّين في تصحيح الحديث خاويًا، لا يُساوي كتابته على الورق!

وأنا إنّما كتبتُهُ ليعلم غيرُ المُتخصّص قيمَتَهُ فقط!

واللهُ تعالى أعلمُ.

والحمدُ لله على كُلّ حالٍ!

كشف النقاب عن صلف الأعراب!

قصّةُ الجَونيّة، وصَلَفَ الأعراب؟

كثرت الاعتراضات على منشور أمس، وقد قرأت بعض هذه الردود؛ فلم أرَ شيئًا سوى الجهل المركّب، واتّهام النوايا، والاتهام بالتشيّع، وبغض البخاري ومسلم...إلخ الأسطوانة السخيفة التي ما زالت تردد، من دون فهم ولا علم ولا حوارٍ مهذّب.

افترض يا أخي أنني عدوٌّ للبخاريّ ومسلم، وأنني أخدمهما لبيان عوارهما.

وافرض أيضًا أنني رافضيّ، أريدُ هدمَ مذهب أهل السنة، بهدم الصحيحين.

وافترض بي ما شئتَ من الصفات المتخيّلة، لكن واجبك أنت عندما تريد الدفاع عن الصحيحين أو أحدهما أن تكون موضوعيًّا علميًّا، تقرأ بوعي، وتحرّر مواضع النزاع، ثم تقوم بالردّ على كلّ موضع، بما يدحض شبهة أو افتراء الخصم.

أما الدفاع عن الصحيحين بشتم المنتقد، أو حتى المنتقص؛ فلا يليق بأهل العلم الحريصين على الصحيحين.

وأنا لست حريصًا، لا على الصحيحين، ولا على جميع كتب الزيدية والإمامية والإباضيّة.

أنا حريصٌ على سنّة الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم.

حريصٌ على دينه، حريص على أخلاقه، حريص على سلوكه.

وأيّ روايةٍ تحمل أدنى إساءةٍ ظاهرة إلى الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم؛ لا تساوي عندي بعرةً، حتى لو كانت في الصحاح والسنن والمسانيد؛ لأنني على يقين أنّ بعضَ النواصب لم يكونوا يحبون الرسولَ صلى الله عليه وآله وسلّم وكانوا يغمزون من شخصيّته، كلّما أمكنهم ذلك.

ويكفي عندي أن يكون في الإسناد ناصبيّ واحدٌ، حتى أردّ الحديثَ مباشرةً لنصبه، متى كان فيه إساءةٌ واضحة للرسول صلى الله عليه وآله وسلّم.

وإذ كثر هذا الهرج والمرج؛ فقد استللت تخريجاتي على أحاديث عائشة وأبي أسيد الساعديّ، وسهل بن سعدٍ الساعديّ رضي الله عنهم، من صحيحي البخاري ومسلم.

وأضفت إليها ما يقتضيه المقام، وجزّأتها على ثلاثة منشورات.

المنشور الأول: حديث أمّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

والمنشور الثاني: حديثُ أبي أسيدٍ مالك بن ربيعة الساعديّ.

والمنشور الثالث: حديث سهل بن سعدٍ الساعديّ.

أمّا المنشور الرابع: فيعالجُ بقيّة روايات القصّة، مما ليس في الصحيحين.

ورجائي من أصحاب الذمم الواسعةِ، والصدور الحرجة الضيّقة، والمعتدّين بفهومهم وعلومهم وتديّنهم؛ أن يتصبّروا حتى ننتهي من المنشورات الأربعة، ثم من حقّهم أن يوجّهوا الانتقاداتِ التي يريدون.

بقي أن أقول:

الله تعالى يشهد على قلبي أنْ لم يكن في خاطري، ولا في نيتي كتابةُ منشور الأمس، ولا غيره مما يتعلق بالصحيحين.

لكنني كنتُ أغالب الأرقَ والوحدةَ قبيل الفجر؛ فرحت أنظر أن أجد شيئًا مفيداً أتسلّى به، فوقع نظري على فيديو كتبوا تحته: (البخاري ينسب إلى الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم أنه حاول اغتصاب امرأة).

وحين استمعت إلى كلام المحدّث؛ وجدته جاهلاً وقحًا، لكن آلافًا كثيرةً قد استمعت إليه.

فكتبت منشور الأمس المختصر، لأوضح أنّ الإمام البخاري قصد من كلّ هذه القصّة التعيسة أمرين فقط:

الأوّل: هل يقع الطلاق بالكناية (الحقي بأهلك) وهل يتعين مواجهة الزوجة بالطلاق؟

والأمر الثاني: جواز التبرّك بآثار الرسول صلى الله عليه وآله وسلّم.

ولست أدري والله، لماذا يتهجّمون عليّ، وأنا لم أسئ إلى الشيخين بكلمة واحدة ويتركون ذاك السفيه الوقح، فلا يردّون عليه بشيء؟!

فكلّي رجاء من المسلمين أن يتنبّهوا إلى أنّ شخصيّة الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم، وكرامته وسمعته؛ أهمّ بكثيرٍ من سمعة البخاريّ وكرامته وعقله واجتهاده في آنٍ واحدٍ.

فإذا ذهل البخاريّ، فلم ينتبه إلى مضمون الحديثِ السيّء؛ فلا يجوز بحال من الأحوال أن نقرّ بنسبة هذا السوء إلى الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم، وتخطئة البخاريّ وحتى سائر الصحابة؛ أيسر عند الله تعالى وعند الذين آمنوا من نسبة السوء إلى الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم.

والمطلوب مني ومن الجميعِ أن يحاكموا الكلام المنشورَ أمامهم، ولا يتدخّلوا في النوايا والمقاصد، لأنها من شأن الله تعالى.

وليفكّر كلّ واحد منكم: هل يوجد رجل لديه خمس عَقلٍ، يتعب عشر سنين في خدمة كتابين، ثم يدخل النار من وراء خدمته تلك؟!

ماذا يعرف المنتقدون وغيرُ المنتقدين عن الفقير عداب الحمش؟ هل كان عداب تاركاً للصلاة، للصوم، للزكاة والصدقات، للحجّ؟ متى عرفوه قليلَ دين، متى عرفوه يكيد للإسلام؟ حسبنا الله ونعم الوكيل.

ولنشرع الآن بتخريج ونقد حديثِ أمّ المؤمنين السيّدة عائشة رضي الله عنها.

بإسنادي إلى الإمام البخاريّ في كتاب الطلاق، بابُ مَنْ طَلَّقَ وَهَلْ يُوَاجِهُ الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ بِالطَّلاَقِ [7178] (5254) قال رحمه الله تعالى: حدَّثَنَا الْحُمَيْدِيُّ: حدّثنا الْوَلِيدُ: حدّثنا الأَوْزَاعِيُّ قَالَ: سَأَلْتُ الزُّهْرِيَّ:

(أيُّ أَزْوَاجِ النَّبِيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم اسْتَعَاذَتْ مِنْهُ؟"

قَالَ الزُّهْرِيُّ: أَخْبَرَني عُرْوَةُ بنُ الزُبَيرِعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْها؛ أَنَّ ابْنَةَ الْجَوْنِ، لَمَّا أُدْخِلَتْ عَلَى رَسُولِ اللهِ صلّى الله عليه وآله وسلّم وَدَنَا مِنْهَا؛ قَالَتْ:

"أَعُوذُ بِاللهِ مِنْكَ" فَقَالَ لَهَا الرسولُ صلّى الله عليه وآله وسلّم: (لَقَدْ عُذْتِ بِعَظِيمٍ، الْحَقي بِأَهْلِكِ))1.

1- هذه الحاشية لشيخنا الشريف عداب –حفظه الله ورعاه- قال: من حديث الزهريّ عن عروة، عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها؛ أخرجه ابن الجارود في الطلاق (738) وابن حبان في الطلاق (4266) وابن ماجه في الطلاق، باب ما يقع به الطلاق من الكلام (2050) والنسائيّ في الطلاق، باب مواجهة الرجل المرأة بالطلاق (3417) وفي الكبرى (5580) وأبو يعلى الموصلي في مسنده (4903) والحاكم في كتاب معرفة الصحابة رضي الله تعالى عنهم، ذكر الكلابية أو الكندية (6979 - 6986) وانظر التحفة (12: 16512) والإتحاف (17: 22167).

(7179) قَالَ أَبُو عَبْدِاللَّهِ البخاريّ: (رَوَاهُ حَجَّاجُ بنُ يوسُفَ بن أَبِي مَنِيعٍ عَنْ جَدِّهِ عبيدِالله بن أبي زيادٍ الوصافيّ ، عَنِ الزُّهْرِيّ؛ أَنَّ عُرْوَةَ أَخْبَرَهُ؛ أَنَّ عَائِشَةَ قَالَتْ) انتهى .

قال الفقير عداب:

عدّ ابن حجر في الفتح (16: 30) رواية حجاج هذه إحدى طرق الحديث إلى الزهريّ، ولم يذكر لفظها.

لكنه قال "في تغليق التعليق" (4: 434) قَالَ(يَعْقُوبُ بْنُ سُفْيَانَ فِي مَشْيَخَتِهِ: حَدَّثَنَا حَجَّاجُ بْنُ أَبِي مَنِيعٍ بِحَلَبَ: حدّثنَا جدّي عبيد الله بْنُ أَبِي زِيَادٍ عَنِ الزُّهْرِيّ قَالَ: وساق حديثًا آخر.

ثم قال عطفًا على الإسناد الأوّل: قَالَ حَجَّاجٌ: وَحَدَّثَنِي جَدِّي: حدّثنَا مُحَمَّدُ بن مُسلم هُوَ الزُّهْرِيّ، أَن عُرْوَة بن الزبير، أَنَّ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ: فَدَلَّ الضَّحَّاكُ بْنُ سُفْيَانَ، مِنْ بَنِي أَبِي بَكْرِ بْنِ كِلابٍ عَلَيْهَا رَسُولَ الله صلى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ لَهُ وَبَيْنِي وَبَيْنَهُمَا الْحِجَابُ-

(يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ لَكَ فِي أُخْتِ أُمِّ شَبِيبٍ) وَأُمُّ شَبِيبٍ امْرَأَةُ الضَّحَّاكِ بن سُفْيان).

وظاهر هذه الرواية أنّها قصّة أخرى، غيرُ قصّة الجونيّة، وليس فيها شيء من ألفاظ حديث الباب، وعليه، فلا تصلح متابعةً لحديث الباب.

تنويه: في المطبوع من مشيخة يعقوب بن سفيان؛ لا وجود لحجّاج هذا، ولا لجدّه أبي منيع البتة!

تعيين مدار الحديث: مدار حديث الباب على الإمام محمد بن مسلم ابن شهاب الزهريّ، رواه عنه:

الأوزاعيُّ، عند البخاريّ، وابن ماجه، والنسائيّ في المجتبى، وفي الكبرى، وأبو يعلى في مسنده، والحاكم في المستدرك.

ومحمّدُ بنُ عَبد اللهِ ابن أخي الزهريّ، عند الحاكم.

وحجّاج بن يوسف بن أبي منيع، عند البخاريّ.

لكنّ رواية حجّاج هذه؛ لا تصلح عندي متابعةً؛ لأنّ متن الرواية مختلف.

إنما يبقى مدار الحديث على الزهريّ.

الحكم على إسناد الحديث:

الزهريّ وعروة؛ إمامان ثقتان، فإسناد الحديث صحيح لا غبار عليه.

نظرةٌ في متن الحديث:

يلاحَظُ أنّ متنَ الحديثِ خالٍ من أيّ إساءةٍ للرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم سوى قول المرأة الجونيّة هذه: (أَعُوذُ بِاللهِ مِنْكَ).

ويلاحظُ أنْ ليس في متن الحديثِ أنّ إحدى النساءِ خدعتها، فقالت هذا القول البغيض!

ويلاحظُ أنّ سياقة الحديثِ؛ لا تدلّ على أنّ لعائشة رضي الله عنها يدٌ في هذه المسألة.

امرأةٌ خطبها الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم، وعقدَ عليها، فأُدخِلت إلى بيتِه، فدنا منها، فقالت: (أَعُوذُ بِاللهِ مِنْكَ)

فتفاجأ الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم من قولها هذا، فقَالَ لَهَا: (لَقَدْ عُذْتِ بِعَظِيمٍ، الْحَقِي بِأَهْلِكِ).

بقي أن أقول: سياقةُ الحديثِ هنا؛ تدلّ على أنّ الرسول صلى الله عليه وآله وسلّم، لم يعذرها، إنما فارقها مباشرة.

ولو كان يعلم أنّ أحداً خدعها حتى قالت هذا القول القبيح؛ فربما كان سامحها؛ لأنّ من أخلاقه الصبر على الجهّال والأعراب وأصحاب النزق والغلظة.

وفي المنشور التالي؛ تتوضح الأمور أكثر، إن شاء الله تعالى.

والحمد لله على كلّ حال.

صدق الله، وكذب عُتيّ ؟!1

بإسنادي إلى الأمام أحمد في مسنده (21271) قال: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ قال: حَدَّثَنَا عَوْفُ بن أبي جميلة عَنِ الْحَسَنِ البصريّ، عَنْ عُتَيّ بْنِ ضَمْرَةَ، عَنْ أُبَيّ بْنِ كَعْبٍ أَنَّ رَجُلًا اعْتَزَى بِعَزَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ، فَأَعَضَّهُ، وَلَمْ يُكَنِّهِ!

فَنَظَرَ الْقَوْمُ إِلَيْهِ، فَقَالَ لِلْقَوْمِ: إِنِّي قَدْ أَرَى الَّذِي فِي أَنْفُسِكُمْ!

إِنِّي لَمْ أَسْتَطِعْ إِلَّا أَنْ أَقُولَ هَذَا!

إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَنَا (إِذَا سَمِعْتُمْ مَنْ يَعْتَزِي بِعَزَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ؛ فَأَعِضُّوهُ وَلَا تَكْنُوا).

وأخرجه البخاري في الأدب المفرد (963) وابن حبان في صحيحه (3153) والنسائيّ في السنن الكبرى (10812) وغيرهم!

ومعنى الحديث:

إذا سمعتم أحداً ينتمي ويعتزي إلى قبيلته، كأن يقول: يا لَلأنصار، يا لَلمهاجرين! فقولوا له: أُعضُضْ هَنُ أَبيك، أو أُعضُضْ أَيْرَ أبيك!

وهذه شتيمة قبيحةٌ كان العرب يشتم بها بعضهم بعضًا، كنايةً عن الاحتقار!

وهذا معنى: (لا تَكْنوا).

قال الشيخ الألبانيّ في تخريج الأدب المفرد: صحيح!

قال الشيخ شعيب في تخريج صحيح ابن حبّان: إسناده صحيح!

---

1 -هو عتي بن ضمرة السعدي، يروي عن أبي بن كعب وسمعه، قاله الحافظ ابو الفتح الأزدي في "ذكر اسم كل صحابي ومن بعده ممن لا أخ له يوافق اسمه"(1/ 185) .

وقال في تخريج مسند أحمد (21272، 21274): إسناده حسن!

وقال في تخريج مسند أحمد (21271): حديث حسن، وهذا إسناد رجاله ثقات رجال الشيخين، غيرَ عُتَيّ بنِ ضَمْرة، فحديثه يصلح للمتابعات والشواهد!

قال عداب:

كلام الشيخ شعيب: رجاله ثقاتٌ رجال الشيخين؛ فيه نظر، فليس كلّ رجال الشيخين ثقات!

قال الإمام أحمد في عوف بن أبي جميلة: ثقة صالح الحديث.

وهذا معناه أنّ الرجل ثقةٌ في دينه، حديثه صالح للمتابعة!

وقال أبو حاتم: صدوق صالح الحديث، وهي مثل سابقتها، أو أقلّ!

مدار حديث الباب على الحسن البصري، واختلف عنه:

فرواه عوف، ويونس، والمبارك بن فضالة، والسريّ، أربعتهم عن الحسن البصري، عن عتي بن ضمرة، عن أبيّ بن كعبٍ مرفوعا.

ورواه وكيعٌ عن كهمس بن الحسن، عن الحسن البصريّ، عن أبيّ بإسقاط عتّي عند ابن أبي شيبة (38337)

ورواه خالد بن الحارث، عن أشعث، عن الحسن البصريّ، عن أبيّ بإسقاط عتّي، عند النسائي في (الكبرى) (8814 و10744).

أمّا الحسن البصريّ؛ فهو ثقة من دون شكٍّ، لكنه مدلّس، وهو هنا يروي الحديث بالعنعنة، وعنعناته يُتوقّف فيها في أحسن الأحوال!

وقد حسّن الشيخ شعيب ذاك الإسناد بهذا الإسناد، بينما المدار واحد، وهو الحسن البصريّ، لكن هذا اختلاف من الرواة عن الحسن، فلا يعضد هذا ذاك!

وعلّة الحديث في عُتيّ بن ضمرة

قال في تهذيب الكمال (19: 329):

(قال ابن سعد في الطبقات: كان ثقةً قليلَ الحديث!

وقال العجلي: روى عنه الحسن البصري ستة أحاديث، ولم يرو عنه غيره).

وفي إكمال تهذيب الكمال (9: 134): (ذكر علي بن المديني في كتاب العلل الكبير حديث أبي بن كعب فيمن تعزى بعزاء الجاهلية، وقال: حديث بصري رواه الحسن عن رجل لم أسمع عنه بحديث، إلا من طريق الحسن، وهو مجهول. يقال له: عُتَيّ بن ضَمرة السعدي.

سمع من أبي بن كعب أحاديث رواها عنه، لا نحفظها إلا من طريق الحسن، لم يرو فيها شيئًا مرفوعًا إلا هذا الحديث .

قال ابن المدينيّ: وحديث هذا الشيخ عتي بن ضمرة يشبه حديث أهل الصدق، وإن كان لا يعرف) انتهى كلامه.

قال عداب: قول ابن سعد: ثقةٌ قليل الحديث؛ معارض بقول ابن المديني: مجهول لم يرو عنه سوى الحسن البصريّ.

ورضا ابن المدينيّ عن حديث هذا المجهول؛ لأنه لم ير في الحديث خروجًا عن الأخلاق، كما لم يره مسيئًا إلى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

المهّم أنّ توثيق ابن سعدٍ ينصرف إلى عدم ورود جرح فيه فقط، وليس لوجود أحاديث كثيرةً له، قارنها الحفّاظ بأحاديث الثقاتِ، فوجدوها مؤيّدة لمتنه!

ولنتساءل الآن: هل لفظ هذا الحديث غليظٌ أم لطيف؟

والله تعالى يقول لنبيّه صلى الله عليه وآله وسلم:

(فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ) (آل عمران/ 159).

(ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) (النحل/ 125).

فهل قول المسلم لأخيه المسلم المخطئ: (أعضض أير أبيك) من الحكمة والموعظة الحسنة؟

وهل مخاطبتك الكافر بها، من الدعوة إلى الله بالحسنى؟

وقال الله تعالى:

(وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ (3) وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ (4)) (القلم).

وهذا يكفي لرفض الحديثِ، لو كان إسناده صحيحًا، فكيف وفي إسناده راوٍ مجهول، وحديث المجهول وما لم يُرْوَ من الحديث سيّان، كما يقول ابن حبان؟

والله تعالى أعلم.

والحمد لله رب العالمين.

قرأت لعدد من الناس نزاعا حيال هذا الحديث.

وكنت نشرت قديما منشورا مختصرا بهذا الخصوص.

وأرى إعادة نشره الآن للفائدة.

قال الفقير عداب تاب الله عليه:

صحّ هذا الحديث من طرقٍ عن ثلاثةٍ من أصحاب عليّ عليه السلام:

ولده محمد بن عليّ، ابن الحنفية .

ووهب الخير بن عبدالله السوائيّ.

وعبدِ خَيرٍ بن يزيد الهمدانيّ. وانظر علل الدارقطني.(4/ 38)

وقد راجعت أكثر من ستين طريقًا، حملت هذا الأثر العلويّ عن هؤلاء الثلاثة وغيرهم.

لكنّ الذي صحّ عندي؛ هو عن هؤلاء الثلاثة، فحسب.

وهؤلاء ثلاثتهم لا يتّهمون على عليّ عليه السلام.

فنستطيع أن نقول بكلّ ارتياح: إنّ عليّاً قال هذا الكلام فعلاً، ومع قوله هذا؛ سنظلّ نذهب إلى أنّ عليًا؛ هو أفضل هذه الأمّة، وخير هذه الأمة، وأعلم هذه الأمة، وأشجع هذه الأمة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم!

فكيف يتمّ ذلك؟

إنّ المتتبّع لسببِ ورود الحديث؛ يقف على أنّ بعض أهل العراق من أنصار عليّ؛ كانوا ينالون من أبي بكر وعمر رضي الله عنهم.

فجاء أحد أنصاره المقربين، وقال له: يا أمير المؤمنين، إن من أصحابك مَن ينال من أبي بكرٍ وعمر، وهم يظنون أنّك على هذا الرأي، ولولا ذلك؛ لما تجرّؤوا على البوح بهذا القول؟!

فصعِد عليّ المنبر، وقال ما تقدّم.

وهذا يعني أنّ أبا بكرٍ وعمر وعثمان؛ أفاضل في نظر عليّ رضي الله عنهم، كما قدّمنا في المنشور الذي نالنا بسببه كثير من الانتقاد.

وليسوا من المرتدين، ولا المتآمرين، حتى لو أنهم أخطأوا قليلاً أو كثيراً تجاه عليّ وآل البيت.

أمّا تأويل كلام عليّ في فضل الشيخين؛ فهو مزيدُ فضلٍ منه، ومِن المسلّم لدى جميع الخلق أنّ المؤمن التقّي العاقل، حتى لو كان يعتقد تميّز نفسه بالصفاتِ، لكنْ يُستهجن منه، ويحطّ من قدره أن يقول: أنا أفضلُ الناس، أو أنا خير الناس.

وقد روي عن أبي بكرٍ أنه حين بويع بالخلافة؛ صعِد المنبر وقال: (إني وُلّيت عليكم، ولست بخيركم) وكان عمر يخشى على نفسه من النفاق!

فإذ قد ثبت أنّ عليّاً قال هذا الكلام حقيقةً؛ فهذا يعني أن قوله لا يعدو أحد احتمالاتٍ ثلاثة:

الأوّل: أنه قاله تبكيتًا وتحذيراً لمن كان يسيء القول في أبي بكر وعمر.

والثاني: أنه قاله اعترافاً بفضل أبي بكر وعمر عليه.

والثالث: أنه كان يرى الثلاثة أفضلَ منه.

ولم يثبت إطلاقًا أنّ عليًا كان ينتقص من عثمان رضي الله عنهما.

فقد أخرج البخاريّ (3112) من حديث مُنذرٍ الثوريّ عَنْ ابْنِ الْحَنَفِيَّةِ قَالَ: (لَوْ كَانَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ذَاكِرًا عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (يعني بسوءٍ) ذَكَرَهُ يَوْمَ جَاءَهُ نَاسٌ فَشَكَوْا سُعَاةَ عُثْمَانَ.

فَقَالَ لِي عَلِيٌّ: خُذْ هَذَا الْكِتَابَ فَاذْهَبْ بِهِ إِلَى عُثْمَانَ فَإِنَّ فِيهِ أَمْرَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الصَّدَقَةِ، فَمُرْ سُعَاتَكَ؛ يَعْمَلُوا بما فِيهَا، فَأَتَيْتُهُ بِهَا!

فَقَالَ: أَغْنِهَا عَنَّا!

فَأَتَيْتُ بِهَا عَلِيًّا، فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ: ضَعْهَا حَيْثُ أَخَذْتَهَا).!

هذا خلق عليّ وأدبه!

وعندي أنّ الأوّل هو الراجح؛ لأنّ الفاضل لا يفضّل نفسه على الناس، إنما هم يفضلونه على غيره.

وبكلّ الاعتبارات؛ مسألةُ الخيريّة والأفضليّة، بين هؤلاء الأربعة؛ لا يثبت بها حديث مرفوع قطّ، سواء قال ذلك ابن تيمية، أم قاله غيره.

وأمّا أنّ قول عليّ هذا متواتر؛ فغير صحيح، بل ولا مشهور، إنما يصحّ عن هؤلاء الثلاثة فقط.

ومعنى أنه ورد من ثمانين طريقًا، فهي طرقٌ عن هؤلاء الثلاثة، وليست عن عليّ، وهذا من تدليس التعصّب المذهبيّ البغيض!

لكن اللافت للنظر فعلاً أنني ما رأيت أهل الحديث عُنوا بحديثٍ من أحاديث عليّ؛ عنايتهم بهذا الحديث؛ لأنه يوافق المذهب!

وقول العبّاس بن عبدالمطّلب لعمر بن الخطاب في عليّ رضي الله عنهم:

الذي أخرجه مسلم (3302) من حديث ابن الحدثان، وفيه:

(يا أمير المؤمنين! اقضِ بيني وبين هذا الكاذب الآثم الغادر الخائن!)

فهو من رواية عبد الله بن محمّد بن أسماء الضُبعيّ البصريّ، عن جويريّة بن أسماء الضبعيّ البصريّ، عن مالك بن أنس، عن الزهريّ.

وقد تفرّد كلّ واحدٍ من هؤلاء عن الآخر بهذه الألفاظ القبيحة المنكرة.

بل هو كذب بيقين!

فلم يكن علي يعتقد أن أبا بكر وعمر غادران كاذبان غادران غادران قطعا.

لعن الله من وضع هذا الحديث من النواصب!

أمّا مالك؛ فلم يخرّج هذا الحديث في موطّئه، وأمّا مَن دونه؛ فهما من أهل البصرة العثمانيين الذين يبغضون عليّاً كأهل الشام وأكثر !

وهنيئا لأهل الشام والبصرة بأن أجدادهم السفهاء الفجرة أكثر الناس بغضا لعلي عليه السلام .

ومسألة المفاضلة كلها مسألة اجتهاديّة، كما قلت غير مرّة، فسواء كان عليّ هو الأفضل، كما نعتقدُ من أدلّة خارجيّة أخرى، أم كان الخلفاء الثلاثةُ قبله جميعهم أفضلَ منه في نظر غيرنا؛ فلا يترتّب على ذلك شيء عمليّ، ويكفي كلّ واحدٍ من هؤلاء الأربعة أنهم أفضل الأمة بعد وفاة رسول الله صلوات الله وسلامه عليه.

فالمشرّع من البشر؛ هو الرسول صلى الله عليه وآله وسلّم، والقدوة الحسنة والأسوة، هو المعصوم بنفسي أفتديه.

قال الله تبارك وتعالى: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا).

وأمّا فتوى عليّ بإقامة حدّ المفتري على مَن يفضّله على الشيخين؛ فهي الأخرى من تهويلاتِ ابن تيميّة ومبالغاته الخبيثة وسائر الطائفيين!

فقد سُئِل الدارقطني (448) عن حديث علقمة بن قيس عن علي قال:

(خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر وعمر، فمن وجدت فضلني عليهما؛ فهو مفترٍ، عليه ما على المفتري، ولو كنت تقدمت؛ لعاقبت!).

فقال الدارقطني: يرويه إبراهيم النخعي عن علقمة بن قيسٍ، عن عليٍّ

واختُلِف عنه:

فرواه الحجاج بن دينار عن أبي معشرٍ، عن إبراهيم، عن علقمة، عن علي.

و رواه مغيرة بن مقسم، واختُلِف عنه:

فرواه محمد بن عبد العزيز التيمي عن مغيرة، عن أبي معشرٍ، عن إبراهيم مُرسَلاً عن علي.

وخالفه مروان بن شجاع فرواه عن مغيرة، عن إبراهيم مُرسَلاً، ولم يذكر فيه أبا معشر.

والأشبه بالصواب قول من قال: عن أبي معشرٍ، وأرسله!

فهذه الرواية منقطعة من طريقيها، ولو كانت متّصلة؛ لم تثبت أبداً؛ لأنّ أبا معشر ضعيف جداً!

والله تعالى أعلم.

والحمد لله ربّ العالمين.

تخريجُ أحاديث

(تخفيف العذاب) عنّ عمّي الرّسول صلّى اللهُ عليه وآله وسلّم أبي طالبٍ وأبي لهبٍ![1]

يَذكر بعضُ النّاس من فضائل رسول الله صلّى اللهُ عليه وآله وسلّم ومنزلتهُ عند ربّه أنّ الله تعالى خفّف العذاب عن عمّه أبي طالبٍ، وعن عمّه أبي لهبٍ.

أمّا تخفيفه عن أبي طالبٍ؛ فهُو تخفيفٌ دائمٌ كما تقولُ الرّواياتُ!

فقد أخرج البُخاريُّ (3670) ومُسلمٌ (357) من حديث العبّاس بن عبد المُطّلب رضي اللهُ عنهُما أنّهُ قال للنّبيّ صلّى اللهُ عليه وسلّم: ما أغنيت عن عمّك، فإنّهُ كان يحوطُك ويغضبُ لك؟

قال صلّى اللهُ عليه وآله وسلّم:

(هُو في ضحضاحٍ من نارٍ، ولولا أنا لكان في الدّرك الأسفل من النّار).

وأخرج البُخاريُّ (3672) ومُسلمٌ (210) من حديث أبي سعيدٍ الخُدريّ نحوه.

وقال البزّارُ عقب تخريجه حديث العبّاس:(1131)

وهذا الحديثُ لا نعلمُهُ يُروى عن العبّاس عن النّبيّ صلّى اللهُ عليه وسلّم إلّا من حديث عبد الملك عن عبد الله بن الحارث عن العبّاس.

وقد رُوي عن النّبيّ صلّى اللهُ عليه وآله وسلّم من وُجوهٍ،فروى ذلك ابنُ عبّاسٍ، وأبو سعيدٍ الخُدريّ، وأبو هُريرة، وغيرهم... وأجلُّ من روى ذلك العبّاسُ بن عبد المُطّلب!

وأمّا تخفيفُهُ عن أبي لهبٍ؛ فهُو مُجرّدُ قطراتٍ من الماء!

1- قام شيخنا الشريف – حفظه الله ورعاه وأدام ظله الشريف في صحة وعافية –مؤخراً بنشر قدر 8 مقالات طوال في حوالي 20 صفحة بخصوص أبي طالب وما جاء من الروايات في التخفيف عنه ووفاته على غير الإسلام تخريجًا ونقداً -بقي منهما منشوران لتتم العشرة- في صفحته على موقع الفيسبوك، وقد قال أحد الإخوة المتابعين أنه سيجمع الكلام في رسالة مفردة وينشرها فلا أدري هل فعل، نرجوا ذلك، فليراجع.

فقد أخرج البُخاريُّ (5101) وعبدُ الرّزّاق في المُصنّف (7: 477) و(9: 62) من حديث عُروة بن الزُّبير قال:

(وثُويبَةُ مولاةٌ لأبي لهبٍ، وكان أبو لهبٍ أعتَقها، حين بَشّرَتْه بولادة ا لرّسول مُحمّدٍ صلّى اللهُ عليه وآله وسلّم، ثُمّ أرضعت الرّسول وعمّهُ حمزة).

قال عُروة: فلمّا مات أبو لهبٍ، أُرِيَه بعضُ أهله بشرّ حِيبَة (حال) فقال لهُ: ماذا لقيتَ يا أبا لهبٍ؟

قال أبو لهبٍ: لم ألق بعدكم (يعني خيرًا) غير أنّي سُقيت في هذه (وأشار إلى النُقرة الّتي بين الإبهام والسّبّابة، كنايةً عن قلّة الماء الّذي سُقِيَه) بعتاقتي ثُويبة.

قال ابنُ حجر:

(لكنّهُ مُخالفٌ لظاهر القُرآن قال الله تعالى في سورة الفرقان:

(يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا (22) وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا (23))

وأُجيب: بأنّ الخبر مُرسلٌ أرسلهُ عُروةُ، ولم يذكر من حدّثَه به.

وعلى تقدير أن يكون موصولًا، فالّذي في الخبر رُؤيا منامٍ، فلا حُجّة فيه.

ولعلّ الّذي رآها لم يكن إذ ذاك أسلم بعدُ. فلا يُحتجُّ به).

وقال القُرطبيُّ: هُو مُخالفٌ لقوله تعالى:

(وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ) (سورةُ فاطر: الآية 36).

قال عداب: فالخبرُ مرسلٌ، والمُرسلُ ضعيفٌ، علاوةً على مُخالفته للقُرآن العظيم، واللهُ تعالى أعلمُ.

وهاهُنا لا بُدّ من توضيح ضروريٍّ، يُفسّرُ كثيرًا من الخلاف:

لقد اهتمّ أهلُ السُّنّة كثيرًا بموت أبي طالبٍ على الشّرك، فقد صحّح عُلماؤُهم في ذلك ستّة أحاديث، منها حديثا العبّاس وأبي سعيد الخُدريّ في الصّحيحين.

وحتّى لا نسترسل كثيرًا في المسألة، ونتعرّض للطّعن والتّشكيك!

فمبنى المسألة على قاعدةٍ أُصوليّةٍ خُلاصتُها:

هل حديثُ الآحاد (غير المُتواتر) يُخصّص عُمومَ النّصّ القُرآنيّ، أو لا!

فذهب عددٌ كبيرٌ من الأُصوليّين إلى أنّ حديث الواحد لا يُخصّصُ ولا يُقيّد عُمومَ القُرآن، ولكنّ خبرَ الواحد الصّحيح يَصلحُ بيانًا وتفسيرًا للقُرآن العظيم.

فقولُه تعالى:

(الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ) يَحتملُ مائةَ جلدةٍ بعصًا غليظةٍ، ويحتملُ مائة جلدةٍ بسوطٍ تضربُ به الفرسُ، ويحتملُ أن يكون بجميع قوّة الجلّاد، ويحتملُ أن يكون بأقلّ قوّته.

فهذا نصٌّ قُرآنيٌّ يحتاجُ إلى بيان تفسيرٍ، ليس موجودًا في آيةٍ أُخرى من كتاب الله عزّ وجلّ.

فإذا جاء خبرُ آحادٍ يُوضّحُ إجمال كيفيّة جلد الزّاني؛ فإنّنا نأخُذُ به؛ لأنّهُ لا يزيدُ على النّصّ (مائة) ولا يُنقصُ منهُ، وإنّما يُفسّرُهُ فقط.

ومثلُهُ قولُهُ تعالى:

(وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا) فيَحتملُ أن يكون قطعُ اليد من الكتف، أو من الكوع، أو من السّاعد، أو من الرُّسغ.

فإذا جاء خبرُ واحدٍ يُبيّنُ هذا الإجمال؛ أخذنا به، للسّبب السّابق نفسه.

أمّا أن يأتي نصٌّ قُرآنيٌّ عامٌّ، يقول:

(وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا) فالكفّارُ في نار جهنّم لا يموتون، ولا يُخفّفُ عنهُم من عذابها.

فإذا جاء خبرُ آحادٍ يستثني بعض أفراد هذا العُموم، مثلَ أبي طالبٍ، فبينما يكونُ مقامُهُ، كما في الحديث نفسه، في الدّرك الأسفلِ منالنّار، فيكونُ في ضحضاحٍ منها فهل نقبلُ هذا الحديث المُستثني بعضَ أفراد العُموم؟

فمذهبُ مدرسة العدل والتّوحيد قاطبةً (المُعتزلة، الزّيديّة، الإماميّة، الإباضيّة) ومعهُم جماهيرُ الحنفيّة، وبعضُ الأُصوليّين من المالكيّة والشّافعيّة، قالوا:

لا يُستثنى من عُموم النّصّ القُرآنيّ أحدٌ؛ لأنّ القُرآن يقينٌ، وحديثُ الآحاد ظنٌّ!

قالوا: فإذا كان التّخفيفُ مُحالًا؛ فمتنُ الحديث مرفوضٌ، ونتّهمُ أضعف رُواته بالوَهَم في حفظه، أو غير ذلك.

وذهب عددٌ كبيرٌ من الأُصوليّين من أهل الحديث إلى أنّ خبر الواحد يُخصّصُ عُموم القُرآن، ومنهُم جُمهور الأشاعرة، وسائر أهل الحديث .

بل ذهب ابنُ تيميّة وابنُ القيّم إلى أنّ خبر الواحد الصّحيح ينسخُ القُرآن العظيم لأنّ النّسخ عند جميع العُلماء هُو (بيانُ) المُراد من النّصّ على الحقيقة، والبيانُ أضرُبٌ عديدةٌ، كما هُو معلومٌ، منها بيانُ التّفسير، ومنها بيانُ التّبديل.

فإذا جاز البيانُ بحديثٍ مُتواترٍ أو مشهورٍ؛ جاز البيانُ بخبر الواحد الصّحيح، ولا فرق، لأنّ زيادة قُوّة المُتواتر والمشهور؛ لا تُلغي صحّة خبر الواحد، ولا تستبعدُ دلالتهُ بمُجرّد الاحتمال.

قال العدابُ غفر اللهُ لهُ:

ومُعظمُ مسائل الاختلاف الأثريّة؛ تنشأُ عن هذه القاعدة، فيجبُ الانتباهُ إلى أنّ الالتقاء بين المدرستين على الأُصول مُحالٌ!

وحتّى يُريحَ أهلُ السُّنّة أنفُسهُم من حكاية خلافات تلك المدرسة؛ قالوا:

هؤُلاء مُبتدعةٌ ضُلّالٌ، لا قيمة في مُوافقتهم، ولا عبرة لخلافهم.

ولهذا لا تكادُ ترى لعُلماء أهل البيت المُتقدّمين والمُتأخّرين (وهُم بالمئات) أيّ اعتمادٍ في كُتبنا، فإذا ذكروا لهُم رأيًا لمُوافقتهم، فليشُدّوا به رأيهُم فقط.

فهُم جماعةٌ ضُلّالٍ مُبتدعةٍ، اخترعوا لأنفسهم مذاهب خالفوا فيها جمهور المُسلمين (يعني: خالفوا أهلَ السُّنّة!).

المُهمّ بخُصوص سقاية أبي لهبٍ هذا القدر اليسير؛ هُو مُعارَضٌ بالآيات القُرآنيّة الّتي تنفي إمكانيّة هذا أصلًا، من مثل قوله تعالى:

(وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ).

إضافةً إلى أنّ الرّواية مُرسلةٌ، والمُرسلُ ضعيفٌ!

وأمّا بخُصوص أبي طالبٍ، فهُناك مسألتان:

المسألةُ الأولى مسألةُ موته على الشّرك، وفيه حديثان صحيحان عند أهل السُّنّة، هُما حديثُ المُسيّب بن حزنٍ، عند البُخاريّ ومُسلمٍ، وقد كان طفلًا في حياة أبي طالبٍ أصلًا، فمن المُحال أن يكون حضر وفاة أبي طالبٍ، فروايتُهُ مُرسلةٌ.

والحديثُ الثّاني: حديثُ أبي هُريرة، وهُو أخذهُ عن صهره سعيد بن المُسيّب، وأرسلهُ كعادته.

ومبنى الخلاف في هذه المسألة على أنّ مُرسل الصّحابيّ يُقبلُ أم لا يُقبلُ؟

هُناك تفصيلٌ طويلٌ عريضٌ، والّذي ذهب إليه ابنُ حزمٍ وابنُ القطّان الفاسيّ أنّ الحديث الّذي يرويه صحابيٌّ، ومثلُهُ لا يُدركُ زمانهُ؛ فلا يُقبلُ حديثهُ قولًا واحدًا، كان في الصّحيحين، أم في غيرهما.

وعدابُ لا يقبلُ مُرسل الصّحابيّ الصّغير، إذا انفرد بحديثه، مُطلقًا، شأنُهُ في ذلك شأنُ مُرسل التّابعيّ، إلّا في ثلاث حالاتٍ:

الأولى أن تدُلّ على معناهُ آيةٌ قُرآنيّةٌ، ولو كانت دلالتُها عامّةً.

والحالُ الثّانيةُ: أن يكون العملُ على معنى ذلك الحديث.

والحالُ الثّالثةُ أن يأتي في معناهُ أكثر من مُرسلٍ صحيحٍ، من دون مُواطأةٍ، ولا يكونُ في لفظه فضائلُ ومناقبُ ومثالبُ، وأهواءٌ سياسيّةٌ.

وهذان الحديثان؛ من هذه البابة!

فالمُسيّب بن حزنٍ مجهولٌ، لم يرو عنهُ سوى ولده سعيد، وليس لهُ سوى حديثين!

وأبو هُريرة أسلم بعد تسع سنواتٍ فقط من وفاة أبي طالبٍ، ولم يكن سعيدُ بنُ المسيّب ممّن يُحبُّ عليًّا، وكذلك أبو هُريرة، فقد كان خطيبَ بني أُميّة وواعظَهُم!

وأمّا المسألةُ الثّانية فهي أحاديثُ التّخفيف عن أبي طالبٍ؛ فقد صَحّح أهلُ السُّنّة حديث العبّاس وابنهُ عبدُ الله، وحديث أبي سعيدٍ الخُدريّ، وحديث أبي هُريرة.

وكلامُنا هُو ذاتُهُ في مسألة مُعارضة خبر الواحد لظاهر القُرآن العظيم.

فأهلُ السُّنّة يُخصّصون، ويُقيّدون القُرآن بخبر الواحد، ويستثنون من دَلالة عُموم النّصّ القُرآني أيضًا.

ومدرسةُ العدل والتّوحيد، ومن وافقهُم؛ يقبلون خبر الواحد بيانًا وتفسيرًا (وليس تقييدًا، أو تخصيصًا).

ويكادُ أهلُ السُّنّة يُجمعون على أنّ أبا طالبٍ ماتَ كافرًا، كما مات عبدُ المُطّلب كافرًا، ومات والدا رسول الله كافرين، ويستدلّون لذلك كُلّه بأدلةٍ آحاديّةٍ ممّا سبق.

وسائرُ من تدورُ عليهم هذه الأحاديث؛ مُتّهمون على عليٍّ وأهل بيته رضي اللهُ عنهُم.

لأنّ آثار النّصب بقيت في الشّام إلى القرن السّادس، وفي العراق حتّى القرن السّابع، كما يقولُ الذّهبيُّ، وهذا يعني أنّ كُلّ أحاديث الفضائل والمذامّ الّتي تأتي عن هؤُلاء؛ يجبُ التّوقُّفُ طويلًا في قَبولها.

ويُجمعُ عُلماءُ مدرسة أهل البيت على أنّ جميع أولئك لم يموتوا مُشركين؛ لأنّهُم لم يكونوا مُشركين أصلًا.

فجدُّهُ وأبواهُ وسائرُ أهل بيته الّذين ماتوا قبل بعثته صلّى اللهُ عليه وآله وسلّم ماتوا على الحنيفيّة ملّة إبراهيم.

وعمُّهُ أبو لهبٍ مات على الشّرك، وهُو في النّار من دون تخفيفٍ عليه من عذابها وهُم يقولون:

أين يذهبُ الرّاغبُ في التّخفيف عن المُشرك عن قوله تعالى:

(فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ).

وعمُّهُ أبو طالبٍ، وعمُّهُ العبّاسُ، وسائرُ بني هاشمٍ بعد البعثة ماتوا مُؤمنين مُسلمين ناصرين لرسول الله صلّى اللهُ عليه وآله وسلّم، وهُم أفضلُ الصّحابة، وأفضلُ الأُمّة على الإطلاق، وأفضلُهُم عليٌّ والحمزةُ وجعفرٌ والعبّاسُ صلواتُ الله وسلامُهُ عليهم أجمعين، ولكُلٍّ وُجهةٌ هُو مولّيها.

والحمدُ لله ربّ العالمين.

كتب إليّ أحدُ أحبابي يقولُ:

(هل هذا الحديثُ صحيحٌ ؟

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي اللهُ عنه، قَالَ:

زَارَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ قَبْرَ أُمِّهِ فَبَكَى وَأَبْكَى مَنْ حَوْلَهُ!

فَقَالَ: اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي فِي أَنْ أَسْتَغْفِرَ لَهَا فَلَمْ يُؤْذَنْ لِي!

وَاسْتَأْذَنْتُهُ فِي أَنْ أَزُورَ قَبْرَهَا، فَأُذِنَ لِي!

فَزُورُوا الْقُبُورَ؛ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُ الْمَوْتَ.

أخرجهُ الطّبرانيُّ بسندٍ حسنٍ.

كيف يسعَدُ في الجنّة؛ مَن هُو رحمةٌ للعالمين، وأُمُّهُ في النّار؟

وهل أهلُ الفترة يُحاسَبون؟) انتهى كلامُهُ.

أقولُ وبالله التّوفيقُ:

مُنذُنصف قرنٍ، ونحنُ نسمعُ بعضَ الدّوائر الإسلاميّة؛ تُردّدُ هذا الحديثَ، والحديث الآخر: (إنّ أبي وأباك في النّار!) أخرجهُ مُسلمٌ.

وهُناك كلامٌ كثيرٌ، منهُم من يُردّدُهُ للدّلالة على أنّ موقفَ الإسلام من الشّرك؛ موقفٌ حدّيٌّ لا هوادة فيه مع أيّ مُشركٍ، سواءٌ كان ذا صلةٍ بالأنبياء، أم كان ذا صلةٍ بالصّحابة، أم كان ذا صلةٍ بآل البيت.

ومنهُم مَن يقفُ عند ظواهر الأحاديث الواردة في بعض الكُتب الصّحاح؛ موقفَ الخاشع الخاضع، وكأنّها (آياتٌ قُرآنيّةٌ).

أمّا نحنُ؛ فلا نُردُّ حديثًا أخرجهُ واحدٌ من أصحاب الصّحاح، إلّا إذا خالف مُخالفةً صريحةً آيةً في كتاب الله تعالى.

أو كان في إسناده علّةٌ قادحةٌ تمنعُ من الحُكم بصحّته، أو كان في حفظ راويه ما يجعلُنا نتوقّفُ في الاحتجاج به.

ويحسُنُ أن نُخرّج الحديثَ المسؤولَ عنهُ، ثُمّ نُعالجُ مسألةَ عرضِه على كتاب الله عزّ وجلّ.

حديثُ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ:

(زَارَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِه وَسَلَّمَ قَبْرَ أُمِّهِ فَبَكَى وَأَبْكَى مَنْ حَوْلَهُ!

فَقَالَ: اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي فِي أَنْ أَسْتَغْفِرَ لَهَا فَلَمْ يُؤْذَنْ لِي!

وَاسْتَأْذَنْتُهُ فِي أَنْ أَزُورَ قَبْرَهَا، فَأُذِنَ لِي!

فَزُورُوا الْقُبُورَ؛ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُ الْمَوْتَ).

أخرجهُ الطّبرانيّ بسندٍ حسنٍ.

هذا الحديثُ؛ ليس عند الطّبرانيّ بسندٍ حسنٍ فحسب!

إنّما أخرجهُ أحمدُ (9688) وابنُ ماجه (1569، 1572) وأبو داوُد (3234) والنّسائيّ.(2034)

وأخرجهُ من أصحاب الصّحاح مُسلمٌ (1621، 1622) وابنُ حبّان (1572) والحاكمُ (1390) وقال: صحيحٌ على شرط مُسلمٍ، ولم يُخرّجاهُ.

جميعُ هؤُلاء وغيرُهُم؛ أخرجوا الحديث من طريق يزيدَ بن كيسانَ اليَشكريّ عن أبي حازمٍ الأشجعيّ، عن أبي هُريرة مرفوعًا.

قال الشّيخُ شُعيبٌ رحمهُ اللهُ تعالى في تخريج سُنن أبي داود:

إسنادُه قويٌّ من أجل يزيد بن كيسان، فهُو صدوقٌ لا بأس به.

وأقول: كأنّ الشّيخ؛ لم يُرد أن ينسب الحديثَ إلى مُسلمٍ، ثُمّ يُضعّفهُ، فقال: إسنادُهُ قويٌّ!

وقد بيّنتُ في غير موضعٍ من كُتُبي أنّ جُملة (إسنادُهُ قويٌّ، جيّدٌ، لا بأس به، حسنٌ في الشّواهد) صيغٌ تدُلُّ على حاجة الحديثِ إلى تقويةٍ وتعضيدٍ، لا أنّهُ بذاته صالحٌ للاحتجاج به!

ويزيدُ بن كيسانَ، قال فيه تلميذُهُ يحيى بنُ سعيدٍ القطّان:

صالحٌ وسطٌ، ليس هُو ممّن يُعتمَد عليه.

وقال أبو حاتم الرّازيّ: صالحُ الحديث، بعضُ ما يأتي به صحيحٌ!

وترجمهُ ابنُ حبّان في الثّقات وقال: يُخطئُ ويُخالفُ.

وقال الحافظُ ابنُ حجرٍ في التّقريب: صدوقٌ يُخطئُ!

اُنظُر ميزانُ الاعتدال.(4: 438)

فُيحملُ توثيقُ أحمد وابن معين لهُ على عدالته الدّينيّة، ومثلُ هذا الرّاوي؛ لا يُحتجُّ بحديثه إذا انفرد على أدنى مسألةٍ فقهيّةٍ فُروعيّةٍ، فضلًا عن الاحتجاج به في مسألة عقديّةٍ، توجبُ النّار لوالدة خير الخلق أجمعين!

وأمّا حديثُ أنس بن مالكٍ مرفوعًا:

(إنّ أبي وأباك في النّار!)

فقد أخرجهُ كثيرون منهُم أحمدُ في مُسنده (12192) وأبو داوُد (4718) والبزّارُ (6806) وقال: هَذَا الْحَدِيثُ لا نَعْلَمُ رَوَاهُ عَنْ ثابتٍ، عَن أَنَسٍ، إلاّ حَمَّادُ بْنُ سَلَمَة.

ومن أصحاب الصّحاح؛ أخرجهُ مُسلمٌ (347) وأبو عوانة (357) وابنُ حبّان (578) وأبو نُعيم في المُستخرج (502) جميعُهُم وغيرُهُم من حديثِ حمّاد بن سلمة عن ثابت بن أسلم البنانيّ، عن أنس بن مالك مرفوعًا!

والحديثُ صحّحهُ الشّيخُ الألبانيُّ، وقال الشّيخُ الأرناؤوط في تخريج سُنن أبي داوُد (4718): رجالُهُ ثقاتٌ، رجالُ الشّيخين غير حمّادِ بن سلمة، فمن رجال مُسلمٍ، وقد تفرّد برواية هذا الحديث بهذا اللّفظ...

وحمّادُ تُكلّم في حفظه، ووقع في أحاديثه مناكير، ذكروا أنّ ربيبهُ ابنَ أبي العَوجاء دسَّها في كُتُبه، فحدّث بها، فوهم فيها، أو أنّهُ تصرّف بالحديثِ، فرواهُ بالمعنى، وأحال بسطَ الكلام على الحديث في مُسند أحمد (12192).

لكنّهُ لم يصنع هُناك شيئًا!

أقولُ: حمّادُ بنُ سلمة من أثبت النّاس في ثابت البنانيّ، هذا مُسلّمٌ!

لكنّ هذا لا ينفي أنّهُ كان في آخر عُمره سيّء الحفظ، حتّى اتّهمهُ تلميذُهُ يحيى القطّان بالكذب، وحاشاه، اُنظُرْ علل أحمد.(4542)

قال الذّهبيُّ في النُّبلاء (7: 446): لَمْ يَنحَطَّ حَدِيْثُه عَنْ رُتْبَةِ الحَسَنِ.

وَمُسْلِمٌ رَوَى لَهُ فِي الأُصُوْلِ عَنْ ثَابِتٍ وَحُمَيْدٍ؛ لِكَوْنِهِ خَبِيْراً بِهِمَا.

خلاصةُ الأمر:

حمّادُ بنُ سلمة إمامٌ كبيرٌ مُتنوّعُ المعارف، ومن أثبت النّاس في ثابت البنانيّ، لكنّهُ تفرّد بهذا الحديث المُخالِف لعددٍ من الآيات القُرآنيّة، فنتوقّفُ في تصحيحه، مهما صحّحهُ من رجالٍ!

ولو نحنُ أخذنا برأي الذّهبيّ في حمّاد: إنّ حديثه حسنٌ؛ فالحديثُ الحسنُ لا يُحتجُّ به في المُعتقدات ولا في الأحكام المُلزمة.

قال ابنُ حجرٍ في النُّكت :(402 :1) : "وقد صرّح أبو الحسن ابن القطّان أحد الحُفّاظ النُّقّاد من أهل المغرب في كتابه بيان الوهم والإيهام بأنّ هذا القسم لا يُحتجُّ به كُلّه، بل يُعملُ به في فضائل الأعمال.

ويُتوقّفُ عن العمل به في الأحكامِ، إلا إذا كثُرت طُرُقُهُ، وعَضدهُ اتّصالُ عَمَلٍ أو مُوافقةُ شاهدٍ صحيحٍ، أو ظاهر القُرآن.

وهذا حسنٌ قويٌّ رائقٌ، ما أظُنُّ مُنصفًا يأباهُ واللهُ المُوفّقُ).

وهذه الاستثناءات الّتي أوردها الحافظُ ابنُ حجرٍ في حديثِ حمّاد هذا؛ ليس موجودًا منها شيءٌ!

قال اللهُ تعالى:

(رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا) (سورةُ النساء/ 165).

(وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى) (سورةُ طه/ 134).

(وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) (سورةُ القصص/ 47).

فظاهرٌ من هذه الآيات الكريمة أنّ حُجّة النّاس على الله تعالى تسقُطُ، متى أرسل إليهم رسولًا يُبلّغُهُم شريعة الله عزّ وجلّ.

(مَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا) (سورةُ الإسراء/ 15).

وقومُ الرّسول صلّى اللهُ عليه وآله وسلّم لم يأتِهم ذاك الرّسولُ مُنذُ إبراهيم وإسماعيل!

وهذا دليلي:

(يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (سورةُ المائدة/ 15).

فإذا جاز لأهل الكتاب، الّذين جاءهُم عيسى عليه السّلام، قبل الرّسول صلّى اللهُ عليه وآله وسلّم بخمس مائة سنةٍ أن يقولوا: (مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ).

فمن حقّ العرب أن يقولوا ذلك، وبينهُم وبين إبراهيم عليه السّلام أضعافُ هذه الفترة من الرُّسُل!

وهذه بعضُ الآيات الصّريحة في ذلك:

(وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) (سورةُ القصص/ 46).

(أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ) (سورةُ السّجدة/ 3).

هذه الآياتُ القُرآنيّةُ الجليلةُ؛ ظاهرةُ الدّلالة على أنّ العربَ داخلون تحت دلالة قوله تعالى: (مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ).

خاتمةُ الكلام:

حديثا أبي هُريرة وأنسٍ رضي اللهُ عنهُما، بذاتها من دون مُخالفة هذا الحشد المُقدّس من الآيات الكريمة؛ لا يصلُحان للاحتجاج بها.

فكيف مع هذه المُخالفات القاسية.

أبوا الرّسول صلّى اللهُ عليه وآله وسلّم مشمولون بدلالة هذه الآيات الكريمة الرّحيمة.

وإنّ القول: (إنّهُما في النّار) لم يأت به آيةٌ كريمةٌ، ولا حديثٌ صحيحٌ!

فلنتأدّب مع رسول الله صلّى اللهُ عليه وآله وسلّم، ولا ننطقُ بما يُؤذيه!

فهُو قد قال : (لا تَسُبُّوا الأَمْوَاتَ فَإِنَّهُمْ قَدْ أَفْضَوْا إِلَى مَا قَدَّمُوا)

أخرجهُ البُخاريُّ.(1393)

فنحنُ نكِلُ أُمورَهُم إلى الله تعالى، ولا نقطعُ لهُم بنارٍ، ونُرجّحُ ترجيحًا أنّهُم من النّاجين عند الله تعالى.

واللهُ تعالى أعلمُ.

والحمدُ لله على كُلّ حالٍ.

صحة حديث: (يا ابن آدم إنك ما دعوتني)؟!

سؤال:

ما صحّة هذا الحديث: (قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: "قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً". أخرجه التّرمذيّ)؟

جواب:

أخرجه التّرمذيّ من حديث أنس بن مالك.

وفيه ضعيفٌ ومجهولٌ!

وحسّنه التّرمذيّ لشاهده من حديث أبي ذرّ.

وحديث أبي ذرّ بلفظ مقارب أخرجه أحمد والدّارميّ وغيرهما.

وفي سند أحمد مجهولٌ وضعيفٌ أيضًا!!

فالحديثان عندي من أحاديث المرجئة لا تصحّ!!![1]

والله تعالى أعلم.

1- قال عالم أهل السنة والجماعة ابو الفتح الشهرستاني الأشعري في كتابه "الملل والنحل":

(الإرجاء على معنيين: أحدهما: بمعنى التأخير كما في قوله تعالى: (قالوا أرجه وأخاه)، أي أمهله وأخره.

والثاني: إعطاء الرجاء.

أما إطلاق اسم المرجئة على الجماعة بالمعنى الأول فصحيح، لأنهم كانوا يؤخرون العمل عن النية والعقد.

وأما بالعنى الثاني فظاهر، فإنهم كانوا يقولون: لا تضر مع الإيمان معصية، كما لا تنفع مع الكفر طاعة).

تصنيف فضيلة الأستاذ الشيخ صالح بن أحمد الشامي الدوميّ حفظه الله تعالى وقوّاه وعافاه.

جُهد مبارك يستحقّ الإشادة!!

(المنشور طويل، لكنْ لا تصلح تجزئته، ورجائي من قرائي الكرام أن يقرؤوه كلّه ثلاث مرات بهدوء، ولو على عدّة أيام؛ لأنهم سينتفعون به كثيرًا، إن شاء الله تعالى).

ليس منشوري هذا ترجمةً للشيخ الجليل، ولا إطراءً له، ولا تعداداً لمآثره، ولا سردًا لمؤلفاته العلمية النافعة الماتعة.

فمن يبتغي شيئًا من هذا؛ فيمكنه البحث عن ترجمته الكريمة على (النت).

تعرّفت إلى عقل الشيخ صالح الشامي وذوقه، قديماً من قراءتي المتعدّدة لكتابه الماتع (الظاهرة الجماليّة في الإسلام) في ثلاثة أجزاء.

ولم أقرأ كتابًا كاملاً للشيخ الجليل غيره.

وقد استعنت به في تدريس مادّة (أدب البيت المسلم) حين كنت مدرّسًا محاضرًا في فرعها بالطائف المأنوس (1407- 1411 هـ).

وفي عام (2007م) وقفت على كتابه الجامع (زوائد السنن الخمسة على الصحيحن) في سبعة مجلّدات ضخمة.

فاقتنيته وطالعته، وتعرّفت إلى منهج الشيخ فيه، ودعوت له يومها بالخير والعافية والتسديد.

ثم اقترحتُ على مؤسسة (اقرأ لعلوم القرآن والسنة) التي كنت أعمل فيها أن نقوم بتخريجه ونقد أحاديثه وتكميله، وتمّت الموافقةُ، وخصصنا مجموعةً من الباحثين للقيام بذلك، مع لجنة علميّة تشرف على العمل، وتراجعه حديثًا حديثًا، بل وكلمة كلمة.

مع المحافظة على ما أودعه الشيخ في الكتاب من فوائد.

لكنّ المشروع لم يتمّ وللأسف؛ لأنّ الفارق كبيرٌ جدّاً بين عالِمٍهمّه خدمة السنّة النبويّة، وباحثين كان همّ بعضهم الراتبَ ليعتاشوا منه.

وكنت أعلم أنّ للشيخ كتابًا جمع فيه أحاديث الصحيحين (الجامع بين الصحيحين) لكنني لم يتيسر لي الاطّلاع عليه، فطلبت من أحد الإخوة الأفاضل أن يستعيره لي؛ لأطّلع على جهود الشيخ فيه، وأفيد منه في تخريجي ونقدي أحاديث الصحيحين، فوعدني بذلك، لكنه لم يأتني به بعد، بل جاءني بهذه الموسوعة المباركة (جامع الأصول التسعة من السنّة المطهّرة) في ثلاثة عشر مجلّدًا.

سعدتُ جدّاً برؤية هذه الموسوعة، من قبل الاطّلاع عليها؛ لما اكتشفته من دقّة فضيلة الشيخ صالح في الترتيب والتبويب والتقريب، حين طالعت كتابه (الزوائد على السنن الخمسة).

وقبل التعريف بهذا الكتاب، وتقويم عمل الشيخ الجليل فيه؛ أحبّ أن أوطّئ بكلمة يسيرة تشمل جهودَ المعاصرين في خدمة السنة النبوية ابتداءً بشيخ مشايخنا العلامة الشريف أحمد بن الصديق الغماري، وإخوانه السادة عبدالله وعبدالعزيز وإبراهيم، ومروراً بالمشايخ الأجلاء: محمد زاهد الكوثريّ، والمعلّمي، وأحمد شاكر، ومحمد ناصر الألباني، وعبدالقادر الأرناؤوط، وشعيب الأرناؤوط، ومحمد عوّامة، وحسين أسد الدارانيّ، وغيرهم، جزاهم الله جزاء المحسنين.

جميع جهودهم نافعة، وهم مصيبون في معظمها، ولدى جميعهم قصورٌ وأخطاء يجب الوقوف عليها، وتنبيه الباحثين إلى مجانبتها الصوابَ.

فنحن حين ننتقد عمل واحدٍ من هؤلاء في جهوده العلمية؛ فنقدنا لا يعني تنقيصه، ولا التنكّر لجهاده وصبره فيما قام به من تحقيقٍ وتأليف ونقد وخدمات جليلة، بل ندعو ونستغفر لهم، كما أمرنا الله تعالى.

وإنما يعني مواصلةَ مسيرةِ الوصول إلى الصواب، وتتابع الجهود العلمية في تكميل أعمال البشر، فجميعنا واقعون تحت مظلّة ﴿وما أُوتيتم من العلمِ إلا قليلًا﴾وجميعنا مشمولون بقوله تعالى معلّماً رسوله الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم أن يدعو ﴿ربّ زدني علمًا﴾.

فجزى الله جميعَ علماء الأمّة خير الجزاء، وتجاوز عن هفواتهم وأخطائهم إنه هو أرحم الراحمين.

(جامع الأصول التسعة) يستدعي أوّلًا أن نذكر الأصول التسعة التي جمع مادتها الحديثية.

(1) موطّأ الإمام مالك بن أنس (ت: 179 هـ) برواية يحيى الليثيّ، في مجلّدين.

(2) مسند الإمام أحمد ابن حنبل (ت: 241 هـ) في خمسين مجلّدًا.

(3) كتاب السنن للإمام عبدالله الدارميّ (ت: 255 هـ) في أربعة مجلّدات.

(4) الجامع الصحيح المسند للإمام محمد بن إسماعيل البخاري (ت: 256هـ) في خمسة مجلّدات.

(5) المسند الصحيح للإمام مسلم بن الحجاج القشيري (ت: 261هـ) في خمسة مجلّدات.

(6) كتاب السنن لابن ماجَهْ محمد بن يزيد القزويني (ت: 273هـ) في خمسة مجلّدات.

(7) كتاب السنن لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستانيّ (ت: 275هـ) في خمسة مجلّدات.

(7) الجامع الكبير المختصر للإمام أبي عيسى الترمذيّ (ت: 279هـ) في ستة مجلدات.

(9) كتاب السنن للإمام أحمد بن شعيب النسائيّ (ت: 301هـ) في سبعة مجلّدات.

هذه الكتب التسعة؛ قد اتّفقت جميعها على تخريج مئات الأحاديث.

ولو أننا عددنا مسند أحمد هو الأصل الجامع لجميع ما في هذه الكتب؛ لأنه أضخمها؛ فإننا نجد الكتب الثمانية هذه قد اتّفقت مع أحمد على تخريج (2236) حديثًا.

ولو نظرنا إلى الكتب الستة؛ لرأيناها اتفقت مع أحمد على تخريج (4243) حديثًا.

ولو نظرنا إلى ما وافق به مسلمٌ شيخه البخاريَّ مثلًا؛ لوجدناه (5587) حديثًا، من مجموع أحاديث صحيح البخاري البالغة (7563) حديثًا.

وهذا يعني أنّ بين هذه المصنّفات الجليلة تداخلاً كبيرًا، ومكرّرات كثيرةً جدًّا، تُهِمّ العالم المحدّث الناقدَ فقط، ولا يفيد منها المفسّر والفقيه والأصوليّ والباحث المثقّف كبيرَ فائدةٍ مضافةٍ على ما في موسوعة الشيخ صالح الشامي (جامع الأصول التسعة) لأنّ هؤلاء جميعًا إنما يعنيهم فقط (متن الحديث) المنسوب إلى الرسول صلى الله عليه وآله وسلّم، ودرجةُ الحديثِ من جهة القَبولِ أو الرفض.

ومن هنا كانت هذه الموسوعةُ وأمثالها زادًا جليلًا لكلّ عالم وباحثٍ ومثقّف ممن لا عناية له بالعلل والنقد.

تحت عنوان (كيف تمّ اختيار هذه الكتب التسعة) أوضح أنه إنما اختارها لاتّفاق أهل العلم على أنها هي المُقدّمَة على غيرها من كتب السنّة، قال حفظه الله: (وهذا ما يفسّر لنا اختيار هذه الكتب نفسها، دون إضافةٍ أو نقصٍ، من قبل اللجنة التي قامت بإعداد (المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبويّ.(

قال عداب: بما أنّ فضيلةَ الشيخ قصدَ تقريبَ السنّة، وبيانَ حكم كلّ حديثٍ منها؛ معتمدًا على العلماء المحققين والمخرّجين؛ فكان جمع الكتبِ التي حكم مصنّفوها على أحاديثها بالصحّة أولى، وهي صحاح (البخاري، ومسلم، وابن خزيمة، وابن حبّان، وابن الجارود، والحاكم).

فما دام فضيلةُ الشيخ صالحٍ يقبلُ بأحكام المشايخ: الألباني وعبدالقادر الأرناؤوط، وشعيب الأرناؤوط، وحسين أسد، وضربائهم؛ فأحكام هؤلاء الأئمة على أحاديثهم بالصحّة أولى.

وكان يسعه في الأحاديث المضعّفة من هذه الكتب أن يُردفها بأحكام هؤلاء المشايخ للموازنة فقط .

لأنّ المستفيدين من موسوعته هذه؛ هم الطبقةُ التي لا تحسن نقدَ الحديث ولا تخليص تراجم الرواة المختلف فيهم بين علماء الجرح والتعديل.

فحديثٌ يحكم عليه ابن حبّان بالصحّة؛ أحبّ إليّ من أحكام جميع المعاصرين من دون استثناء.

وتحت عنوان (كيف تمّ جمع هذا الكتاب) ذكر فضيلته ثلاثة أسباب:

-ضخامة حجم كتب السنة، فهي تقرب من (100) مجلّد.

-تكرار الأحاديث المشتركة في هذه الكتب.

-طول الأسانيد وكثرتها.

وعوضًا عن هذه الأسانيد التي تتجاوز (100) ألف إسنادٍ في هذه الكتبِ، وهي إنما وُجدت للاستعانة بها على تقويم الحديثِ ونقده؛ فقد عوّض الشيخ عنها ببيان درجة كلّ حديثٍ في موسوعته.

وتحت عنوان (بيان ترتيب بحوث الكتاب) أوضح فضيلته أنه رتّبها عشرة مقاصد (العقيدة، العلم ومصادره، العبادات، أحكام الأسرة، الحاجات الضرورية) من طعام وشراب وملبس ومسكن، ونحو ذلك (المعاملات، الإمامة وشوون الحكم، الرقائق والأخلاق، التاريخ والسيرة النبوية، والمقصد العاشر في (الفتن) أعاذنا الله والمسلمين منها.

أما منهجه في بيان درجة كلّ حديث؛ فذكر فضيلته:

أنّ أحاديث الصحيحين لا يحكم عليها لاتفاق العلماء على أنها كلّها صحيحة، كما قال.

وأما زوائد أحاديث الموطّأ؛ فقد استند في بيان درجة كل حديث فيه على أحكام الشيخ عبدالقادر الأرناؤوط رحمه الله تعالى.

وأما زوائد أحاديث سنن الدارميّ؛ فقد استند في بيان درجة كل حديث فيه على أحكام الشيخ حسين أسدا الدارانيّ، حفظه الله تعالى.

وأما أحاديث السنن الأربعة (د، ق، ت، س) فقد استند في بيان درجة كل حديث فيها على أحكام الشيخ ناصر الألباني رحمه الله تعالى.

وهذا يعني أنّ فضيلة الشيخ صالحٍ؛ لم يقم هو بنقد هذه الأحاديث، ولا ترجمة رواة مداراتها فما علا.

وهذا يعني أنه لا يتوجّه إليه نقدٌ في هذه الأحكام؛ لأنه مجرّد ناقل، إنما يتوجّه النقد إلى المشايخ الذين حكموا.

وهذا يعني أيضًا أنّ الشيخ صالحًا؛ لم يمارس النقدَ في كتبه الحديثيّة، وإنما هو جامع، ومنظّم، مرتّب، وفي هذا خيرٌ عميم.

وقد كان المجلّدُ الرابعَ عشَرَ للفهارس المقرّبة، وهي فهارس جميلةٌ ماتعةٌ عظيمة الفائدة، وقد كانت ثلاثة فهارس:

الأول: فهرس حرفيّ للموضوعات، فإذا أردت البحث عن حديث في باب الحسد مثلًا؛ فإنك تجده في حرف (الحاء) من هذا الفهرس، وإذا أردت البحث عن حديث في الرهن؛ فإنك تجده في حرف (الراء) وهكذا.

وهو فهرس ضروريّ لتعدّد أطراف الحديث أحيانًا.

الثاني: فهرس أطراف الحديث، وهذا يفيد مَن يحفظ طرف الحديث الذي يريد تخريجه وعزوه، ومعرفة حكم المشايخ عليه، فحديث (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر؛ فليكرم ضيفه) يجده في حرف (الميم) من ترتيب هذا الفهرس.

الثالث: فهرس الموضوعات، ولا تخفى فائدته الموضوعية على أحد.

التقويم العلميّ لهذا الجهد المبارك:

أوّلاً: قدّمتُ أن فضيلةَ الشيخ صالحٍ لم يعانِ النقد الحديثيّ الذاتيّ في هذا الكتاب، إنما اعتمد على جهود المشايخ المشتغلين بالنقد، وهذا فضلٌ منه، إذ لم يدّع المعرفةَ النقديّة، كما يدعي كثيرون غيره.

ثانيًا: إنّ نقلَ أحكام الشيخ الألباني على السنن الأربعة، وأحكام الشيخ شعيبٍ على زوائد المسند عليها، ونقل أحكام الشيخ عبدالقادر على زوائد الموطأ، ونقل أحكام الشيخ حسين أسد على زوائد سنن الدارميّ؛ فيه قصور علميّ؛ لأنّ هؤلاء الشيوخ ليسوا في درجةٍ واحدةٍ من النقد الحديثيّ ولأنّ أحكامهم متعارضة متضاربةٌ في كثيرٍ من الأحيان، وتوضيح ذلك بمثالٍ أفضل:

خرّج الشيخ الألباني كتاب (السنن) لأبي داود، وخرّج الشيخ حسين أسد كتاب (السنن) للدارميّ، وقد اتّفق أبو داود مع شيخه الدارميّ على تخريج (1166) حديثًا، فهل تتطابق أحكام الألباني مع أسد على هذه الأحاديث؟

كلاّ بالتأكيد، وقل مثلَ ذلك عن بقية كتب السنّة.

ثالثًا: كان من الميسور جّداً لو قام فضيلةُ الشيخ صالحٍ، أو كلّف أحد طلبة العلم بتحديد مداراتِ الأحاديث؛ ليفيد أمثالي من مجموعه الجليل هذا.

وتوضيح ذلك بمثال أولى.

لو أخذنا الحديث رقم (90) في مسند أحمد (حسب موسوعة الكتب التسعة) لرأينا أنّ التسعة متفقون على تخريجه!

وبنظرة سريعة في أيقونة (سند) في الموسوعة الإلكترونية؛ يتبيّن أنّ مدار الحديث على الصحابيّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

فمثلي حين يقرأ أنّ مدار الحديث على عمر بن الخطاب؛ لا ينظر في أسانيد هذهالطرق كلّها، إنما ينظر في متن الحديث، ثم يحكم عليه، أو يستدلّ به وهو مطمئن!

لكن إذا كان الحديث من أفراد أحمد مثلاً، ومداره متأخّر عن طبقة الصحابة وفضيلة الشيخ إنما ذكر لي الصحابيّ فقط، فما الذي أفدته من مجموعه الجليل هذا؟

مثال ذلك:

في الحديث (503) من موسوعة الشيخ صالح، جاء ما نصّه:

(503) (حم) عن حذيفة قال: (سيّد ولد آدم يوم القيامة محمّد صلى الله عليه وآله وسلّم) [حم: 23295، 23298] صحيح لغيره.

قال عداب: في هذا التخريج قصورٌ من جهاتٍ شتّى:

الجهة الأولى: أنّه وضع الحديث في باب الشفاعة (1: 503) بينما أشار في الفهرس أنّ شواهده التي صحّحه بها؛ في (1: 474) ، 481).

وحقّ أثر حذيفة الموقوف أن يكون ثمّة؛ ليتبين للقارئ سبب تصحيح الشيخ لحديث الباب، ولأنّ دخوله ضمن أحاديث الشفاعة؛ ليس فيه فائدة إضافيّة تفيد أحاديث الشفاعة قوّة.

الجهة الثانية: قال: (عن حذيفة) ولم ينسبه، أهو ابن اليمان العبسيّ، أم حذيفة بن أَسيد الغِفاريّ، أم هو حذيفة الثقفيّ، رضي الله عنهم، وهو لم يبرز مصطلحه في مقدمة الكتاب في أمثال هذا، كما أنّ جمهورَ القرّاء لا يعرفون أن حذيفة الصحابيّ إذا لم ينسب؛ فهو حذيفة بن اليمان.

فإن قيل: ثلاثتهم صحابة، والصحابةُ كلهم عدول، فلا يضرّ إلى أيّهم نُسب الحديث؟

وهذا غير صحيحٍ، من جهات:

الأولى: نحن لا نسلّم أن المجهول من الصحابة ثقة، فهذا يناقض العقل البشريّ، فأنت تقول: هو مجهول لا أعرفه، ثم تقول: هو ثقة، يعني يجمع بينَ العدالةِ والضبط؟ هذا كلامٌ متهافتٌ لا قيمة له!

والثانية: حذيفة الغفاريّ، روى عنه ثلاثة من الرواة، فلو صحّت الرواية إليه؛ لارتفعت جهالة عينه، وثبتت صحبته، لكنه من عوامّ الصحابة.

أما حذيفة الثقفيّ؛ فلم يرو عنه إلا راوٍ واحدٍ في الكتب التسعة، وليس له إلا هذا الحديث الواحد، ولم يخرّج له من أصحاب الكتب الثمانية شيءٌ، فهو من أفراد أحمد، ومن الوحدان، الذين لو خرّجنا حديثه الفرد الغريب؛ فربما اتّضح أنه ليس بصحابيّ، أو أنه صحابيّ، لكن لا يصحّ له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أيّ حديث!

وعندها نحتاجٍ إلى بحث علميّ آخر لإثبات صحبته!

أمّا حذيفة بن اليمان؛ فهو صحابيّ بيقين، روى عنه في الكتب التسعة (61) راويًا، وهو من علماء الصحابة، ومن المقربين من الرسول صلى الله عليه وسلم، وله في الكتب التسعة (451) روايةً، منها (95) في الصحيحين.

فلا يصحّ أن يقال: هذا صحابيّ، وهذا صحابيّ!

الجهة الثالثة: أنه عزا الحديث إلى موضعين في مسند أحمد (23295، 23298) بينما الحديث مخرّج في مسند أحمد من أربعة طرق (23295، 96، 97، 98) وهذا يوهم أنه لم يروه أحمد إلا في هذين الموضعين، مع احتمالِ وجود رواياتٍ أخرى تفيد في رفع المدار، وتقوية الحديث.

الجهة الرابعة: لو عيّن مدار الحديث؛ لسهُل على الباحث مثلي أن ينظر في ترجمة المدار، فما علا، ولكان أمثالي يركنون إلى معرفته في تعيين المدار، فيسهل عليهم عملهم، بدلاً من الرجوع إلى الأصول التي أراد فضيلته أن يتخفّف القرّاء من أعباء العودة إليها.

ومدارُ حديثِ الباب على أبي إسحاق السبيعيّ، رواه عنه حفيده إسرائيل بن يونس، وشريك النخعيّ.

وأبو إسحاق السبيعيّ عالمٌ جليل، لكنه اختلط في آخر عمره، وهو مدلّس، ولم يصرّح في شيء من طرق الحديث بسماعه من عبدالله بن غالب.

وليس له في التسعة عن عبدالله بن غالب سوى هذا الحديث.

ومن المعلوم أنّ المختلط؛ لا يقبل من حديثه ما ينفرد به، أمّا المدلّس فلا يقبل منه العنعنة إلا عن شيوخه الذين عرفت ملازمته لهم، وكثرة روايته عنهم، وليس له عن عبدالله بن غالب سوى هذا الحديث الواحد.

وعبدالله بن غالب هذا؛ انفرد عن حذيفة بن اليمان برواية هذا الحديث الفرد المطلق، الذي فات ستّين راوياً، لم يعرفوه عن حذيفة في الكتب التسعة.

وهذا يعني أنّ هذا الحديث (لا يُعرف) من حديث حذيفة!

فإذا توضّح هذا؛ علِمَ أنّ الحديثَ وهمٌ على حذيفة رضي الله عنه، وليس له به علم، وليس هو بصحيحٍ لغيره، وإنما هو حديثٌ ضعيفُ الإسناد، والله تعالى أعلم.

وأخيرًا: هذه كلّها ملا حظاتٌ عامّة، أفرزتها قراءةُ ليلةٍ واحدةٍ في هذا السفر الجليل.

وأنا أندب طلبةَ العلم، والمثقفين، والقرّاء أن تكون هذه الموسوعةُ مع كتاب الله تعالى وواحدٍ من التفاسير المعتمدة الوجيزة زادَهم إلى الله تعالى في ديننا الحنيف، راجياً لهم أن تتوسع مداركهم، ويقتنصوا العلم من أقرب موارده.

كما نسأل الله تعالى أن يجزي عبده الشيخ صالح بن أحمد الشامي جزاء المخلصين الصادقين؛ إنه هو حسبنا ونعم الوكيل.

والحمد لله رب العالمين.

كتابٌ ماتعٌ وجُهدٌ مشكورٌ ؟!

"نَقْدُ نظريّة المدار عند المُستشرق شاخت!" للدُّكتور فهد بن عبد الرّحمن الحموديّ

من المعلوم لدى الدّارسين أن مُصطلح (مدار الحديث) يعني موضع (التّفرُّد) في الإسناد.

وقد يكونُ مدارُ الحديث هُو الرّسول صلّى اللهُ عليه وآله وسلّم، وذلك حين يروي عنهُ متنَ الحديث أو معناهُ؛ صحابيّان يصحُّ الإسنادُ إليهما، أو أكثر.

وقد يكونُ مدارُ الحديث على الصّحابيّ، وهُو كثيرٌ نسبيًّا.

و قد يكونُ مدارُ الحديث على طبقةٍ أدنى، على الطّبقة الثّالثة، أو الرّابعة، أو الخامسة، ورُبّما السّادسة، وهي طبقةُ شُيوخ المُصنّفين.

(نظريّةُ المدار) لا يُمكنُ فهم مناهج المُحدّثين في (نقد الحديث)من دون إتقانها نظريًّا وتطبيقيًّا لأنّ الحديث الّذي تلتقي طُرُقُهُ عند الرّسول صلّى اللهُ عليه وآله وسلّم، أو حتّى عند الصّحابيّ لا يحتاجُ إلى كبيرِ عناءٍ للحُكم عليه بالقبول أو الرّدّ، وكُلّ الّذي يحتاجُهُ نظرةٌ في متنه، ثُمّ يحكُمُ عليه بالقبول غالبًا.

وكذلك حين يكونُ المدارُ على عالِمٍ من طبقة التّابعين، مثل سعيد بن المُسيّب، أو علّي بن الحُسين (زين العابدين) أو مُحمّد ابن شهابٍ الزُّهريّ مثلًا.

فأنت لا تتردّدُ كثيرًا في الحُكم على الحديثِ بالقبول، إذا كان مدارُهُ على عالِمٍ، وكان مَن فوقهُ عالمًا أيضًا.

هذه النّظريّةُ المحوريّةُ في نقد الحديث عند أهله؛ وقفَ عندها المُستشرقُ (شاخت) وعدّها المطعنَ الأكبر في الحديث النّبويّ كُلّه.

فهُو يرى أنّ الرّاوي (مدار الحديث) هُو الّذي وضع هذا الحديث واخترعهُ، باستثناء الصّحابيّ أو الرّسول صلّى اللهُ عليه وآله وسلّم، فهُو يقبلُ حديثهُ بقُيودٍ مُعيّنةٍ، زعم أنّهُ اكتشفها من دراسته الاستقرائيّة أو شبه الاستقرائيّة لمُصنّفات الحديث.

فما نُعدُّهُ نحنُ مزيّةً عاليةً في منهج المُحدّثين؛ يعُدُّهُ (شاخت) أكبر مطعنٍ في روايات الحديث النّبويّ الشّريف.

فقام الدُّكتور فهد الحموديّ بكتابة أُطروحته للحُصول على درجة الدُّكتوراه (نقد نظريّة المدار عند شاخت) وفنّد هذه النّظريّة المقلوبة لدى (شاخت) في خمسة فُصولٍ:

الفصلُ الأوّلُ: ظُهورُ (نظريّة المدار) وتطوُّرها.

الفصلُ الثّاني: الاختلافُ حول تفسير (نظريّة المدار) عند شاخت.

الفصلُ الثّالثُ: نقدُ أدلّة (نظريّة المدار) في مفهوم شاخت.

الفصلُ الرّابعُ: فهمُ المُحَدّثين المُسلمين لـ(نظريّة المدار) وقُصور شاخت عن إدراك مناهجهم.

الفصلُ الخامسُ: لوازمُ بُطلان (نظريّة المدار).

جاء هذا الكتابُ في (190) صفحةٍ مُركّزةٍ رائقةٍ، أتت على نظريّة (شاخت) بالبُطلان، بأدلّةٍ علميّةٍ ظاهرةٍ.

جزى اللهُ الدُّكتور فهد الحموديّ على هذا البحث الماتع جزاء المُحسنين، وزادهُ علمًا وفضلًا.

وأُهيب بإخواني الباحثين أن يقرؤوا هذا الكتاب النّافع قراءة تدبُّرٍ وإفادةٍ، فهُو جديرٌ بالقراءة والتدبُّر والإفادة، وحبّذا لو كانت قراءتُهُ تمهيدًا لقراءة كتاب الأخ الدُّكتور الشّريف (الخطيب).

والحمدُ لله ربّ العالمين.

الأملُ العلميّ الّذي ضاع !!؟؟

مُسوّدةُ مشروع خدمة السُّنّة النّبويّة!

في عام (1997م) استدعاني رئيسُ جامعة صدّام للعُلوم الإسلاميّة، الأستاذ الدُّكتور مُحمّد مجيد السّعيد التّكريتيّ، رحمهُ اللهُ تعالى.

وحين حضرتُ إلى مكتبه في الجامعة؛ قال:

أرسلتُ إليك أستشيرُك في مشروعٍ نقدّمُهُ للسّيّد الرّئيس باسم الجامعة، كمُنجزٍ بعد مُرور سنواتٍ على فكرة إنشاء الجامعة!

قُلتُ لهُ: فكّر في ماذا؟

قال: أُفكّرُ في إنجازمخطوطٍ نُحقّقُهُ سريعًا، أو في بحثٍ علميّ مُتميّزٍ، أو في فكرة مشروعٍ علميّ عامٍّ.

وإذا كان لديك كتابٌ لم يُنشَر، ولم يُعلنْ عن اسمه؛ فُيمكنُنا أن نُقدمّه مُنجزًا باسم الجامعة؛ لأنّهُ لا يليقُ بجامعةٍ مثل جامعتنا أن تمُرّ سُنونٌ، من دون إنجازٍ.

قلتُ لهُ: كم معنا من وقتٍ؟

قال: معنا أربعةُ أشهرٍ!

فعرضتُ عليه المشروعات الآتية:

(1) مُسندُ الإمام أبي حنيفة رحمهُ اللهُ تعالى، برواية أبي نُعيم الأصبهانيّ؛ تحقيقٌ ودراسةٌ.

(2) مناهجُ المُصنّفين في الحديث النّبويّ (تأليفٌ).

(3) مشروعُ إعادة صياغة العقل المُسلم.

فضحك وقال: اشرح لي المقصود من العُنوان الثّالث:

قُلتُ ما معناهُ: العقلُ المُسلمُ أسيرُ مرجعيّاتٍ، ومُصطلحاتٍ، ومصادرَ، وتاريخٍ، فلا بُدّ من تحريره من ضُغوط هذه القُيود كُلّها، حتّى ينطلق بعيدًا عن الأُطُر الطّائفيّة المقيتة!

قال: لم أفهم شيئًا!

قُلتُ: عدالةُ الصّحابة مرجعيّةٌ مُقدّسةٌ عندنا أهل السُّنّة، وعصمةُ الأئمّة مرجعيّةٌ مُقدّسةٌ عند الشّيعة.

ومع أنّ المعنى فيهما مُتقاربٌ ، إلّا أنّ جميعَ ما يصدُرُ عن الصّحابيّ، وعن المعصوم مُقدسٌ، فما جاء عن الصّحابيّ وعن المعصوم مقبولٌ من دون نظرٍ في الصّدار.

فلا بدّ من كسر حاجز (عدالة الصّحابة) حتّى يستطيع المُسلم أن يقرأ تاريخ تلك الحقبة بحُرّيةٍ عقليّةٍ تامّةٍ.

ولا بدّمن كسر حاجز (عصمة الأئمّة) لُيحاكَم أقوال أولئك الأئمّة إلى الحقّ، لا أن نُجعل أقوالُهُم وأفعالُهُم هي الحقُّ عينُهُ.

وقُل مثل ذلك في مرجعيّة (الإجماع)، ومرجعيّة (المذهب) وغير ذلك!

قال: والمُصطلحاتُ؟

قُلتُ: السُّنّيُّ من يُقدّمُ الخُلفاء الثّلاثة على عليٍّ،

والشّيعيُّ من يُقدّمُ عليًّا على عُثمان، فإذا قدّم عليًّا على أبي بكرٍ وعُمر؛ فهُو رافضيٌّ والرّافضيُّ ليس أقلّ كراهيةً وقُبحًا عندنا من اليهوديّ!

قال: شنو هاي، هُو هذا دين؟ ليش ديننا هُو أشخاص، أم هُو كتابُ الله والسُّنّة؟

تابع: والمصادرُ؟

قُلتُ: أجمعت الأُمّة على صحّة الصّحيحين، وما فيهما مقطوعٌ بصحّته عن رسول الله صلّى اللهُ عليه وآله وسلّم، ومن يطعنُ بحديثٍ واحدٍ ممّا في الصّحيحين؛ فهُو مُخالفٌ للإجماع، وهُو زنديقٌ ضالٌّ إلى آخره.

وكتاب (الكافي) للكُليني أصحُّ كتابٍ بعد القُرآن العظيم، وقد قبله الأخباريّون الشّيعة واعتمدوا جميع ما فيه من الرّوايات الباطلة، الّتي ملأت قُلوبهُم حقدًا وضغينةً على إخوانهم أهل السُّنّة... وهكذا.

قال: والتّاريخُ؟

قُلتُ: التّاريخُ الإسلاميُّ ثلاثةُ أقسامٍ:

القسمُ الأوّلُ: هُو الرّواياتُ الموجودة في كتب الحديث، الصّحيحة وغيرها، وما فيها هو أصحُّ التّاريخ، ومع هذا تخضعُ أسانيدُهُ للدّرس.

والقسمُ الثّاني: هُو الرّواياتُ الّتي يذكرُها أئمّةالجرح والتّعديل في كتُبهم، في ترجمة الرُّواة فهذه أيضًا من أصحّ التّاريخ؛ لأنّ ناقليها أئمّة، ومع هذا تخضعُ أسانيدُها للدّرس.

والقسمُ الثّالثُ: الكتُبُ المُتخصّصةُ في التّاريخ والمغازي، من مثل (مغازي عُروة) و(مغازي الزُّهريّ) و (مغازي مُحمّد بن إسحاق) و(مغازي الواقديّ) و(الفُتوح لابن أعثم) و(تاريخ الطّبريّ) وهذه كلُّها قال عنها الإمامُ أحمد: ليس لها أسانيدٌ.

فمع أنّها أضعفُ الأقسام الثّلاثة؛ إلا أنّ مادّتها هي السّائدةُ بين المُسلمين.

ويحتجُّ بمضمونها أهلُ السُّنّة حين تكون المسألةُ في صالحهم، فإذا كانت في صالح الشّيعة؛ قالوا: راويها شيعيٌّ زنديقٌ، وكذلك الشّيعةُ يفعلون.

قال: وما الّذي نُقدّمُهُ للسّيّد الرّئيس إزاء كلّ هذه البلايا؟

قُلتُ: نُقدّمُ لهُ مشروعًا بعُنوان: (إعادة صياغة العقل المُسلم في المرجعيّات الحاكمة، والمُصطلحات القلقة، والمصادر المُقدّسة، والتّاريخ المكذوب!).

قال: وكم تحتاجُ كتابةُ خُطّةٍ تفصيليّةٍ لهذا المشروع منك؟

قُلتُ: هي مكتوبةٌ، وما عليك إلا أن تقرأها، ونُعدّلُ ما تراهُ مُناسبًا، ثُمّ نرفعُها للسّيّد الرّئيس.

قال: إذًا نسهرُ عليها اللّيلة معًا، وتُشرّفُنا في البيت بعد صلاة العشاء.

سهرنا على خُطّة المشروع خمس ساعاتٍ حتى أنجزنا قراءة المكتوب!

وعقب الانتهاء؛ قال: والله ما تعلّمتُهُ في مُناقشة هذه الخُطّة؛ يُساوي عُمرًا بأكمله!

لكن يا شيخ عداب: هذا مشروعٌ يحتاجُ إلى أعمارٍ، وليس إلى عُمرك وعُمري!

قُلتُ: نحنُ في جامعةٍ، وفيها دراساتٌ عُليا، فنستطيعُ أن نُوظّف جميع جُهود الدّراسات العُليا وبُحوث التّخرُّج في خدمة هذا المشروع.

ونستطيعُ أن نختار في كُلّ عامٍ عددًا من النّابهين، ونُوظّفهُم في مركز البحث العلميّ ونُجري لهُم دوراتٍ تكميليّة، ويبدؤون العمل معنا وَفقَ ما نُريدُ منهُم، وسيستجيبون!

قال: والله صدقت! فالدّراساتُ العربيّةُ في قسم اللّغة العربيّة، والدّراساتُ الأُصوليّةُ والفقهيّةُ في قسم الفقه والأُصول، والدّراساتُ الحديثيّةُ والتّاريخيّة في قسم أُصول الدّين.

لكن ألا ترى لو أنّنا اقتصرنا الآن على مشروعٍ واحدٍ، وهُو (موسوعةُ صدّام للحديث الشّريف) مثلًا؛ يكون أفضل؟

ونقومُ نحنُ بطرح موضوعاتٍ في الجوانب الأُخرى، من دون إعلانٍ، حتّى إذا جاءت مُناسبةُ أُخرى، بعد خمس سنواتٍ مثلًا، فنطرحُ القسم الفقهيّ والأُصوليّ؟

على الأقلّ نكونُ قد قدّمنا في هذه السّنوات الخمس شيئًا ذا قيمةٍ!

قُلتُ لهُ: توكّل على الله، وأنا سأُفصّلُ في خُطّة (الموسوعة) أكثر!

حين جئتُهُ بالخُطّة كاملةً؛ قُلتُ لهُ: لو رفعت هذه الخُطّة باسمي، وكتبت تحت إشراف الجامعة؛ يكونُ أفضل!

قال: لماذا؟

قُلتُ: أنا الآن مُستقيلٌ، وكلامي من خارجَ الجامعةِ، فلو رفعتها باسم الجامعة؛ فقد يقولُ بعضُ مُستشاري السّيّد الرّئيس: جامعةُ صدّام، ليس فيها عالمٌ حديثيٌّ على مُستوى المطروح!

فإذا صُرفت خطّةُ المشروع إلى أيّ جهةٍ كانت؛ فقد خسرنا المشروع؛ لأنّهُ ليس في العراق كُلّه أحدٌ مُؤهّلًا لمشروعٍ كهذا!

قال: أنت حكمتَ على كلامك، فإذا كُنتَ أنت خارجَ الجامعة، وأنت مُجرّد مُتعاونٍ مع مركز البحث العلميّ؛ فكيف أستطيعُ أن أرفع الموضوع باسمك؟

قُلتُ: كلامي مُجرّدُ حدْسٍ نفسيّ، واللهُ أعلمُ بمآل الأُمور.

رفع رئيسُ الجامعة (خطاب المشروع) في موعده للسّيّد الرّئيس، وغاب الموضوعُ عن تفكيري، وانشغلتُ بإنجاز (أطروحتي) الثّانية للدُّكتوراه.

بعد مُناقشة أُطروحتي؛ طلبتُ إعادة تعييني في الجامعة؛ فقال لي رئيسُ الجامعة:

غفر اللهُ لك يا شيخ عداب، قُلتُ لك وتوسّلتُ إليك: لا تتقدّمُ باستقالتك، فأصررتَ!

ومن كان تعيينُهُ من السّيّد الرّئيس نفسه؛ لا يجوزُ أن يُقدّم استقالتهُ، ولا يستطيعُ بشرٌ أن يُقيله سوى السّيّد الرّئيس، فقد قضيتَ على مُستقبلك العلميّ في العراق تمامًا!

المُهُمّ لم يُراجعني رئيسُ الجامعة بخُصوص المشروع، ولا أنا سألْتُهُ.

وفي إحدى اللّيالي المُباركة؛ اتّصل بي أخي الفاضل وزميلي الكريم الدُّكتور مُحمّد بشّار الفيضيّ الموصليّ، وطلب أن يزورني في تلك اللّيلة.

وحين حضر إليّ؛ قال:

هُناك مشروعٌ عظيمٌ، لخدمة السُّنّة؛ طُلِب منّي العملُ فيه فاعتذرتُ؛ لأنّ المشروعَ أكبر من إمكاناتي، وعرضتُ اسمك، فقبل بك صاحبُ المشروع وكلّفني بمُشاورتك، إن كنت ترغبُ بالعمل معه؟

قُلتُ لهُ: ومن صاحبُ المشروع هذا؟

قال: فلانٌ!

قُلتُ: وما علاقتُهُ بمشروعٍ كهذا؟ إذا كنت أنتَ حاملَ الدُّكتوراه في علم الحديث؛ تراهُ أضخم من إمكاناتك؟

قال: والله لا أدري، لكن هي رغبةُ السّيّد الرّئيس، كلّفهُ بهذا الأمر!

فضحكتُ، وقُلتُ:

هذا مشروعي، رفعناه للسّيّد الرّئيس باسم جامعة صدّام، والرّئيس استشارهُ، فخطف المشروع، لا لقُدرته على القيام بالمشروع، وإنّما لقُدرته على التهامِ عوائد المشروع!

واستأذنتُهُ، وأحضرتُ لهُ صورةَ المشروع المرفوع من جامعة صدّام، فقال: اللهُ أكبرُ!

صدقت والله يا أخي... لقد قبض على هذا المشروع دُفعةً أولى (300) مليون دينار.

قال: ما علينا يا شيخ عداب! هل ترغبُ أن تعملَ معهُ في هذا المشروع؟

قُلتُ: أعملُ معهُ، أو مع غيره، وهذا المشروع يحتاجُ أن يستمّر الإنسانُ فيه من بدايته حتّى نهايته؛ لأنّهُ ليس عملًا (روتينيًّا) إنّما معارفُهُ ومُكتشفاتُهُ تراكميّة.

ولهذا، فأنا أعملُ معهُ بشرطين اثنين: الأوّلُ: أن يُكتبَ على النّاتج العلميّ: المسؤول العلميّ: عداب الحمش.

والثّاني: راتبُ (2000) دولار أعيشُ منهُ أنا وأُسرتي!

قال: الشّرطُ الثّاني: تحت الإمكان، أمّا الشّرطُ الأوّلُ، فإذا كتب أنّك المسؤول العلميّ فماذا يصفُ نفسهُ؟

قُلتُ لهُ: يكتبُ: مُديرُ الإدارة، المُديرُ العامُّ لمُؤسّسة الموسوعة...

لكن هُو لن يكون لهُ أيّ جُهدٍ، بل هُو غيرُ قابلٍ أصلًا لأن يتعلّم علمنا هذا، فكيف يستجيزُ لنفسه أصلًا أن يكون هُو المسؤولُ العلميُّ.

قال: الله يهديك يا شيخ عداب... هُو جماعتنا يُفكّرون بما يجوزُ وما لا يجوزُ؟

هُو لو يُفكّر بهذا؛ ما قبلَ بالمشروع أصلًا؛ لأنّهُ بالتّأكيد ليس أهلًا لهُ حالًا ولا مُستقبلًا.

وهكذا ذهب مشروعُنا من بين أيدينا أدراج الرّياح، وراح شبابُ العُمرِ أيضًا، فلو جاءنا اليوم (300) مليون دولار أمريكيّ؛ لما جاز لنا أن نقوم بهذا المشروع؛ لأنّ أحدًا لا يستطيعُ أن يقوم به في حُدود علمي، لا من تلامذتي ولا من غيرهم، وأنا على فراش الموت.

فلا يخدعنّكم أحدٌ عن أنفسكم، فليس في المُعاصرين أحدٌ مُؤهّلًا لمثل هذا المشروع الحُلُم.

وإلى اللّقاء في منشورٍ جديدٍ، فيه بعضُ الأمل، والله المُستعان!

أهل البيت

(أهل البيت)

خَيرُ الكلام ما قلّ ودلّ!

(الصّلواتُ الإبراهيميّةُ) من رواية (أهل البيت)!؟

قال (أبو بكر بن العربيّ) في كتابه الماتع (أحكام القُرآن)[1]:

(مِنْ طَرِيق عَلِيّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-:

"اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْت عَلَى إبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إبْرَاهِيمَ؛ إنَّك حَمِيدٌ مَجِيدٌ.

اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْت عَلَى إبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إبْرَاهِيمَ؛ إنَّك حَمِيدٌ مَجِيدٌ.

اللَّهُمَّ تَرَحَّمْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا تَرَحَّمْت عَلَى إبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إبْرَاهِيمَ؛ إنَّك حَمِيدٌ مَجِيدٌ.

اللَّهُمَّ وَتَحَنَّنْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا تَحَنَّنْت عَلَى إبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إبْرَاهِيمَ؛ إنَّك حَمِيدٌ مَجِيدٌ.

اللَّهُمَّ سَلِّمْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا سَلَّمْت عَلَى إبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إبْرَاهِيمَ؛ إنَّك حَمِيدٌ مَجِيدٌ)[2].

والحمدُ لله ربّ العالمين.

1- هو محمد بن عبد الله بن محمد المَعَافري القاضي الإشبيلي المالكي الحافظ عالم أهل الأندلس ومسندهم - وهو غير محيي الدين صاحب "الفصوص" و"الفتوحات" -، واسع الرواية بارع في الأدب في الشعر والأدب، منزّه تتلمذ على حجة الإسلام أبي حامد الغزالي – رحمه الله تعالى – ليته سلم من النصب، توفى في فاس في ربيع الآخر 534هـ ودفن بها.

2- "أحكام القرآن" (3/ 622)، "مسند الإمام زيد" جمع عبد العزيز بن اسحاق البغدادي ص382-383. "مسلسلات التيمي" وهو علم الحفاظ شيخ السمعاني قوام السنة أبو القاسم إسماعيل بن محمد القرشي الطليحي التيمي الأصبهاني ص5، "معرفة علوم الحديث" للحاكم النيسابوري ص32.

العروة الوثقى ؟!

قال الإمام فخر الدين الرازي رحمه الله تعالى في تفسيره مفاتيح الغيب (1: 182):

(الجهر بالبسملة، كيفية ثبوتية، والإخفاء كيفية عدمية، والرواية المثبتة، أولى من النافية.

وإن الدلائل العقلية موافقة لنا، وعمل علي بن أبي طالب عليه السلام معنا.

ومن اتخذ عليًا إمامًا لدينه، فقد استمسك بالعروة الوثقى، في دينه ونفسه).

ما أعذب هذا الكلام ؟!

اتخذوا عليًا عليه السلام إمامًا لدينكم ودنياكم.

فجميع علماء الصحابة والتابعين، ومن ورائهم سائر علماء الأمة، لا يكونون عليًا آخراً أبداً!؟

وحسبنا الله ونعم الوكيل.

والحمد لله على كل حال.

الإمام علي ابن ابي طالب (عليه السلام) بين الإفراط والتفريط

الموقفُ الشّرعيُّ من (عليّ بن أبي طالبٍ)؟!

سألني عددٌ من الإخوة عن الموقف الذي يجب أن يقفه المُسلمُ من الإمام (عليّ بن أبي طالبٍ) عليه السّلامُ، هل هُو موقفُ (أهل السُّنّة)، أو هُو موقفُ (الشّيعة)، أو موقفُ (الإباضيّة)؟

فقُلتُ لهُ: مواقفُ الجميع من (عليّ بن أبي طالبٍ) خاطئةٌ (وليست خطأً) فقط!

فأهلُ السُّنّة (سوى بعضِ الصّوفية) لا يُحبّون (عليّ بن أبي طالبٍ)، ولا يعتقدون بولايته، ولا بأفضليّته، ولا بأعلميّته، ولا بأحقّيّته بالخلافة![1]

بل يُحبّون (مُعاوية ابن هندٍ)، ويُدافعون عنهُ أكثر بكثيرٍ من (عليّ بن أبي طالبٍ)!

وعندي: كُلُّ من يُدافعُ عن خطايا (مُعاوية) من أهل العلمِ، فضلًا عن (يزيد) القذارة؛ فهُو ناصبيٌّ، وليست الصُّحبةُ عاصمة من الكذب والنّفاق والرّدة والمعاصي، فهذا أيضًا من الكذب الّذي اخترعهُ سلفُنا، وأدخلناهُ في الدّين زورًا وبُهتانًا!

و(الإباضيّةُ) اليوم خيرٌ وأفضلُ من (إباضيّة) الأمس!

وهُم لا يُحبّون (عليّ بن أبي طالبٍ)، اليوم، ولا أمس !

بل يُحبّون جهلة (النّهروان)، والشُّراة، والمُحكّمة الأولى، وسائر أئمّة (الخوارج)!

وأئمّتُهُم كُلُّهُم عندي لا يُساوون ركعتين من صلاةِ (عليٍّ)، غفر اللهُ لهُم بحُسن نواياهم!

1-المقصود ان اغلب اهل السنة لا يحبونه الحب المطلوب، ويحبونه بدرجة أقل، لا أنهم يبغضونه أو لا يحبونه مطلقًا، فحال اغلب اهل السنة وخاصة السادة الصوفية محبة أمير المؤمنين لكن بدرجات متفاوتة منها ما يبلغ المرجو واغلبها لا يبلغ المرجو للأسف، واذهب إلى مقالة الشيخ بعنوان "ويسألونك انصب هو ؟!" في هذا الكتاب ص152 لترى شيخنا الشريف يصرح ببراءة أهل السنة من النصب -أي معاداة أمير المؤمنين الإمام علي وأهل البيت-.

لكنّهم لظُروفٍ كثيرةٍ، لا أظُنُّ تغيُّر الاعتقاد أحدَها؛ يسكتون عمّا جرى بين (الصّحابة)!

يعني هُم لا يُجاهرون بُغضهم (مُعاوية)، و(يزيد)، و(عمرو)، و(مروان) أيضًا، مع أنّهم كانوا يقولون بكفرهم النّاقل عن الملّة سابقًا!

لذلك فإنّ موقف (الإباضيّة) من الإمام (عليٍّ) اليوم؛ هُو موقفٌ مصلحيٌّ سياسيٌّ.

وأمّا (الشّيعةُ الإماميّةُ)، فعُلماؤُهُم يرفعون (عليًّا) فوق منزلته، ويُعطونهُ من الصّفات أعظمَ ما تجودُ به رواياتُهُم الضّعيفة الهزيلة!

ويعتقدون أنّ عدم الإيمان بولايته كفرٌ، وأنّ ولايتَهُ ثابتةٌ في أعناق جميع (الصّحابة) ولعدم امتثالهم لولاية (عليٍّ)؛ فقد ارتدّوا.

ويعتقدون بالنّصّ على إمامة (عليٍّ) بالاسم، وعصمته، ورجعتِهِ في أيام (المهديّ) ليقتصّ من ظالمي (أهل البيت)!

ويعتقدون أنّ اجتهادهُ دينٌ، لا تجوزُ مُخالفتُهُ، ولا يجوزُ الاجتهادُ في مُقابله، تمامًا مثل رسول الله صلّى اللهُ عليه وآله وسلّم، في كُلّ أمرٍ لم يرد فيه نصٌّ في الكتاب أو السُّنّة الّتي لا يعرفُها أحدٌ بتمامها، سوى عليٍّ عندهُم.

أمّا (عليٌّ) عند عامّة (الشّيعة الإماميّة)؛ فهُو (السّوبرمان) الإلهيّ الخياليّ، الّذي يرون المُبالغة في تعظيمه هي زيادةً في الدّين واليقين.

وأئمّةُ (الزّيديّة) أعدلُ الفرق في موقفهم من (عليّ بن أبي طالبٍ) رضي اللهُ عنهُ وعنهُم، فأكثرُهُم لا يقولون بعصمته، ولا يشترطون ذلك لوُجوب ولايته.

ثُمّ إنّ تعريف العصمة عندهُم يختلفُ عن تعريفها عند (الإماميّة) أيضًا!

بل إنّ (الزّيديّة) يقولون بعصمة الأنبياء في التّبليغ وما يتعلّقُ بالرّسالة فقط!

نعم وُجد في (الزّيديّة) مَن يقولُ بعصمة (أهل الكساء) فقط، منهُم الإمام الزّيديّ (شرف الدّين بن بدر الدّين) (ت: 663هـ) وآخرون.

* * * * *

والموقفُ الشّرعيُّ من الإمامِ (عليٍّ) في اجتهادي الشّخصيّ، غير المُلزِم أحدًا غيري:

(عليُّ بن أبي طالبٍ) أفضلُ هذه الأُمّة، وأزهدُ هذه الأُمّة، وأنبلُ هذه الأُمّة، وأعلمُ هذه الأمّة، وأبلغُ هذه الأُمّة، وأشجعُ هذه الأُمّة وأقواها وأنكاها في أعدائها في مرحلتي (حمايةِ الدّعوة) و(بناء الدّولة).

لكنّهُ ليس بمعصومٍ، وقد أخطأ أخطاءً مُتعدّدةً، حتّى في نظر نفسه، ونظر بعض أولاده عليهم السّلامُ.

والخلافةُ بالنّسبة لـ(عليٍّ)؛ ليست من أجل الدُّنيا، فهي عندهُ (أهونُ من عفطة عنزٍ!) .

إنّما هي من أجل إكمال (مسيرة الإسلام) على وفق هدي الرّسول صلّى اللهُ عليه وآله وسلّم، الّذي لا يعلمُهُ أحدٌ كذلك غيرُ عليٍّ!

وبِمُعادلةٍ يسيرةٍ:

الإمامُ (عليٌّ) تربيةُ الرّسول صلواتُ الله وسلامُهُ عليه في بيته قبل النُّبوّة، ولم يُفارقهُ إلى (اليمن) إلّا بعد أن غدا إمامًا مُسدّدًا، رضي رسولُ الله أحكامهُ قبل أن يسمعها!

بينما كان شطرُ حياة (أبي بكرٍ) و(عُمر) و(عُثمان) على الأقلّ بعيدين عن رسول الله صلواتُ الله وسلامُهُ عليه، وليس لديهم من القرائح ما لدى (عليٍّ) جزمًا.

فـ(أبو بكرٍ) كان يعيشُ في (السُّنْح) وهي بعيدةٌ في عُرف ذلك الزّمان، وحديثُ (خوخته) لا يُساوي (خوخةً) واحدةً!

و(عمُرُ) صرّح أنّهُ كان يحضُرُ إلى الرّسول يومًا، ويغيبُ عنهُ يومًا، وكان جارُهُ (الأنصاريُّ) من العوامّ، ولم يكن قطُّ من أهل العلم، ففاتهُ مُباشرالحُضور نصف عُمره في المدينة، وأكثر عُمره في (مكّة)!

أمّا (عُثمانُ)؛ فقد عاشَ كثيرًا من عُمر (الدّعوة الإسلاميّة) مُهاجرًا في الحبشة!

والّذينيّميون (عليًّا) بأنّهُ كان يسعى إلى الخلافة رغبةً في السّيادة والعُلوّ؛ مُتجنّون مُخطؤون، من المُتقدّمين كانوا، أم من المُتأخّرين!

واجتهاداتُهُ العلميّةُ هي أعلى من اجتهادات غيره، بيقينٍ، ولذلك قال عبدُ الله بن عبّاسٍ: (إذا جاءنا الثّبتُ عن (عليٍّ) بقولٍ؛ لن نعدُوَ قولَهُ).[1]

لكنّهُ ليس بمعصومٍ، وليست اجتهاداتُهُ دينًا، مثلها مثل (القُرآن والسُّنّة) كما تقولُ (الشّيعةُ الإماميّة)، فهذا لا دليلَ عليه، سوى العواطف.

ولن يرجع (عليٌّ) إلى الدُّنيا، فهذا القولُ من مُفرزات (الأحقاد التّاريخيّة)، و(أُمنيات المُنهزمين)!

ولو رجع (عليٌّ) إلى الدُّنيا اليوم، وتمكّن من سُفهاء (بني أُميّة) ومُجرميهم؛ فلن يفعل بهم، إلّا كما فعل يوم الجمل!

قال (مروان بن الحكم): ما رأيتُ مُنتصرًا أكرم ولا أنبل من (عليٍّ) فلم يزد حين رآنا أنا و(ابنَ الزُّبير) وآخرين جرحى مُتعبين على أن قال: أطعموا هؤُلاء وآووهُم، وقد علم بموضعنا، ولم يُهجنا.

وبسط إلينا يدهُ فبايعناهُ، ثُمّ لم يمنعنا من الذّهاب حيثُ شئنا، فتركناهُ وسافرنا إلى المدينة! (الكلامُ من الذّاكرة).

(هل فعل هذا مع كبار خُصومه أحدٌ غيرُ (عليٍّ))؟!

ولو تمكّنتُ أنا اليوم من (يزيد) و(مروان) و(بُسر) و(ابن حديج) وضُربائهم، ووُضع النّطعُ، وجيء بالسّيّاف ليقطع رُؤوسَهُم؛ فلن أفعل أكثر من أن أبصق في وُجوههم، وجدّي (عليٌّ) أنبلُ منّي بالتّأكيد!

(عليُّ بن أبي طالبٍ) ربّانيُّ هذه الأُمّة، وهُو (الصّدّيقُ) الأكبرُ، ولا يثبُتُ وصفُ (الصّدّيق) لغيره، فهذا كذبٌ على رسول الله صلّى اللهُ عليه وآله وسلّم.

كما لم يثبُت أنّ رسولَ الله لقّب (عُمر) بالفاروق، ولا لقّب (عُثمان) بذي النّورين.

هذه الشّخصيّاتُ كبيرةٌ حقًّا، وذاتُ أثرٍ كبيرٍ (إيجابيّ وسلبيّ) في ديننا وتاريخنا لكنّها صُنعت وضُخّمت بوضع رواياتٍ هزيلةٍ في فضائلها؛ لتُوازي (عليّ بن أبي طالبٍ)، أو ليحسُن تقديمُها عليه، وبينها وبين (عليٍّ) مفاوزُ في كُلّ اتّجاهٍ.

1- "الإصابة في تمييز الصحابة" للحافظ ابن حجر (4/ 467)، بلفظ: (إذا جاءنا الثبت –عن علي- لم نعدل به) عن سعيد بن جبير.

وأخيرًا:

حُبُّ (عليٍّ) و(فاطمة) و(الحسنين) فرضُ عينٍ على كُلّ مُسلمٍ بنُصوصٍ عديدةٍ صحيحةٍ عن الرّسول صلّى اللهُ عليه وآله وسلّم، وكما يوحيه سُلوكهُ معهُم.

وليس حُبُّ غيرهم من الصّحابة واجبًا على أحدٍ، لأنّهُ لم يثبُت من طرفٍ مُحايدٍ أبدًا أنّ الرّسول دعا أحدًا إلى ذلك، وإنّما نحنُ مُطالبون بالاستغفار لهُم بنصّ (القُرآن).

فرضي اللهُ عن أصحاب رسول الله صلّى اللهُ عليه وآله وسلّم أجمعين، ما عدا حفنةً من المُنافقين الطُّلقاء (نفاقًا عمليًّا على الأقلّ) والمُنافقين الّذين تُوفّي الرّسولُ، وهُم موجودون في (المدينة)، وعددُهُم اثنا عشر مُنافقًا، أو أربعة عشر مُنافقًا، ومَن ارتدّ عن الإسلام حقيقةً!

هذا هُو الموقفُ الشّرعيُّ، الّذي أدينُ الله تعالى به، ولديّ الأدلّة الشّرعيّة الواضحة على كُلّ فقرة منهُ، وهُو موقفُ عُلماء (أهل السُّنّة) قبل أن يتحوّل أتباعهُم إلى (النّصب) الخبيث!

ومن هذا الموقف؛ تعلم أخي القارئ أين يقفُ (الرّافضةُ)، و(الإباضيّةُ)، و(النّواصبُ) الّذين يُسمّون أنفُسهُم اليومَ (أهلَ السُّنّة) زورًا وبُهتانًا، من إمامهم وسيّدهم (عليّ بن أبي طالبٍ) عليه السّلامُ.

اللّهُمّ إنّي أسألك بحُبّي (عليًّا) وإنصافي لهُ؛ أن ترحمنا بواسع رحمتك، وألّا تُعذّبنا في جهنّم، فقد أخبرنا رسولُك أنّك تُحبُّ (عليًّا)، ولم يُخبرنا أبدًا أنّك تُحبُّ أحدًا مُعيّنًا غيرهُ.

اللّهُمّ واجمعنا معهُ ومع أحبابه في ظلّ عرشك يا أرحم الرّاحمين.

اللّهُمّ واجمع أحباب (مُعاوية) و(عمرو) و(يزيد) و(مروان) و(بُسر) و(المُغيرة) معهُم حيثُ جعلتهُم بعدلك.

ولا تجمعني بهم أبدًا ولا تُريني وُجوههُم المُكفهرّة المُغبرّة، حتّى في المنام!

والحمدُ لله ربّ العالمين.

الدرس الثاني: فضائله وخصائصه.

يقول الإمام سلام الله عليه: (الناس: إمّا أخ لك في الدين، أو نظيرٌ لك في الخلق).

ومن الواقع المشاهد أنّ الناس يشتركون في صفاتٍ كثيرة عامّة، ثمّ يتميّز كلّ واحدٍ عن غيره بصفة، أو ا كثر.

من المفترض أن كلّ مسلمٍ يصلّي، لكن عدداً يسيراً من هؤلاء المسلمين يوصف أحدهم بأنه كان طويل القيام، خاشعًا في صلاته، إذا نظرت إليه في المسجد؛ حسبته إحدى إسطواناته؛ لندرة حركاته، وطول قيامه.

وق د أخرج النسائيّ من حديث أبي هريرة عن الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم أنه قال: (سَبَقَ دِرْهَمٌ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ!) قَالُوا: وَكَيْفَ؟

قَالَ الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم: (كَانَ لِرَجُلٍ دِرْهَمَانِ، تَصَدَّقَ بِأَحَدِهِمَا!

وَانْطَلَقَ رَجُلٌ لِعُرْضِ مَالِهِ؛ فَأَخَذَ مِنْهُ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ فَتَصَدَّقَ بِهَا!) أخرجه أحمد والنسائيّ، وإسناده حسن.[1]

وقد كتب الزميل الأستاذ الدكتور نهاد بن عبدالحليم عبيد اللبنانيّ الطرابلسيّ رسالة ضخمة، حصل بها على درجة الدكتوراه في الشريعة الإسلامية، من جامعة أمّ القرى بمكة المكرمة، عام (1407هـ) جاءت في ثلاث مجلّدات، حوت (1156) صفحةً، سوى الفهارس والكشافات، خرّج فيها (751) حديثًا، تخريجًا علميًّا نقديًّا.

والزميل نهاد سلفيّ، لا يُتّهم بمحاباته للشيعة الإماميّة، ولا حتى لأهل البيت!

1- أحمد (8929)، النسائي (2527)، والحافظ ابن حبان –رضي الله عنه– في صحيحه (8/ 135)، والبيهقي في سننه (4/ 305)، وابن حزم في "المحلى" (9/ 139)، قال الحاكم النيسابوري -رضي الله عنه- في "المستدرك" : (هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه) (2/ 43).

وزيادةً في توضيح حاله في الأطروحة؛ أسوق إليك أخي القارئ بعض ما قاله في خاتمتها:

((3) أقترح أن يكسر الجدار بين أهل السنّة وكتب الشيعة؛ لأنّ في هذه الكتب من الأدلّة على ضلال كثيرٍ من الشيعة، وفجورهم في الخصومة، وبعدهم عن الحقّ؛ ما يجعل أهل السنة أعلم بخبايا مذاهبهم ومصنفاتهم...

(4)إنني أدعو علماء الشيعة إلى كتابة أبحاث في نقد الحديث، وبيان دخائل كتب الشيعة، وما فيها من موضوعاتٍ ومنكراتٍ وأباطيل، هم أنفسهم يعتقدون بطلانها وكذبها، ولكنهم لا ينبهون على ذلك، مما يؤثر تأثراً سلبيًا كبيراً على عقول عوامّهم وجهلتهم، وبالتالي يحول بينهم وبين رؤية الحقّ).

وهذا من ألطف كلامه في الأطروحة، تجاه الشيعة!

قائل هذا الكلام؛ هو صاحب هذه الأطروحة الجليلة الماتعة.

قال في خاتمة الأطروحة (3: 1147) ما نصّه: (لعلّ أبرز النتائج التي توصلت إليها في دراستي هذه؛ يمكن تلخيصها بكلمة واحدة، هي أنّ الفرقاء جميعًا لم ينصفوا الإمام عليًّا وأهل بيته إنصافًا حقيقيًّا.

بل كان بعضهم جانحًا في تعظيمه وتعظيم أهل بيته، وعصمتهم والسموّ بهم إلى درجة الملائكة.

وبعضهم حاول أن يردّ غلَوّ هؤلاء، فذهب يقارن بين عليّ وغيره من أكابر الصحابة رضوان الله عليهم، فوقع من حيث لا يدري ولا يقصد في انتقاص عليٍ والتهوين من بعض شأنه؛ قياسًا بأولئك الأفاضل من إخوانه الصحابة.

وراح بعضهم يردّ أحاديث صحيحةً، بأدلّة لا تقوى على الصمود، ولا تصلح عللاً تعلّ بها الأحاديث، فوقعوا في تجريد عليّ من أحاديث، لو أنهم تجرّدوا وأنصفوا؛ لأثبتوها، ولما ضرّ إخوانه الصحابة شيءٌ).

ثمّ قال في:(3: 1154)

(17)لقد صحّ عندي حديث الطير، واستقصيت طرقه ورواياته على ما تقدّم في الأطروحة، وهو من خصائص عليّ.

(18)لقد صحّ عندي حديث (أنا مدينة العلم وعليّ بابها).

(19)لقد تواتر عندي حديث: (من كنت مولاه؛ فعليّ مولاه).

وصحّ عندي أيضًا زيادة: (اللهم وال مَن والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، خلافًا لمن ذهب إلى وضعها أو ضعفها).

(20) لقد تواتر عندي أيضًا حديث إعطاء الراية لعليٍّ يوم خيبر.

(21)وقد تواتر عندي حديث (أنت مني بمنزلة هارون من موسى).

(22)وتواتر عندي حديث (سدّ أبواب المسجد، سوى باب عليّ).

ثم قال: (هذه الأحاديث السابقة بعضُ ما صحّ في فضائل عليّ، مما لم يصححه كثير من علماء أهل السنة كابن حزم وابن تيمية وغيرهما، ناهيك عن الأحاديث الصحيحة الكثيرة الواردة في فضله، والتي بلغت عندي ثمانيةً وخمسين حديثًا غير مكّررة!).

وختم نتائج بحثه بقوله: (هذه الفضائل تنقسم إلى قسمين :

(أ) فضائل مقرونة بغيره من إخوانه الصحابة، أو من أهل بيته، وعددها عشرة أحاديث.

وفضائل مفردة، وعددها ثمانية وأربعون حديثًا.

ثم إن الفضائل المفردة تنقسم إلى قسمين:

(أ) فضائل عامة، وعددها سبعة وثلاثون حديثًا.

(ب) خصائص الإمام، وعددها احد عشر حديثًا).

قال عداب: كان صاحب هذه الأطروحة، يراجعني في أثناء كتابتها، حتى أنجزها وناقشها.

مرادي أنني خبيرٌ بهذه الأطروحة خبرةً تامّة، وخبير بمنهج الرجل خبرة صحيحة.

ومع أنني اليومَ لا أصحح كلّ هذا القدر الكبير (58) حديثًا في فضائل الإمام عليّ عليه السلام وخصائصه، إلا أنّ الناظر في هذا الجهد المبارك؛ لا يسعه إلا الدعاء لصاحبه بالتوفيق والرشاد وشفاعة الإمام علي عليه السلام.

يبقى السؤال الذي لا جواب له عندي: لماذا لم تطبع هذه الأطروحة الماتعة حتى اليوم؟

قال الإمام أحمد وإسحاق ابن راهويه والنسائيّ والذهبيّ وابن حجر وغيرهم ما معناه :

لا يصحّ في فضل واحدٍ من الصحابة ؛ ما صحّ في فضل عليّ عليه السلام.[1]

أقول: وأبرز خصائصه التي تميّز بها دون سائر الخلق أحد عشر حديثًا صححها الزميل الفاضل، أوجزها فيما يأتي:

(1) الحديث المتواتر: (من كنت مولاه؛ فعليّ مولاه) وما دام متواتراً؛ فلعليّ في عنق كلّ مسلمٍ واجب موالاته عليه السلام، وعليّ سيّده بنصّ الحديث المتواتر هذا.

(2)الحديث الصحيح (اللهم والِ من والاه، وعادِ من عاداه) وهذا الحديث يجعل أولياء عليّ في ولاية الله تعالى وكنفه، وهنيئًا لنا بولاية الله وكلاءته.

ويجعل أعداء عليّ أعداءً لله تعالى، فهنيئًا لأنصار أعداء عليّ بولايتهم إياهم، وترضيهم الحرام عليهم.

(3)الحديث المتواتر: (لأعطينّ الراية غداً رجلاً يحبّ اللهورسوله، ويحبّه الله ورسوله) فأعطاها عليًّا.

فمن أحبّ عليًّا ووالاه؛ فقد أحبه اقتداءً بالله تعالى وبرسوله الكريم، صلى الله عليه وآله وسلّم، ومن أبغضه فهو عدوّ لله تعالى، ومن لم يحبّه فقط؛ فهو مخالف منهج الله تعالى في محبة الصالحين.

(4)الحديث المتواتر: (أنت مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبيّ بعدي) ومقتضى هذا الحديث المقطوع بثبوته أنّ عليًّا هو وزير رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم، وهو الذي يدبّر أمور الأمة في حال عدم وجود الرسول صلى الله عليه وآله وسلّم!

قال الله تعالى: (وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ) وهذا ما فهمه عليّ من قول الرسول، مع كامل تقديرنا لفهوم الصحابة!

فتحوير الكلام وتدويره، مهما كان بليغًا فصيحًا؛ يصادم هذه الآية مصادمة صريحة!

1- "الاستيعاب في معرفة الأصحاب" للحافظ ابن عبد البر (3/ 115)، بلفظ: (وقال أحمد بن حنبل وإسماعيل بن إسحاق القاضي: لم يرو في فضائل أحد من الصحابة بالأسانيد الحسان ما روي في فضائل علي بن أبي طالب. وكذلك قال أحمد بن شعيب بن علي النسائي رحمه الله).

(5)الحديث الصحيح (ما تريدون من عليّ؟ إنّ عليّاً مني وأنا منه، وهو وليّ كلّ مؤمن بعدي!).

(6)لحديث الصحيح (من سبّ عليّاً؛ فقد سبّني) فهنيئًا لأولئك السفلة الذين كانوا يلعنونه على المنابر!

(8)الحديث الصحيح (لا يؤدي عني إلا أنا، أو رجل منّي) وفي رواية صحيحة (لا يؤدّي عني إلا أنا، أو رجل من أهل بيتي) وفي رواية صحيحة ثالثة: (لا يبلّغ عني إلا أنا، أوعليّ) ولا ريب أنّ كلّ مؤمن مأمور بتبليغ الدعوة.

لكنّ أمور الأمّة الكبرى، من عهودٍ ومواثيق وإنذارات؛ لا يصلح أن يؤديها حتى أبو بكرٍ الصديق رضي الله عنه، إنما يؤديها عليّ فقط، سيّد الأمّة ووليّها بأمر جبريل، لا بتحيّزٍ من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم.

(9)حديث المباهلة الصحيح.

(10)حديث الكساء المشهور.

(11)والحديث المشهور (لا يحبك إلا مؤمن، ولا يبغضك إلا منافق)!

ومما لا ارتياب فيه عند المغفلين الغوغاء أنّ خصوم عليّ يوم (الجمل) ويوم (صفّين) ومن ظلّوا ينتقصونه (700) عام، إنما كانوا يفعلون ذلك من شدّة حبّهم لعليّ عليه السلام، على مبدأ المثل القائل: (ومن الحبّ ما قتل!)!

هذه معالم بارزة من خصائص عليّ عليه السلام، ليست لغيره من الصحابة.

وبعد: هذا الكلام كلّه سردٌ تا ريخيّ فاضل، مضى وانقضى، أصاب فيه من وفقه الله إلى الخير، وأخطأ فيه من أخطأ بتأويل سائغ عند نفسه!

وضلّ فيه من ضلَّ، ممن ظلّ مقيماً على حرب عليّ وأهل بيته وأصحابه، حتى بعد وفاة عليّ بقرون.

ونحن اليوم لا ينجينا أن نظلّ نتغنى بخصائص عليّ، وإن كنا نسعد أن وفقنا الله إلى ولايته ومحبته ونصرة منهاجه، والاقتداء به، دون سائر من خالفه ويخالفه.

إنّما علينا أن ننظر إلى سلوكه في مواطن الخلاف، فنتتّبع هذا السلوك القويم؛ إذ هو السلوك الوحيد الممكن في توحيد صفوف الأمة بدلا من انحدارها.

ليس في طريق التشتت، فهي مشتتة، وإنما في طريق الاقتتال والدمار، مثلما فعلت الأمم السابقة (ولو شاء الله ما اقتتلوا).

والله تعالى أعلم.

والحمد لله على كل حال.

الآياتُ النّازلةُ في الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السّلام ؟!

عقب نشر مقالي الأخير (وصاية آل البيت على دين الإسلام) كثُرت التّعقيباتُ والاعتراضاتُ، بما ظنّ أصحابُها أنّهُم أصابوا من الفقير عداب مقتلًا!

وكانت تعقيباتهم الشّديدة على قولي:

(ومن المُهمّ أيضًا أن أقول:

ليس في القُرآن العظيم آيةٌ واحدةٌ تدلُّ دلالةً صريحةً على معالم نظام الحُكم في الإسلام، ولا على كيفيّة اختيار الحاكم ولا على صلاحيّاته، ولا على اختصاصه بقبيلةٍ، أو أُسرةٍ.

كما ليس فيه آيةٌ واحدةٌ صريحةُ الدّلالة على أنّ أُسرةً أو عشيرةً أو قبيلةً هي المرجعُ في فهم كتاب الله تعالى، وفي حفظه من التّحريف والتّأويل الفاسد وفي حيازة السُّنّة والسّيرة النّبويّة).

حتّى إنّ أحدَ الأحباب غمز بقناتي، بعدم تخصُّصي في التّفسير وعُلوم القرآن، وبالتّالي، فأنا ليس من حقّي أن أنفيَ وُجود آيةٍ في هذا الاتّجاه، بل في هذين الاتّجاهين:

اتّجاهُ وُجود آيةٍ تدلُّ دلالةً صريحةً على المذكورات.

واتّجاهُ وُجود آيةٍ صريحة الدّلالة على أنّ آل البيت هُم المرجعُ في فهم كتاب الله.

وكان كلامُ بعض الإخوة الأحباب مُنطلقًا من مرجعيّة تقليديّة لديه، وليس ناتجًا عن دراساتٍ موضوعيّةٍ قام بها، أو حتّى قام بها غيرُهُ؛ لأنّ غيرهُ، لو قام بذلك افتراضًا؛ فلن يجد آيةً تنفي قولي قطّ!

أمّا الفقيرُ عداب، فهُو كان يُعلّمُ عُلوم العربيّة، والخطابة والأُصول والمواريث سبع سنوات قبل أن يعرف عن (علم الرواية) شيئًا البتّة.

وحين ينفي وُجود شيءٍ ما في القُرآن العظيم؛ فمُنطلقه في ذلك:

أوّلًا أنّهُ من حفظة كتاب الله عزّ وجلّ، ومن الّذين يقرؤونهُ يوميًّا في الصّلاة وخارج الصّلاة.

ومعنى في الصّلاة؛ أنّهُ لا يقرأُ (قُل يا أيُّها الكافرون) في الرّكعة الأولى، و(قُل هُو اللهُ أحدٌ) في الرّكعة الثّانية، كما يفعلُ مُعظمُ أئمّة الصّلاة عند الشّيعة الإماميّة.

وإنّهُو يقرأُ في الصّلاة ما يقرُبُ من (جُزءٍ) يوميًّا، وأحيانًا أكثر من ذلك.

وهذا يعني أنّهُ يقرأُ القُرآن العظيم في كُلّ شهرٍ، أو في كُلّ (40) يومًا على أقصى تقدير.

ومن يفعلُ هذا، وهُو من حُفّاظ القُرآن العظيم؛ لا يغيبُ عنه مضامينُ الآيات الموضوعيّة أبدًا.

وأمّا ثانيًا: فالفقيرُ حاصلٌ على درجة (البكالوريوس) و(الماجستير) في تخصُّص الكتاب والسُّنّة، وليس في الحديث فحسب.

وهذا يعني أنّ (مناهج المُفسّرين) يدرُسُها في كلتا الشّهادتين دراسةً فاحصةً.

وأمّا ثالثًا: فالتّخصُّص هُو تطبيقُ النّظريّ على العمليّ، والفقيرُ صاحبُ منهجٍ مُنفردٍ في تفسير القُرآن العظيم، سمّاه (التّفسيرُ التّعليميُّ للقُرآن العظيم) وعلّم هذا المنهج لطُلّابه في دار الحديث الخيريّة، ثُمّ في جامعة أُمّ القُرى، ثُمّ في جامعة صدّام، في الأعوام.(1983-1996)

وفسّر على منهجه هذا السُّورَ الآتية:

(آل عمران، الأنعام، الرّعد، مريم، الفُرقان، غافر) وقصار السُّور.

ومَن يُتقنُ تفسير سورةٍ واحدةٍ وَفق هذا المنهج؛ يُتقنُ تفسير القُرآن العظيم كُلّه.

وأمّا رابعًا فالفقيرُ كتب (مناهجُ المُفسّرين في النّسخ) و(القُرآنُ العظيمُ ودعاوى النّسخ فيه) و(منهجُ القُرآن في الذّكر) و(منهجُ القُرآن في حوار الأديان) و(الأحرُفُ السّبعةُ بين القراءات القُرآنيّة ومُصحف عُثمان) وغير ذلك.

فهُو التّخصُّص أيُّها الإخوة الأكارم، إذا لم يكُن هذا تخصُّصًا؟

أمّا أن يفتح اللهُ تعالى على أحدٍ من عباده، ما يحجُبه عن عذاب الحمش؛ فهذا أمرٌ طبيعيٌّ جدًّا، وعذابٌ لم يدّع الإحاطة بتفسير القُرآن العظيم، ولا بإشاراته، ولا بأسراره.

عذابٌ ادّعى أنّه لا توجد آيةٌ صريحةُ الدّلالة، (يعني: النّصُّ، أو الظّاهرُ) في علم الأُصول.

ولم ينف وجودَ آياتٍ تحملُ إشاراتٍ أو توجيهاتٍ حيال نظام الحُكم، أو حيالَ آل البيت.

وعلمُ الدّلالات؛ هُو أعظمُ علمٍ (أُصولُ الفقه) ولا أظنُّ الإخوة المُعترضين درسوهُ، أو علّموهُ على حسب ما أقرأ من تراكيبهم البعيدة عن التّأصيل تمامًا!

فهل الإخوةُ المُعترضون يعرفون معاني: (المُحكم، المُتشابه، النّصّ، الظّاهر، المُؤوّل) وهُم يُفرّقون بين دلالات (الاستدعاء، الإشارة، الاقتران، الاقتضاء، الالتزام، الإيماء، التّضمُّن) ويُحسنون كيف يُطبّقونها على القُرآن العظيم؟

وقد استعنتُ بالمواقع الشّيعيّة الإماميّة؛ للوُقوف من أقرب طريقٍ على الآيات الّتي زعموا أنّها نزلت في الإمام عليّ عليه السّلام، فقرأتُها، وتيقّنتُ ممّا قلتُهُ أنْ ليس فيها آيةٌ واحدةٌ تدُلُّ (نصًّا) أو (ظاهرًا) أو (مُطابقةً) أو (منطوقًا) على شيءٍ ممّا نفيتُهُ البتّة.

وسأضعُ بين أيدي السُّنّة والشّيعة أكبر قائمةٍ وجدتُها جمعت الآيات الّتي زعموا أنّها نزلت في عليّ، أو آل البيت، أو الّتي تدُلُّ على أنّهُم المرجعُ في فهم كتاب الله تعالى، لمن أراد أن يقرأ هذه الآيات الكريمة، فيتيقّنُ، ويُؤجرُ على تلاوتها بحسناتٍ كثيرةٍ.

راجيًا من أهل العلم من الشّيعة الإماميّة أن يُوضّحوا لي ذلك، أمّا المُثقّفون والمُقلّدة؛ فمهما كبُرت مساحةُ تعليقاتهم؛ فهي ليست دالّةً على المطلوب؛ لأنّهُم ليسوا أصحاب اختصاص!

وراجيًا أيضًا الانتباه إلى الفارق بين دلالة الآية المُباشرة، وبين الاستعانة بسبب النُّزول.

كما أرجو التّفرقة بين الدّلالة اللّفظيّة للآية، وبين فُهوم المُفسّرين، وترجيحاتهم في دلالة الآيات إيماءً أو إشارةً، أو مُخالفةً، وإذا لم يُحسنوا ذلك؛ فليستعينوا بأئمّتهم الكبار!

وهُم حتّى لو استعانوا بعليِّ بن أبي طالبٍ عليه السّلام؛ فلن يجدوا هُم وإيّاهُ آيةً واحدةً (نصًّا) أو (ظاهرًا) أو (مُطابقةً) أو (منطوقًا) تُثبتُ ما نفاهُ الفقيرُ عدابُ!

فعلى الإخوة المُعلّقين أن يحتفظوا بتعليقاتهم العاطفيّة لأنفسهم، فأنا أُقدّرُها وأحترمُها؛ لأنّها تدُلُّ على حُبّ آل البيت، والرّغبة في الاقتداء بهم، لكنّ الحُبّ عملٌ قلبيٌّ، والعلم عملٌ عقليٌّ.

وفي الحُبّ يشتركُ جميعُ الخلق، حتّى النّساء، بل هُنّ أعظمُ احتفالًا بكلمة (حُبّ)!

أمّا العملُ العقليُّ العلميُّ؛ فهُو خاصٌّ بمن قال اللهُ تعالى فيهم:

(وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا)1.

الآياتُ الواردةُ في عليّ بن أبي طالب؟!

جاء في (موقع الثّقلين) ما نصُّهُ:

أكّد المُفسّرون، سُنّةً وشيعةً في تفاسيرهم المُعتبرة على نُزول عشرات الآيات الشّريفة في حَقّ الإمام عليّ عليه السّلام، نذكرُ منها:

(1) قولُ الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ} [المائدة: 67].

(2) قولُهُ تعالى: {وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ} [الصّافات: 24].

(3) قولُهُ تعالى: {إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلوةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ} [المائدة: 55].

(4) قولُهُ تعالى: {سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ * لِّلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ} [المعارج: 1-2].

(5) قولُهُ تعالى: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا} [المائدة: 3].

(6) قولُهُ تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ} [البيّنة: 7].

(7) قولُهُ تعالى: {أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ} [السّجدة: 18].

(8) قولُهُ تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا} [مريم: 96].

(9) قولُهُ تعالى: {إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ} [الرّعد: 7].

(10) قولُهُ تعالى: {أَفَمَن كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ} [هود: 17].

(11) قولُهُ تعالى: {وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى} [طه: 82].

(12) قولُهُ تعالى: {فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ} [النّحل: 44، الأنبياء: 7].

(13) قولُهُ تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ} [التّوبة: 119].

(14) قولُهُ تعالى: {وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ} [الواقعة: 10-11].

(15) قولُهُ تعالى: {هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيمُ} [الحجّ: 19].

(16) قولُهُ تعالى: {أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللّهِ لاَ يَسْتَوُونَ} [التّوبة: 19].

(17) قولُهُ تعالى: {سَلَامٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ} [الصّافات: 130].

(18) قولُهُ تعالى: {إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ} [التّحريم: 4].

(19) قولُهُ تعالى: {وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا} [الشّورى: 23].

(20) قولُهُ تعالى: {وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ} [الإسراء: 26].

(21) قولُهُ تعالى: {هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ} [الإنسان: 1].

(22) قولُهُ تعالى: {وَعَلَى الأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيمَاهُمْ} [الأعراف: 46].

(23) قولُهُ تعالى: {بَرَاءةٌ مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ} [التّوبة: 1].

(24) قولُهُ تعالى: {قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى} [الشّورى: 23].

(25) قولُهُ تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً} [المجادلة: 12].

(26) قولُهُ تعالى: {وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ} [الحاقّة: 12].

(27) قولُهُ تعالى: {وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى} [الضُّحى: 5].

(28) قولُهُ تعالى: {فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ} [آل عمران: 61].

(29) قولُهُ تعالى: {إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا} [الأحزاب: 33].

(30) قولُهُ تعالى: {إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ} [الكوثر: 1].

(31) قوله تعالى: {مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ * بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ} [الرّحمن: 19-20].

(32) قولُهُ تعالى: {وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ} [البقرة: 127-128].

(33) قولُهُ تعالى: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا} [البقرة: 143].

(34) قولُهُ تعالى: {ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا} [فاطر: 32].

(35) قولُهُ تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ} [المائدة: 54].

(36) قولُهُ تعالى: {فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ} [البقرة: 37].

(37) قولُهُ تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللّهِ} [البقرة: 207].

(38) قولُهُ تعالى: {وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ} [القتال: 30].

(39) قولُهُ تعالى: {وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ} [آل عمران: 103].

(40) قولُهُ تعالى: {إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} [الأحزاب: 56].

(41) قولُهُ تعالى: {أَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ} [المجادلة: 13].

(42) قولُهُ تعالى: {فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ} [الزُّخرُف: 41].

(43) قولُهُ تعالى: {وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا} [الإنسان: 8].

(44) قولُهُ تعالى: {وَأَذَانٌ مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الأَكْبَرِ} [التّوبة: 3].

(45) قولُهُ تعالى: {الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلاَنِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ} [البقرة: 274].

(46) قولُهُ تعالى: {وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا} [الأحزاب: 25].

(47) قولُهُ تعالى: {وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِندَ رَبِّهِمْ} [الحديد: 19].

(48) قولُهُ تعالى: {مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا} [الأحزاب: 23].

(49) قولُهُ تعالى: {وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ} [الزُّمر: 33].

(50) قولُهُ تعالى: {وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ} [الأنفال: 33].

(51) قولُهُ تعالى: {الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ} [الرّعد: 29].

(52) قولُهُ تعالى: {إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ} [البقرة: 124].

(53) قولُهُ تعالى: {قُلْ كَفَى بِاللّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ} [الرّعد: 43].

(54) قولُهُ تعالى: {ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ} [التّكاثر: 8].

(55) قولُهُ تعالى: {اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ} [النّور: 35].

(56) قولُهُ تعالى: {وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ} [الزُّخرُف: 57].

(57) قولُهُ تعالى: {أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ} [النّساء: 54].

(58) قولُهُ تعالى: {اهدِنَا الصِّرَاطَ المُسْتَقِيمَ} [الفاتحة: 5].

(59) قولُهُ تعالى: {هُوَ الَّذِيَ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ} [الأنفال: 62].

(60) قولُهُ تعالى: {وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا} [الزُّخرُف: 45].

(61) قولُهُ تعالى: {وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى} [الضُّحى: 5].

(62) قولُهُ تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ} [النّساء: 59].

(63)قولُهُ تعالى: {وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا} [العاديات: 1].

(64)قولُهُ تعالى: {وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا} [يُونُس: 87].

(65)قولُهُ تعالى: {مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ} [الفتح: 29].

(66)قولُهُ تعالى: {النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ} [الأحزاب: 6].

(67) قولُهُ تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ * وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ} [المُطفّفين: 29-30].

(68) قولُهُ تعالى: {رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي} [طه: 25-26].

(69)قولُهُ تعالى: {وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً} [الأنفال: 25].

(70)قولُهُ تعالى: {الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ} [الرّعد: 28].

(71)قولُهُ تعالى: {وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ} [الأعراف: 181].

(72)قولُهُ تعالى: {وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى * وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى} [النّجم: 1-4].

(73)قولُهُ تعالى: {وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا} [الإسراء: 81].

صدق اللهُ العظيمُ.

والحمدُ لله ربّ العالمين.

الإجازةُ العامّةُ بصحيفة الإمام (عليّ الرّضا) ومُسنده!

طلب الأخ الفاضل الشيخ ذاكر الحنفي الأنباري أن أجيزه بصحيفة جدنا عليّ الرضا بن موسى الكاظم عليهما السلام.

ولم يسبق أن طلب أحدٌ مني مثلَ هذه الإجازة؛ لأننا في وسط أهل السنة نعدّ هذه الصحيفة موضوعةً على الإمام الرضا عليه السلام.

ولهذه الصحيفة قصة طريفة، يحسن ذكرها ما دمنا بصدد الذكريات!

كانت صحيفة الرضا عند جدي إبراهيم مخطوطة بخطّ قديم، لم أكن أحسن قراءته لكني لا أعرف عن تاريخها شيئًا البتة.

والذي حفّظنا إياه أهلنا من هذه الصحيفة خمسةَ أحاديث فقط، أظنّ أنّ جدي قال لي: هي الأحاديث الخمسة الأولى من الصحيفة.

وقد كان جدي رحمه الله تعالى يعطي (فرنكاً) لمن يحفظ حديثًا، ومن لا يحفظ حديثًا يُعرض عنه جدي حتى يحفظ.

وكان يكرر علينا الحديثَ من حفظه طيلةَ أسبوع، حتى حفظناها جميعًا مثل حفظ فاتحة الكتاب.

أما والدي، فقد قرأ هذه الأحاديث أمامي من حفظه أيضًا، وقال لي: هذه الأحاديث حفظتها وأنا ابن سبع سنين.

وقال لي: هذا الكتاب عظيم، فيه (200) حديث، الذي يحفظها يكون عالمًا وجدّك إبراهيم لا يُطلع عليه أحداً، وقد صارت مشاكل كثيرة من وراء هذا الكتاب.

وفي عام (1966م) سألت جدي عن (صحيفة الرضا) وسألته أن يطلعني على الكتاب، فأطلعني عليه مجلّداً في رَقّ بنّي باهتٍ، وأوراقه صفراء صغيرة مهترئة يقرب مقاسها اليوم من (14× 19سم) وربما كانت صفحاته تزيد على خمسين صفحة.

وقلت له ما ذكره والدي عن المشاكل التي صارت من وراء الكتاب، فما هي تلك المشاكل ولماذا؟

فقال لي جدي: أنت الآن شاب، وتفهم، ولازم تذهب إلى عبدالرحمن فاخوري الخطاط؛ ليعلمك هذا الخطّ، هذا اسمه خطّ كوفي، ثم تكتب الأحاديث الموجودة في هذا الكتاب، هي مائتا حديث وحديث واحد، وتحفظها كلّها.

وأنا أحتفظ بهذا الكتاب لأنه تراثنا الغالي، وقد رغب ابن عمي الشيخ حسين بن رجب الهبطة (شيخ النقارنة) أن أعطيه إياه بصفته الشيخَ، فرفضتُ، فعرض عليّ عشرَ ليرات ذهبية فقلت له: حتى لو دفعت ألف!

المشيخة فينا أصلاً، ووالدي تنازل لوالدك عن مشيخة النقارنة لاشتغاله بالعبادة،ولو أردتها الآن؛ آخذها منك غصبًا، فتزاعلنا ولم أعد أحضر إلى مضافة العائلة حتى توفي رحمه الله تعالى.

فكلمت عمّي (محمد حمشو) بما قاله جدي، فقال: جدك صعب جداً، ومعتزّ بهذا الكتاب، وهو لا يحسن القراءة ولا الكتابة!؟

فقلت له: هل قرأت أنت هذا الكتاب؟

فقال مُنزعجًا: كيف أقرؤه، وهل أحدٌ يراه، من وراء قسوة جدّك؟

فقلت له: كم حديثًا تحفظ منه؟

فقال: أحفظ نحواً من عشرين حديثًا!

فقلت: جدي يحفظ خمسة فقط!

فقال: جدك يحفظ أحاديث الاتصال فقط، وأبوك كذلك، وعمّك خالد كذلك لأنهم أميون.

كان والدي يحفظ أكثر من خمسين حديثًا، حفّظني منها ما أحفظه الآن!

ثمّ قال لي: هل تحفظ أحاديث الاتصال؟

فقلت: نعم!

قال: أسمعني إياها لأرى؟

فتلوتها عليه، فقال: ليس هكذا تقرأ!

فقلت: كيف؟

قال: من حفّظك إياها؟

قلت: جدي؟

قال: لكن عيب أن تتجاوز أباك وهو حيّ!

اذهبْ، واقرأها على أبيك!

فقلت: قرأها والدي عليّ، وقرأتها بين يديه؟

قال: ممتاز، قل: حدّثني جدي السيد إبراهيم قال: حدثني والدي الشيخ محمد الحمش بإسناده إلى سيدي وجدي علي الرضا بن موسى الكاظم رضي الله عنهما، عن آبائه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال:

وحدثني والدي السيد محمود عن أبيه عن جده الشيخ محمد الحمش بإسناده.

وكرر عليّ هذا المقطع أكثر من ثلاث مرات حتى ضبطته جيداً.

ثم قال: اقرأها عليّ الآن!

فقرأت الحديث الأول كما حفظته عن جدي إبراهيم: قال جدي علي الرضا بن موسى الكاظم عن آبائه، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم!

فقال: غلط، أسند!

فقلت: ما معنى أسند؟

قال: كما قلت لك قبل قليل، قل: حدثني والدي، حدثني جدي مراراً.

فأعدت عليه الصيغة التي حفّظني إياها، ثم قرأت عليه الأحاديث الخمسة الآتية قريبًا.

فتبسّم وسُرّ، وقال: هكذا تُقرأ هذه الأحاديث المباركة!

ذهبت إلى جديّ إبراهيم، وقلت له: سيدي أريد أن أقرأ عليك أحاديث الاتّصال!

فقال: اقرأها، فقرأتها عليه كما علّمني عمي حمشو، فضحك وقال: هذه القراءة من عند عمّك حمشو؟

قلت: نعم!

قال: كان والده حمدو يتبجح هكذا بقراءتها؟!

قلت له: يعني هكذا غلط؟

قال: لا هو الصواب، لكن كان عمك حمدو يقرأ، ونحن أميون، فكان يتفاخر علينا بهذه القراءة التي لم نحفظها نحن هكذا !

فقلت له: هذه الأحاديث موجودة في رياض الصالحين؟

قال: أنا أمّي لا أقرأ ولا أكتب، وإنما أحفظ ما أسمع، ولا أعرف ما في كتاب (رياض الصالحين) هذا!

قلت له: كيف تقرأ في هذا الكتاب؟

قال: كان جدك الحمش يقرؤه علينا، لكنه حفّظنا هذه الأحاديث الخمسة، وقال: احفظوها ليثبت لكم الاتصال!

قلت له: ما معنى يثبت لكم الاتصال؟

قال: يعني بجدنا علي الرضا، فمن لا يحفظ هذه الأحاديث الخمسة؛ فليس منا وأنت تعرف أنّ كثيرين يدّعون النسب الرضويّ، ولا علاقة لهم بهذا النسب.

كنت في تلك الأيام من تلامذة العلامة الشيخ محمد الحامد، رحمه الله تعالى، فسألته عن صحيفة الرضا، فقال: هذه الصحيفة شيعية، ويقول أهل العلم: هي صحيفة موضوعة مكذوبة على الإمام عليّ الرضا، وأنا لم أطّلع على الكتاب، ولا أعرفه!

وعقب وفاة جدي رحمه الله تعالى، عام (1968م) لم أعرف أين ذهب هذا الكتاب ولم أفتّش عنه؛ لأنه نسخة موضوعة!

وقلت في نفسي: إذا كان الشيخ الحامد يقول: هي موضوعة، فاحتفاظ جدي بها من الجهل الذي ساد أسرتنا بعد جدي الحمش، وللأسف!

ويحزنني أن أقول بين أيديكم هذا الكلام، لكن هي الحقيقة المرّة.

فإذا أنا أردت أن أجيز أحداً بصحيفة الرضا عليه السلام، التي لم أقرأها كاملة قط! ولم أرها إلا مخطوطة عند جدي إبراهيم رحمه الله تعالى.

وأنا لا أعرف إسناد جدي الحمش إلى جدنا الإمام علي الرضا عليه السلام، لكني أظنّ الإسناد هو إسناد النسب نفسه، أقول: أظنّ، ولا أجزم.

وقد رأيتها رؤية عند جدي فقط، لكنّ مسند الرضا لم أره قطّ، وأحفظ منها هذه الأحاديث الخمسة منذ كنت طفلاً.

أروي هذه الصحيفة وأروي مسند الإمام الرضا بالإجازة العامة عن شيوخي الأفاضل:

السيد العلامة الشيخ مجد الدين محمد بن محمد بن إسماعيل المنصوري الزيدي الصنعاني [مكاتبةً].

والسيد الشيخ الدكتور المرتضى المحطوري الزيدي الصنعانيّ.

والسيد الشيخ محمد مهدي الخرسان الإمامي النجفيّ.

والشيخ محمد ياسين بن محمد عيسى الفاداني الشافعيّ المكي.[1]

جميعًا بأسانيدهم المتكاثرة إلى الإمام علي الرضا عن أبيه الإمام موسى الكاظم، عن جده الإمام جعفر الصادق، عن الإمام محمد الباقر، عن الإمام السجّاد علي زين العابدين، عن الإمام الشهيد الثائر الحسين، عن أبيه إمام الأئمة، وعالم الأمة، ناصر الدين، ومفرّج الكروب، عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم.

1-هو كما قال المؤرخ السوري الكبير محمد خير رمضان يوسف في "تتمة الأعلام": (مسند الوقت، العالم، المحدث، المربي، أبو الفيض علم الدين محمد ياسين بن محمد عيسى الفاداني، الأندونيسي أصلاً، المكي ولادة ونشأة، الشافعي)، أقول: وهو -أي الشيخ الفاداني- غير متهم بالرفض او التشيع، ولم يتهمه أحد بالتشيع او الرفض لروايته هذا الكتاب، والمستجيز كما في أول المقالة الشيخ ذاكر الحنفي غير متهم أيضًا، فلا يأتين أحدهم يصطاد في الماء العكر يتهم شيخنا الشريف عداب بالتشيع لروايته هذا الكتاب!

فليس في رواية شيخنا الشريف لهذا الكتاب إقرار بصحة نسبته للإمام الرضا، خاصة وأن ما تلقاه منه عن أهله لا يتجاوز الخمسة احاديث من الصحيفة، وقد قال انه ما يعرفه وضعه، كما سيأتي.

ومما يجدر ذكره هنا أن من رجال سند هذه الصحيفة الحافظ ابن عساكر والحافظ البيهقي.

أقول وبالله التوفيق:

حدثني والدي السيد محمود عن أبيه عن جده الشيخ محمد الحمش بإسناده.

حدّثني جدي السيد إبراهيم قال: حدثني والدي الشيخ محمد الحمش بإسناده.

وحدثني عمي محمد حمشو عن أبيه السيد حمدو عن جده محمد الحمش بإسناده.

جميعًا قالوا: عن الحمش بإسناده إلى سيدي وجدي علي الرضا بن موسى الكاظم رضي الله عنهما، عن آبائه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال:

(1) قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم: يقول الله عزّ وجلّ: (لا إله إلا الله حصني، فمن دخل حصني؛ أمن عذابي).

(2) وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم: (أربعة أنا لهم شفيع يوم القيامة:

المكرم لذريتي.

والقاضي لهم حوائجهم .

والساعي لهم في أمورهم إذا ما اضطروا إليه.

والمحب لهم بقلبه و لسانه).

(3) وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم: (لا يزال الشيطان ذَعِراً من المؤمن ما حافظ على الصلوات الخمس، فإذا ضيّعهن؛ تجرّأ عليه، وأوقعه في العظائم).

(4) وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم: (يقول الله عزّ وجلّ: "ما من مخلوق يعتصم بمخلوق دوني؛ إلا قطعت أسباب السماوات والأرض من دونه!

فإن سألني؛ لم أُعطه، وإن دعاني؛ لم أجبه.

وما من مخلوقٍ يعتصم بي دون خلقي؛ إلا ضمِنَت السماواتُ و الأرض برزقه.

فإن سألني؛ أعطيته و إن دعاني؛ أجبته، وإن استغفرني؛ غفرت له").

(5) وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم: (أفضل الأعمال عند الله تعالى:

إيمان لا شكّ فيه، و غَزوٌ لا غُلولَ فيه، وحجٌ مبرور.

وأوّل من يدخل الجنة شهيد، وعبد مملوك أحسن عبادة ربّه، ونصح لسيده، ورجل عفيف متعفف ذو عبادة.

وأوّل من يدخل النار: إمامٌ مُتَسلّطٌ لم يَعدِلْ، وذو ثروة من المالِ؛ لم يقض حقّ ماله، وفقير فخور).

وقد أجزت برواية صحيفة الرضا ومسنده اللذين لم أقرأهما، ولا أعرف عن وجودهما شيئًا جميعَ من أجزته سابقًا من تلامذتي، وجميع من يقرأ كلامي هذا إجازة عامةمطلقة بشرط الاتّصال، راجياً من الجميع الدعوات الصالحات.1

وأرجو ممّن لديه معرفة عن هذين الكتابين أن يعرّفنا بهما على هذه الصفحة؛ خصوصًا إخواننا من الشيعة الإمامية والشيعة الزيدية؛ لأنّ الطائفتين يعظمون هذين الكتابين، أما نحن أهل السنة؛ فلا نعلم إلا أنهما موضوعان وكفى!2

ومن أراد أسانيد أولئك الأعلام، إلى هذين الكتابين؛ فلكلّ واحدٍ منهم ثبتٌ أو أكثر سجّل فيه أسانيدَ مروياته.

وأعتذر عن استخراج تلك الأسانيد من تلك الأثبات؛ بسبب ظروف مرضي، فليس لديّ شيء أكتبه الآن على الإطلاق، إلا من الذاكرة، والله المستعان، هذا وصلى الله على سيدنا محمد بن عبدالله وعلى آله وأزواجه وذرياته إلى يوم الدين، والحمد لله ربّ العالمين.

1-قول الشيخ "من يقرأ كلامي هذا" المقصود به قراءته في المقالة الاصلية، ولا أدري هل يجيز الشيخ برواية الصحيفة لمن يقرأ كلامه المنقول هنا، فوجب التنبيه والعودة للشيخ لمن أراد الإجازة.

2-فصل هنا شيخنا الشريف – حفظه الله ورعاه وأدام ظله الشريف في صحة وعافية – بين صحيفة الرضا ومسنده، لكن المشهو ر أنه كتاب واحد فتسمى صحيفة الإمام الرضا ب"مسند الامام الرضا" أيضًا، وهو كتاب معتمد عند الإمامية وهناك كتاب اسمه "مسند الإمام الرضا" من جمع الشيخ عزيز الله العطاردي الخبوشاني وهو معاصر وليس هو المقصود هنا، والله أعلم.

كتب إليّ أحدُ الأمويّين ما نصُّهُ:

(ألعن أبوك وأبو المُنافق عليّ بن أبي طالبٍ...

الّذي قتل الخليفة والصّحابيّ الجليل عُثمان ذو النّورين...

وألعن أبوك وأبو أصلك القذر...

فخذا مُعاوية أطهرُ منك ومن كلّ هاشميّ ومُدّعي الهاشميّة القرباطيّة أيّها النّذل...

وسؤالٌ أخيرٌ لك أيُّها الشّيعيُّ القذرُ:

كم فلسًا دفعوا لك لتتشيّع وتدّعي أنّك من آل بيت الخراء؟!

أيُّها الخراء...

تفووو عليك يومَ وُلدتَ...

تفووو عليك يومَ تشيّعتَ...

وتفووو عليك يومَ لبستَ الصّرماية على راسَك...

وتفووو عليك يومَ تُحشرُ مع خنازير الشّيعة...

التّوقيع النّاصبيّ!)

فقط: اُعذُروني لتسجيل هذا النّموذج من نماذج كثيرةٍ.

وأسألُ الله العليّ القدير أن يُمكّن لأنصارأهل البيت فلا يتركوا ناصبيًّا خبيثًا مثل صاحب هذا الكلام يمشي على وجه الأرض، فهُم لن يلدوا إلّا نواصب أوغادًا سفلةً، كهذا الّذي ارتدّ عن الإسلام بنصبه البغيض، والعياذُ بالله.

﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا (26) إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا (27)﴾ (سورةُ نوحٍ).

ولايتصيّدن أحدٌ بالماءِ العكر، فأهلُ السُّنّة أنزهُ وأنبلُ من أن يُنسَبوا إلى نصبٍ، ومنشور الأمس واضحٌ في موقفهم النّبيل من هذه المسألة.

إنّا لله وإنّا إليه راجعون.

والحمدُ لله على كُلّ حالٍ!

العقيدة

(العقيدة)

خَيرُ الكلامِ ما قلّ ودلّ؟!

تخصص الشريف عداب في علم العقائد

أحدُ أصحاب العمائم البيضاء من (الأشاعرة والماتُريديّة) رضي الله عنهُم وأرضاهُم كتب تُجاهَ الفقير (عداب) على صفحته أمسِ كلامًا مُقزّزًا، لا ينُمُّ عن طيب نفسٍ، ولا على سلامة طويّة!

ثمّ قال: (أنت لست مُتخصّصًا في علم العقائد وعلم الكلام..وأتحدّاك أن تتكلّم في مضائق مباحث الاعتقاد!).

قال عدابُ غفر اللهُ لهُ:

أنا طالبُ علمٍ لستُ مُتخصّصًا في أيّ علمٍ من العُلوم: لا في العقائد، ولا في علم الكلام، ولا في أُصول الفقه، ولا في الفقه، ولا في التّفسير، ولا في الحديث، ولا حتّى بتلاوة القُرآن!

إنّما أنا مُثقّفٌ قرأتُ أكثر من كتابٍ واحدٍ في كُلّ فنٍّ من هذه الفُنون، فانخدعت (مُديريّة التّربية) في (سوريا)، فكنتُ أُعلّمُ الدّين والعربيّة من عام (1970-1975م) وانخدع بي (المعهدُ الشّرعيُّ) في (حماة)، فأجبروني ذوقيًّا أن أترُك التّدريس في ثانويّة (ابن العميد) في (دمشق) لأتفرّغ لطُلّاب المعهد.

والّذين درسوا عندي في المعهد (النّحو، والصّرف، والبلاغة، والخطابة، والمواريث، والأدب وأُصول الفقه) لا يزالون حتّى اليوم يُقدّرون تدريسي لهُم، وكثيرٌ منهُم يحتفظُ بمُذكّراتي التّدريسيّة، أو بتعليقاتي على المُقرّرات.

وانخدع بي شيخي (محمود الشّقفة)، وشيخي (سعد الدّين المُراد)، اللّذان منعا أيّ فقيهٍ في (المعهد الشّرعيّ) من الفتوى، سوى الفقير، وكان مُديرُ المعهد الشّيخ (سعد المُراد) يقولُ للسّائل: انتظر قليلًا حتّى يأتي (مُفتي المعهد)، وحين أحضُرُ يُعاتبُني لتأخُّري؛ لأنّ المُستفتين ينتظرون.

وانخدع بي شيخي (الحافظ التّجّانيّ) حين كان يأمُرُني بالفتوى بحُضور شيخ الأزهر (عبد الحليم محمود) والشّيخ (عبد الغنيّ عبد الخالق) وضُربائهم.

و و و...

هذا الكلام متى؟ كُلُّهُ قبل عام (1980م) صحّ النّوم يا حبيب أُمّك!

لقد اكتشف هذا (الأشعريّ) المُتعصّب أنّني لستُ مُتخصّصًا في عُلوم العقائد والكلام.

وأنا لا أتحدّاهُ، ولا أتحدّى أحدًا في العلم (وفوق كُلّ ذي علمٍ عليمٌ).

لكنّني أعرضُ بين أيديكم اليوم هذا العرض الدّائم:

(لا يتردّدُ أيُّ واحدٍ منكم في طرح السُّؤال الّذي يخطُرُ على باله: في أيّ علمٍ من عُلوم العربيّة أو التّاريخ أو الشّريعة، أيّ علمٍ على الإطلاق).

وسأُجيبُهُ عليه بإذن الله تعالى بأوضح جوابٍ.

فإن كان جوابي صحيحًا؛ فبها ونعمت، وإن كان جوابي خطأً؛ فسأستفيدُ من طُلّابي العُلماء ومن العُلماء الّذين يُشرّفون صفحتي هذه.

لكنّني أقولُ لكم قبل طرحكم أيّ مسألةٍ:

مَن يتحدّى الفقير العداب في أيّ شيءٍ في العلم، في الشّجاعة والجُرأة، في الأخلاق؛ فهُو خاسرٌ حتمًا، ومن الله تعالى نستمدُّ التّوفيق والرّشاد!

والحمدُ لله ربّ العالمين.

المُشتغلون بعلم الكلام عامّةً؛ لديهم (كاريزما) الايلمو، وأكثرهم خلوٌ من العلوم الشرعيّة الضروريّة!

وأنا الفقير؛ اشتغلت بعلم الكلام برهة من الدهر، قرأت كتبًا عديدة في المنطق اليوناني، والإسلاميّ، والمنطق الحديث، وقرأت علم الكلام الإسلامي، حتى شرح المواقف للجرجاني وحواشيه بطبعة الحلبي القديمة!

وقرأت فيما يسمونه الفكر الإسلاميّ مئات الكتب!

والذي خصلتُ إليه أنّ جميع هذه الفنون، حتى أصول علم الكلام نفسه؛ هي من الفنون المساعدة للعقل على التفكير الصحيح، ولذلك قالوا: من رزق الذائقة اللغوية العالية، ورزق فهم كتاب الله عزّ وجلّ؛ بعيداً عن الأطر المذهبيّة الضيّقة، وفهم منهج الاحتجاج بالسنّة النبوية والروايات؛ فقد لا يحتاج إلى معرفة شيءٍ من علم الكلام، ولا من علم المنطق!

كان لدى أستاذنا ومجيزنا العلامة المتمرس الدكتور مصطفى إبراهيم الزلمَي الكرديّ رسالة صغيرة في (الصلة بين المنطق والقانون) أصرّ على أن أقرأها عليه، بنداً من بنود شروط الحصول على الإجازة العلمية.

قرأت الرسالة في البيت ثلاث مرّاتٍ في يومٍ واحد، وعلّقت عليها بعض التعليقات.

وبعد أنْ أنجزتُ قراءتها على الشيخ مصطفى، فكانت المرّة الرابعة؛ قلت له:

مولانا الجليل: أترى هناك صلةً بين (المنطق والقانون) أم إنّ الصلة بين (عقل القانونيّ والقانون)؟

فلم يزد على أن ضحك رضي الله عنه.

وإنّ أكثر بضاعة المتكلمين؛ مصطلحاتٌ مدرسيّة تقريبيّة، تحدّد للعقل الإطار المعرفيّ الذي يجب أن يتحرّك فيه!

فحين يقولون في علم الكلام:

حقيقة (الله) هو اسم جزئيّ، علم على ذاتٍ واجبةِ الوجود، موصوفة بصفات الكمال، منزهة عن الآفات، لا شريك له في المخلوقات، أو منهم.

فإنّ على طالب علمِ الكلام أن يستحضر معنى الجزء والجزئيّ، والكلّ والكلّي، والكليّة العامّة والكلية المطلقة، والكليّة الموجبة، والكليّة السالبة!

وعليه أن يستحضرَ مفهوم الذات، بين اسم الجنس واسم العلم!

وحين يتحدّث المتكلّم عن حقيقة الحَمْد من الناحية اللغوية، يقول: هو الثناء بالكلام على المحمود بجميل صفاته، سواء كان من باب الإحسان، أو باب الكمال المختص بالمحمود كعلمه وشجاعته.

وحقيقة الحمد (العُرفيّ): هو فعل ينبى على تعظيم المنعم بسبب كونه منعماً.

وحقيقة الشكر (اللغوي): هو الثناء باللسان، أو بغيره من القلب، وسائر الأركان على المنعم، بسبب ما أسداه إلى الشاكر من النعم.

وحقيقة الشكر (العرفي): هو صرف العبد جميع ما أنعم الله عليه من السمع والبصر إلى ما خلق لأجله.

فهم يوجهود عقلك ليفكر في إطار هذه الدلالات، التي أرادوا لك أن تدور في فلكها!

انظر إلى حرف التعريف (أل) ماذا فعلوا به!

الألف واللام في الحمد قيل: للحقيقة، وقيل: للعهد، وقيل: للاستغراق.

فإذا قلنا للحقيقة؛ لا يستحق الحمد المعرف إلا الله.

وإذا قلنا للعهد؛ فحقيقة العهد: هو ما شاع بينه وبين مخاطب ذكره.

والمعهود، هل هو ذُكريٌّ، أو ذِهْني ؟

الذكريّ: هو الحمدُ الذي صَدر من المولى، في الأزل.

وإذا قلنا: ذهني؛ فالحمد هو الذي قدره الله في ذهن آدم.

وإذا قلنا: للاستغراق؛ فهو استغراق في جميع المحامِدِ الأربعة!

قديمان وحديثان!

أمّا القديمان؛ فوصفه!

وأمّا الحديثان؛ ففعله.

والقديمان ينقسمان:

من قديم إلى قديم، ومن قديم إلى حادث.

والحديثان ينقسمان:

من حادث إلى حادث، ومن حادث إلى قديم.

من قديم إلى قديم: (الحمد لله رب العالمين).

ومن قديم إلى حادث: (نعم العبد إنه أواب).

ومن حادث إلى حادث: حمدنا لبعضنا بعض.

ومن حادث إلى قديم: الحمد لله رب العالمين.

ولو أنّ أحداً سألهم: هل هذه القسمة شرعية دينية أو قسمة عقليّة؟

لقالوا: بل هي عقلية طبعًا.

ولو أنّ أحداً عَلِم كلَّ هذه المصطلحاتِ، لكنه لا يحمد الله تعالى إلا في أثناء الصلاة!

ولو أنّ أحداً جهل كلَّ هذه المصطلحاتِ، لكنه يحمد الله تعالى في أثناء الصلاة، وفي أوراده وأذكاره، ويجعل لنفسه (100) مرّة: (سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم)!

فأيّ الرجلين أعلم بالله تعالى، وأكثر أجراً ومثوبة؟

وسواء علم هذا الذاكر حقيقة الفارق بين الحمد والشكر أم جهلها، فماذا يؤثر على علمه بالله، وعلى طاعاته؟

انظر ما ذا يقولون:

الفارق بين الحمد والشكر؟

قيل: الترادف، وقيل: التباين!

حقيقة الترادف: اختلاف أكثر اللفظ، واتحاد المعنى.

حقيقة التباين: اختلاف اللفظ والمعنى.

وقيل: بينهما عمومٌ وخصوصٌ من وجه!

حقيقة العموم والخصوص من وجه: مَعقولان تواردا في مَحلٍّ واحد، وانفرد كل واحد منهما بطريق لا يشاركها فيه صاحبه.

وحقيقة العموم والخصوص المطلق: معقولان تواردا في محل واحد، وانفرد أحدهما فقط بطريق !

فإذا أنت لم تعلم معنى الخصوص والعموم المطلق، أو من وجه؛ فما ذا يؤثر هذا على شخصيتك العلمية؟

وإذا لم تستعمل هذه الاصطلاحات المدرسيّة التعليميّة الموجهة لعمل العقل في كتاباتك، فكان ماذا؟

إنّ معرفة المنطق بألوانه مفيدة وممتعة، وموجهة للعقل، لكن لا دخل لها في الشريعة من قريبٍ ولا بعيد!

وأهمّ من حفظ هذه المصطلحاتِ وتشعّباتها؛ أن يكون للعالم منهج مستقلّ يفهم على ضوئه كتاب الله عزّ وجلّ!

وأن يكون له منهج في نقد الحديث الشريف، حتى لا يبقى مقلّداً عالةً على من يخطئ ويصيب في اجتهاده!

ومشايخنا الذين قرأنا عليهم المنطق وعلم الكلام والفلسفة الإسلامية في الشام والعراق والحجاز ومصر، جميعهم وبدون استثناء، ليس لدى أحدٍ منهم منهج خاصّ به في فهم كتاب الله عزّ وجلّ، أو في نقد الروايات الحديثيّة.

ربما يستثنى من ذلك أستاذنا الدكتور إبراهيم عبد الرّحمن خليفة، الذي لم يكتب منهجه القرآني هذا، لكنه كان يعلمه لطلابه؟

ويستثنى من هذا بيقين أستاذنا الشيخ عبدالرحمن بن حسن حبنكة الميداني، الذي كتب كتابه الماتع الفريد (قواعد التدبّر الأمثل لكتاب الله عزّ وجلّ).

في جامعة أمّ القرى، علّمني سنة (1399- 1400 هـ) الثقافة الإسلامية المستوى الأوّل، فطلبت منه أن أقرأ عليه كتابه المتميز (ضوابط المعرفة) فضحك رحمه الله تعالى، وقال: يا شيخ عداب أنت عالم، أريد منك أن تقرأه وتأتيني بملاحظاتك لنتحاور بها!

قرأت الكتاب مرّتين، وسجّلت له أكثر من ثلاثين ملاحظة!

اجتمعت معه في مسجد الجامعة، بين الظهر والعصر، فكان الصواب معي في خمسٍ أو ستّ ملاحظات، وكان الصواب معه في الباقي، لكنّه أفهمني إياها على الوجه الصحيح!

ومثل ذلك فعلتُ معه في كتابه الآخر (قواعد التدبر الأمثل) في طبعته الأولى الصغيرة الحجم.

عهدَتْ إدارة كلية الشريعة إلى أستاذي النبيل الدكتور إبراهيم عبد الرّحمن خليفة بمناقشة أطروحة دكتوراه بعنوان (الأوامر والنواهي في السنّة النبوية) فكلمني أن أزوره في بيته، فزرته في غير مواعيد دروسي عليه.

قال لي: يا شيخ عداب، أنت من بتوع الحديث، ونحن قرأنا في الأزهر كتبًا عديدةً في علوم الحديث، لكن موخدتش بالي كويس من المصطلح ده.

إيه أفضل كتاب صغيّر أقرؤه عليك بيومين ثلاثة كده؟

كدت أطير من الفرح، لأنّ شيخي ضرير رحمه الله تعالى، وهذا يعني أنني أنا الذي سأقرأ عليه.

قلت له: ما المناسبة مولانا؟

قال: مش أنت قلت لي: لو أنك يا إبراهيم تُعنى شوية بعلم الحديث بيطلع منك حاجة؟

قلت له: لكن ما كنتش مقتنع مولانا!؟

قال: الصحيح يا عداب يا ابني، دول في الكلية عطوني الرسالة ده، وقالوا لي: ممكن تناقشها، وهي رسالة في الحديث؟

فقلت لهم: على الفور، وما له؟

وقلت بنفسي: يقرؤها عليّ الشيخ عداب، وأنا أتتلمذ عليه في الحديث، مثل ما هو يتتلمذ عليّ في التفسير وعلوم القرآن والبلاغة، يعني والحاجات ده!

فقلت: نقرأ معاك كتاب صغير نستذكر فيه المصطلح، حتى لا نغلط أُدّامهم، ويقولوا: ده إبراهيم ما يفهمش بعلم الحديث!

قلت له: خير كتاب صغير هو كتاب نزهة النظر!

قال: أهو كده، أنا والله قلت كده.

في اليوم الثاني أحضرت نزهة النظر بتحقيق أستاذي الدكتور نور الدين العتر الحلبي وشرعنا في قراءتها، وكنا نتحاور فيها.

حتى أنجزناها القراءة الاطّلاعيّة الأولى في يومين فقط!

قال: ما ينفعش كده يا عداب، لازم ده نحفظها!

قلت له: هل أحضر معي شرح النزهة لعلي القاري؟

قال: قاري إيه؟ ده ميفهمش حاجة في علم الحديث، إحنا مش بحاجة إلى شرح أحد، أنا وإياك نشرحها مع بعض، وخلاص!

القراءة الثانية كانت في تسعة أيام متوالية كاملة، كنت أقرأ عليه مقدمة المؤلف كاملة مثلاً، فيقول لي: أعدها تاني، أعدها كمان! ثم نستمّر، فإذا أشكل عليّ أنا شيء؛ سألته، أما هو فلم يسألني أيّ سؤال إلا في الصفحات العشر من نهاية الكتاب!

ومما كان يشكل عليّ قول ابن حجر: إنّ الخبر إذا ورد ورود التواتر؛ لا يُسأل عن إسناده!

فقلت له: مولانا، ما رأيك بهذا الكلام؟

قال: كلام فارغ، ومبناه على كلام فارغ!

قلت له: كيف؟

قال: هم يقولون: إنّ المتواتر لا يستطيع الإنسان بفطرته دفعه؛ لأنه يفيد العلم الضروري، ضروري إيه؟ هل هذا موجود إلا في العقل المجرّد؟ ما فيش في السنة حاجات زي كده!

وحقيقةُ مبناه على (التسامع) والتسامع ليس شهادةً معتبرة عند الأصوليين والفقهاء!

عقب انتهائنا من قراءة نزهة النظر؛ قال: دي الوقت كفاية علينا النزهة، وخلينا نقرأ الرسالة!

كانت الرسالة من أربعة مجلّدات فيما أحفظ، قرأت معه منها أقلّ من نصف مجلّد، ثم اعتذرت بسبب مرض ظهري، فأكملها عليه مرافقُه.

وحين ناقش الأطروحة؛ أسكت كلّ الحاضرين من محدثين وفقهاء ومفسرين، رحمه الله تعالى.

حين كنت أقرأ عليه المواقف للإيجي، وكانت طبعته تلك في مجلد واحد مصوّر؛ قلت له: مولانا هذا الكتاب يحتاج إلى خدمة يا مولانا!

قال: خدمه سيد المتأخرين من الأشاعرة العلامة الشريف الجرجاني، بعد أن ننتهي من (المواقف) سنقرأ بعض الأبواب فيه.

لكن الأهمّ أن تقرأ عليّ كتاب (مختصر المعاني) للسعد التفتازاني، فأنت شاعر وصاحب قلم، فتحتاجه كثيراً!

خلاصة الأمر؛ هي ما قاله لي أعلم من حضرت عليه في المنطق والفلسفة وعلم الكلام وهو الدكتور إبراهيم عبد الرّحمن خليفة رحمه الله تعالى:

(ضرورة تعلّم علم الكلام، وعلم المنطق؛ سببها أنّ العلماء كتبوا كتبهم الأصولية والعقدية على وفقها، لا للحاجة إليها بذاتها.

أهمّ شيء يا عداب: علوم اللغة كلها، الثلاثة عشر، وأهمها (فقه اللغة).

ثم التفسير التحليليّ لأنّه مجمع العلوم.

ثم علوم الحديث؛ لأنّ الأمة بنت دينها على الروايات، أكثر بكثير مما بنت على القرآن الكريم) (الكلام بالمعنى).

واللهُ تعالى أعلمُ.

والحمدُ لله على كلّ حالٍ.

لم تكن ظاهرةُ العقل الجمعيّ في القُرآن الكريم ممدوحةً أبدًا، إنّما جاءت أخبارها دائمًا مُزعجةً، مُحزنةً لأنبياء الله وعباده الصّالحين.

وكان تعظيمُ صنيع الآباءِ هُو الصّفة الأكثرَ ذمًّا، والمُعبّرة عن الجهل والتّعصُّب والبُعد عن الهُدى !

ولنُحاول في هذه العُجالةِ استحضارَ بعضِ الشّواهد على سفه العقل الجمعيّ الإنسانيّ، وعلى أثره السّيّئ في الصّدّ عن سبيل الله تعالى.

قال اللهُ جلّ وعزّ في سورة يوسف:

(وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ) (103).

(وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ) (106).

وقال اللهُ جلّ وعلا في سورة يونس :

(وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ) (36).

وقال تعالى في سورة الشُّعراء:

(فَأَنجَيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ (119) ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ (120) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ (121)).

وقال تعالى في سورة البقرة:

(وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ (99) أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يُؤْمِنُونَ (100)).

وقال تعالى في سورة الأعراف:

(وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ) (102).

وقال تعالى في سورة الأنعام:

﴿وَقَالُواْ لَوْلاَ نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّ اللّهَ قَادِرٌ عَلَى أَن يُنَزِّلٍ آيَةً وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ (37).

وقال تعالى في سورة الأنعام:

وَلَوْ ﴿أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلآئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلاً مَّا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ إِلاَّ أَن يَشَاء اللّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ (111).

وقال تعالى في سورة هود:

﴿حَتَّى إِذَا جَاء أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلاَّ مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ﴾ (40).

وقال تعالى في سورة سبأ:

﴿ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْراً وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ (13).

وقال تعالى في سورة (ص):

﴿ وَإِنَّ كَثِيراً مِّنْ الْخُلَطَاء لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ (24).

هكذا قال القُرآنُ العظيمُ: أكثرُ النّاس غيرُ مُؤمنين، وأكثرهم مؤمنين يُشركون في إيمانهم، وأكثرهم فاسقون، وجاهلون لا يعلمون.

فكيف يصحُّ حديثٌ يُخالفُ هذه النُّصوص القُرآنية؟

أمّا حديثُ (إنّ أُمّتي لا تجتمعُ على ضلالةٍ):

فمرويٌّ من حديث أبي مالك الأشعريّ، ومن حديث أنس بن مالك، ومن حديث عبد الله بن عُمر، ومن حديث أبي هريرة رضي الله عنهم.

قال في زوائد ابن ماجه: (قال الحافظُ العراقيُّ في تخريج أحاديث البيضاويّ: وقد جاء الحديثُ من طُرُقٍ في كلّها نظرٌ!).1

وكُلُّ حديثٍ فيه جُملة (عليكم بالسّواد الأعظم) فضعيفٌ، لا يصحُّ في ذلك شيءٌ !

وكُلُّ حديثٍ فيه: (ومن شَذَّ؛ شَذَّ في النّار) مُنكرٌ باطلٌ!

وأمّا حديثُ (يدُ الله مع الجماعة) أو (يدُ الله على الجماعة) فقد صحّح ابنُ حبّان حديث عرفجة بن شريح الأشجعيّ، وحسّن الترمذيُّ حديث ابن عبّاس، والحديثان عندي ضعيفان، ومع التّسليم لهُما بتصحيح الحديثين، لكن ما معناهما عند أهل العلم ؟

قال الترّمذيُّ ذاتُهُ (4: 466): (وتفسيرُ الجماعةِ عند أهلِ العلمِ؛ هُم أهلُ الفقه والعلم والحديث).

وقال أيضًا: (سمعتُ الجارود بن مُعاذ يقولُ: سمعتُ عليّ بن الحُسين يقولُ: سألتُ عبدُ الله بن المُبارك مَن الجماعة ؟

فقال: أبو بكرٍ وعُمر! قيل: لهُ قد مات أبو بكر وعُمر ؟

قال: فلانٌ وفلانٌ! قيل له: قد مات فلانٌ وفلانٌ!

فقال عبدُ الله بن المبارك: أبو حمزة السُكّريّ جماعة!

قال أبو عيسى: وأبو حمزة؛ هُو مُحمّد بن ميمونَ، وكان شيخًا صالحًا).

1- "مصباح الزجاجة في زوائد بن ماجة" للبوصيري، باب السواد الأعظم (4/ 169)، ذكر الحديث وقال: (هذا إسناد ضعيف...وقد روي هذا الحديث من حديث أبي ذر وأبي مالك الأشعري وابن عمر وأبي نصرة وقدامة بن عبد الله الكلابي وفي كلها نظر قاله شيخنا العراقي رحمه الله).

فليس تفسيرُ (الجماعة) بالجُمهور الأعظم من العوامّ والجُهّال، وإنّما هي الجماعةُ القائمةُ لله بالحقّ، حتّى لو كان القائمُ به رجلًا واحدًا، كما قال ابنُ مسعود: (الجماعةُ ما وافق الحقّ، وإن كنت وحدك!) (تاريخُ دمشق: 46: 409).

وكما قال ابنُ المُبارك قريبًا: (أبو بكرٍ وعُمر جماعةٌ) و(أبو حمزة السُكّريّ جماعة)!

وقال تبارك اسمُهُ في سورة البقرة:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ (170).

وقال الله تعالى في سورة المائدة:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ (104).

وقال الله تعالى في سورة الأعراف:

﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (28).

فاتّباع سنن الآباء عقيدةٌ بشريّةٌ، لا يحيدُ عنها أكثرُ النّاس، حتّى لو قادتهم إلى سخط الله تعالى، وإلى الدّمار وخراب الديار.

وهكذا هُم المُسلمون أيضًا، يُعظّمون سلفهم، إلى درجة أنّ فريقًا من أهل السُّنّة قد وكلوهُم في الفهم عنهُم، فقالوا: (منهجُنا الكتابُ والسُّنّة بفهم السّلف الصّالح)!

وثمّة فارقٌ واحدٌ، هُو أنّ آباء أُولئك كافرون، وأنّ آباء المُسلمين ومشايخهُم وسلفهُم مُسلمون، والفارق كبيرٌ بين المُسلم وغير المُسلم.

هذا صحيحُ لا نُنكرهُ، لكنّ وجه الشّبه من جهة أنّنا ننتصرُ لتقاليدنا ومناطقنا ومشايخنا، وتُراثنا أكثر من الانتصار للحقّ ذاته، بل إنّ الحقّ ذاتهُ نخيطهُ على مقاسهم.

ولدينا مُسلّماتٌ كثيرةٌ، غير مُسلّمةٍ!

مرّةً نزعُمُ أنّ الإجماعَ انعقد عليها.

ومرّةً نقولُ: إنّ القُرآن أشار إليها.

ومرّةً أُخرى نقولُ: إنّ السُّنّة النّبويّة تُؤكّد عليها.

وهي كُلُّها تحتاجُ إلى عقلٍ يُراجعها!

ولنأخُذ مثالًا واحدًا نسرُدُ مضمونهُ باختصار:

عدالة الصحابة أمرٌ مُتّفقٌ عليه بين أهل السُّنّة والجماعة... جميلٌ!

لكن من الصّحابيّ العدل هذا؟

الجوابُ: كُلُّ من ثبتت صُحبتُهُ، بأدنى وُجوه الثُّبوت؛ فهُو صحابيٌّ عدلٌ!

تقولُ لهُم: حسب تعريف الأُصوليّين للصّحابيّ؛ يخرُجُ كثيرٌ ممّن تدّعون أنّهُم صحابة من مفهوم الصُّحبة الشّرعيّة؟

يقولون: لا ضير، نترُكُ رأي الأُصوليّين، ونأخُذُ برأي المُحدّثين!

تقولُ لهُم: الّذين وُلدوا على عهد رسول الله صلّى اللهُ عليه وآله وسلّم، ولم يرهُم، أو رآهُم، لكنّهُ انتقل إلى جنان ربّه تعالى، وهُم في الرّابعة أو السّابعة، فمن أين جاءتهُم العدالةُ؟

ومن أين جاءت العدالةُ للمجهولين، ومجهولي الصُّحبة، والوُحْدان، والمُبهمين؟

الجوابُ: أنت رافضيٌّ، زنديقٌ، تطعنُ بأصحاب رسول الله صلّى اللهُ عليه وآله وسلّم، إذ من المعلوم أنّ السّمة الغالبة لذلك الجيل هُو الصّدقُ.

عليك أن تُسلّم بهذا الكلام الفضفاض رغمًا عن أنفك، وإلّا!؟

طيّبٌ، هل أخَذْنا برأي المُحدّثين في تحديد مفهوم الصُّحبة لأنّهُ أرجحُ؟ وما دليلُ رُجحانه؟

هل أعطينا العدالة لأولئك الّذين وُلدوا على عهد الرّسول، وتُوُفّي صلّى اللهُ عليه وآله وسلّم، وكانوا أطفالًا دون سنّ التّمييز، لأدلّةٍ صحيحةٍ عندنا؟

هل أعطينا العدالة للمجهولين لأنّ الأدلّة على عدالة الصّحابة تشملُ المجهولين؟

وكيف؟

وإذا قال رجلٌ من عامّة جيل التّابعين: حدّثني رجلٌ من أصحاب النّبيّ صلّى اللهُ عليه وآله وسلّم بكذا؟ صار هذا الرّجلُ المُبهُم صحابيًّا رضي اللهُ عنه!

أليس من حقّنا أن نستفهم مِنْ هذا التّابعيّ: كيف عرفت أنّهُ صحابيٌّ؟

ألا يُمكنُ أن يكون رجلٌ من أهل الباطل يُريدُ ترويج باطله، فادّعى الصُّحبة وحدّث هذا الرّاوي من التّابعين؟

أسئلةٌ كثيرةٌ جدًّا يجبُ طرحُها في هذا الصّدد، وهي ممنوعةٌ بسيف (العقل الجمعيّ) المُستمرئ لجُملة (عدالة الصّحابة).

سلّمنا بعدالة جميع الصّحابة، المشهورين، والمعروفين، والعُلماء، والعوامّ، والمُرتدين التّائبين بالسّيف، والمُنافقين الّذين تُوفّي رسولُ الله -صلّى اللهُ عليه وآله وسلّم- وهُم أحياء، والطُّلقاءُ الّذين همّوا أن يرتدّوا.

سلّمنا بعدالة هؤُلاء جميعًا، فما معنى إثباتُ العدالة لهُم؟

يقولون: هُم يُخطؤون، ويُمكنُ أن يرتكبوا الكبائر، لكنّهُم لا يكذبون على رسول الله صلّى اللهُ عليه وآله وسلّم.

إذًا ما دام إمكانُ وُقوع الخطأ منهُم واردًا؛ فدعونا نبحثُ في تاريخهم، لنرى صوابهُم فنأخُذ به، ونتعرّف إلى خطئهم، فنجتنبهُ؟

الجوابُ: هذا ممنوعٌ! (إذا ذُكر أصحابي فأمسكوا، وإذا ذُكرت النُّجومُ؛ فأمسكوا).

وإذا قُلنا لهُم: هذا حديثٌ ضعيفٌ، وقد أوردهُ ابنُ عديّ في الكامل؟

قالوا: قد صحّحهُ بعضُ العُلماء، فأقلُّهُ أنّهُ حسنٌ، وحتّى لو كان ضعيفًا، فيُؤخذُ به في فضائل الأعمال!

وهكذا نسيرُ من ترخُّصٍ إلى ترخُّصٍ، ومن تنزُّلٍ إلى آخر، حتّى نجعل بين أيدينا تراكماتٍ من الرّوايات المُتناقضة، الّتي صحّحها بعضُ أهل العلم:

تُعارضُ القُرآن؟ لا بأس!

تُعارضُ السُّنّة الصّحيحة؟ لا بأس!

تُعارِضُ العقل؟ لا بأس!

تُعارِضُ وقائع لتّاريخ؟ لا بأس!

نحنُ نُجري عليها قاعدةَ (إعمالُ النُّصوص أولى من إهمالها) وبتطبيق هذه القاعدة؛ تُصبحُ لدينا خياراتٌ مفتوحةٌ، نُوظّف فيها جميع الرّوايات المُتناقضة، ممّا يجعلُ المشهد الدّينيّ المذهبيّ لدينا مُتناقضًا غير منسجمٍ، ولا مقبولٍ!

ولا بأس أن نُخطّئ رسولَ الله صلّى اللهُ عليه وآله وسلّم نفسهُ، ألم يُخطّئهُ القُرآن؟

لكن من الجرائم أن نُخطّئ عُمر بن الخطّاب، أو واحدًا من الصّحابة الكبار في أيّ واحدةٍ من أخطائه الّتي خالف السُّنّة الصّحيحة فيها!

وما لم يكن ثمّة عُقولٌ شاميّةٌ ترفُضُ تأجيرها للسّلف، أو للخلف، أو لبعض العُلماء، أيًّا كان هذا البعضُ؛ فإنّني أخشى أن لا تنقضي هذه الثّورة (المُقدّسة) إلّا وشبابُ سوريا مُنقسمٌ على قسمين اثنين:

القسمُ الأوّلُ: الشّبابُ الجاهلُ الدّمويُّ الّذي يستعذبُ قطع الرُّؤوس على الشُّبَه.

والقسمُ الثّاني: الشّبابُ المُلحدُ الّذي لا يُؤمنُ بشيءٍ من الأديان، ولا بتعاليمها.

والقلّةالقليلةُ خارجَ هذين المُعسكرين؛ ستجدُ أنفُسها مقهورةً مُستضعفةً، تعيشُ النّفاق والتّقيّة تُجاهَ أحد هذين المُعسكرين المُتطرّفين !

واللهُ المُستعان.

خيرُ الكلام ما قَلّ ودَلّ؟!

هل يجوزُ القولُ: (اللهُ سُبحانه وتعالى شخصٌ؟!)

في كتاب التوحيد، باب قول النبيّ صلى الله عليه وآله وسلّم (لا شخصَ أغيرُ من الله) قال الإمام البخاريّ: وقال عبيدالله بن عمرو عن عبدالملك: (لا شخص أغير من الله) يريد البخاريّ أنّ الرسول صلى الله عليه وآله وسلّم سمّى الله تعالى شخصًا، أو وصفه بأنه شخص!

قال عداب غفر الله له:

هذه الرواية المعلقة؛ لم يصلها البخاريّ في أيّ موضع آخر من جامعه الصحيح ووصلها شيخه الإمام الدارمي في سننه (2227) من طريق زكريا بن عديٍّ التيميّ عن عبيدالله بن عَمْرٍو الأسديّ، عن عبدالملك بن عُمير القبطيّ.

وأخرجها مسلم (2755) وأحمد في المسند (17703) من طريق أبي عَوَانَة الوضّاح اليشكريّ عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍعَنْ وَرَّادٍ كَاتِبِ الْمُغِيرَةِ عَنْ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ مرفوعًا، وفيه: (وَلا شَخْصَ أَغْيَرُ مِنْ الله، وَلا شَخْصَ أَحَبُّ إِلَيْهِ الْعُذْرُ مِنْ اللَّهِ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ بَعَثَ اللَّهُ الْمُرْسَلِينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَلا شَخْصَ أَحَبُّ إِلَيْهِ الْمِدْحَةُ مِنْ اللَّهِ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ وَعَدَ الله الْجَنَّةَ).

مع أنّ هذا الحديث ذاتَه أخرجه البخاريّ (4634) ومسلم (4956) وأحمد (3605) والدارميّ (2225) جميعهم من طرق عديدةٍ عن عبدالله بن مسعودٍ قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لَيْسَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ الْمَدْحُ مِنْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ مَدَحَ نَفْسَهُ، وَلَيْسَ أَحَدٌ أَغْيَرَ مِنْ اللَّهِ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ،وَلَيْسَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ الْعُذْرُ مِنْ اللَّهِ، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ أَنْزَلَ الْكِتَابَ وَأَرْسَلَ الرُّسُلَ).

وأخرجه البخاريّ (1044) ومسلم (1499) بأتمّ منه، من حديث أمّ المؤمنين عائشة، بلفظ: (ما من أحدٍ أغير من الله عزّ وجلّ).

والسؤال: إذا كنت يا سيّدنا البخاريّ أخرجت عن صحابيين جليلين، هما أتقى وأعلم من المغيرة بن شعبة؛ أنهما قالاً (لا أحدَ أغيرُ من الله) ورواية المغيرة نفسها علّقتها تعليقًا، ألا يمكن أن تكون جملة (لا شخص أغير من الله) تصرّف أحد الرواة، فرواها بالمعنى على قدرِ فهمه، فقلب (لا أحدَ) إلى (لا شخص)؟

وما الذي دعاك إلى هذه الترجمة المشكلة؟

والسؤال الآخر: هل يجوز أن نَصِف الله تعالى بأنه شخصٌ، أو أنه شخص لا كالأشخاص؟ وهل (شخص) اسم من أسماء الله تعالى؟

الجواب وبالله التوفيق:

قال ابن فارس في مقاييس اللغة (ش خ ص): أصل واحدٌ، يدلّ على ارتفاعٍ في شيءٍ، من ذلك: الشخص، وهو سواد الإنسان، إذا سما لك من بُعد.

ونحن لا نريد أن نقعَ فيما وقع فيه غيرنا من التكلّف في ردّ هذه اللفظة (لا شخص) لكنّنا نتبع منهج المحدثين ذاته.

ومن المعلوم عند المحدثين أنّ جميع الرواة عرضة للوهم والخطأ، وتغيّر الحفظ.

وقد نصّوا في تقويم شخصية الراوي الذي تغيّر حفظه، فحصل وهم في سند حديثه، أو في متنه؛ على ضرورة الرجوع إلى نقلِ تلامذته عنه:

فإنّ اتّفق تلامذته في تحّمل لفظ الحديث، وكان في لفظه خطأ؛ فالخطأ يلصق بالشيخ.

وإن اختلفوا فيما بينهم؛ يعمل بقاعدة الترجيح بين الرواة.

وحديث الباب مداره على عبد الملك بن عمير القبطي، وقد قالوا في ترجمته: من التابعين الثقات، لكنه مشهورٌ بالتدليس، وصفه به ابن حبان، والدارقطنّي، وغيرهما.

وقالوا أيضًا: تغيّر حفظه في آخر عمره.

وقد اختلف تلامذته في نقل هذا الحديث عنه:

فرواه أبو عوانة من طرق عنه، وعبيد الله بن عمرو، عن عبد الملك، عند مسلم (2755) وفي حديثه: (لا شخص).

ورواه موسى بن إسماعيل التبوذكيّ عن أبي عوانة الوضاحِ، عن عبد الملك، عند البخاري (7416) وفي حديثه: (لا أحد).

وفي سند الحديث علّتان:

الأولى: تدليس عبد الملك بن عمير، ولم يصرّح بسماع هذا الحديث من ورّاد، وربما كان الحديث كلّه وهماً انقلب على عبد الملك بن عمير.

والثانية: تغيّر حفظ عبد الملك، وقد ظهر تغيّره في هذا الحديث، إذ اختلف عليه أصحابه في لفظه.

وفي متن هذا الحديث علّتان أيضاً:

الأولى : أنّ في حديثي عبد الله بن مسعود وعائشة رضي الله عنهما عند الشيخين: (لا أحد) و(ليس أحد) والحديثان في الصحيحين، وابن مسعود وعائشة اعلم وأتقى لله من المغيرة.

الثانية: اضطراب عبدالملك فرواه مرة بلفظ (لا أحد) ومرة بلفظ (لا شخص) وهو رجل مولى قبطّي، فربما قلب كلمة (لا أحد) إلى (لا شخص) ظنّاً منه أنهما بمعنى واحد.

يضاف إلى هذا أن لفظ (لا شخص) لا تدلّ أبداً على أنّها اسمٌ من أسماء الله تعالى، ولا أنها صفة من صفاته، وكلّ الذي تفيده أنّه لا (شخص، أحد، شيء) أغير من الله تعالى، فالله تعالى أغير من كلّ أحدٍ، ومن كلّ شخصٍ، ومن كلّ شيءٍ!

والبخاريّ نفسه ذوقه أعجميّ، وليس ذوقه عربيّاً، وهذه الكلمة (لا شخص) والكلمة السابقة (القرآن صفة من صفات الله) نموذجان على ذوقه هذا!

الخلاصة: لا يجوز عدّ (شخص) اسماً من أسماء الله تعالى، أو صفةً من صفاته العليّة!

والله تعالى أعلم.

والحمد لله على كلّ حال.

عبادةُ الأمواتِ شركٌ أكبر!؟

سألني ابن أخي قائلًا: هل تجوز زيارة قبور الأولياء والصالحين يا عمّ؟!

قلت له: تجوز زيارة قبور الصالحين، وتجوز زيارة قبور الفاسقين، وتجوز زيارة قبور الكافرين!

قال: الله أكبر، ما هذا يا عمّ، أليس هذا شركًا أكبر؟!

قلت له: ما معنى الشرك الأكبر؟!

سكتَ ولم يُحِرْ جوابًا!

فقلت له: أنا أجيبك، الشرك الأكبر هو أن تجعل لله ندًّا، وهو الذي خلقك.

قال: كنّا تعلّمنا في (الدورة الشرعية) أنّ زيارة قبور الصالحين شرك أكبر، بينما عمّي يقول: زيارة قبور المشركين سنّة نبويّة، لا حولَ ولا قوّة إلا بالله العليّ العظيم!

قلت له: وما الشرك في زيارة القبور؟

قال: لماذا يزور الإنسان القبور، أليس ليتبرّك بها، والتبرّك شرك؟

قلت: أوضح ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم بقوله:

(قَدْ كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ، فَقَدْ أُذِنَ لِمُحَمَّدٍ فِي زِيَارَةِ قَبْرِ أُمِّهِ، فَزُورُوهَا، فَإِنَّهَا تُذَكِّرُ الآخِرَةَ) أخرجه مسلم (1623) والترمذي (1054) وهذا لفظه، وقَالَ: وَفِي الْبَاب عَنْ أَبِي سَعِيدٍ وَابْنِ مَسْعُودٍ وَأَنَسٍ وَأَبِي هُرَيْرَةَ وَأُمِّ سَلَمَةَ، وحَدِيثُ بُرَيْدَةَ حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

وَالْعَمَلُ عَلَى هَذَا عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ، لَا يَرَوْنَ بِزِيَارَةِ الْقُبُورِ بَأْسًا، وَهُوَ قَوْلُ ابْنِ الْمُبَارَكِ وَالشَّافِعِيِّ وَأَحْمَدَ وَإِسْحَقَ.

ففي متن الحديثِ زيارةُ القبور عامّةٌ، والإذن بزيارة والدة الرسول صلى الله عليه وآله وسلّم خاصّة، وهي عند أكثر أهل السنّة مشركة!

وقد صحّ عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلّم في أحاديث عديدة أنّه كان يخرج في الليل، فيزور قبور المسلمين في البقيع، ويستغفر لهم!

قال: الرسول لا يخشى عليه من الشرك!

قلت له: ونحن لا يخشى علينا من الشرك!

قال: كيف، أنت رح تجنني عمّي؟

قلت له: أخرج البخاري (4042) ومسلم (4248) من حديث عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ الجهنّي رضي الله عنه قال: صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى قَتْلَى أُحُدٍ بَعْدَ ثَمَانِي سِنِينَ، كَالْمُوَدِّعِ لِلْأَحْيَاءِ وَالْأَمْوَاتِ، ثُمَّ طَلَعَ الْمِنْبَرَ فَقَالَ: (إِنِّي بَيْنَ أَيْدِيكُمْ فَرَطٌ، وَأَنَا عَلَيْكُمْ شَهِيدٌ، وَإِنَّ مَوْعِدَكُمْ الْحَوْضُ، وَإِنِّي لَأَنْظُرُ إِلَيْهِ مِنْ مَقَامِي هَذَا، وَإِنِّي لَسْتُ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا، وَلَكِنِّي أَخْشَى عَلَيْكُمْ الدُّنْيَا أَنْ تَنَافَسُوهَا).

قَالَ عقبة: فَكَانَتْ آخِرَ نَظْرَةٍ نَظَرْتُهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ!

وأخرج مسلم (5030) والترمذي (1937) من حديث جَابِر بن عبدالله الأنصاريّ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ) والتحريش: إغواء بعضهم بعداوة بعض.

فالأمّة في جملتها يا ولدي لن تشرك بالله، إنما هي أخطاء قد يرتكبها فلان وفلان بجهل أو تأويل خطأ!

قال ابن أخي رحمه الله تعالى: عمّي سامحني، يعني أنت أعلم من شيخ الإسلام ابن تيمية؟

قلت له: أعتقد أنّ الرسول صلى الله عليه وآله وسلّم أعلم منه، ومن آل تيمية، ومن جميع الخلق!

قال: يعني هو لم يقرأ هذه الأحاديث؟

قلت له: قرأها بالتأكيد، لكن لا أذكر أنه علّق على هذين الحديثين بكلمة واحدة!

على كلّ حال حبيبي، إنّ الذين علّموكم أنّ الشيخ ابن تيمية يقول: إنّ زيارة القبور شرك جمّال، أو إنك أنت لم تفهم عليهم!

فالشيخ ابن تيمية يقول: يستحبّ زيارة قبور المشركين؛ لأنها تذكّر بالآخرة، ذكر ذلك في الفتاوى الكبرى، وفي مجموع الفتاوى، أو في أحدهما قطعًا!

وعلى العموم، الشيخ ابن تيمية وتلميذه ابن القيّم لديهما مبالغةٌ في تطبيق قاعدة سدّ الذرائع، فهما يمنعون كثيرًا من الأمور الجائزة بدعو سدّ الذرائع إلى الشرك .

لكن سأشرح لك الأمر بهدوء وتيسير:

أين أنتَ الآن؟

قال: في حماة!

قلت له: جميل، وأين قبر والدك؟

قال: في العراق؟

قلت له: إذا كنت تعتقد أنّ أباك يستطيع نفعك الآن نفعًا ذاتيًّا، كأن تقول له: يا أبت ارزقني ولدًا، أو ألف دولارٍ مثلًا، وتعتقد أنّ أباك يستطيع بذاته إجابة طلبك؛ فأنت مشركٌ شركًا أكبر، سواء وقفتَ على قبره، أو ناديته من هنا، أو توجهت إليه بقلبك من دون كلام؛ لأنّ الإيمان والشرك حالان قلبيان!

أمّا إذا أغمضت عينيك، وقرأت شيئًا من القرآن، واستحضرت حضرة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، أو أيّ واحدٍ ممن شهد له بالإيمان أربعون مؤمنًا فقط، وقلت: يا ربّ إنني في ضيق وكربٍ، وإن ذنوبي تُخجلني أن أدعوك، فأتوسل إليك بنبيّك محمد نبيّ الرحمة أن ترزقني ولدًا مثلًا، أو أن تشفيني وتعافيني؛ فذلك جائز بدون ارتياب، ومن دون تفصيل!

فقد أخرج الإمام أحمد (16789) والترمذيّ (3578) وهذا لفظه، من حديث عُثْمَانَ بْنِ حُنَيْفٍ رضي الله عنه أَنَّ رَجُلًا ضَرِيرَ الْبَصَرِ أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ ادْعُ اللَّهَ أَنْ يُعَافِيَنِي قَالَ إِنْ شِئْتَ دَعَوْتُ وَإِنْ شِئْتَ صَبَرْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ قَالَ فَادْعُهْ قَالَ فَأَمَرَهُ أَنْ يَتَوَضَّأَ فَيُحْسِنَ وُضُوءَهُ وَيَدْعُوَ بِهَذَا الدُّعَاءِ: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ إِنِّي تَوَجَّهْتُ بِكَ إِلَى رَبِّي فِي حَاجَتِي هَذِهِ لِتُقْضَى لِيَ اللَّهُمَّ فَشَفِّعْهُ فِيَّ).

قَالَ الترمذيّ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

وكذلك لو قلت من هنا: يا رسول الله إنني في ضيق وكرب، فاشفع لي عند ربك تعالى أن يرزقني كذا وكذا؛ فذلك جائز لا ريب فيه عندي؛ لثبوت إطلاع الله تعالى رسوله صلى الله عليه وآله وسلّم على مَن يسلّم عليه.

وتكون بذلك قد سألت الله تعالى، ولا تكون أشركت بالله، لا شركًا أكبر ولا أصغر.

يا ولدي: زيارة قبور المشركين فيها عظة وعبرة، وفيها تصوّر لحال شقائهم فلعلّ في ذلك ردعا للنفس الأمارة.

قال: أليس هناك آية تنهى عن القيام على قبر المنافق والمشرك؟

قلت: بلى!

قال الله تبارك وتعالى: (وَلا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ).1

الصلاة على الميت معروفة، والقيام على قبره: يعني المشاركة في دفنه، وليس المقصود مطلق الزيارة للعظة والعبرة.

وخلاصة القول: إنّ زيارة قبر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وزيارة قبور الصالحين سنّة ثابتة عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلّم، ولو صلّى على قبر المسلم صلاة الجنازة؛ فلا حرج في ذلك عندي أيضًا، ولو قرأ القرآن وأهدى ثوابه للميت أو الموتى؛ فهو مأجور بإذن الله تعالى.

المحرّم والمحظور؛ هو اعتقاد النفع والضرر الذاتي بهؤلاء الموتى أو اعتقاد أن الله لا ينفع عباده إلا عن طريقهم.

أمّا مع اعتقاد بشريتهم وعجزهم الذاتي عن نفع أنفسهم وإنما تتقرب بهم لأنّ لهم عند الله منزلة وكرامة ومكانة لعبوديتهم له تعالى وأنت إنما تتوسل إلى الله تعالى بذلك؛ فليس في ذلك أدنى حرج، إن شاء الله تعالى.

والأمر يحتمل تفصيلًا أكثر، وفي هذا كفاية، والحمد لله رب العالمين.

العدوى تُطلق ويراد من إطلاقها ثلاثة معان:

المعنى الأول:

أنّ العدوى تُؤثّر بذاتها تلقائيًّا، ولا تدخّل لله تعالى في فعلها.

المعنى الثاني:

أنّ العدوى بذاتها غير موجودة في شيء، فإذا أراد الله تعالى أنْ يجعلها جنديًّا من جنوده؛ منحها خاصّية التأثير.

والمعنى الثالث:

أنّ الله الحكيم الخبير أودع في هذا المخلوق أو ذاك قدرةً على التأثير الخاص أو العام، فهو يُعدي بهذه القوّة المُودعة فيه، وإذا شاء الله تعالى سلبَ هذا المخلوق -فيروسًا أو غيره- قدرته على التأثير الخاص أو العدوى؛ فعل، ويكون ذلك خرقًا للعادة.

والمعنى الثالث هذا؛ هو الذي أختاره، والله تعالى أعلم!

مسألة المُفاضلة بين الصّحابة رضي اللهُ عنهم!

إنّ مسألة المُفاضلة بين الصّحابة هي الأُخرى قضية سياسيّة، لا علاقة لها بأركان الإيمان، ولا بأركان الإسلام، ولا بمقام الإحسان؟؟!!

ولأنّ مُعظم أهل الحديث جبريّة، وهُم رأوا اللهُ تعالى جعل الخليفة الأوّل بعد رسول الله -صلّى اللهُ عليه وآله وسلّم- أبا بكر، ثُمّ عُمر، ثُمّ عُثمان، ثُمّ عليّ رضي الله عنهم؛ فتفاضلهم إذاً على ترتيبهم في الخلافة.

وجميع الأحاديث التي رووها في ذلك تحتاج إلى دراسة نقدية، شأنها شأن جميع أحاديث الفضائل والسياسة، وقد جمعتها وخرجت كثيراً منها، وا كثرها قبض الريح!

ولأنّ مسألة المفاضلة بين الصحابة ليست من أصول الإيمان ولا الإسلام، ولا هي من العقائد أصلاً؛ فقد اختلف العلماء من المسلمين فيها اختلافًا بيّنًا.

وقد كتب زميلنا الفاضل الدكتور سالم أحمد سلامة الغزي رسالته للحصول على درجة الماجستير من جامعة أم القرى المباركة بعنوان (الآيات والأحاديث الواردة في فضل أبي بكر الصديق رضي الله عنه) فقال ما ملخصه:

اختلف المسلمون في مسألة المفاضلة بين الصحابة على فريقين:

ففريق قالوا: نترضى عن السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار ومن تبعهم بإحسان عامة، لكننا لا نفاضل بين الصحابة، ونترك أمر المفاضلة إلى الله تعالى لأنّ الأفضل عند الله لا يكون إلا بتوقيف..وليس هناك من توقيف ملزم. قال عداب: وليت الأمة التزمت هذا المذهب وأراحتنا!؟

والفريق الثاني قالوا: بل نفاضل بين الصحابة على نحو ما فاضل بينهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، مستأنسين بقرائن الأحوال.

وهذا الفريق؛ هو الذي جرى عليه عمل المسلمين، ولا يكاد يوجد اليوم من يقول بالمذهب الأول.

لكن هذا الفريق انقسم على سبعة مذاهب في التفضيل:

المذهب الأول قال أتباعه: أبو بكر أفضل الأمة بعد نبيها، ثم عمر، ثم عثمان، ثم عليّ، وهم جماهير علماء أهل السنة كما تقدم.

المذهب الثاني قال أتباعه: أفضل الأمة بعد نبيها هو عليّ بن أبي طالب، وممن ذهب هذا المذهب علماء آل البيت من سائر المذاهب عمليًّا، والشيعة الإمامية، والشيعة الزيدية، وجماهير المعتزلة، وهؤلاء يرون أن ترتيب الأفضلية عليّ، ثم الحسن، ثم الحسين.

ومن المعتزلة من قال: عليّ، ثم أبو بكر، ثم عمر...

المذهب الثالث قال أتباعه: عمر بن الخطاب هو أفضل الأمة، وممن ذهب إلى ذلك آل عمر، وقد ظنّ بعض الباحثين أن المقصود فرقة الخطابية من الرافضة، وليس كذلك في تقديري؛ لأن الخطابية من الرافضة الذين يكفرون عمر.

المذهب الرابع قال أتباعه: جعفر بن أبي طالب هو أفضل الأمة، وكان كريمًا سخيًّا يتفقد المساكين، ولذلك كان يلقب أبا المساكين، وممن ذهب إلى هذا المذهب راوية الإسلام أبو هريرة رضي الله عنه، وأبو عاصم النبيل الضحاك بن مَخلد، وغيرهما.

المذهب الخامس قال أتباعه: أفضل هذه الأمة بعد نبيها العباس بن عبدالمطّلب، وقد روّج لهذا المذهب بنو العباس في زمانهم، ولهم أدلتهم العديدة.

المذهب السادس قال أتباعه: أبو سلمة بن عبدالأسد المخزومي هو أفضل هذه الأمة بعد نبيها، وقائل هذا القول نسـ به إلى أم المؤمنين أمّ سلمة حين قالت: (ومن في المسلمين أفضل من أبي سلمة؟).

المذهب السابع قال أتباعه: عبدالله بن مسعود أفضل هذه الأمة بعد نبيها وممن روي عنه هذا المذهب مسروق بن الأجدع، وشميم بن حذلم، وإبراهيم النخعيّ وغيرهم من تلامذة ابن مسعود.

ومن وراء استعراض هذه المذاهب نتبين أمرين اثنين:

الأول: أنّ مسألة التفضيل اجتهادية، وليست محلّ إجماع حتى بين أهل السنة أنفسهم.

والثاني: أن مسألة التفضيل بين الصحابة انقرضت مذاهبها كلها،

ولم يبق في الأمة إلا مذهبان:

الأول: هو مذهب أهل السنة والجماعة الذين يذهبون إلى أن ترتيب الصحابة في الفضل كترتيبهم في الخلافة، ويوافقهم قدماء الإباضية على تفضيل أبي بكر وعمر فقط، ولا يرون عثمان وعليًا بين الفضلاء أصلاً.

والمذهب الثاني: هو مذهب الشيعة الزيدية، والشيعةالإمامية، وكثير من علماء آل البيت من أهل السنة قديمًا وحديثًا، وهؤلاء يذهبون إلى أنّ عليًّا هو أفضل هذه الأمة بعد نبيها صلى الله عليه وآله وسلّم، ثم حسن، ثم حسين.

ويرون أفضل نساء الأمة خديجة وفاطمة عليهم السلام.

ومما لا ريب فيه عندي أنّ أبا بكر فاضل، وعمر فاضل، وعثمان فاضل، وطلحة والزبير، والسابقين الأولين من المهاجرينوالأنصار، كلهم أفاضل رضي الله عنهم وأرضاهم.

لكنّ اجتهادي أنّ آل بيت الرسول عليهم السلام لا يُعدل بهم أحد، كما هو مذهب الإمام أحمد.

وأفضل آل البيت عليّ، ثم الحسن، ثم الحسين، وفاطمة سيدة نساء هذه الأمة.

أما الصحابة رضي الله عنهم فأرى أنّ أفضلهم عثمان بن عفان رضي الله عنه لأسباب كثيرة:

الأول: لم ينقل إلينا أنّ عثمان عكّر مزاج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم قطّ، بينما نزل في أبي بكر وعمر قرآن عظيم حين تخاصما في حضرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

والثانيأنّ عثمان كان أكرم الصحابة وأسخاهم وله من مآثر الإنفاق في سبيل الله تعالى ما يجعل كلَّ آية من آيات الجهاد في سبيل الله بالمال تنطبق عليه أكثر من جميع الأمة، بينما لم يكن لأبي بكر وعمر مالٌ أصلاً!

فأبو بكر كان يبيع الثوب في السوق، ثم يشتري من ربحه طعامًا لأهله ويشتري بباقي ثمنه ثوبًا آخر ليبيعه في اليوم التالي، وحين ولي الخلافة ترك مجلسها في اليوم الثاني، وحين تبعه عمر إلى السوق قال له: دعوني من شأنكم هذا، أريد أن أسعى على عيالي، حتى فرض له عمر ما يطعم منه عياله.

وأما عمر؛ فقد كان له قطعة أرض صغيرة يعمل فيها بنفسه، ويتكسب منها قوتَ أسرته.

والثالث: أن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما وأرضاهما قد خطب كل منهما بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم، فلم يزوج واحداً منهما بنتًا من بناته، بينما زوّج عثمان رضي الله عنه بنتين من بناته الطاهرات.

وما دامت المسألة اجتهادية، وما دامت أحاديث الفضائل كلها تحتاج إلى درلسة ناقدة، لم تكتمل عندي بعد؛ فلا أرى حرجًا من التصريح باجتهادي في مسألة التفضيل بين الصحابة، وأرى من الخطأ القبيح عدّ ذلك من العقائد، حتى لو قال كلّ العلماء: إنها من العقائد، أو حشروها في كتب الاعتقاد.

هذا ما أدين الله به، وهو مذهب آبائي وأجدادي من آل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، مع التذكير بأنه ليس في سلسلة نسبي من والدي إلى جدي جعفر الزكي بن علي الهادي إلا شافعيّ، فليس فيهم شيعيّ واحد، ولا حنفي واحد، ولا غير ذلك، والله تعالى هو أعلم بالصواب.

فقه

(فقه)

بين المذهبيّة واللامذهبيّة؟!

المذهبيّة: هي التزامُ المُسلم السُّنّيّ بمذهبٍ من المذاهب السُّنّيّة الأربعة: الحنفيّ والمالكيّ والشّافعيّ والحنبليّ.

وأكثر علماء هذه المذاهب الأربعة يرون:

التّمذهب بمذهب غير هذه المذاهب بدعةٌ ضلالةٌ؟!

فالتمذهب بمذهب ابن حزم الظاهري السني المتشدد؛ بدعة.

ويرون التمذهب بواحد من المذاهب غير السنية مثل الزيدية والإمامية والإباضية والإسماعيلية؛ بدعة ضلالة.

أشد ابتداعًا من التمذهب بالمذهب الظاهري.

ويناقشون في كتبهم مسألة: هل يُعتد بخلاف هؤلاء في مسائل الإجماع؟

وبقية المذاهب مثل مذاهب أهل السنة، وربما أكثر تشدداً.

فعندما يدعو شيعي إمامي إلى التسامح المذهبي؛ لا يعني أبدا تركَ بعض مسائل الفقه الجعفري، والأخذ بمذهب أبي حنيفة أو الشافعي.

وإنما يطلب منك الالتزام بمذهبك، وعدم الاعتراض عليه بالتزام مذهبه فقط.

ومثله الإباضي والإسماعيلي.

أما الزيدية، فشهد تاريخهم العلمي علماء عديدين تركوا مسائل كثيرة من الفقه الزيدي، وأخذوا بواحد من المذاهب السنية الأربعة، لدليل ترجّح لديهم.

ومن المقرر لدى الجميع أن هذه المذاهب الثمانية هذه مرّت بمراحل، عُدّلت بعض أحكامها، ونقحت على مَرّ العصور حتى استقرت على ما يعرف الآن بـ(المذهب).

فليست جميع كتب الفقه الشافعي معتمدة الفتوى في المذهب.

كتاب (المجموع) للإمام النووي؛ لا يمثل مذهب الشافعية، بل هو أقرب إلى عرض ما يعرف بالفقه المقارن، من دون ترجيح غالبًا.

بينما كتابه (منهاج الطالبين) يمثل مذهب الشافعية.

وكتاب المغني لابن قدامة لا يمثل مذهب الحنابلة، وهو مثل كتاب المجموع.

بينما يمثله كتابه (الكافي) أو (عمدة الفقه).

وهكذا الشأن في بقية المذاهب.

أما اللامذهبية، فأصحابها يزعمون أنهم يستمدون فقههم من الكتاب والسنة مباشرة!

والحقّ الذي لا مِريةّ فيه أنّ (حجَر) التمذهب بواحدٍ من المذاهب المتبوعة؛ هو ضرورة علمية شرعيّة لا بدّ منها في حقّ الأمّة كلها، ما عدا أفراداً فقط، فهم وحدهم القادرون على ترك (التمذهب) في خمسين مسألة، أو مائة مسألة، أو حتى ألف مسألة!

ومضى عمري الطويل كله، ولم أخالف المذهب الشافعي بخمسين مسألة خلافية!

فترك التمذهب يعني الفوضى العلمية والفقهية.

وحين يقول العلماء: لا يجوز الخروج على المذاهب المتبوعة؛ إنما يعنون: لغير المجتهد القادر على (الترجيح) الأصولي، في الحدّ الأدنى.

أما مَن اجتهد، وتوصّل إلى خلاف ما عليه المذهب مثلاً، وكان أهلاً لذلك؛ فلم يمنعه أحدٌ من الاجتهاد، واجتهاده يُعتَمد غالبًا بعد موتِه؛ لأن عقدة العلماء؛ قلّة احترامهم للمجتهد الحيّ.

ومما لا يخفى أنّ أكثر الإمامية لا يجوّزون اتّباعَ الإمام المتوفى، إنما يتبعون الإمام الحيّ.

فمسألة(المذهبيّة - اللامذهبية) خلاف نظريّ منفكّ الجهة عند الإطلاق.

والذي ندعو إليه نحو؛ مؤسسة علمية ضخمة، تجمع كبار علماء كلّ قطر من أقطار في الاختصاصات الأساسية للاجتهاد (علوم اللغة، علم الأصول، علم القواعد الفقهية، علم الاجتهاد الجماعي، علم النقد الحديثي).

فيقوم هؤلاء العلماء الكبار بمراجعة شاملة للقواعد الأصولية الخلافية، ويتفقون على رأي واحد فيها قدرَ الإمكان.

ثم يعرضون مسائل الفقه الخلافية في المذهب الواحد، ويصلون فيها إلى رأي موحّد.

ثم يعرضون مسائل الفقه الخلافية في المذاهب السنية، ويصلون فيها إلى رأي موحّد أيضًا.

ويحدث الأمر ذاته بين مذاهب مدرسة (أهل البيت) من الزيدية والإمامية والإسماعيلية والإباضيّة، فالخلافات الأصولية والفقهية بينهم ليست كثيرة.

وبعد الانتهاء من هذه المرحلة، يقوم كلّ فريق على حدته، فيجمع مواضع الإجماع بين (مدرسة الخلافة) وبين (مدرسة آل البيت).

ثم يدرسون مسائل الخلاف بين المدرستين، ويحاولون الوصول إلى نتيجة حاسمة فيها.

ومن البدهيّ أنّ هذا لا يكون إلا بإرادة سياسيّة؛ لأنّ جميعنا خاضع لقهر سلطان حكوماتنا العتيدة، التي لا تلتزم بالدين، لكنها تفرض علينا الالتزام بتوجيهاتها الدينية.

ومع الزمان تصبح أقوالهم وتوجيهاتهم مما (يحسم الخلاف).

صفوةالكلام: اللامذهبيّة دعوة فاسدة حين تصدر من جميع المسلمين.

والاجتهاد المذهبيّ حقُّ أفرادٍ من الأمة بلغوا مرتبة الاجتهاد فقط.

والمطلوب هو العمل العلمي المؤسسيّ، فهو المنقذ من ضلال الطريق!!

واللهُ تعالى أعلمُ.

والحمدُ لله على كُلّ حالٍ.

رؤية محايدة : بين الاجتهاد الفردي والاجتهاد الجماعيّ المُؤسّسيّ!!!

متى استطعنا هضم وقَبول الآراء الواردة غدا من اليسير علينا أن نعمل بالمقولة الواقعيّة الّتي لا بدّ من العمل بها أصلًا (نعمل معًا فيما اتفقنا عليه، ويعذُر بعضُنا بعضًا فيما اختلفنا فيه) ما دامت أمور شرعنا تحت سُلطة حُكّام، لا يهمّهُم من ديننا كُلّه إلّا أن يُوظّف لخدمتهم، وتسويغ ظُلمهم وجبروتهم وإذلالهم للمُسلمين.

وبكلمة أوضح: ما دام العلمُ المُؤسّسيّ الحرّ المُستقلّ مفقودًا، وما دامت سوريا بالذّات تعاني من التّجهيل المُتعمّد والإفساد الدّينيّ والأخلاقيّ المُتعمّد منذ نصف قرن من الزّمان؛ فلا بُدّ من أن يعذُر بعضنا بعضًا في مسائل الخلاف، قليلةً كانت أم كثيرةً.

وعلى الجميع أن يفهم بأنّ علم الأُمّة في تاريخها كُلّه؛ هو علم اجتهاديّ فرديّ فأبو حنيفة مُجتهدٌ وهو فردٌ، ومالك مُجتهدٌ وهو فردٌ، والشّافعيّ مُجتهدٌوهو فردٌ، وهكذا بقيّة الأئمّة المُجتهدين.

وما دام كُلّ واحدٍ من هؤلاء اجتهد مُنفردًا؛ فمن الطّبيعيّ أن تكون مخالفاته أكثر من العمل المُؤسّسيّ.

فمن يظنّ أنّه هُو الحقّ، وأنّ مخالفه هو الباطل؛ فهُو الباطل بعينه؛ لأنّ عُلماء العصر الكبار معلومون لدينا، وليس فيهم مُجتهدٌ واحدٌ لا على مستوى اجتهاد النّصّ، ولا اجتهاد القواعد!

وأقبحُ أولئك المُجتهدين؛ أُولئك الّذين يُقدّسون أحكام الشّيخ الألبانيّ الحديثيّة.

فالشّيخُ رحمهُ الله تعالى قد اجتهد اجتهادًا فرديًّا، كما اجتهد المُتقدّمون، وكان يغضب أشدّ الغضب إذا ردّ عليه أحدٌ، أو انتقص من أحكامه أحدٌ، حتى لو كان من أقرب النّاس إليه.

ناهيك عن الأصول العجيبة الغريبة الّتي سار عليها من (التّرقيع الحديثيّ) وإشاعة الاحتجاج بالحديث الّذي حكم عليه بأنّه حسنٌ لغيره؛ كما يحتجّ بالحديث الصّحيح لذاته أو لغيره.

مع أنّ عددًا من النُّقّاد الكبار من أمثال الحافظ أبي الحسن بن القطان الفاسيّ والحافظ ابن حجر وغيرهما قالا: لا يُحتج بالحديث الحسن في الأحكام، وإنّما يُستأنسُ به في الرّقاق.

بل قال المناوي: إنّ الحديث الغريب لا يُحتجُّ به في الفُروض، وإنّما يُستأنسُ به في النّوافل والمندوبات!

فإذا عُلم أنّ (90%) من الرّوايات الحديثيّة من هذه الغرائب؛ فعلى المُستعلي بدعوى اتّباعه السُّنّة أن يُراجع نفسه ليعلم كم هو جاهلٌ بالسنة، وبكيفيّة التّعامل معها.

وكلامي هذا لا يعني أن نترُك الحبل على غاربه؛ بعيدًا عن الوحدة الفكريّة أو الوحدة الفقهيّة، وإنّما يعني فقط ترك الاستعلاء والتّجبُّر على عباد الله والاستخفاف بالمُسلمين ورميهم بالموبقات.

ما كعني أن لا يُشدّدوا على الهيئات مُطلقًا؛ لأنّها هيئات تتميميّة تكميليّة من جهة، ولأنّ كثيرًا منها تشبّثوا به استنادًا إلى تحسينات الشّيخ الألبانيّ الّتي لا تُساوي قليلًا ولا كثيرًا.

أمّا ما يدعونه مسائل (الصّفات الخبريّة) فهي كلّها مرويّة بالمعنى وأسانيد كثير منها ضعيفة ومُتونها مُنكرة.

ومن أراد أن يستيقن هذا الكلام فليقرأ عشر صفحات من الكتاب الخامل (إبطال التّأويلات) أو ما يُدعى (كتاب السُّنّة) لعبد الله بن أحمد؛ ليرى العجب العُجاب من التّشبيه والتّجسيم والافتراء على الله تعالى.

وليعلم الجميع أنّ في مُصنّفات جميع المذاهب أخطاء اجتهاديّة وروائيّة قاتلة، والمُسلمون غير مُلزمين بشيءٍ منها البتّة.

فإذا وضُح هذا، ويجبُ أن يكون واضحًا؛ فيسعُنا أن نتوحّد على القواسم المُشتركة الكثيرة الّتي ذكرتها (سابقًا).

وليستح كُلّ واحدٍ من جهله، أليست الأُمّة مُقلّدة؟ أوليس المُقلّد جاهلًا؟ فهل يليقُ بجاهلٍ أن يرفع رأسه ويفخر بجهله؟

والصّنفُ الزّاعمون أنّهم (مُتابعون) وليسوا مُقلّدة؛ فهذا هُو الجهلُ المُركّبُ الأشنعُ، فهل هذا المُتابعُ يعلمُ بصواب تطبيق القاعدة الأُصوليّة أو القاعدة الفقهيّة؟

وهل يعلمُ صواب الشّيخ الألبانيّ من خطئه في أحكامه على الأحاديث حتّى يتبع على بصيرة؟

وأنا لا أقولُ: إنّهُ لا يوجدُ عُلماء، كلّا وألفُ كلّا، فهُناك عُلماء حنابلة (سلفيّون) كثيرون يُجيدون المذهب الحنبليّ، وهُناك عُلماء شافعيّة وحنفيّة ومالكيّة وهذا كُلّه طيّبٌ، لكنّ طبقة (المُرجّحين) أفرادٌ في الأُمّة، وبقيّةُ الأُمّة مُقلّدةٌ جاهلةٌ.

ثمّة مسألةٌ أُخرى، وهي تطبيق الحُدود والتّعزيرات.

فأهلُ السُّنّة مُتّفقون على أنّ إقامة الحدود تحتاجُ إلى إمامٍ مُبايَعٍ عالِمٍ، أمّا أن يقوم قادة الكتائب والفصائل بتنفيذ الحُدود الشّرعيّة، أو يُقرّرون تعزيرات على المُخطئين؛ فهذا ينبغي أن يكون له ضوابط شرعيّة مُؤسّسيّة، ولا يجوزُ أن يُترك لأهواء أُولئك القادة العوامّ أبدًا.

فإذا انتبهنا إلى هذه الأُمور في واقعنا السّوري الحزين، ورحمنا هذا الشّعب وأخذنا بيده إلى سبيل العلم برفقٍ ورحمةٍ؛ فعسى أن نتوحّد على رضوان الله تعالى ومحبّته، والاستمساك بالثّوابت الشّرعيّة الّتي سبقت الإشارةُ إليها، والّتي ليس منها مسألةُ خلق القُرآن، ولا مسألةُ زيادة الإيمان ونقصانه، ولا مسألة (الصّفات الخبرية) بل ولا حتّى حقيقة عذاب القبر، وصفة الصّراط، ورُؤية الله بالعين الباصرة في الآخرة.

واللهُ تعالى أعلمُ وأحكمُ، والحمدُ لله ربّ العالمين.

الكبائر ثلاثة أقسام:

قسم منها: انتهاك لحقّ الله تعالى، وهذا تكفي في محوه التّوبة النّصوح.

وقسم منها: انتهاك لحقوق المسلم، وهو أقسام:

منها ما له بدلٌ عينيٌّ.

ومنها ما هو حقٌّ أدبيٌّ، كفّارته الاعتذار.

فما كان منه حقًّا له بدلٌ عينيٌّ؛ فلا بدّ من أداء الحقّ لصاحبه، أو ورثته من بعده.

ومكان حقًّا أدبيًّا فرعان:

أحدهما يمنع المذنب من الاعتذار عنه الكبر وعزّة النّفس!

وهذا بحدّ ذاته كبيرة، فلا ينفع سوى الاعتذار.

وفرع آخر: يمنع المذنب من الاعتذار عنه؛ خوف الخصومات والفتنة، وأن يقود الاعتذارإلى ما هو أكبر!!

فمثل هذه الحال، يتوب المسلم، ويستغفر للمظلوم ويتصدق على نيّته.

والأمر بعد ذلك لعفو الله تعالى.

والقسم الثّالث من أقسام الكبائر: هو حقٌّ مشترك لله تعالى وللمعتدى (عليها/عليه) كالزّنا ومقدّماته.

ففي حال الزّنى الطّوعيّ؛ يجب على الزّاني التّصدّق بمهر مثيلات هذه المزنيّ بها من وجهة نظري؛ قياسًا على المدخول بها من دون تسمية مهر.

وهذا يحتاج إلى منشور مفرد.

والله تعالى أعلم.

هل يجوز للجنب كتابة القرآن في الجوال؟

سؤال:

هل يجوز للجُنب كتابة القُرآن في الجوّال؟

وهل يجوز له فتحُ برنامج المُصحف وتقليب صفحاته؟

وهل يجوز النّسخُ واللّصقُ؟

وهل يختلف الحال بين الجوّال اللّمس والجوّال الغمز؟

جواب الحمش:

جميعُ هذه الأسئلة جوابها واحدٌ.

القُرآنُ الكريمُ هُو القُرآنُ الكريمُ!

سواءٌ كان مكتوبًا على الجوّال

أم كان مكتوبًا على الحائط

أمكان في المُصحف المعروف!

لا يجوز لمس آيةٍ منه إلا على طهارةٍ تامّةٍ من الحدثين الأكبر والأصغر.

أمّا الأدلّة؛فالمُستفتي له الفتوى فقط.

والمُفتي ليس مُوظّفًا عند السّائل ليستحضر له الأدلة!!

ولا يليق بالسّائل أن يقول للمُفتي: لأنّي مريضٌ ابحث لي أنت هذه المسألة.

هذامنطقٌ غريبٌ جدًّا عن لـُغة العلم!!!

أبرزُ الأدلّة قول الله تعالى: (لا يمسُّه إلا المُطهّرون)فهو صيغةُ خبرٍ يـُراد منها النّهي.

وقول الله تعالى: (ومن يُعظّم شعائر الله؛ فإنّها من تقوى القلوب).

وقول أمّ المُؤمنين عائشة رضي الله عنها:

(ما كان يحجبُ رسولَ الله -صلّى الله عليه وآله وسلّم- عن القُرآن شيءٌ سوى الجنابة).

وهُو حديثٌ اختلفوا في صحّته وضعفه

وهُو عندي حسنٌ.

وهُو مذهبُ كثيرٍ من أهل العلم.

والله تعالى أعلم.

حُكمُ الصّلاةِ وراءَ إمامٍ من غيرِ أهل السُّنّة؟

استمعتُ بعضَ تسجيلاتِ عددٍ من عُلماء (أهل السُّنّة) تجاه حُكمِ الصّلاةِ وراءَ إمامٍ إباضيّ، أو إماميّ، أو زيديّ؟

فرأيتُ أكثرَ هؤلاء العُلماء اتّزانًا في هذه المسألة يقولُ:

(مَن لم تُخرجْه بدعتُهُ منالإسلام؛ فتجوزُ الصّلاةُ خلفَه)

أقدّمُ لكم هذه القاعدة، وأنتم تستنبطون الجواب.

على أنّ من عُلماءأهل السُّنّة مَنْ لم يُجوّزُ الصّلاة خلف السُّنّيّ الفاسق.

أمّا الآخرون؛ فحكموا أنّ الصّلاة وراء هؤلاء الأئمّة من غير أهل السُّنّة باطلةٌ وعلى المُصلّي الإعادة؟!

قال الفقيرُ عداب:

إنّ أكثر فتاوى عُلماء أهل السُّنّة، في هذه المسألة؛ غيرُمُتوازنةٍ، فهؤلاء لا يُكفّرون تاركَ الصّلاةِ ولا تاركَ الصّيامِ، ولا تاركَالزّكاةِ، بل ويفُتون بصحّة زواجهم من المُسلمات العفيفات المُلتزمات!

فقط، لأنّه وُلِدمن أبَوين سُنّيّين!

ولا يُجوّزون الصّلاة وراءالمُبتدِع الذي تُخرجُهُ بدعتُهُ من الإسلام اجتهادًا، مع أنّ ما يرونهُ هُم بدعةً؛ قد يكونُ هُو الحقَّ الّذي لا مِريةَ فيه عند مَن يعقِل!

فمثلًا:

أهلُ السُّنّة مُطبقون على كفرِ القائلين بخلق القُرآن.

والحنابلةُ منهُم مُطبقون على كفر نُفاة الصّفاتالخبريّة (التّجسيميّة)!

مع أنّ الأرجحَ قولُ القائلين بخلق القرآن، والحقَّ مع القائلين بتأويل هذه الإضافاتِ، على افتراض صحّة وُرودها عن الرّسول صلّى اللهُ عليه وآله وسلّم.

مُعظمُ الحنابلة حتّى عصر ابن تيميّة، ومنهم ابنُ تيميّة وابنُ القيّم؛ كانوا يعتقدون بـ(قُعودِ الله على عرشِه)، وإقعادِه رسوله مُحمّدًا صلّى اللهُ عليه وآله وسلّم معهُ على العرش يوم القيامة؟!

وإذا لم تكن هذه عقيدةٌ تجسيميّة ضالّة؛ فأين يوجَد الضّلال؟

نعم قال عُلماءُ أهلُ السُّنّة الأشاعرة: هذه عقيدةٌ ضالّة، لكنّهُم لم يُخرجوا القائلين بها من الإسلام، ولا منعوا تزويج الأشعريّات منهُم؟!

مقصودي:

أنّ البَدع المكفّرةَ وغيرَ المُكفّرة؛ هي اجتهادٌ من العُلماء القائلين بها، فما داموا يُؤمنون بالله وبقيّة أركان الإيمان، وما داموا يعتقدون بفرائض الإسلام ويُطبّقونها؛ فلا يجوزُ تكفيرهُم أبدًا، ما دام تكفيرُنا إيّاهُم اجتهادًا منّا في مُقابل اجتهادهم.

أليس جميعُ أهلُ السُّنّة يقولون بمضمون الحديث:

(إذا حَكَمَ الْحَاكِمُ، فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَصَابَ؛ فَلَهُ أَجْرَانِ.

وَإِذَا حَكَمَ، فَاجْتَهَدَ، ثُمَّ أَخْطَأَ؛ فَلَهُ أَجْرٌ)؟!

أخرجهُ البُخاريُّ في الإعتصام (7352) ومُسلمٌ في الأقضية.(3240)

وبناءً على هذا الحديثِ منحتُم سيّدكُم (مُعاوية) أجرًا على كُلّ قتيلٍ قتلهُ في حُروبه للحُصول على المُلك؟

فمُعاويةُ قطعًا لا يمتلكُ من العُلوم المُؤهّلة للاجتهاد ما يمتلكهُ عمرُو بنُ عُبيد، أو بشر المرّيسيّ، أو عبد الجبّار الهمْذانيّ!

فكيف يكونُ مأجورًا على اجتهاده في جرائمَ، ولا يكونُ مثلُ هؤُلاء مأجورين؟

وأخيرًا، فما الدّليلُ النّصّيُّ على هذا الكلام؟

لا أُريدُ أن أُطيلَ في عرض الأدلّة...

ويكفي من الأدلّة الآتي:

قال اللهُ تعالى:

(وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا (13)) (سورة الفتح).

(وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا (136)) (سورة النّساء).

(فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (5)) (سورة التّوبة).

(فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (11)) (سورة التّوبة).

(يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (183)) (سورة البقرة).

(وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ (97)) (سورة آل عمران).

فهذه هي الشّرائعُ الّتي يجبُ على المُسلمِ القيام بها، فمن قام بها وَفقَ مُرادِ الله تعالى ومُرادِ رسولِه صلواتُ الله وسلامُهُ عليه، مع إقرارة بجميع الحلال والحرام الوارديْن بكتاب الله تعالى؛ فلا يصحُّ تكفيرُهُ، ما دام من أهل الاجتهاد أبدًا.

أمّا الصّلاةُ وراء الأئمّةِ المأذونين من غير أهل السُّنّة؛ فصحيحةٌ مُجزئةٌ عند الله تعالى، بإذنه.

خُصوصًا وأنّ غير أهل السُّنّة يتشدّدون في شُروطالإمامة أكثرَ من جميع أهل السُّنّة.

فهُم يشترطون العدالةَ والعلمَ وتزكيةَ أهل العلم وإذنهم للإمام.

بينما نحنُ رضي اللهُ عنّا، نعتمدُ حديثَ (صلّوا خلْفَ كُلّ برٍّ وفاجرٍ) في جميع مذاهبنا، فيأتي أيّ إنسانٍ يتقدّم للصّلاةِ، حتّى لو كان أُميًّا، جاهلًا، لا يُحسنُ القراءة، فُصلّي ونُصلّي وراءَهُ، ولا يجرُؤُ أحدٌ منّا أصلًا أن يقول لهُ:

صلاةُ مثلك لا تُجزؤُني، لا خوفًا من شرّ المُتقدّم فقط، بل خوفًا من المُصلّين وراءهُ أيضًا؛ لأنّ هذه ثقافةٌ تربّت عليها الأجيالُ عبر القرون.

مع أنّ الحديث ضعيفٌ مُنقطعٌ، كما قالهُ البيهقيُّ في السُّنن الكبير .(6623)

ومن ثقافة الأجيال أيضًا حديثٌ ذائعٌ شائعٌ:

(خَمْسُ صَلَوَاتٍ كَتَبَهُنَّ اللَّهُ عَلَى الْعِبَادِ مَنْ جَاءَ بِهِنَّ لَمْ يُضَيِّعْ مِنْهُنَّ شَيْئًا اسْتِخْفَافًا بِحَقِّهِنَّ كَانَ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدٌ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ وَمَنْ لَمْ يَأْتِ بِهِنَّ فَلَيْسَ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدٌ إِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ وَإِنْ شَاءَ أَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ).

أخرجهُ مالكٌ وأحمدُ وأبو داود وابنُ ماجه والنّسائيُّ، وصحّحهُ الشّيخان الألبانيُّ والأرناؤوطُ ؟!

فهذا حديثٌ يعتقدُ به المُرجئةِ من فُقهاء أهل السُّنّة أجمعين!

فقط أداءُ الصّلوات الخمس!

أقولُ للتّرفيه:

عندما زُرتُ اليمن (1986م) صليتُ جميع الصّلوات وراء إمامٍ زيديٍّ .

وعشتُ في العراقِ (10) سنواتٍ، (92-2002 م) وقد زُرتُ مشاهَد أجدادي عليٍّ والحُسينِ وزيدٍ والكاظم والهادي عليهم السّلام، وغيرهم؛ وكنتُ أُصلّي وراء مَن تقدّم للصّلاةِ من أئمّة الإماميّة.

وبَقيتُ في مَسقَط عُمان، سنة (2004م) (146) يومًا، مجموعُ فرائضها (730) فريضةَ صلاة! صلّيتُ وراء شافعيٍّ منها (4) فرائضَ فقط، والباقية صلّيتُها كلُّها وراء إمامٍ إباضيٍّ، منها صلواتٌ كثيرةٌ وراء شيخنا العلّامة أحمد الخليليّ، حفظهُ المولى وأدام علينا من فوائده وعوائده!

ولم يخطُرعلى بالي أن أُعيدَ صلاةً واحدةً صلّيتُها وراءهُم، مع أنّ فتاوى عُلماء أهل السُّنّة بتناقُضاتها؛ أحفظُها عن ظهر قلبٍ!

بيدَ أنّني كنتُ أتضايقُ من سُرعةِ صلاة الإماميّة، مثلما كنتُ ولا أزالُ أتضاقُ من سُرعة صلاة الحنفيّة في تُركيا.

وأخيرًا:

مَن اعتقد من شرائع الإسلام ما سبق ذكرُهُ، وتحقّقت فيه شُروطُ الإمامةِ، من أيّ فرقةٍ مُسلمةٍ كان، ولم يخرُج عمّا ذُكر في الآيات الكريمة السّابقة؛ فهُو أخونا المُسلمُ، وصلاتُنا وراءهُ صحيحةٌ.

كلامي هذا؛ لا يعني جهلي بما يقولُ به بعضُ فُقهاء الفِرق الأخرى تُجاهَنا

فليقولوا ما شاؤوا، فنحنُ نتسامى أن تكون فتاوانا رُدودَ أفعالٍ.

من العسير على جماهير الناس أن يخالفوا ما ألفوا، ومن الصعب عليهم سماعُ ما يجهلون، ومخالفة السَلف من لآباء والأجداد والمشايخ؛ بالغة الصعوبة على عقولهم ونفوسهم.

وكلّما تقدّم زمان السلفِ؛ زادت قداستهم، وعظُم عطاؤهم، وغدوا في أنظار المتأخرين في مراتب العصمة والتبجيل الفخيم!

وحين تواجه أحدهم بأنّ الآبائيّة منبوذة بنصوص القرآن العظيم، في مثل قوله تعالى: (وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ (23) قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ) (الزخرف).

يقول لك: تلك آبائيّة الكفرة والمشركين، ونهي الله تعالى عن تعظيمهم لأنّ ما لديهم هو الكفر والشرك والضلال.

أما السلف المؤمن؛ فهو في ركب الإيمان الذين أُمر رسولنا صلى الله عليه وآله وسلّم بأن يقتدي بهم في آيات متعددة:

(أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ (89) أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ (90)) (الأنعام).

(ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) (النحل: 123).

فنحن مأمورون بالاقتداء بالصالحين من آبائنا وسلفنا، والله وصفهم بالسابقين بالإيمان، ففرقٌ بين السلف المؤمن والسلف الكافر!

أما الكافر؛ فليس بموضع للقدوةِ سلفًا كان أم خلفًا!

أقول: موضع القدوة إبراهيم عليه السلام، وموضع القدوة الذين آتاهم الله الكتابَ والحكم والنبوة، وليس مطلق السلف الماضين.

أما أهل الإيمان ممن ليسوا بأنبياء؛ فيخطؤون ويصيبون، ولذلك دعينا إلى الاستغفار لهم، ولم يدْعُنا الله تعالى إلى الاقتداء بهم، ولا إلى إضفاء العصمة على أقوالهم وأفعالهم.

قال الله تعالى: (وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ) (الحشر).

ومسألة (رضاع الكبير) من تلك المسائل التي يتناولها طرفان من الناس:

طرف أصحاب قصدٍ سيّء، يريدون بذلك التشنيع على أمّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها، مع أنّ لها حُجّتها التي اقتنعت بها.

وطرف آخر أشدّ سوءًا يريدون أن يستغلّوا مسألة (رضاع الكبير) للاستمتاع بصدور المسلماتِ، اللواتي ربما خُدعن بمثل هذه الفتوى الخاطئة في نظرنا، والتي ربما ينشأ عن خمس رضعات مشبعات تعلق وحبّ، فينقلب ما يُظنّ أنه مسألة فقهية، إلى مسوّغ لانتشار الفواحش والسفه بين بعض المسلمين.

وصورة المسألة: أنّ الصحابيّ أبا حذيفة بن عتبة بن ربيعة، تبنى طفلًا صغيرًا، هو سالمٌ القارئ المعروف بمولى أبي حذيفة.

شبّ هذا الغلام، وبلغ مبلغ الرجال، وسهلة بنت سهيل زوجة أبي حذيفة لم تشعر تجاهه بأي ميلٍ شهوانيّ، ولا ظهر على الشابّ الصالح أيّ شيء من هذا، فهي إنما تشعر أنه ابنها، وهو يشعر تجاهها أنها أمّه!

لكنّ أبا حذيفة صارَ يُغار من دخوله وخروجه على زوجته سهلة!

لحظت سهلة ما يظهر على وجه زوجها من الكدر والغيرة، فذهبت إلى المفتي الأعظم الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم، فقالت: يا رسول الله: إنّا كنّا نرى سالمًا ولداً لنا، وكان يأوي معي ومع أبي حذيفة في بيت واحدٍ، ويراني متبذّلة في ثياب مهنتي، وقد أنزل الله ما قد علمتَ يا رسول الله!

تريدُ قول الله تعالى: (وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ (4) ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا) (الأحزاب).

فقال لها: (أرضعيه!).

قالت: كيف أرضعه وهو رجل كبير؟

قال صلّى الله عليه وآله وسلّم: (قد علمت أنه رجل كبير!).

وفي رواية عند مسلم، قالت: وفي نفس أبي حذيفة منه شيء!

فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: (أرضعيه؛ يَذهبْ ما في وجه أبي حذيفة).

فأرضعته، فأذهب الله ما كانت ترى في وجه أبي حذيفة، من كراهية دخوله عليها.

إلى هنا يتّفق الصحابة الذين رووا القصة على أنّ هذا حصل!

فمن أين جاءت الاختلافات والاتّهامات التي لا يجوز أن يطلقها المسلم، أو يفكّر بها مجرّد تفكير تجاه أمّ المؤمنين، وهي أمّه!؟

(لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ) (النور: 12).

توفي رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، واستشهد سالمٌ القارئ رضي الله عنه في معارك الردّة، وكانت عائشة أكثر نساء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم تواصلاً مع مجتمع المدينة المسلم، وكانت في حاجةٍ أحيانًا لتعليم شابٍّ من الشبابِ أموراً من العلم والفقه، فكانت تجد حرجًا في أن تحاوره أو أن يدخل غرفتها لأيّ سبب من الأسباب.

ههنا تذكّرت أمّ المؤمنين عائشة قصة سالم مولى أبي حذيفة، فعمّمت قصّته وجعلتها تشريعًا مستمرًّا؛ لأنّ العبرة بعموم النصّ، لا بخصوص السبب .

فكانت تطلب من إحدى بنات إخوانها، أو إحدى بنات أخواتها أن ترضع ذلك الشابّ الذي تحتاج أن يدخل عليها غرفتها للتعليم أو للمساعدة.

ووافقها على مذهبها هذا؛ ابن حزم الأندلسي في كتابه (المحلّى).

بينما رأى فقهاء الصحابة كعليّ وابن مسعودٍ وابن عباسٍ وابن عمر، ومعهم سائر أزواج الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم أنّ هذه واقعة حالٍ، تخصّ سالمًا مولى أبي حذيفة وحده، بقرينة قول الرسول: (أرضعيه؛ يذهبْ ما في وجه أبي حذيفة).

فعائشة فهمت أن هذا تشريع دائم عامٌّ لكلّ الناس، بينما رأى بقية أمهات المؤمنين أنها واقعة حالٍ لا عموم لها.

ولم يُنقل إلينا أنّ أحداً من الصحابة وافق عائشة على ذلك!

فإن كانت عائشة أصابت باجتهادها هذا؛ فلا موضع لإنكار، ولا لتشهير.

وإن كانت أخطأت فيما ذهبت إليه، وهو ما نعتقده؛ فيجب علينا أن نستغفر لها، وهل الاستغفار يكون إلا عن ذنبٍ، أو اجتهادٍ خطأ؟

ولا يجوز لنا أن نشهّر بها أو بغيرها من سلفنا الصالح فيما يسوغ فيه الاجتهاد.

والمخطّؤون لعائشة رضي الله عنها قسمان:

فجمهور الأمّة من أهل السنة والزيدية والإباضية يرون أنّ عائشة أخطأت في اجتهادها تعميمَ الحالة، وهذه واقعة حال، خصّ رسول الله بها سالمًا وأسرته، وهي بمنزلة تكريم من الله تعالى للرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم، إذ ذهب فعلاً ما في وجه أبي حذيفة من الكدر والغضب !

وقياسُ عائشة هنا خطأ؛ لأنّ علّة التحريم بالرضاع؛ ليست مطلقَ الإرضاع وإنما هي إفادة الجسم من لبن المرضعة؛ وقت حاجة جسم الطفل إليه، وفي ذلك نصوص لا تخفى على عائشة.

فقد وردت أحاديث عديدة، تشير إلى أنّ الرضاعة من المجاعة، وأنها قبل الفطام فحسب!

يعني حين لا يستغني الطفل عنها، فمتى استغنى عنها؛ لم تعد تحرّم حتى لو أُرضع وهو طفل!

وقالوا: حملت عائشة هذه الأحاديث على الأصل، وهو أنّ الرضاعة تكون كذلك، لكنّ هذا لا يمنع من أنّ قصة سالم رخصة للضرورة أو الحاجة.

والإماميّة يشنّعون على أمّ المؤمنين بما تقدّم كلّه، لكنهم يزيدون أمرين اثنين:

الأوّل: أنّ عائشة صحّ عنها أنها كانت تقول: (عشر رضعات معلومات نسخن بخمس رضعات معلومات) وصحّ عنها رضاع الكبير!

ومذهب عليّ بن أبي طالبٍ أنّ رضاع الصغير قبل الفطام يحرّم قليله وكثيره فلا يوجد عشر رضعاتٍ يحرّمن، ولا نسخن بخمس، وأنّ رضاعَ الكبير حرامٌ لأنّ فيه كشف عورة لا تحلّ، وفيه استمتاع من الرجل عادة بمصّ ثدي المرأة، ورضاع الكبير خلاف المعهود في البشر.

واتّباع عليّ عندهم فرضٌ واجبٌ، لا يجوز لعائشة ولا للشيخين ولا لمخلوقٍ أن يخالفه لأنه الإمام الفقيه الشرعيّ، بمعزل عن المسألة السياسيّة.

يضاف إلى هذا أنّ عائشة لم تكن تعيش بعيدةً عن فقهاء الصحابة الذين وافق جميعهم عليّاً على فقهه ومذهبه، فكيف تخالف جميعَ هؤلاء؟

فهي إذن إنما ذهبت هذا المذهب، استهتارًا بالدين، أو رغبةً بمخالفة عليّ كيدًا عليه، وحقدًا عليه، كما يذهبون.

وممّا لا ريبَ فيه أنّ اعتقاد وجوب (إمامة عليّ) ودعوى عصمته بعد ذلك ووجوب طاعته؛ أورث لدى الإماميّة انسدادًا فقهيًّا في كثير من المسائل التي لا يستطيعون أن يفكروا بمعزلٍ من استصحابه.

ولاية عليّ ونصرته ومحبته واجبة على كلّ مسلم، هذا صحيح متواتر.

لكنّ لم يثبت أبدًا أنه معصومٌ، ولا أنه واجب الإمامة، ولا أنّ من خالفه في اجتهاده ضالٌّ أو كافرٌ أو متّهم، هذه كلها ترتيباتٌ على مسألة الإمامة السياسية التي مزّقت الأمة، وعليّ يقول في نهج البلاغة الذي يقول الإمامية بثبوت نسبته إلى الإمام: (أترون خلافتكم هذه؟ لهي أهون عندي من عفطة عنز!).

خلاصة المسألة:

رضاع الكبير ثابتٌ في مسألة سالم مولى أبي حذيفة، ولم أجد سبيلًا لدفعه، وأسلّم لثبوته، وإن لم أفهم تسويغ رسول الله لسهلة أن ترضعه.

وثابتٌ أن عائشة كانت تفتي به وتطبقه فيمن ترضعه بنات إخوتها وأخواتها، لا فيمن ترضعه أزواج إخوانها، وهذا يعني أنّ لديها تمييزها في المسألة، وإن خالفناها.

وثابتٌ أن ابن حزم كان يقول به، وهو من علماء القرن الخامس الهجريّ.

وثابت أنّ أمهات المؤمنين كنّ يخالفن عائشة في هذا.

وثابت أنّ فتاوى جميع الصحابة على الضدّ من مذهب عائشة.

لكن بيّنا السبب الذي أوقعها بهذا الخطأ، وهي أنها عمّمت حادثة سالم وهي واقعة حال.

والله يقول الحقّ، وهو يهدي السبيل، والحمد لله ربّ العالمين.

(دروسٌ تطبيقيّةٌ في مراتب الأدلّة النّقليّة!)

3- عُقوبةُ (الرّدّة) لدى المُسلمين؟!

قبل أن أعرض الأحاديث النّبويّة، والآثار الموقوفة على الصّحابة رضوانُ الله عليهم في عُقوبة (الرّدّة) أسألُ الإخوة الأفاضل الفُقهاء السُّؤال الآتي:

هُنا إجماعُ (أهل السُّنّة)، وهُو إجماعُ (الحنفيّة)، و(المالكيّة)، و(الشّافعيّة)، و(الحنابلة)، و(الظّاهريّة)، و(التّيميّة)، و(الوهّابيّة).

لو اجتمع هؤُلاء جميعُهُم على ما هُو معلومٌ من اختلافهم، على حُكم مسألةٍ شرعيّةٍ، أيكونُ ذلك إجماعًا مُعتدًّا به، ويكونُ كاشفًا صادقًا عن حُكم (الشّارع) الحكيم؟

وهُنا إجماعُ عُلماء (أهل البيت)، وهُو إجماع (الزّيديّة) و(الإسماعيليّة) و(الإماميّة)، و(المُعتزلة)، وأُضيفُ أنا من عنديّاتي (الإباضيّة)، فـ(الإباضيّةُ) من أصدق من يُعبّرُ عن (مذهب أهل البيت)، وأبعدهم عن الابتداع والغُلُوّ، إذا استثنينا بعض المسائل السّياسيّة والمناقبيّة.

إذا كان إجماعُ هؤلاء عند كثير من علماء (أهل السُّنّة)، عند مُخالفتهم؛ لا قيمة لهُ، لأنّهُم جميعًا مُبتدعةٌ ضُلّالٌ، وهُم كفّارٌ مُرتدّون عند (الوهّابيّة) من (أهل السُّنّة)، كما هُو معلومٌ.

لكنّهم مع احتقار (أهل السُّنّة) لهُم، وحُكمهم بضلالهم ومُروقهم من الدّين، وفساد عقائدهم، فهل لمُوافقتهم قيمةٌ علميّةٌ، وشرعيّةٌ؟

إنّ كثيرًا من العُلماء يُقرّرون أنّ (الإجماع) لا يُتصوّرُ انعقادُهُ، من دون هؤُلاء المُبتدعة الضُّلّال؛ لأنّ لديهم عُلماء مجتهدون في الأُصول والفُروع، وهُم في اجتهاد أنفُسهم على صوابٍ وحقٍّ!

وقد بحثتُ بحثًا تفصيليًّا في كُتُب الفقه المذهبيّ المُعتمد؛ فوجدتُ مدرسة (أهل السُّنّة) بمذاهبها المُتباينة، ومدرسة (أهل البيت) بمذاهبها المُتدابرة؛ وجدتهُم جميعًا مُجمعين على قتل الرّجُل المُسلِم البالغ المُرتدّ عن الإسلام، وهُناك خلافٌ يسيرٌ بخُصوص المرأة.

فإذا لم يكن هذا (إجماعًا شموليًّا)، فما صورة (الإجماع) في عُقول الأُصوليّين اليوم؟

أرجو من الإخوة الأُصوليّين والفُقهاء أن يُجيبوا إجابةً مُباشرةً على هذه المسألةِ؛ تاركين وراءهم لوم اللّائمين، وعتب العاتبين، وقسوة هذه العقوبة!

أُريدُ الجواب على:

كيف يسعُنا أن نضرب بإجماعٍ نادرِ الحُدوث كهذا عُرضَ الحائط؟

مع افتراض أنّ (القُرآن العظيمَ) ساكتٌ عن العُقوبة الدُّنيويّة تمامًا... والأمرُ ليس كذلك عندي.

ومع افتراض أنّ جميع الأحاديث الواردة غير صحيحةٍ أبدًا؟

كيف نرفُضُ (إجماع الأُمّة) هذا؟

مع أنّهُ قد صحّ عندي أربعةُ أحاديث مرفوعةٍ، وحديثان موقوفان!

واللهُ وليُّ التّوفيق، والحمدُ لله ربّ العالمين

(دروسٌ تطبيقيّةٌ في مراتب الأدلّة النّقليّة!)

4-الآياتُ القُرآنيّةُ الدّالّةُ على عُقوبةِ الرّدّة؟!

يذهب القائلون بثبوت حدّ الردّة إلى أنّ التوجيه النبويّ عادةً ما يكون أكثر وضوحًا، وأكثر مباشرةً؛ لأنّ البيان مهمة الرسول صلى الله عليه وآله وسلّمَ.

والمتأمل في عددٍ من آيات القرآن العظيم؛ يتأكّد أن البيان النبويّ في مسألة عقوبة الردّة؛ شارحٌ لهذه الآيات، وليس مؤسسًا لحكمٍ فقهيّ مستقلّ، حتى يقال: إن البيان النبويّ خبرُ آحادٍ، لا يقوى على نسخ القرآن القطعيّ.

ومن هذه الآيات الكريمة، قول الله تعالى:

(يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ (64) وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ (65) لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ (66)) (سورةُ التّوبة).

وجه دلالةِ الآية: (قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ) فقد كانوا مؤمنين، ثم كفروا، وهذا هو مفهوم حدّ الردّة باتّفاق.

والعقوبة المترتّبة هي: (إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً).

وجه الدلالة: أنّ العفو والعذاب يحتمل العقاب الدنيويّ، والعذاب الأخرويّ، فجاء البيان النبويّ ليؤكّد على العقاب الدنيويّ والأخرويّ معًا، وحدّد البيان النبويّ أنّ العقوبة الدنيويّة؛ هي تطبيق حدّ الردّة.

ومن هذه الآيات الكريمة، قول الله تعالى:

لَئِنْ (لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا (60) مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا (61)) (سورةُ الأحزاب).

وجه الدلالة في الآيةِ؛ أنّ المنافقين، والذين في قلوبهم مرضٌ، والمرجفون في المدينة؛ ليسوا جنسًا واحداً من التوجّه الفكريّ، ومع ذلك؛ استحقوا أن يقتّلوا تقتيلاً!

المُنافقون كفّارٌ معروفون.

والذين في قلوبهم مرض؛ يمكن أن يكون هذا المرضُ هو الشكّ، ويمكن أن يكون التآمر، وبكلّ الاعتبارات، فمتى باح أحدهم بمرض قلبه؛ فقد ظهر لنا أنه ليس بمسلم، وأنّ مرضه هذا؛ قد ينقله إلى غيره، فيفقد المجتمعُ السلمِ والأمنَ الفكريّ.

ففاعل ذلك يستحقّ عدمَ مجاورة المسلمين بالنفي، أو القتل، على حسب غلظ أثره السيء في المجتمع، وعلى حسب ما يراه الإمام الشرعيّ المجتهد.

ومن هذه الآيات الكريمة، قول الله تعالى:

(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (73) يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (74)) (سورةُ التّوبة).

وجه دلالة الآية: (فَإِنْ يَتُوبُوا؛ يَكُ خَيْرًا لَهُمْ) وقد قال جماهير علماء الإسلام بضرورة حوار هؤلاء واستتابتهم.

فإن أصرّوا على الردّة وتولّوْا عن دين الله تعالى؛ (يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ).

فعذاب الآخرة؛ هو جهنّم، على نحوٍ يعلمه الله تعالى.

وعذاب الدنيا؛ بيّنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم، وهو القتل!

فالبيان هنا؛ هو توضيحٌ وشرحٌ لمجمل العقوبة، وليس نسخًا لها!

ومن هذه الآيات الكريمة، قول الله تعالى:

(إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (33) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (34)) (سورةُ المائدة).

هذه الآية الشريفة؛ توضح أحكام الحِرابة.

والحرابة مصطلح على طائفةٍ من أهل الفساد، على خرجوا على طاعة الإمام الشرعيّ، وأخافوا المسلمين، وقطعوا الطريق!

ونحن نرى أنّ فساد الاعتقاد بالردة؛ أقبح من قطع الطريق وسلب المال تأثيراً سلبيًا على السلم المجتمعيّ.

فإذا كانت هذه العقوبات المتعددة جزاءً لقطاع الطريق؛ فهي تصلحُ عقوباتٍ رادعة لمفسدي الأفكار والمعتقدات.

قال الفقير عداب: هذا ما قاله المثبتون لحدّ الردّة.

لكنّ مما يجب الانتباه إليه والتأكيد عليه؛ أنّ مثل هذا الحدّ؛ لا يطبّق حتى يكون في ثقافة تلك الدولة تعليم الإسلام، وتربية أفراده على الاعتقاد السليم، والفقه الحكيم، والأخلاق الفاضلة.

فيبدو لي أننا نضيع أوقاتنا في بيان أحكامٍ، وقتها لم يأتِ بعد، وقد لا يأتي إلى قيام الساعة.

واللهُ تعالى أعلمُ.

والحمدُ لله الّذي لا يُحمدُ على مكروهٍ سواهُ.

(دروسٌ تطبيقيّةٌ في مراتب الأدلّة النّقليّة!)

5- الأحاديثُ الواردةُ في عُقوبة الرِّدّة؟!

(1) بإسنادي إلى الإمام الترمذيّ في الجامع الكبير (2158) قال: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدَةَ الضَّبِّيُّ قَالَ : حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ ، عَنْ أَبِي أُمَامَةَ بْنِ سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ؛ أَنَّ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ أَشْرَفَ يَوْمَ الدَّارِ، فَقَالَ : أَنْشُدُكُمْ اللَّهَ ، أَتَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

(لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ : زِنًا بَعْدَ إِحْصَانٍ ، أَوْ ارْتِدَادٍ بَعْدَ إِسْلَامٍ ، أَوْ قَتْلِ نَفْسٍ بِغَيْرِ حَقٍّ ، فَقُتِلَ بِهِ؟)

فَوَاللَّهِ مَا زَنَيْتُ فِي جَاهِلِيَّةٍ وَلَا فِي إِسْلَامٍ، وَلَا ارْتَدَدْتُ مُنْذُ بَايَعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلَا قَتَلْتُ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ فَبِمَ تَقْتُلُونَنِي؛ رضي الله عنه وأرضاه.

قال الترمذيّ: وهذا الحديث رَوَاهُ حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ، فَرَفَعَهُ!

وَرَوَى يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ الْقَطَّانُ، وَغَيْرُ وَاحِدٍ ، عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ هَذَا الْحَدِيثَ (يعني بإسناده)فَأَوْقَفُوهُ، وَلَمْ يَرْفَعُوهُ.

وَقَدْ رُوِيَ هَذَا الْحَدِيثُ مِنْ غَيْرِ وَجْهٍ عَنْ عُثْمَانَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرْفُوعًا.

وقال الترمذيّ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ (الترمذيّ يحكم على كلّ طريق منفردة).

وَفِي الْبَابِ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ ، وَعَائِشَةَ ، وَابْنِ عَبَّاسٍ.

مدار حديث عثمان رضي الله عنه عليه:

رواه عنه أبو أمامة بن سهل بن حُنيف عند الترمذيّ (2158) والنسائي (4019) وأبي داود (4502) وابن ماجه (2532) وأحمد (439) و(470) و(511) والدارمي (2297) وإسناده صحيح.

وعبد الله بن عامر بن ربيعة العنَزيّ عند النسائيّ (4019) وإسناده صحيح، لكنّ الدارقطنّي في العلل (3: 60) وهّم راويَه محمد بن عيسى الطباع بقرنه مع أبي أمامة، وقال: ذاك حديث آخر موقوف على عثمان، وهم محمد بن عيسى في الجمع بينه وبين أبي أمامة في هذا الحديث!

وعبد الله بن عمر بن الخطاب عند النسائي (4057) وأحمد (454) وإسناده حسن.

وبسر بن سعيد مولى ابن الحضرميّ عند النسائيّ (4058) وإسناده صحيح .

وعبد الرحمن بن عبدالرحمن العدويّ، ولقبه (مجبّر) عند أحمد (1405) وإسناده ضعيف، يُقبل منه في المتابعة ما وافق الثقات، لكنّ في متنه مناشدة عثمان لطلحة، وهذا يعدّ حديثًا آخر، لا يحتمل الضعيف إثباته.

قال الشافعي: حديث يحيى بن سعيد ثابت [يعني حديث عثمان] : ولم أر أهل الحديث يثبتون الحديثين بَعْدُ، حديث زيد بن أسلم؛ لأنه منقطع، ولا الحديث قبله، يريد حديث ابن عباس؛ لأنه منقطع أيضًا، فعكرمةُ لا يروي عن عليّ."الأم" (1/ 428)

وقال في اختلاف الحديث (ص: 531) ونقله عنه المزني في مختصره (ص: 601) :

(وهذا حديث لا يشك أهل العلم بالحديث في ثبوته عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلّم).

(2) وبإسنادي إلى الإمام البخاريّ في جامعه الصحيح (6878) قال: حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ حَفْصٍ قال: حَدَّثَنَا أَبِي قال: حَدَّثَنَا الأَعْمَشُ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُرَّةَ، عَنْ مَسْرُوقٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ مسعودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم:

(لا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ ، يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، إِلاَّ بِإِحْدَى ثَلاَثٍ: النَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالثَّيِّبُ الزَّانِي وَالمَارِقُ مِنَ الدِّينِ التَّارِكُ الجَمَاعَةَ).

مدار حديث عبد الله بن مسعود على سليمان الأعمش.

رواه عنه حفص بن غياث عند البخاري (6878) ومسلم(3175) وأبو معاوية الضرير محمد بن خازم، ووكيع بن الجراح، وعيسى بن يونس السبيعي عند مسلم (3175) وسفيان الثوري عند مسلم(3176) وشعبة بن الحجاج عند النسائي(4721) ويعلى بن عبيد الطنافسي عند الدارمي(2298) .

فهو من مشاهير حديث الأعمش، وهو ثقة إمام، ومن فوقه أوثق منه،وابن مسعودٍ من كبار الصحابة وفقهائهم.

(3) وبإسنادي إلى الإمام البخاري في الجامع الصحيح (3017) قال: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللهِ المدينيّ قال: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنْ أَيُّوبَ السَختيانيّ، عَنْ عِكْرِمَةَ مولى ابن عباس؛ أَنَّ عَلِيًّا، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حَرَّقَ قَوْمًا فَبَلَغَ ابْنَ عَبَّاسٍ فَقَالَ: لَوْ كُنْتُ أَنَا لَمْ أُحَرِّقْهُمْ؛ لأَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ:

(لا تُعَذِّبُوا بِعَذَابِ اللهِ)، وَلَقَتَلْتُهُمْ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم:

(مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ).

مداره حديث ابن عباس عليه:

رواه عنه عكرمة البربري عند البخاري (3017) والترمذي (1455) و(1458) والنسائي (4059) وهذه الرواية أعلّها الشافعي بالانقطاع، لكن مجبورة بالرواية الآتية.

وأنس بن مالك عند النسائي (4064) و(4065) وأحمد (2960) وإسناده صحيح.

قال عداب: وليس في حديث أنس،سوى جملة: (مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ).

(4) وبإسنادي إلى الإمام البخاري في جامعه الصحيح (4342) قال:

حَدَّثَنَا مُوسَى بن إسماعيل قال: حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ قال: حَدَّثَنَا عَبْدالْمَلِكِ بن عمير عَنْ أَبِي بُرْدَةَ، قَالَ: بَعَثَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم أَبَا مُوسَى وَمُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ إِلَى الْيَمَنِ.

قَالَ: وَبَعَثَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَلَى مِخْلافٍ، وَالْيَمَنُ مِخْلافَانِ.

ثُمَّ قَالَ: (يَسِّرَا، وَلا تُعَسِّرَا، وَبَشِّرَا، وَلا تُنَفِّرَا)...

فَسَارَ مُعَاذٌ فِي أَرْضِهِ قَرِيبًا مِنْ صَاحِبِهِ أَبِي مُوسَى، فَجَاءَ يَسِيرُ عَلَى بَغْلَتِهِ حَتَّى انْتَهَى إِلَيْهِ، وَإِذَا هُوَ جَالِسٌ، وَقَدِ اجْتَمَعَ إِلَيْهِ النَّاسُ، وَإِذَا رَجُلٌ عِنْدَهُ قَدْ جُمِعَتْ يَدَاهُ إِلَى عُنُقِهِ!

فَقَالَ لَهُ مُعَاذٌ: يَا عَبْدَ اللهِ بْنَ قَيْسٍ، أَيَّمَ هَذَا؟

قَالَ: هَذَا رَجُلٌ كَفَرَ بَعْدَ إِسْلامِهِ قَالَ: لا أَنْزِلُ حَتَّى يُقْتَلَ!

قَالَ: إِنَّمَا جِيءَ بِهِ لِذَلِكَ، فَانْزِلْ!

قَالَ: مَا أَنْزِلُ حَتَّى يُقْتَلَ، فَأَمَرَ بِهِ فَقُتِلَ، ثُمَّ نَزَلَ!) الحديث.

مدار حديث أبي موسى الأشعريّ عليه، رواه عنه:

ابنه أبو بردة عند البخاري (4342) والنسائيّ (4066) وأبو داود (4354) وغيرهم.

والقاسم بن عبدالرحمن، عند أبي داود (4355) وغيره.

(5) وبإسنادي إلى الإمام النسائي في المجتبى من السنن (4017) قال: أخبرنا عمرو ابن عليٍّ الفلاس قال: حدثنا يحيى بن سعيد القطان قال: حدثنا سفيان الثوريّ قال: حدثنا أبو إسحاق السبيعيّ عن عمرو بن غالب قال: قالت عائشةُ: أما علمت أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال :

(لا يحل دم امرئ مسلمٍ، إلا رجلٌ زنى بعد إحصانه، أو كفر بعد إسلامه، أو النفسُ بالنفس؟).

قال النسائيّ: وقفه زهير، يعني جعله من قول عائشة.

مدار حديث عائشة رضي الله عنها عليها:

رواه عنها عمرو بن غالب الهمدانيّ عند النسائيّ (4017) وأحمد (23783) و(24949) و(25172) و(25266).

وقد أخرج الترمذي من حديث سفيان عن أبي إسحاق عن عمرو بن غالب هذا حديثًا (3888) وعمرو بن غالب؛ وثقه النسائيّ، وترجمه ابن حبان في الثقات، وقال الترمذيّ عن حديثه هذا: حديث حسن صحيح.

وعبيد بن عمير الليثيّ عند النسائي (4048) وأبي داود (4353) والحاكم في المستدرك (4: 408) وإسناده صحيح.

والأسود بن يزيد النخعيّ عند النسائيّ (4016) وإسناده على شرط الشيخين.

قال الدّارقُطنيّ في السُّنن (3: 82): قال عبد الرحمن (بن مهديّ) : أسند الأعمش هذين الحديثين جميعًا:

حديث مسروقٍ عن عبد الله بن مسعودٍ.

وحديث إبراهيم عن الأسود، عن عائشة.

وخالفه إبراهيم بن طهمان، فرواه عن منصورٍ، عن إبراهيم، عن أبي مَعَمر، عن مسروق عن عائشة قالت، وهو موقوفٌ عليها.

قال عداب:

ه ذه أصحّ الأحاديث الواردة في حدّ الرّدّة، وليت شعري، أين يذهب بها الّذين يقولون: إنّها أحاديثُ آحادٍ؟

أجل كلُّ واحدٍ منها حديثُ آحادٍ، لكنّها قويّةُ الثُّبوت في جُملتها وفي مفاريدها معًا.

ومسألةُ (قتل المرْتدّ) حُكمٌ فقهيٌّ، وليس حُكمًا عقائديًّا، ونحنُ نأخُذُ فقهنا كُلّهُ عن أخبار الآحاد، فما بالُنا هاهُنا، رأينا مسألة حفظ حياة مُرتدٍّ، تحتاجُ إلى أكثر من ستّة صحابةٍ يشهدون بأنّ عُقوبتهُ القتلُ؟

أنا لستُ من هُواة القتل، معاذ الله، لكن أرجو من الإخوة الّذين يقولون: هذه أحاديثُ آحادٍ، أن يُجيبوا أنفسهُم على هذا السُّؤال؟

كم رجُلًا شاهدًا نُريدُ لثُبوت جريمة القتل؟

أليس هُما اثنين، ونقتُلُ المُتّهم بالقتل قصاصًا؟

أليس ستّةٌ من الصّحابة أقوى في إثبات الحدّ من اثنين؟

أمّا فقهيّات (عُقوبة الرّدّة) فسأتناولُها بالمنشور التّالي والأخير، واللهُ المُستعان.

والحمدُ لله على عونه وتيسيره.


فِرَق

(فِرَق)

بين الحبّ والاختلاف ؟!

من المعروف لدى القاصي والداني أنّ أكثر صاحبين يختلفان ويتخاصمان؛ هما: الزّوجُ وزوجتُهُ!

قد يختلفان لأمر صغير، وقد يختلفان لأمر كبير!

وقد يصلَ الخلاف بينهما إلى درجة الضرب، والهجر، والطلاق!

ثمّ يصطلحان ويتعايشان، ثم يتخاصمان، ثم يتصالحان، وهكذا حتى نهاية حياة أحدهما!

ولو سألنا كلا من الزوجين عن سبب احتماله أذى الزوج الآخر؛ لقال كلّ منهما: أنا أحبّ زوجي، لكنه لا يفهمني!

فالاختلاف أمر طبعيّ بين البشر، حتى بين الزوجين، وبين الأخوين، وبين أبناء العمومة!

لكنّ الحبّ والانتماء يجعلان التفاهمَ والتعايشَ هو الأصل، ويجعلان الخلاف هو الطارئ الشاذّ ؟!

وفي القضايا الفكريّة، نحو أحوج إلى استحضار ذلك الأصل (الحبّ) قبل كل نزاع حيال مسألة خلافيّة، وفي أثناء النزاع، وبعد الوصول إلى حلّ، ولو هو التسكين!

كلّ من يعتقد بأركان الإيمان المعروفة؛ فهو مؤمن، حتى لو اختلف معي في التفاصيل!

والله تعالى يقول:

وَ((الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (71) وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (72)) (سورةُ التّوبة).

فـ(أهل السنة) مؤمنون، فإذا التزموا بمقتضيات هذا الإيمان المذكورة في الآية الأولى؛ فسيتحقق لهم وعد الله تعالى المذكور في الآية الثانية.

وكذلك هي الحال في المؤمنين من (الزيدية) و(الإمامية) و(الإباضية)، وكل مؤمن لا يرتكب واحداً من نواقض الإيمان بصراحة!

وليس من أركان الإيمان عدالةُ جميع الصحابة!

وليس من أركان الإيمان القول بخلق القرآن، أو قدمه.

وليس من أركان الإيمان؛ وجوب التزام مذهبٍ من المذاهب السنيّة الأربعة، أو التزام مذهب (الشيعة)، أو (الخوارج)!

إنّ الذي ينظر إلى المسلمين المصلّين من (أهل السنّة)؛ لا يجد صلاتهم تختلف عن صلاة المسلمين من غير (أهل السنة)، إلا في هيئة واحدةٍ هي إسبال اليدين في الصلاة.

سواء قال بعض من يسبل: إنّ الإسبال سنة، بل حتى لو قال جدلاً: إنه فرض عينيّ؛ فالنظرة الموضوعيّة إليه أنه هيئة!

ولو نظر إنسان إلى مسألة الصيام؛ لوجد المسلمين جميعا يصومون صيامًا واحدًا علّمهم إياه ربهم تبارك وتعالى، إذ قال:

(أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (187)) (سورةُ البقرة).

هُناك اختلاف في الفهم وتفسير النصوص إذًا ؟!

ليكن من الخلاف ما يكون، لكنّ المختلف معك أخوك المسلم، شريكك في هذا الدين، يجب عليك القيام بنصرته، ومعونته، وتفقد شؤونه!

واختلافك معه لا يخرجك من الإسلام ولا يخرجه، فليكن الاختلاف بينكما ملجَمًا بلجام الحقّ والعدل وأدب الحوار.

وسواء وصلتَ معه إلى اتّفاق أم لم تصل؛ فإنّ انطلاقَك في اختلافك معه من الرحمة والإشفاق والحبّ، والخوف عليه مما تظنه مخالفة لأوامر الله؛ لهو أقرب سبيلٍ إلى الله، وهو السبيل الوحيد إلى مراجعته لنفسه، وتدبّر موقفك منه!

أنا الفقير إلى الله تعالى أحبّ (أهل السنة): (الشافعيّ) و(الحنفي) و(المالكي) و(الحنبلي).

وأحبّ منهم (الصوفيّ) و(السلفيّ) و(الأشعري) و(الماتريديّ) و(الظاهريّ).

لكنني أشفق على بعضهم في مسألة أو مسائل.

وأعتب على بعضهم في مسألة أو مسائل.

وأخطّئ بعضهم في مسألة أو مسائل.

وحتى لو غضبت من تصرّف بعضهم، فإني أراجع نفسي وأستغفر الله تعالى لي وله، وأبقى على مودته ومحبته والدعاء له.

إلا أفراداً معدودين، أراهم من الخونة، أو من المنافقين، فهؤلاء أبغضهم في الله تعالى.

وكذلك هي الحال مع (الزيديّة) و(الإمامية) و(الإباضيّة).

وهذا هو السرّ الذي يجعلني قادرًا على التعايش مع الجميع، ظاهرًا وباطنًا، وأرى هذا هو تكليفي الشرعيّ الذي لا يجوز غيره.

لا يجوز في الإسلام أبدًا من وجهة نظري أنّ تعدّ (السلفيّة) هم وحدهم أهل الحقّ !

لا يجوز في الإسلام أبدًا من وجهة نظري أنّ تعدّ (الصوفيّة) هم وحدهم أهل الحقّ!

لا يجوز في الإسلام أبدًا من وجهة نظري أنّ تعدّ (الأشاعرة) هم وحدهم أهل الحقّ!

وكذلك هي الحال بخصوص جميع المذاهب والفرق التي تعتقد بكلمة التوحيد (لا إله إلا الله محمد رسول الله).

أنا أعتقد بركنيّة قراءة الفاتحة على الإمام وعلى المأموم ترجيحًا، لكنني إذا صليت خلف إمام غير (شافعيّ)، فلا أظهر لزميلي في الصلاة أنني أخالفهما.

أنا أعتقد بسنيّة رفع الأيدي في الصلاة، لكنني إذا صليت بجوار (حنفيّ)، فإنني لا أرفعهما مطلقًا.

لماذا؟

لأن العاميّ لا يحتمل عقله الاختلاف، فإذا أنت همستَ في قراءتك الفاتحة وراء الإمام؛ عدّ صلاتك باطلة، أو مكروهة تحريمًا، فتشوّش عليه خشوعه وطمأنينته في الصلاة، وتكون أنت بمجاهرتك بفرضية تلاوة الفاتحة، وإصرارك على الالتزام بالنافلة غير الملزمة سبب ذلك.

وأنا عندما أدعو إلى جمع وترتيب (مذهب أهل البيت) وتوثيقه، لا أعني به انتماءً عشائريًّا ولا مذهبيًّا تقليدًا أبدًا، وإنما أفعل ذلك لأمرين:

الأوّل: أنّ (أهل البيت) أدرى بما فيه!

وحين حسّن بعض العلماء حديث (كتاب الله وسنتي) إنما حسنه بالحديث الصحيح عنده (كتاب الله وعترتي). وأوضح بأنّ (أهل بيت) الإنسان أعلم بهديه من غيرهم!

والثاني: لأنّ (أهل البيت) على (مذهب السُّنّة) الأوّل، لم يشايعوا ظالمًا، ولم يتلمسوا لهوسه أحكامًا ولا ناصروه على باطل، بخلاف (سواد الأمة الأعظم)، فهم وراء الحاكم الصالح والظالم على طول الخطّ!

الحاكم يقتل ويظلم ويغتصب حتى أمر الدين والسلطة، ويقولون: لا يجوز الخروج على ذلك الحاكم الظالم المجرم (وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك).

(اصبروا يا عباد الله!).

الملوك (الأُمويّون) و(العبّاسيّون) و(الأيّوبيّون) و(المماليك) و(العُثمانيّون)، قتلوا وظلموا وغصبوا الأمة حقها في اختيار حاكمها، وهم مع ذلك محبوبون ومعظمون عند (السّواد الأعظم) من الأمة!

حتّى الّذي شرع للحاكم قتلَ إخوانه بقانون مكتوب؛ هو عندهم معظم، وقبره مزار من مزارات الصالحين، يتقرب كثيرون إلى الله بزيارته، ويشعرون بمزيد من الأنس والسكينة إذا صلوا في الجامع المجاور لمرقده!

وقد كان من آثار هذا القانون الإجراميّ أنّ أحد أحفاد هذا الحاكم العظيم شيّع تسعة عشر أخًا له في اليوم الأول من حكمه البئيس.

والعذر ما هو؟

حتى يستقر الملك وينتظم أمر الملة؟!

ولماذا لا ينتظم أمر الملّة إلا بك وبأسرتك؟ ولماذا تعطلون قدرات العالم الإسلامي السياسية والإبداعية انتصاراً لشهوة الحكم؟ أيّ إسلام هذا وأيّ دين؟

واللهُ تعالى أعلمُ.

والحمدُ لله ربّ العالمين.

1- حقيقةُ الصّراع الطّائفيّ بين المُسلمين!

أنّى اتّجهت إلى الإسلام في بلدٍ * تجدْهُ كالطّير مقصوصًا جناحاهُ!

صراعٌ في تونُس، صراعٌ في مصر، صراعٌ في فلسطين، صراعٌ في سوريا، في العراق، في لُبنان، في البحرين، في أفغانستان!

صراعٌ سُنّيٌّ شيعيٌّ... صراعٌ سُنّيٌّ سُنّيٌّ ... صراعٌ سُنّيٌّ يزيديٌّ... صراعٌ بين الشّعب والشّعب... صراعٌ بين الشّعب والدّولة... وكُلُّهُ جهادٌ في سبيل الله، وجمعُ أولياء القتلى المُتصارعين، قتلانا شُهداءُ في الجنّة، وقتلى الآخرين في النّار!

عندماتكونُ الحربُ مُستعرةً؛ تخرسُ جميعُ الأصواتِ، إلّا صوتَ التّشنُّج والتّحريض والغُلُوّ، على أنغام أزيز الرّصاص والمُفخّخات والبراميل المُتفجّرة والصّواريخ!

كم كنتُ سأربحُعند أهل السُّنّة، لو أنّني نبشتُ عُيوب الشّيعة، أولاد المُتعة، أولاد الحرام، المجوس، الفُرس، العُملاء لإسرائيل (طبعًا لإسرائيل هيدا كلّ شي عمّ يصير كذب ومسرحيّات حقيرة مكشوفة!) الّذين يطعنون في القُرآن، ويطعنون بعرض أُمّ المُؤمنين عائشة، ويطعنون في الصّحابة، ويُبغضون الرّسول أيضًا [صلّى اللهُ عليه وآله وسلّم!

اسمعوا أحبابي :

القيرُ عداب، إن لم يكُن أعزرَ عُلماء المُسلمين المُعاصرين تصنيفًا، فهُو من بين العشرة الأوائل الأعزر تصنيفًا في العالم الإسلاميّ!

الفقيرُ عداب، رُبّما لا يوجد على مُستوى العالم كلّهعشرةٌ يُوازونهُ في الخطابة والمُحاضرة!

الفقيرُ عداب، يكتُبُ الشّعرَ أسرع ممّا يكتُبُ أسرعُ عربيّ اسمهُ واسم أبيه وجدّه!

الفقيرُ عداب، من أنجح الدُّعاة، وأكثرهم تأثيرًا!

الفقيرُ عداب، يُمارسُ السّياسة مُنذُ عام (1963 م) إلى أن تاب قبل أيّامٍ، وكتب عشرين منشورًا بعيدًا عن السّياسة ؟!

أين عدابٌ بين العُلماء، الفُقهاء، المُحدّثين، في رابطة العالم الإسلاميّ، في رابطة عُلماء سوريا، حتّى في الهيئة الشّرعيّة لمدينة حماة!

أين عداب في رابطة الأدب الإسلاميّ؟

أين عداب في رابطة أُدباء الشّام؟

أين عداب في أيّ جامعةٍ، أو كُلّيّةٍ، أو معهدٍ دينيّ، أدبيّ، تربويّ؟!!

لا وُجود لهذه الشّخصيّة لا في الحياة العامّة، ولا في الحياة الخاصّة، لماذا؟

فقط لأنّهُ ليس طائفيًّا!

السّلفيّون يرفُضون العداب!

الصّوفيّون يرفُضون العداب!

الأشاعرةُ يرفُضون العداب!

الشّافعيّةُ يرفُضونهُ!

الحنفيّةُ يرفُضونهُ!

الحنابلةُ يرفُضونه.

كُلُّ أهل السُّنّة يرفُضونه، إلّا بعض من يعرفونهُ عن قُرْبٍ، وهُم مثلهُ مُتّهمون!

بعضُ أهل السُّنّة يقولُ: رافضيٌّ!

وبعضُهُم يقولُ: شيعيٌّ!

وبعضُهُم يقولُ: صوفيٌّ مُحترقٌ!

وبعضُهُم يقولُ: صوفيٌّ مُغالٍ!

وبعضُهُم يقولُ: زنديقٌ!

والشّيعةُ ماذا يقولون؟

قال لي شيخي السّيد عليّ السّيستانيّ:

(نحنُ نعلمُ أنّ العداب سُنّيٌّ مُتعصّبٌ، لكنّنا نعلمُ أنّهُ ليس حاقدًا، وليس عدُوًّا).!

وقال لي شيخي السّيّد مُحمّد سعيد الحكيم:

(عرفت شيئًا، وغابت عنك أشياءُ، لا يجوزُ أن تبقى هكذا،لا تنصُرُ الحقّ (التّشيُّع) ولا تدفع الباطل (التّسنُّن)).

وقال شيخي السّيّد مُحمّد مهديّ الخرسان في غيابي:

(عدابُ سُنّيٌّ وثلاثةُ أرباع!) فلمّا عاتبتُهُ بذلك، قال: (أنت والله سُنّيّان!).

أين الحقيقة؟

أليس هؤلاء شُيوخي، وشُيوخ الشّيعة؟

فها هُم لا يقبلون بيحتّى شيعيًّا مُقلّدًا من العوامّ!

ولمّا طلبتُ منهُم أن أدرس في (الحوزة) حتّى على (السُّطوح!!) رفضوا جميعًا!

تُرى، لو كنتُ شيعيًّا فعلًا، وكتبتُ كتابًا واحدًا فقط عن مثالب مُعاوية، أما كانت الحوزة تُقدّمُ لي قيمة (عمليّة قسطرةٍ) لقلبي، لا أملكها، وأنا سيّدٌ من سادات آل البيت، وعالمٌ من أكبر عُلمائهم سُنّةً وشيعةً؟

لو كنتُ شيعيًّا فعلًا، أما كنتُ وصلتُ الآن إلى درجة (آية الله العظمى) وصار لي مُقلّدون يُعطونني (الخُمس) أعيشُ منهُ كما يعيشون، وأُحقّقُ جميع مشاريعي العلميّة، من دون قهرٍ، ولا خصامٍ، ولا استجداءٍ!

تُرى! هل كنتُ مُغفّلًا، لا أفهمُ كيف أضحكُ على السّلفيّين، فأحصُل من أموالهم ما حصّل غيري من أدعياء السّلفيّة؟

أو ما كنتُ أستطيعُ أن (أتمسكن) أمام قادة الإخوان المُسلمين العوامّ، حتّى يُنزلوني المكانة الّتي أستحقُّها؟

أما كنتُ أستطيعُ أن أتظاهر بالحُبّ العميق والحرص الشّديد، والتّمجيد البعيد لصدّام حُسين، فأحصُلُ منهُ على ما أُريدُ؟

وأشهدُ أنّني لو طلبتُ منهُ مليون دولار، ما سألني لمَ!؟

واللهُ يشهدُ أنّني ما طلبتُ منهُ كثيرًا ولا قليلًا، ولا قدّم هُو لي دولارًا واحدًا طيلة عشر سنين!

عرض عليّ بعضُ زُملائي القريبين من الحوزة العلميّة في (النّجف) أن يصرفوا لي مُرتّبًا شهريًّا، بعدما افتقرتُ، وفقدتُ جميع مالي في العراق، لكنّني آثرتُ أن أعيش مع أولادي حياةَ التّقتير والاستدانة على أن أكونَ مُرتهنًا لأيّ مخلوقٍ !

هذه فضيلةٌ تُحسبُ للشّيعة والله !

في الوقت الّذي كان بعضُ عُلماء أهل السُّنّة مع الإخوان السّوريّين، لا يكلّون ولا يملّون من التّشويه والتّضييق والقتل المعنويّ البغيض!

قال لي أحدُ الأصدقاء المُحبّين من السُّنّة:

أنت والله يا عداب، لا تُحسنُ أن تعيش عصرك ولا واقعك، قليلٌ من السُّكوت، وقليلٌ من المُجاملة؛ تستطيعُ أن تعيش!

بينما قال أحدُ أصدقائي المُحبّين من الشّيعة:

يا شيخي، لا يجوزُ أن تبقى هكذا، لا سُنّيّ، ولا شيعيّ، لا سلفيّ، ولا صوفيّ، لا بُدّ أن تختار طائفةً تنتسبُ إليها لتحميك وتستطيع أن تُؤدّي رسالتك!

تُرى! أكان العدابُ ولا يزال فاقدًا للمعرفة والحكمة والميكيافيليّة، أم ماذا؟

وبعد:

فلماذا هذا الكلام، وما صلته بالعُنوان الكبير الّذي وضعتهُ لنا يا حضرة العداب:

(حقيقةُ الصّراع الطّائفيّ بين المُسلمين)؟!

إذا كنتُم حريصين على معرفة هذه الحقيقة فاصبروا إلى المنشور التّالي، وادعوا لي بالعافية؟!

والحمدُ لله ربّ العالمين.

2- حقيقةُ الصّراع الطّائفيّ بين المُسلمين!

خُطورةُ الخطاب الطّائفيّ التّحريضيّ على الدّين والدُّنيا معًا!؟

إنّ الّذي يُتابعُ صفحتي المسكينة، ويقرأُ التّعليقات والتّعقيبات على كلامي (بشرط أن يكون لديه مسكةٌ من عقلٍ وأدبٍ) فسيخرُجُ بنتيجةٍ واحدةٍ، هي: أنّ الشّيعة الإماميّة لا يتقبّلون كثيرًا من أفكاري، بل سيراهُم مصدومين من رفضي لكثيرٍ من مُسلّماتهم، ووصفها بالشُّذوذ.

ومع ذلك يُصرُّ السّفلة من قومنا على وصفي بالتّشيُّع!

والتّشيُّعُ من حيثُ هُو حُبٌّ وولاءٌ لآل البيت؛ واجبٌ شرعيٌّ في عُنُق كلّ مُسلمٍ، وعلى الرّغم من أُنوف المُتقدّمين والمُتأخّرين!

لكن في الفكر الإماميّ من التّشيُّع الكثيرَ من الحقد والكراهية والرّفض والأخلاق الذّميمة تجاه السّلف، ممّا لا يرضى عنهُ الله تعالى، ولا رسوله، ولا أهل بيته الطّاهرون سلامُ الله عليه وعليهم.

بيدَ أنّنا اليوم في زمان صراعٍ دمويّ خطيرٍ، وإنّ الخطاب السّفيه المُتشنّج؛ ليس مُجرّد ألفاظٍ سوقيّةٍ، وإنّما هُو حثٌّ ودفعٌ باتّجاه استحلال الدّم، يورث رُدودَ أفعالٍ في الاتّجاه المُوازي والمُعاكس ذاته!

يبدأُ الخطاب هكذا:

-لعنةُ الله على المجوس!

-لعنةُ الله على الفُرس المجوس!

-لعنةُ الله على الرّافضة المجوس!

-لعنةُ الله على الشّيعة المجوس، وعلى كربلائهم، وعلى نجفهم الأنجس، وعلى مُتعتهم، وعلى... وعلى...!؟

أما والله لو كنتُ أنا عداب الحمش قادرًا على مُحاكمة هؤلاء، وعلى تنفيذ أحكام الله تعالى فيهم، فرُبّما كان أقلّ عُقوبةٍ لهُم هي حدّ (القذف والفرية) ورُبّما أوصلني اجتهادي إلى قطع أيديهم وأرجُلهم من خلافٍ، فهُم شرٌّ من قُطّاع الطّريق!

إنّ سوريا ضاعت!

وإنّ العراق ضاعت!

وإنّ اليمن ضاعت!

وصار العربُ عربين، واليمنُ يمنين، استحيوا على أنفُسكم، وعلى شواربكم، وعلى جهلكم.

اليمنُ يُسيطرُ عليها الشّيعةُ!

العراقُ يُسيطرُ عليها الشّيعةُ، وقد فرّغوا الأنبار من أهل السُّنّة، ومن النّواصب معًا!

سوريا يُسيطرُ عليها النُّصيريّون الشّيعةُ!

لُبنانُ يُسيطرُ عليها الشّيعةُ!

وإيرانُ دولةٌ إماميّةٌ شيعيّةٌ قويّةٌ، لا تستطيعُ السُّعوديّة ودُول الخليج أن تقف في وجهها أُسبوعًا واحدًا لولا الحلف السُّعوديّ-الأمريكيّ !

أما والله إنّني لا أتمنّى أن يسود الفكرُ الإماميُّ في بلاد الإسلام.

أما والله إنّي لا أتمنّى أن يسود الفكرُ النّاصبيُّ في ديار أهل السُّنّة.

لكن أجزمُ جزمًا قاطعًا أنّ هذا الخطاب التّحريضيّ؛ يقودُ إلى استحلال دم الآخر من دون معرفةٍ ولا مُحاكمةٍ ولا حوارٍ، وهُو يجعلُ فاعلهُ في سخط الله تعالى وعُقوبته.

بعيدًا عن الدّفع بالصّدر، بعيدًا عن الهُجوم والدّفاع؟!

الفقيرُ عيداب واضحٌ، صريحٌ، مُباشرٌ، ومعهذا يتّهُمُهُ بعضُ النّاس بالغُموض والباطنيّة.

الفقيرُ عيداب مُختلفٌ عن جميع عُلماء الإسلام اليوم، من جهة أنّهُ غيرُ معنيّ مُطلقًا بانتصار أيّ طائفةٍ على أُخرى من طوائف المُسلمين.

إنّما يسألُ الله تعالى أن ينصُر الحقّ في أيّ طرفٍ كان.

قرأتُ لأحد الجاهلين الّذين يشتُمونني دائمًا تعليقًا يقولُ فيه:

عيدابُ يدعو إلى التّقارُب مع الرّافضة قاتلهُ اللهُ.

لاشكّ في أنّ هذا المسكين؛ أجهلُ من حمار أهله، فأنا لم أدعُ في حياتي إلى التّقارُب بين الشّافعيّة والحنفيّة... أو المالكيّة والحنابلة...

ودائمًا أعُدُّ هذا من الجهل المُركّب.

أنا أدعو إلى الاستمساك بالحقّ الشّائع بين الطّوائف جميعًا.

أدعو إلى العمل الجماعيّ المُؤسّسيّ لأنّهُيزيدُ من فُرص الصّواب، ويُقلّلُ من آثار الاجتهادات الفرديّة المُدمّرة الّتي تملأُ السّهل والوعر.

وأُحبُّ أُمّة مُحمّدٍ جميعًا، وأخافُ على نفسي وعليهم من النّار.

وانحيازي إلى آل البيت ليس عصبيّةً ولاقبليّةً إنّما هُو الدّينُ.

وبُغضي مُعاوية وسفلة الطُّغاة ليس لأنّهُ من بني أُميّة... فعُثمان على أخطائه الكثيرة هُو أفضلُ عندي من أبي بكرٍ وعُمر.

وعُمر بن عبد العزيز يُساوي أُمّةً.

الفقيرُ عيداب نظر في أُسُس الاجتهاد فاجتهد في التّحقُّق بأصعبها وأشدّها وأعلاها.

ثمّ نظر في مذاهب أهل الإسلام فوجدهم جميعًا يُحبّون الإسلام، فأحبّ جميع أهل الإسلام، وأشفق على عُقولهم الطّائفيّة.

الفقيرُ عيداب لا يُفرحُهُ أن يُظلم إباضيٌّ أو شيعيٌّ أو سُنّيٌّ ...

إنّما يحزنُ لحُزن الجميع... ويفرحُ لفرحهم...

الشّيءُ الوحيدُ الّذي يُضايقُ الفقير عيداب هُو التّعصُّبُ الجاهلُ... وخوضُ المُسلم فيما لا يُحسنُهُ.

ومهما شتمني مُسلمٌ أو تنقّص من قدري؛ فلا أُبغضُهُ متى عرفتُ أنّهُ بجهله يظُنُّ أنّهُ ينصُرُ الدّين.

لكن على هذا الجاهل أن يعرف في النّهاية أنّهُ جاهلٌ.

وعليه أن يعرف أنّني لستُ بجاهلٍ.

فأنا بفضل الله تعالى أعرفُ مذاهب الإسلام لكنّني أُعرض عن المُشينات لأنّي ليس لي هدفٌ في إثارة الغرائز الطّائفيّة...

وهي بالمُناسبة أخزى من الغرائز الشّهويّة من مأكلٍ ومشربٍ ومنكحٍ؟!

والفقيرُ لا يُطالبُ أحدًا أن يُقلّدهُ، إنّما يدعو الآخرين أن يقرؤوا كلامهُ بعُقولهم لا بغرائزهم الطّائفيّة الحاقدة.

سألتُ أحد مراجع الشّيعة العظام:

مولانا هل ترون هذا التّطبير وإسالة الدّماء وإظهار الجزع لمصرع الحُسين قبل 1400 سنةٍ من الدّين؟ وما تكييفُهُ الفقهيُّ عندكم؟

فقال: أنت فقيهٌ، ورُؤيتُنا لهُ مثل رُؤيتك تمامًا

لكن العوامّ هوامّ... وأنت تعرفُ أنّ عُلماء الإماميّة يتّقون من جهلة المذهب؟

فهُم يسكتون على ظُلم الطّغام وهبل العوامّ لا اعتقادًا بأنّ هذا حقٌّ، وإنّما ليُسايروا غرائز العوامّ فيرضوا عنهُم.

وهذا الّذي أرفُضُهُ أنا تمامًا.

أنا أعرفُ أنّ مُعاوية عند أهل السُّنّة والنّواصب أهمّ من أبي بكرٍ وعُمر وعُثمان لأنّهُ بابُهُم.

ومع هذا أُؤكّدُ في كُلّ مرّةٍ على النّيل منهُ وعلى وصفه بالطّاغية ليعرف عامّتُنا أنّ ما يذهبُ اليه عُلماؤُهم من الباطل...

أعتذرُ إلى جميع الإخوة من جميع المذاهب عن أيّ إساءةٍ...

لكنّي لا أعتذرُ عن بيان الحقّ في الطُّغاة.

واللهُ تعالى أعلمُ.

والحمدُ لله على كُلّ حالٍ.

خيرُ الكلام ما قلّ ودلّ؟!

الطّريقُ إلى تفاهُم المُسلمين؟

الطّريقُ واضحٌ جليٌّ لمن أراد سُلوكهُ، وما أقلّهُم؟

اتّباعُ كتاب الله تعالى وفق الفهم العربيّ والذّوق العربيّ السّليم؟

مواطنُ الإجماع، وما أكثرها بين فرق المُسلمين.

العملُ الجماعيُّ المُؤسّسيُّ بُغية الوُصول إلى الاجتهاد الجماعيّ.

طيُّ صفحة تاريخ المُسلمين الأسود نهائيًّا، ففيه كثيرٌ ممّا لا يُشرّفُ، وما ليس بشرعيّ

وإنّ تكاليف يوم واحدٍ من (حروب المُسلمين) تكفي نفقات مركز بحثٍ علميّ حُرٍّ لمُدّة سنةٍ!

واعتبارًا من هذا اليوم؛ سأطوي صفحة هذا التّاريخ السّياسيّ غير المُشرّف، فقد تعب قلبي من تذكار مآسيه!

العقلُ المُسلمُ اليوم عقلٌ طائفيٌّ مُتعصّبٌ ضيّقٌ، وصناعةُ الصّنميّة الآبائيّة مقصودةٌ وإفهامُ الجماهير أنّ هذه المُقدّسات كُلُّها غيرُ مُقدّسةٍ، لافائدة منهُ إلّا ببديلٍ صالحٍ وليس بين أيدينا بدائلُ صالحةٌ.

فمواقفُ (الإماميّة) من سلفنا أسوأُ من السّوء ذاته... وهُم أشدُّ آبائيّةً مُتعصّبةً من غيرهم.

ومواقفُ (الزّيديّة) المُتوازنة من السّلف لم تعُد مقبولةً اليوم لأنّهُم صاروا (رافضةً) عند (أهل السُّنّة) ولأنّهُم في صراعٍ دمويّ معهُم.

ومن المُستقرّ في العقل (السُّنّيّ) حتّى كبار العُلماء أنّهُم معيارُ الحقّ... وبهم يُعرفُ ويوزنُ!

فمن يُحاربهُم يُحاربُ الحقّ ويفقدُ كُلّ كرامةٍ لهُ!

وليس لدى أكثر الجماهير مُحاكمةٌ!

فالانتقالُ بهم إلى ساحةٍ عمليّةٍ أُخرى أجدى فيما أُقدّرُ.

ولكم حُسنُ النّظر...والحمدُ لله ربّ العالمين.

هل الشيعة مجوس؟؟

مُستقبلُ (الثّورة السّوريّة) إلى أين؟

في خُطبة الجُمعة الأخيرة؛ انبرى خطيبُ مسجدنا يدعو على النّظام (النُّصيريّ) الطّائفيّ في (سوريا)، فأمّنّا على دُعائه، ورجونا من الله تعالى أن يحقن دماء السّوريّين.

ثُمّ قال: اللّهُمّ عليك بالنُّصيريّين وبالرّافضة المجوس... إلى آخره!

فأمسكتُ عن التّأمين، وتساءلتُ: هل بطُلت جُمعةُ النّاس؟ وهل يجبُ علينا أن نُصلّي الظُّهر بدل صلاة الجُمعة؛ لأنّ كلام خطيبنا يدخُلُ في بعض مصاديق قول الله تعالى:

(وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ) (سورةُ لقمان: الآية 6).

لكن تساؤلي لنفسي لا يمكن أن يتحول إلى حوارٍ؛ إذ يمكن أن يكون من ورائه فتنة من فتن (الدهماء) فاقتصرت على إعادة الصلاة ظهراً، وسكتّ!

ونتساءل الآن: هل الشيعة الإمامية مجوس؟

هل مصنف كتاب (وجاء دور المجوس) منذ ثلاثين عامًا يتحمل إثم تضليل المسلمين؟

وجواب ذلك أنّ المجوسية هي دين المصلح الديني في نظر الفرس (زرادشت) وأساسها يقوم على وجود إلهين: إلهٌ للخير وإله للشرّ!

ويقدسون النار لأنها تطهّر البشر فلا ينجو عن الصراط المنصوب عليها إلا الصالحون الذين يذهبون إلى عالم النور الأبديّ (انظر: الموسوعة العربية الميسرة).

فهل الشيعة الإمامية يعتقدون بوجود إلهين اثنين، وهم في كل أذان ينادون: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أنّ محمداً رسول الله؟

هل الشيعة الإمامية يقدسون النار، ويقدمون لها القرابين؟

هل الشيعة الإمامية لا يصلون ولا يصومون ولا يحجون ولا يزكون؟

وهل تعظيمهم لأبي لؤلؤة قاتل سيدنا عمر رضي الله عنه (كما يزعم بعضنا) يجعلهم مجوسًا وكافرين؟

عمران بن حطّان الخارجي قال في قاتل سيدنا عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه:

يا ضربة من تقيّ ما أراد بها إلا ليبلغ من ذي العرش رضوانا؟

إني لأذكره يومًا فأحسبه أوفى البرية عند الله ميزانا

لماذا أخرج البخاري في صحيحه لعمران بن حطان هذا، ولم يصبح الخوارج مشركين أو مجوسًا لأنهم يرضون عن عمران بن حطان، ويمدحونه؟

كان خطاب أهل السنة في العراق قبل سقوط نظام البعث العراقي تمامًا مثل خطاب خطباء مساجد أهل السنة اليوم، وكان التجييش على المنابر على أشده، وسقط النظام البعثي، فكان ماذا؟

كان من وراء ذلك التجييش قتلُ أكثر من مليون عراقي، أكثرهم من أهل السنة (كما تقول بعض المصادر).

فهل ينتظر أولئك الخطباء قتل مليون سوري على (الهوية) أو (على الانتماء الطائفي)

ثم إذا استعان الشيعة بالغرب؛ كانوا عملاء وخونة، بينما يستصرخ قادة أهل السنة الغرب، ويستجدونه ليساعدهم على إسقاط النظام، ومع هذا يكونون وطنيين شرفاء.

أنا لا أقرّ بعض الشيعة الإمامية على مواقفهم من الصحابة الكرام رضوان الله عليهم.

ولا أقرّ احترامهم لأبي لؤلؤة الفارسيّ إن كان هذا الكلام صحيحًا.

ولا أقرّ تنكرهم لتاريخنا الإسلامي كله؛ لأن التاريخ يرصد حركة تعامل البشر مع المبادئ والقيم والنظم، ففي جميع تواريخ العالم جوانب مشرقة وأخرى مظلمة.

ولا أقرّ قول بعضهم بتحريف القرآن الكريم.

لكن كيف يكونون مجوسًا؟ وكيف يكونون كافرين؟ وكيف يكونون خارجين من الإسلام؟ أنا لا أدري!

والله تعالى يقول:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ لِلّهِ شُهَدَاء بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) (سورةُ المائدة: الآية 8).

ومن الضروري جداً التفريق بين حقبة الصراع السياسيّ والعسكريّ، وبين حقيقة التشيع الذي هو مذهبٌ من مذاهب المسلمين.

وأنا لا أقول هذا الكلام تقربًا من الشيعة ولا تزلفًا لديهم، فهم لن يعنيهم كلامي هذا في قليل ولا كثير!

إنما أقوله: بيانًا للحق وصدعًا به من جهة، وأقوله: رحمةً بالشعب السوري بكل طوائفه من أن يعيش تاريخه المعاصر في التصفيات الجسدية بين طوائفه من دون أن ينهي أيٌّ من الفرقاء وجود الآخرين.

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

موقف الشيعة الإمامية من أم المؤمنين عائشة عليها السلام ؟!

بسم الله الرحمن الرحيم

رَبَّنا: عَلَيْكَ تَوَكَّلْنا، وَإِلَيْكَ أَنَبْنا، وَإِلَيْكَ الْمَصيرُ.

رَبَّنا: لا تَجْعَلْنا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا، وَاغْفِرْ لَنَا.

رَبَّنَا:إنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ).

رَبَّنَا(افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ).

كتب إليّ يقول: (نسمعُ من بعض قنواتِ أهل السنة اتّهامَهم للشيعة الإماميّة برمي أمّ المؤمنين عائشة بالفاحشة.

وأنت نقلتَ عن بعضِ الفضائيّات الشيعية، مثل (قناة فدك) وقناة (همام حوت) وقناة (المنتقم) أنهم مشتغلون بعائشةَ، وكأنْ ليس لهم شغلٌ آخر.

أليس هذا دليلاً على نسبة هذا المذهب إلى الإماميّة، وإلا فلماذا لا يأخذون على أيديهم، ويزجرونهم عن هذا السفه لوقحِ، المثير للحميّةِ والانتقام؟)

أقول وبالله التوفيق:

في بداية ذي بَدْءٍ أقدّم بين يدي كلامي قولَ الله تعالى: (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ للهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (8)) (المائدة).

أنا والله الذي لا إله إلا هو؛ لا أعتقد بواحدةٍ من عقائدِ الشيعة الإمامية: (النَصّ، والتعيين، والعصمة، والإمامةِ، والبداء، والرجعة، والمهدي).

ولا أجوّز من بدع الإمامية تشييدَ المشاهد على القبور، ولا اتخاذ مواسمَ وأعيادٍ لها، ولا أجوّز المشيَ من بغداد والناصرية والبصرةِ وغيرها من البلدان إلى كربلاء لزيارة الإمام الحسين وبقية شهداء آل البيت في كربلاء، عليهم السلام!

ولا أصحح أي حديثٍ، أو أثرٍ عن واحدٍ من أئمة آل البيت في استحباب زيارتها بخصوصها، فجميع الأحاديث والآثار الواردة في ذلك؛ كذب صريح.

ولا أجوّز اللطم والمسيراتِ والتطبير، وسائر مظاهر التخلّف التي يقومون بها، مما يوغر صدورَهم على المسلمين، الذين ليس لهم أدنى ذنب في مقاتل الطالبيين رضي الله عنهم .

وأحرّم على جميع المسلمين أكلَ درهم واحدٍ من مال الدولة، الذي هو مالُ الأمّة، بدعوى أنّه (مال مجهول المالك) فهذه فتوى خبيثة ضالّة، ليس عليها أثارةٌ من علم، ولا مسحةٌ من تقوى!

إنّ الأصل الوحيدَ الظاهر، الذي أعتقده من عقائد الشيعة الإماميّة السياسيّة؛ هو ولايةُ الإمام عليٍّ عليه السلام، ولايةً دينيّة وسياسيّة بآن.

ومسألة مقال اليوم (اتهام أمّ المؤمنين عائشة بالفاحشة) ليست من معتقداتِ الشيعةِ –كلّ الشيعة - ولا من فقههم، لأنّ عقيدتهم تنزيهُ نساءِ الأنبياء جميعًا عمّا هو دون الفاحشة، من مقدّماتها؛ لأنّ من مقتضى قول الله تعالى: (وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ) أنْ يَمنعَ الله عزّ وجلّ عن رسلِه كلَّ ما يهينُ أعراضَهم، وينفّر الناس عنهم.

وإنّ أشهرَ مُصنِّفٍ نالَ من أمّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها هو عليّ بن إبراهيم القميّ، شيخُ أبي جعفرٍ الكلينيّ، في تفسيره:(2: 75) : قال علي بن ابراهيم في تفسير قوله تعالى: (ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا، فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ (10)) (التحريم).

ثم ضرب الله فيهما مثلاً، فقال: والله ما عنى بقوله (فخانتاهما) إلا الفاحشة، وليُقيمَنّ الحدَّ على فُلانةٍ (عائشة) فيما أتت في طريق البصرة، وكان فلانٌ (طلحة) يحبّها.

فلمّا أرادت أن تخرج إلى البصرة؛ قال لها فلان: لا يحل لك أن تخرجي من غير محرمٍ، فزوّجت نفسَها مِن فلانٍ (طلحة)) ا. هـ.

قال المجلسيُّ في بحار الأنوار (22: 240) تعقيبًا على كلام علي بن إبراهيم:

(فيه شناعةٌ شديدةٌ، وغرابةٌ عجيبة، نَستَبعِدُ صدورَ مثله عن شيخنا عليّ بن إبراهيم، بل نَظُنّ أنّه مِن زيادات غيره، لأنّ التفسيرَ الموجود؛ ليس بتمامِه منه، قُدّس سِرُّه، بل فيه زياداتٌ كثيرةٌ من غيره.

فعلى أيٍّ، هذه مَقالةٌ يُخالفُها المسلمون بأجمعهم من الخاصة والعامة، وكلّهم يُقرّون بِقداسةِ أذيال أزواج النبيّ صلى الله عليه وآله وسلّم مّما ذُكِر.

نعم بعضُهم يعتقدون عِصيانَ بَعضهنَّ، لمخالفتِها أميرَ المؤمنين عليّاً عليه السلام) انتهى كلام المجلسيّ.

قال الفقير عداب:

وممّا يؤيّد كلام المجلسيّ بوجودِ تصرّفٍ في نسخة تفسير القميّ؛ ما نقله السيّد محمّد رضا السيستاني في كتابه (قبسات من علم الرجال) (1: 120) عن المحقّق الشيخ أسد الله الكاظميّ في كتابه (كشف القناع) (ص: 214) أنه قال:

(ربما يظهر من عبارات تفسير عليّ بن إبراهيم؛ أنّ كثيراً من رواياته من زيادةِ راوي الكتاب، فلعله هو الذي ألّفه حين كفّ بصرُ عليّ بن إبراهيم، فإنّ النجاشيّ ذكر أنه أضرّ في وسط عمره).

قال السيد محمد رضا: (الأرجح بملاحظة ما سيأتي من الشواهد؛ أنّ أصلَ كتاب التفسير، كان من تأليف عليّ بن إبراهيم.

وإنما أُجري عليه بعض التغييراتِ من إضافةٍ وحذفٍ وتعديلٍ وتبديلٍ في زمن لاحقٍ، وهذه النسخة – التي دخل عليها هذه الأمور – هي التي وصلت إلى أيدي المتأخرين).

وقال أيضًا (1: 119): (إنّ هناك شواهدَ واضحةً على أنّ قسماً كبيراً مما تضمنته النسخة المتداولةُ لتفسير القمّي؛ ليس من مروياتِ عليّ بن إبراهيم، وأوّل من تنبّه إلى ذلك فيما أعلم، هو المحقق الشيخُ آغا بُزُرْكَ الطهراني في الذريعة).

قال عداب: استدرك هو على نفسه في الصفحة التالية (120) أنّ أسد الله قد سبق آغا بُزُرْكَ.

وأنا أقول: سبقهما المجلسيّ في بحار الأنوار كما تقدم.

نخلص مما تقدّم أنّ هذا النصّ الفاحشَ؛ تُستبعد نسبته إلى عليّ بن إبراهيم القميّ، وهو مخالفٌ لإجماع العامة والخاصة على قداسة أذيال أزواج الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أجمعين.

وقال الشريف المرتضى الموسويّ رضي الله عنه، في كتابه (تنزيه الأنبياء) (ص: 36):

(لأنّ الأنبياءَ عليهم السلام يجب أن يُنزهوا عن هذه الحالِ؛ لأنها تعييرٌ وتَشيينٌ ونَقصٌ في القَدْر، وقد جنّبهم الله تعالى ما دون ذلك تَعظيماً لهم وتوقيراً ونَفيًا لكل ما يُنَفِّر عن القبول منهم.

وقد حمل ابنُ عبّاس قوّةَ ما ذكرناه مِن الدلالة على أنّ تأويلَ قوله تعالى في امرأة نوح وامرأة لوطٍ (فخانتاهما) أنّ الخيانة لم تكن منهما بالزنا، بل كانت إحداهما تخبر الناس بأنه مجنون، والأخرى تدل على الأضياف).

وقال الطوسيّ في تفسيره (10: 50) يفسّر آية (فخانتاهما):

قال ابن عبّاس: (كانت امرأةُ نوحٍ وامرأةُ لوطٍ منافِقتَين (فخانتاهما) قال ابن عباس: كانت امرأة نوح كافرة، تقول للناس: إنّه مجنون.

وكانت امرأة لوط تَدُلّ على أضيافه، فكان ذلك خيانتها لهما، وما زنت امرأة نبي قط» لما في ذلك من التنفير عن الرسول عليه السلام، وإلحاقِ الوصمة به.

فمن نسب أحداً من زوجاتِ النَبيّ إلى الزنا؛ فقد أخطأ خطأً عظيما، وليس ذلك قولاً لمُحَصِّلٍ).

وقال الطبرسي في مجمع البيان:(5: 254) :

(إنّ الأنبياءَ يَجب أن يُنزهوا عن مثل هذه الحال؛ لأنها تُعيّرُ وتَشينُ! وقد نَزّه الله أنبياءه عمّا دون ذلك، تَوقيراً لهم و تعظيماً، عمّا يُنفّر عن القَبول منهم.

ورُوي عن ابن عباسٍ أنّه قال: ما زنت امرأةُ نَبِيّ قَطُّ.

وكانت الخيانةُ من امرأة نوح؛ أنها كانت تَنسبه إلى الجنون!

والخيانةُ من امرأةِ لوطٍ أنّها كانت تَدُلّ على أضيافه).

وقال السيّد الطباطبائيُّ في الميزان:(52 :15)

(على أنّا نقولُ: إنّ تَسرّب الفَحشاءِ إلى أهلِ النَبيّ صلى الله عليه وآله وسلّم يُنفّر القلوبَ عنه، فمِن الواجبِ (التفضلّي)أن يُطَهّر الله سبحانه ساحة أزواجِ الأنبياءِ عن لَوثِ الزنا والفحشاءِ.

وإلا لَغَت الدعوةُ.

وتَثبتُ بهذه الحُجّة العَقلية عِفتُهنّ واقعًا، لا ظاهراً فحسب!

والنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أعرف بهذه الحجة منّا، فكيف جاز له أن يرتاب في أمر أهلِه بَرَمْيِ مِن رامٍ أو شيوعٍ مِن إفكٍ).

قال عداب: يعرّض الطباطبائيّ ببعض علماء أهل السنة الذين قالوا: إنّ الرسولَ صلى الله عليه وآله وسلم شكّ بعائشة!

فقد أخرج البخاريّ (2661) ومسلم (4974) أنّ الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم قال لعائشة: (إن كنت بريئةً؛ فسيبرّؤك الله، وإن كنت ألممت بذنبٍ؛ فاستغفري الله وتوبي إليه، فإنّ العبدَ إذا اعترف بذنبه، ثم تاب؛ تاب الله عليه)!

فترد عليه عائشة بقولها: (لقد علمتُ أنكم سمعتم ما يتحدث به الناس، ووقر ذلك في قلوبكم، وصدقتم به).

وهذا كلام خطيرٌ، ليس موضع مناقشته ههنا، إنما الشاهد منه أنّ كلام الشيعة الإماميةِ؛ أحسن مما ورد في صحيح البخاريّ، مما يوحي بأنّ الرسولَ وأبا بكرٍ وأمّ رومان جميعهم كانوا قد شكّوا، وأنّ عائشة تتهمهم جميعًا بأنهم صدّقوا ذلك ووقر في قلوبهم!

وقال السيّد الألوسيّ في تفسيره:(14: 357)

(وما ينسب إلى الشيعة مما يخالف ذلك، في حقّ سيّد الأنبياء صلّى الله تعالى عليه وسلّم؛ كذبٌ عليهم، فلا تُعَوّلْ عليهِ، وإنْ كان شائعًا).

أقول: نعم ظهر في هذا العصر البائسِ أهلُه أناسٌ مثل ياسر الحبيب وأمير القريشي، وغيرهما من الخبثاء، الذين لا يخافون الله تعالى، ولم يسكن الورع والتقوى في قلوبهم، أشاعوا هذا القولَ الباطلَ المنسوب إلى تفسير القميّ، وهم من الأخباريين الذين يصدّقون بجميع ما في كتب الأخبار عند الشيعة أو أكثرها، مع أنّ نسبة الباطل فيها تزيد على (80%) بيقين!

ختامًا: عائشة رضي الله عنها وسائرُ أمّهات المؤمنين، ومعهنّ مارية أمّ إبراهيم طاهراتٌ، منزّهات عن مقدّمات الفاحشةِ، فضلاً عنها.

ومَن يَنطِقْ باتّهام واحدةٍ منهنّ بالزنا؛ فيقام عليه حدّ القذفِ، ويكذّب نفسه، ويتوب إلى الله تعالى، وإلا لم تُقبل له شهادةٌ طيلة عمره، من أيّ الطوائف كان.

ثمّ إن كان من أهل السنّة؛ فيستتاب، لأنّه ارتدّ عن الإسلام، إذ أهل السنة مجمعون على أنّ آياتِ صدر سورة النور نزلت في براءة عائشة رضي الله عنها.

فقذف السنّي إياها بعد نزول براءتها؛ تكذيبٌ للآيات الواردة في سورة النور.

وإنما لم نكفّر القاذف غيرَ السنّي؛ لأنهم يعتقدون أنّ هذه الآيات نزلت في براءة أمّ إبراهيم، رضي الله عنهما، وليست في عائشة.

والله تعالى أعلم.

(رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنا، وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنا؛ لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ).

هذا.وصلّى الله على سيّدنا محمّد بن عبدالله، وعلى آله وصحبه وسلّم تسليماً.

والحَمْدُ للهِ على كلِّ حالٍ.

أنصفوا أعداءكم أيها المؤمنون ؟!1

يقول الله تبارك وتعالى:

(يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) (المائدة: 8).

عقب نشري حديث الرضاع؛ جاءتني رسائل عديدةٌ، تنتقدني على تخريج هذا الحديث، على الرغم من الدفاع الظاهر عن موقف أمّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

والحقيقة أنني لم أنشر هذا المنشور ابتداءً من عند نفسي، إنما كتب إليّ أحد الإخوة أن أخرّج الحديث وأزوّده بتخريجه.

فقلت في نفسي: كثر التنقير في هذه الأيام عن الأحاديث المروية، وكثر الطاعنون والمتشككون، فلو درست الحديث، واعتذرت عن أمّ المؤمنين لعلّ ذلك يفيد، فكان جزائي جزاء سنمّار!

وأنا أرجو أن لا يطلب مني أحدٌ شيئًا غير الذي أنشره من تلقاء نفسي؛ لأنني لا أستجيز أن لا أجيبَ السائل على سؤاله شرعا!

1-المقالة فيها نقد لبعض أحاديث واردة في الصحيحين، نرجوا القارئ أن يقرأ قسم الحديث من هذا الكتاب قبل أن يقرأ هذه المقالة، وفي حال أنه قرأها أرجو أن يراجع مقالة "صحيح البخاري اصح كتب الإسلام كلها" ص49.

قال الله تعالى:

﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ (آل عمران: 187).

وقال الرسول صلى الله عليه وآله وسلّم:

(مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ عَلِمَهُ ثُمَّ كَتَمَهُ أُلْجِمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ).

أخرجه أحمد (7517) وابن ماجه (266) وأبو داود (3658) والترمذي (2649) (وقَالَ: حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ حَدِيثٌ حَسَنٌ).

إنّ الطائفيين يريدون منك أن تكتم الحقّ، وأن تقلب الحقائق، وأن تجعل المذامّ مناقب!

وقد استمعتُ إلى عددٍ من الشيوخ والوعّاظ من أهل السنة ومن الشيعة، وأنا أشهد بالله أنني رأيتهم يكذبون حتى في سرد الأحاديث، ويزيدون فيها وينقصون منها، ويقلبون معنى الحديث رأسًا على عقب، لأنّ همّ جميعهم نصرةُ المذهب، بالصدق وبالكذب، بالحقّ وبالباطل.

أما أنا فليس لي مذهب أنصره، ولا يعنيني أبدًا أن ينتصر واحدٌ من المذاهب القائمة على غيره، فجميعها مذاهب محشوّة بالأخطاء والأحقاد والتحيّز !

أهل السنة يرون الشيعة ضلالًا مبتدعين، وفي أوقات الأزمات يقولون: هم كفّار!

وفي حالتي السخط والرضا يرونهم أعداءً ألدّاء، وأنا لا يعنيني أبدًا أن أنتصر للشيعة، أو أنصُر عليهم؛ لأنني إن فعلت؛ فأنا مفترٍ ظالم، كسائر الظلمة المفترين!

لنقل: الشيعة الإمامية فيهم العيوب السبعة، بل السبعون! لكن الذي لا تنتبهون إليه مَعاشرَ أهل السنّة أنّهم ينتقدونكم مما في كتبكم، مثلما أنتم تنتقدونهم مما في كتبكم.

فلم تعيبونهم إذا انتقدوكم بما في كتبكم، وتلزمونهم ما في كتبهم، ولماذا تكذبونهم فيما هم فيه صادقون، فما الفرق أفهموني ؟ !

إذا كان في الحديث إساءةٌ إلى إحدى أمّهات المؤمنين عليهنّ السلام والرضوان، فلِمَ يخرّجه البخاريّ أو مسلم، أو ابن حبان، أو أبو داود في كتبهم؟

ألا تفترضون فيهم جميعًا العبقرية والذكاء الخارق، والعلم الغزيز؟

ألم يصنّفوا كتبهم هذه في غمرة الصراعات الفكرية والمذهبيّة؟

فلماذا يتركون لأعدائهم ما يستمسكون به، ويحرجونهم بمضمونه؟

ولماذا تفترض أخي السنّي أن يكون عدوّكَ أحرصَ عليكَ منك، ويلتمس لك التأويلات الباردة الهزيلة؛ ليصبح الباطل حقًّا؟

حين يخرّج الإمام مسلم حديث (رضاع الكبير) في صحيحه (2636) فيقول:

حَدَّثَنَا عَمْرٌو النَّاقِدُ وَابْنُ أَبِي عُمَرَ قَالَا حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْقَاسِمِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: (جَاءَتْ سَهْلَةُ بِنْتُ سُهَيْلٍ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَرَى فِي وَجْهِ أَبِي حُذَيْفَةَ مِنْ دُخُولِ سَالِمٍ وَهُوَ حَلِيفُهُ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْضِعِيهِ قَالَتْ وَكَيْفَ أُرْضِعُهُ وَهُوَ رَجُلٌ كَبِيرٌ فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ قَدْ عَلِمْتُ أَنَّهُ رَجُلٌ كَبِيرٌ زَادَ عَمْرٌو فِي حَدِيثِهِ وَكَانَ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ أَبِي عُمَرَ فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) كلام مسلم.

وأخرج عقبه رواية أخرى للحديث (2637) فقال:

(وحَدَّثَنَا إِسْحَقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْحَنْظَلِيُّ وَمُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عُمَرَ جَمِيعًا عَنْ الثَّقَفِيِّ قَالَ ابْنُ أَبِي عُمَرَ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ الثَّقَفِيُّ عَنْ أَيُّوبَ عَنْ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ عَنْ الْقَاسِمِ عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ سَالِمًا مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ كَانَ مَعَ أَبِي حُذَيْفَةَ وَأَهْلِهِ فِي بَيْتِهِمْ فَأَتَتْ تَعْنِي ابْنَةَ سُهَيْلٍ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ إِنَّ سَالِمًا قَدْ بَلَغَ مَا يَبْلُغُ الرِّجَالُ وَعَقَلَ مَا عَقَلُوا وَإِنَّهُ يَدْخُلُ عَلَيْنَا وَإِنِّي أَظُنُّ أَنَّ فِي نَفْسِ أَبِي حُذَيْفَةَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَقَالَ لَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْضِعِيهِ تَحْرُمِي عَلَيْهِ وَيَذْهَبْ الَّذِي فِي نَفْسِ أَبِي حُذَيْفَةَ فَرَجَعَتْ فَقَالَتْ إِنِّي قَدْ أَرْضَعْتُهُ فَذَهَبَ الَّذِي فِي نَفْسِ أَبِي حُذَيْفَةَ).

وأخرج رواية ثالثة عقبه (2638) فقال:

(و حَدَّثَنَا إِسْحَقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ وَمُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ وَاللَّفْظُ لِابْنِ رَافِعٍ قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ أَخْبَرَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ أَخْبَرَنَا ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ أَنَّ الْقَاسِمَ بْنَ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ أَخْبَرَهُ أَنَّ عَائِشَةَ أَخْبَرَتْهُ أَنَّ سَهْلَةَ بِنْتَ سُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو جَاءَتْ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ سَالِمًا لِسَالِمٍ مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ مَعَنَا فِي بَيْتِنَا وَقَدْ بَلَغَ مَا يَبْلُغُ الرِّجَالُ وَعَلِمَ مَا يَعْلَمُ الرِّجَالُ قَالَ أَرْضِعِيهِ تَحْرُمِي عَلَيْهِ قَالَ فَمَكَثْتُ سَنَةً أَوْ قَرِيبًا مِنْهَا لَا أُحَدِّثُ بِهِ وَهِبْتُهُ ثُمَّ لَقِيتُ الْقَاسِمَ فَقُلْتُ لَهُ لَقَدْ حَدَّثْتَنِي حَدِيثًا مَا حَدَّثْتُهُ بَعْدُ قَالَ فَمَا هُوَ فَأَخْبَرْتُهُ قَالَ فَحَدِّثْهُ عَنِّي أَنَّ عَائِشَةَ أَخْبَرَتْنِيهِ).

ويخرّجه البخاريّ في موضعين في صحيحه، لكنه يحذف قصةالرضاع عمداً؛ لأنها لم تعجبه!؟

أخرج الإمام البخاريّ حديث الرضاع(4000) فقال:

(حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ حَدَّثَنَا اللَّيْثُ عَنْ عُقَيْلٍ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ أَخْبَرَنِي عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ أَبَا حُذَيْفَةَ وَكَانَ مِمَّنْ شَهِدَ بَدْرًا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَبَنَّى سَالِمًا وَأَنْكَحَهُ بِنْتَ أَخِيهِ هِنْدَ بِنْتَ الْوَلِيدِ بْنِ عُتْبَةَ وَهُوَ مَوْلًى لِامْرَأَةٍ مِنْ الْأَنْصَارِ كَمَا تَبَنَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَيْدًا وَكَانَ مَنْ تَبَنَّى رَجُلًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ دَعَاهُ النَّاسُ إِلَيْهِ وَوَرِثَ مِنْ مِيرَاثِهِ حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ فَجَاءَتْ سَهْلَةُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرَ الْحَدِيثَ) هذا كلّه كلام البخاريّ.

وأعاد البخاريّ الحديث في (5088) فقال: (حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ عَنْ الزُّهْرِيِّ قَالَ أَخْبَرَنِي عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ أَبَا حُذَيْفَةَ بْنَ عُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ وَكَانَ مِمَّنْ شَهِدَ بَدْرًا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَبَنَّى سَالِمًا وَأَنْكَحَهُ بِنْتَ أَخِيهِ هِنْدَ بِنْتَ الْوَلِيدِ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ وَهُوَ مَوْلًى لِامْرَأَةٍ مِنْ الْأَنْصَارِ كَمَا تَبَنَّى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَيْدًا وَكَانَ مَنْ تَبَنَّى رَجُلًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ دَعَاهُ النَّاسُ إِلَيْهِ وَوَرِثَ مِنْ مِيرَاثِهِ حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ إِلَى قَوْلِهِ وَمَوَالِيكُمْ فَرُدُّوا إِلَى آبَائِهِمْ فَمَنْ لَمْ يُعْلَمْ لَهُ أَبٌ كَانَ مَوْلًى وَأَخًا فِي الدِّينِ فَجَاءَتْ سَهْلَةُ بِنْتُ سُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو الْقُرَشِيِّ ثُمَّ الْعَامِرِيِّ وَهِيَ امْرَأَةُ أَبِي حُذَيْفَةَ بْنِ عُتْبَةَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا كُنَّا نَرَى سَالِمًا وَلَدًا وَقَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ مَا قَدْ عَلِمْتَ، فَذَكَرَ الْحَدِيثَ).

وجملة فذكر الحديث في الروايتين، تعني: أنّ للحديث بقيّة أعرض البخاريّ عن ذكرها!

فلِمَ تلومون أعداءَكم، وتفترضون حسنَ النيّة لديهم، والقصة موجودة في أصحّ كتابين بعد كتاب الله تعالى عندكم؟

وحين يخرّج البخاريّ ومسلم أنّ عائشة اغتسلت أمام محارمها، لماذا تنتظر من الخصم أن يؤوّل لك المستشنع من رواياتك؟ لماذا أودعتها أنت في كتبك؟ ولماذا تدافع عمّن أودعها؟

أليس الأولى أن تقلعوا عن حكاية الإجماع على صحة ما في الصحيحين وتقولوا: هذه رواياتٌ شاذّة هزيلة، أخطأ الرواة في روايتها، وأخرجها البخاري ومسلم بسلامة نيّة، ظنًّا منهما أنّ هذا يدلّ على جهود عائشة في بيان العلم، ونشره بين المسلمين؟

قال البخاريّ (251): حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ حَدَّثَنِي عَبْدُ الصَّمَدِ قَالَ حَدَّثَنِي شُعْبَةُ قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو بَكْرِ بْنُ حَفْصٍ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا سَلَمَةَ يَقُولُ:

(دَخَلْتُ أَنَا وَأَخُو عَائِشَةَ عَلَى عَائِشَةَ فَسَأَلَهَا أَخُوهَا عَنْ غُسْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَدَعَتْ بِإِنَاءٍ نَحْوًا مِنْ صَاعٍ، فَاغْتَسَلَتْ وَأَفَاضَتْ عَلَى رَأْسِهَا وَبَيْنَنَا وَبَيْنَهَا حِجَابٌ).

وقال مسلم (481): (وحَدَّثَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُعَاذٍ الْعَنْبَرِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا أَبِي قَالَ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ حَفْصٍ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ دَخَلْتُ عَلَى عَائِشَةَ أَنَا وَأَخُوهَا مِنْ الرَّضَاعَةِ فَسَأَلَهَا عَنْ غُسْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ الْجَنَابَةِ فَدَعَتْ بِإِنَاءٍ قَدْرِ الصَّاعِ فَاغْتَسَلَتْ وَبَيْنَنَا وَبَيْنَهَا سِتْرٌ وَأَفْرَغَتْ عَلَى رَأْسِهَا ثَلَاثًا).

ما الحاجة إلى كلّ هذا الحديثِ من أصله؟ ولماذا يسألها أخوها من الرضاع، عن غسل النبيّ من الجنابة؟ ألم يكن في المدينة رجل سواها يسأله؟

وهل كان الصحابة الرجال، لا يعرفون غسل الجنابة، ولا تعرفه إلا أمهات المؤمنين، أو إنّ كلّ الصحابة عرفوه منهنّ؟ شيء عجيب والله!

وما الحاجة إلى أن يخرّج أحمد (25238) وأبو داود (179) وابن ماجه (502) والترمذيّ (86) وقال: (حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ وَهَنَّادٌ وَأَبُو كُرَيْبٍ وَأَحْمَدُ بْنُ مَنِيعٍ وَمَحْمُودُ بْنُ غَيْلَانَ وَأَبُو عَمَّارٍ الْحُسَيْنُ بْنُ حُرَيْثٍ قَالُوا حَدَّثَنَا وَكِيعٌ عَنْ الْأَعْمَشِ عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ عَنْ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبَّلَ بَعْضَ نِسَائِهِ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ وَلَمْ يَتَوَضَّأْ!

قَالَ عُروةُ: قُلْتُ: مَنْ هِيَ إِلَّا أَنْتِ؟

قَالَ عروةُ: فَضَحِكَتْ).

قَالَ أَبُو عِيسَى وَقَدْ رُوِيَ نَحْوُ هَذَا عَنْ غَيْرِ وَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالتَّابِعِينَ وَهُوَ قَوْلُ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ وَأَهْلِ الْكُوفَةِ قَالُوا لَيْسَ فِي الْقُبْلَةِ وُضُوءٌ، و قَالَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ وَالْأَوْزَاعِيُّ وَالشَّافِعِيُّ وَأَحْمَدُ وَإِسْحَقُ فِي الْقُبْلَةِ وُضُوءٌ) ثم ضعف الترمذيّ الحديث.

إذا كان الحديث ضعيفًا، ويمكن أن يُساء فهمُه، ويمكن أن يستغلّ للطعن بعائشة، فلم خرّجتموه؟ وهل صحيح قال عروة لخالته هذا الكلام؟

أما والله لو قاله؛ لكان قليل أدب، سواء كان تابعيًا أم حتى لو كان صحابيًا؟

ولماذا تضحك عائشة، أسرّها أن يقال: كان الرسول لا يصبر عنها، حتى إنه يقبلها قبل خروجه إلى الصلاة مباشرة؟

وقال أبو داود (2386) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عِيسَى حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ دِينَارٍ حَدَّثَنَا سَعْدُ بْنُ أَوْسٍ الْعَبْدِيُّ عَنْ مِصْدَعٍ أَبِي يَحْيَى عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُقَبِّلُهَا وَهُوَ صَائِمٌ، وَيَمُصُّ لِسَانَهَا) وأخرجه أحمد (24395) قَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ: هَذَا الْإِسْنَادُ لَيْسَ بِصَحِيحٍ.

لا أدري هل قال أحدٌ من البشر: إنّ مصّ اللسان حرام؟ وإذا كان الغرض أنه لا يُفَطّر، فالحديث ضعيف، فأعرضوا عنه، ولا تتركوه ذريعة للطعن!

وأخرج البخاري (302) ومسلم (404) والترمذيّ (132) وقال :

حَدَّثَنَا بُنْدَارٌ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ عَنْ سُفْيَانَ عَنْ مَنْصُورٍ عَنْ إِبْرَاهِيمَ عَنْ الْأَسْوَدِ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا حِضْتُ يَأْمُرُنِي أَنْ أَتَّزِرَ، ثُمَّ يُبَاشِرُنِي).

(قَالَ أَبُو عِيسَى: حَدِيثُ عَائِشَةَ حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ وَهُوَ قَوْلُ غَيْرِ وَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالتَّابِعِينَ وَبِهِ يَقُولُ الشَّافِعِيُّ وَأَحْمَدُ وَإِسْحَقُ) هكذا إذن ؟

ألم يكن من الممكن أن تقول: المحرّم في الحيض أن يقترب الرجل من موضع الحرث فقط ؟

ألستم تقولون: إنّ عائشة أفصح الخلق وأخطبهم بعد رسول الله ؟ فأين تلك البلاغة والفصاحة وهي تتحدّث بالأدب المكشوف، كما يقول المعاصرون ؟

وقال البخاريّ (5077): حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ حَدَّثَنِي أَخِي عَنْ سُلَيْمَانَ عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ:

(قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ لَوْ نَزَلْتَ وَادِيًا وَفِيهِ شَجَرَةٌ قَدْ أُكِلَ مِنْهَا وَوَجَدْتَ شَجَرًا لَمْ يُؤْكَلْ مِنْهَا فِي أَيِّهَا كُنْتَ تُرْتِعُ بَعِيرَكَ قَالَ فِي الَّذِي لَمْ يُرْتَعْ مِنْهَا.

تَعْنِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَتَزَوَّجْ بِكْرًا غَيْرَهَا).

قال عداب: لو سلّمنا أنّ هذا الحوارَ دار بين عائشة وزوجها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم، فأما كان الأولى أن يبقى بينها وبينه، كما قالته بينها وبينه ؟ وما فائدة الأمّة من هذه الحكاية ؟ ولماذا لم تمسكها تحت لسانها حتى تلقى رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟

ولماذا خرّج البخاريّ العبقريّ هذا الدلع النسويّ ؟

وقال النسائيّ (375): أَخْبَرَنَا هَنَّادُ بْنُ السَّرِيِّ عَنْ ابْنِ عَيَّاشٍ وَهُوَ أَبُو بَكْرٍ عَنْ صَدَقَةَ بْنِ سَعِيدٍ ثُمَّ ذَكَرَ كَلِمَةً مَعْنَاهَا حَدَّثَنَا جُمَيْعُ بْنُ عُمَيْرٍ قَالَ: (دَخَلْتُ عَلَى عَائِشَةَ مَعَ أُمِّي وَخَالَتِي فَسَأَلَتَاهَا كَيْفَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصْنَعُ إِذَا حَاضَتْ إِحْدَاكُنَّ ؟

قَالَتْ عائشة: كَانَ يَأْمُرُنَا إِذَا حَاضَتْ إِحْدَانَا أَنْ تَتَّزِرَ بِإِزَارٍ وَاسِعٍ ثُمَّ يَلْتَزِمُ صَدْرَهَا وَثَدْيَيْهَا) وهذه أطمّ والله!

وقال أبو داود (270): حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْلَمَةَ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ يَعْنِي ابْنَ عُمَرَ بْنِ غَانِمٍ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ يَعْنِي ابْنَ زِيَادٍ عَنْ عُمَارَةَ بْنِ غُرَابٍ قَالَ إِنَّ عَمَّةً لَهُ حَدَّثَتْهُ أَنَّهَا سَأَلَتْ عَائِشَةَ قَالَتْ: (إِحْدَانَا تَحِيضُ، وَلَيْسَ لَهَا وَلِزَوْجِهَا إِلَّا فِرَاشٌ وَاحِدٌ!

قَالَتْ عائشةُ: أُخْبِرُكِ بِمَا صَنَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ فَمَضَى إِلَى مَسْجِدِهِ).

قَالَ أَبُو دَاوُد: تَعْنِي مَسْجِدَ بَيْتِهِ.

فَلَمْ يَنْصَرِفْ (يعني من الصلاة) حَتَّى غَلَبَتْنِي عَيْنِي وَأَوْجَعَهُ الْبَرْدُ فَقَالَ: ادْنِي مِنِّي! فَقُلْتُ: إِنِّي حَائِضٌ! فَقَالَ: (وَإِنْ! اكْشِفِي عَنْ فَخِذَيْكِ!)

فَكَشَفْتُ فَخِذَيَّ فَوَضَعَ خَدَّهُ وَصَدْرَهُ عَلَى فَخِذَيّ، وَحَنَيْتُ عَلَيْهِ حَتَّى دَفِئَ وَنَامَ).

يا حلاوتك يا عيداب!

يعني الرسول صلى الله عليه وآله وسلّم يضع خدّه على فخذ زوجته الحائض، ويضع صدره على الفخذ الثاني، ثم ينام!

أهكذا يُتصوّر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم، لا يتأذى من الحيض، ولا من رائحته، ولا من تصوّره!؟

هب أنه فعل ذلك فعلاً لشدّة ولعه بعائشة، وغرامه بها، أفيليق أن تحدّث به عائشة النساء؟

أما كان يسعها أن تقول: لا حرج في ذلك، تنام زوجته معه في فراشه!

وقال أبو بكر ابن أبي شيبة :(4: 49)

حدثنا وكيع عن العلاء بن عبد الكريم اليامي عن عمار بن عمران رجل من زيد الله عن امرأة منهم عن عائشة أنّها شَوّفت جاريةً، وطافت بها، وقالت: (لعلنا نصطاد بها شباب قريش)!!

وقال أيضًا :(4: 484)

حدثنا حدثنا وكيع قال حدثنا العلاء بن عبدالكريم عن عمار بن عمران رجل من زيد الله عن امرأة منهم عن عائشة أنها شوفت جارية وطافت بها وقالت: (لعلنا نصيب بها بعض شباب قريش) أ هكذا أمّ المؤمنين حقًّا؟ أم إنّ هؤلاء الذين خرّجوا هذه الروايات لا عقول لديهم ولا ذوق!

إذا كانت هذه الروايات صحيحةً، أم كانت ضعيفةً، أم كانت مكذوبةً موضوعةً، ما فائدة تخريجها في كتبٍ تُدعى كتبَ السنة؟

وإذا كان لها من فائدة حقيقيّة، أما كان يمكن التعبير بألفاظٍ أقلّ صراحةً من هذه الألفاظ؟

لا تلوموا الناسَ على إساءة الظنّ، فهذه الرواياتُ ناطقةٌ بما لا يستطيع الإنسان تفسيره؛ خوفًا من الله تعالى، وحياءً من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم، وتنزيها لأمّنا عائشة رضي الله عنها عن هذا التنزّل البغيض.

طَلب مني أحد الناشرين أن أؤلّف كتابًا في مناقب عائشة رضي الله عنها، ووعد بنشره فور انتهائي منه!

قلت له: لا حاجة إلى إتعاب نفسي في كتابٍ كهذا، ولو كتبتُ كتابًا؛ فلن تنشره قطعًا!

قال: ولم؟

قلت له: لأنّ جميع الأحاديث التي يشمّ منها رائحة النرجسية ودلع النسوان وأمثال هذه الأحاديث؛ فسأضعفها، سواء كانت في الصحيحين، أم في الصحاح كلها!

وكلّ ما ثبت أنه من أخطاء عائشة؛ فسأشرحه من غير كذب ولا تحوير!

ولن أعتذر عن خروجها على عليّ، ولا عن بغضها الدائم له، ولا عن رضاع الكبير، فثبوت مثل هذه الأمور يستحيل دفعه!

نحن رأينا في بعض كتب الشيعةِ إساءةً لأم المؤمنين عائشة، وسبب كراهية الشيعة لها؛ أنها كانت تبغض عليًّا، وحاربته حتى قتل أكثر من ثلاثين ألف رجلٍ من المسلمين.

فكراهيتهم لها مفهومة، لكن هذه الروايات التي خرّجها علماؤنا العظماء العباقرة، أليس فيها إساءةٌ لأمّ المؤمنين، مع أنه لا ضرورة لتخريج أيّ حديث منها من أجل التشريع؟!

اللهم أرنا الحقّ حقًّا وارزقنا اتّباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه.

وإنا لله وإنا إليه راجعون، والحمد لله على كلّ حالٍ.

يا عدُوّ الله، كيف تُدافعُ وتتسامحُ مع الرّافضة عُبّاد القُبور؟

قبل قليلٍ كتب أحدُ المُهذّبين جدًّا يقولُ:

(إنّ الرّافضة مُشركون كفرةٌ، ولو لم يكن لديهم من الشّركيّات سوى عبادتهم لقُبور أئمّتهم، وبناء هذه القباب؛ لكفى!) وكتب كلامًا آخر أشدّ لُطفًا وأدبًا (ناصبيًّا).

أقولُ وبالله التّوفيقُ:

في يومٍ من أيّام العراق؛ تبرّع الرّئيس (صدّام حُسين) بكميّةٍ ضخمةٍ من الذّهب الخالص، أظُنُّها (1000 كغ) لتزيين قُبّة أحد أئمّة (آل البيت) في العراق، وأظُنُّهُ (موسى الكاظم) عليه السّلامُ.

فكتبتُ إليه رسالةً طويلةً، ممّا جاء فيها:

(والله يا سيادة الرّئيس، لو أنّك وزّعتَ هذا المبلغ الضّخم على ذُرّيّة الإمام بالتّساوي؛ لكان أقرب إلى الله زُلفى، ولكان أحبّ إلى سائر أئمّة (أهل البيت)، فضلًا عن الإمام وحدهُ!

ولو أنّك بنيت مصنعًا ضخمًا، وعيّنت جميع عُمّاله ومُوظّفيه من (أهل البيت)؛ لكان أفضل من الأوّل.

أمّا تخصيصُ هذه الكمّيّة الضّخمة لطلاء قُبّة قبر الإمام، وتزيينها بالنُّقوش والخُطوط؛ فهُو من السّرف المُحرّم قطعًا.

وإذا كان لا بُدّ من ذلك، فهُناك طلاءٌ ذهبيٌّ جميلٌ، نطلي به هذه القُبّة، فتبدو للنّاظر أنّها ذهبٌ ولو كان قومنا يعقلون؛ لنقضنا هذه القباب كلّها، وأظهرنا تُراب قبر كُلّ واحدٍ من (الأئمّة) مقدار شبرٍ، ضمن سياجٍ مانعٍ من الاعتداء على حُرمته، فذلك أدعى للعبرة والعظة!

اتّصل بي الرّجُلُ وهُو يضحكُ، ويقولُ: يا دُكتور! الّذين قرأتُ عليهم خطابك هذا من أعضاء القيادة قالوا: رجع الشّيخُ عداب وهابيًّا!.

مقصودُ هذا الكلام أنّني أوصيتُ أولادي أن أُكفّن بثوبين أبيضين من أرخص القُماش، وأن لا يُرفع قبري سنتيمترًا واحدًا، وأن لا يُكتب على قبري أيُّ لقبٍ، سوى: هذا قبرُ العبد المُذنب الرّاجي عفو ربّه تعالى/ عداب بن محمود الحمش.

فأنا لستُ من عُشّاق القُبور، ولا أرى جواز رفع هذه القُبور وتلك القُباب مُطلقًا!

لكنْ هُناك فرقٌ كبيرٌ، بين أن تقول: لا يجوزُ رفعُ القُبور وتعظيمها؛ لما في ذلك من السّرف والخُيلاء، والجهل، ومُشابهة الكفّار، وبين أن تجعل ذلك من الكفر والشّرك!

الشّركُ ليس أحجارًا، وليس قبابًا، وليس سُجودًا للقبر أبدًا!

الشّركُ ليس وضع الصّليب في عُنُقك، وليس رسم إشارة الصّليب على صدرك!

هذه مظاهرُ مُحرّمةٌ بالتّأكيد!

الشّركُ حالٌ قلبيٌّ (أن تجعل لله ندًّا وهُو خلقك!).

فالمُشركُ البوذيُّ السّاكنُ في أوروبا مثلًا يعبُدُ (بوذا) ويُشركُ بعبادته مع الله أو من دون الله مع أنّهُ بعيدٌ عن قُبّة (بوذا) وتمثال (بوذا)!

ليت الطّليعة) و(الصّوفيّة) وعامّة المُسلمين يقتنعون أنّ ذلك التّعظيم لن ينفع الميّت بشيءٍ مُطلقًا، لكنّهُ يضُرُّ صانعي ذلك؛ لأنّ المال المهدور إسرافٌ وهدرٌ للمال في غير موضعه الشّرعيّ!

وليتهُم هُم يُبادرون إلى تسوية القُبور بالأرض، فيكونوا ممّن سنّ سُنّةً حسنةً لهُ أجرُها وأجرُ من عمل بها إلى يوم القيامة!

واللهُ تعالى أعلمُ.

والحمدُ لله ربّ العالمين.

أقرب الطرق إلى هزيمة الرافضة؟!

سألني أحدهم قال: قرأتُ لك منشوراتٍ كثيرةً تحدّثت فيها عن الرافضة!

بيد أنّنا نريد منك منشوراً يتضمّن أقوى الحُجَجِ، من أقربِ سبيلٍ إلى هزيمة الرافضة!

أقول وبالله التوفيق:

إنّ فكرةَ الانتصار والغلبة على الآخر؛ هي إحدى الأمراض النفسيّة المزمنة التي تعاني منها مجتمعاتنا المسلمة.

وبخصوص الشيعة الإمامية؛ ففي الأمة مَن يَعدّ دينَ الإماميةِ ديناً آخر، سوى دين الإسلام.

وقبلَ الاسترسال في الجواب؛ أحبّ توضيحَ بعضِ الأمور المهمة:

الأوّل: إنّ مسألة تكفيرِ بعضِ أهل القبلةِ لبعضٍ؛ قديمةٌ قدمَ التاريخ الإسلاميّ.

من لدن الصحابة، وإلى يومنا هذا.

وكلّ فرقةٍ من فرقِ الإسلامِ؛ جعلتْ من نفسِها هي الأمة، وهي الحقّ، وهي الصواب

ومن سواها من المخالفين؛ هم:

أ- كفّارٌ كفراً ناقلاً من الملة.

ب - أو كفّارٌ، كفراً دون كفرٍ، بمعنى أنّ كفرهم بارتكابهم بعض الكبائر.

ج - أو عصاة فاسقون.

د – أو مبتدعة ضلّال.

هـ- أو كفّارٌ كفرَ تأويل!

وهناك تكفيراتٌ ظاهرة الانحياز الطائفيّ، كمن يكفّر من سبّ أبا بكر من الصحابة دون غيره.

أو تكفير من سبّ الشيخين أبا بكرٍ وعمر!

ولا يخلو مذهبٌ من المذاهب الإسلامية، في القديم والحديث؛ من لوثة التكفير هذه، من دون استثناء!

ويكثر عند علماء الكلام؛ التكفير بلازم القول!

وعلماء الكلام من أهل السنة؛ يكفّرون الذي يقول بخلق القرآن، والذي يؤوّل صفات الباري تبارك وتعالى.

ويتفنّنون في وصف مَن يريد تنزيه الله تبارك وتعالى، ويلزمونه بلوازم، ربما لم تخطر على باله.

نرجع بعد هذا إلى المسألة المطروحة، فأقول:

لن يستطيعَ السنيّ هزيمةَ الشيعيّ، ولا الشيعيُّ هزيمة الشيعيّ؛ لأنّ كل واحدٍ منهما اعتقد مسبقًا أنّ مذهبه هو الحقّ، وأنّ مذهب مخالفِه هو الباطل.

حتى وإن عجز هو عن جواب الخصم، أو إفحامه.

وإنّ أقبحَ حوارٍ بين السنّة والشيعة؛ هو إلزام السنيّ للشيعيّ بما في كتبِه، التي لا يعتقد هو بصحة جميع ما فيها!

والعكس صحيح أيضًا!

إنّ أهل السنة يلتزمون بصحة ما في البخاريّ ومسلم، دون غيرهما.

لكنْ إن جاء فيهما، أو في أحدهما حديثٌ ليس في صالح مذهبهم؛ أوّلوه أو حَرَفوه عن ظاهره، ووجدوا له مخرجًا، يجعله عديم الفائدة!

وإنّ أكثر عالم سنيّ رأيته يفعل ذلك؛ هو الشيخ ابن تيمية، وخصوصًا في كتابه (منهاج السنة).

بل رأيته والله يسوق بعضَ الأحاديث الضعيفة والمنكرة ويقويها، ويهوّن من شأن الأحاديث التي في الصحاح، ويفرغها من مضمونها!

وهذا ليس سبيلَ مَن يريد الخيرَ للأمة.

ولا هو سبيلُ من يريدُ النصح للمسلمين وانتشالهم من ضلالتهم، التي يعتقد أنهم منغمسون فيها.

والأمر ذاته لدى علماء الشيعة ومفكريهم!

فهم يحتجون بما في كتب أهل السنة؛ ليقوّوا أدلتهم، بمعزلٍ عما إذا كانت صحيحةً عند أهل السنة، أم إنهم ضعفوها، وحكموا ببطلانها!

ويجعلونَ عددَ المصادرِ التي أخرجت الحديثَ دليلاً على شهرته، بل على تواتره أحياناً، جهلاً، أو تجاهلاً؟

لا أدري!

وإنّ مما يحزن أنّ بعض المتشيّعة من علماء أهل السنة يفعلون الشيء ذاته، فيضربون بالقواعد الحديثيّة عُرضَ الحائط؛ ليثبتوا أنّ هذا حديثٌ متواترٌ، أو هذا حديث مشهور تقوية لما اعتقدوه من رأي.

أيها الإخوة الأحباب:

إن علمَ مصطلح الحديثِ؛ هو أحسن ما استطاعَ العقل البشريّ صناعتَه من معايير لقبول الروايات الحديثيّة والتاريخية، أو ردّها.

لكنّ هذا لا يعني أنه تامٌّ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه!

هو أحسن الممكن فحسب، وإلا ففيه ثغراتٌ لا يمكن الإجابة عليها، بغير اللفّ والدوران وتحسين الظنّ!

- ما الدليل الشرعي الذي يلزمني أن أقبل أحاديثَ مراسيل صغار الصحابة؟

- ما الدليل الشرعي الذي يلزمني أن أقبلَ أحاديثَ من وُلد على عهد الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم، ولم يسمع منه حرفًا؟

- ما الدليل الشرعيّ الذي يلزمني أن أقبل أحاديث الأعراب والمجهولين والوحدان من جيل الصحابة.

- ما الدليل الشرعيّ الذي يلزمني بقبول حديث شيخٍ مجهول، أو مجهول الحال، روى حديثًا فردا، أعجب واحداً من المحدثين أو أكثر، فوثّقه؟

وهل يؤخذ العلم عن جاهلٍ، ليس له سوى حديثٍ واحدٍ؟

إذا أردتَ أن تقبلَه أنت؛ فافعلْ، وتبجح!

أمّا أنا فأحترم عقلي، وأحرص على ديني.

وليس الأخذ عن المجاهيل ومجهولي الحال والوحدان؛ من التقوى والورع في شيءٍ، من وجهة نظري!

عندنا مسائل شائكة مزعجة جدّاً، من مثل:

هل يُكتفى بالمعاصرة وإمكان السماع لاتصال السند، كما هو مذهب مسلم؟

وإذا كان مسلمٌ قد ارتضى هذا؛ فإنّ عديدين غير مسلمٍ، لم يقبلوه، ومنهم ابن رُشيد الفهريّ في كتابه (السنن الأبين) وغيره.

بل إنّ المذهب المنسوبَ إلى البخاريّ، من ضرورة اجتماع التلميذ مع شيخه ولو مرة واحدة من خارج، أو على الأقلّ أن يقول مرّةً واحدةً: حدثنا، أخبرنا، سمعت!

فيقبل البخاريّ حديثَه الباقي كلَّه، وإن لم يصرّح بالسماع، ما دام الراوي غيرَ مدلّس!

أليست تهمة التدليس الخفيّ قائمة (تحديث التلميذ عن شيخه بأحاديث لم يسمعها منه، بصيغة توحي بأنه سمعها)؟

ماذا يفيدني أنا إذا تشنّج الإمام مسلم، وشتم كلَّ من خالفه في هذه المسألة؟

وماذا يفيدني دعوى ابن حبان الإجماع على قبول السند المعنعن، وأنا أرى عقلي لا يقبل كلام مسلم، ولا كلام البخاريّ على حدٍّ سواء؟

وإن دراسة الدكتور خالد الدريس أجود وأوعب ما قرأته في هذه المسألة، فراجعه وأنصف، وفرغ قلبك من الهوى!

قال المحدّثون!

قال الأصوليون!

ليقل المحدّثون، وليقل الأصوليون ما شاؤوا!

أنا أطالبُ بدليلٍ شرعي يلزمني أن أقبل روايات تلميذ التقى بشيخه مرّة واحدة.

ثم لم يقم عندي دليل نافٍ أو مثبتٌ على لقاء آخر!

أقرّب لكم المسألة أكثر!

الشيخ ناصر الألباني رحمه الله تعالى، كان يعيش في دمشق بين عامي (1970- 1975) وكان لي في دمشق منزلٌ في هذه السنوات، وكنت أتردد دائمًا على دمشق، بل إنني في العام الدراسيّ (74- ١٩٧٥) عملت معلماً في ثانوية ركن الدين في دمشق.

وقد التقيت الشيخَ ناصراً الألباني عام (1970) في المكتب الإسلاميّ مرّةً واحدة.

فلو أنني ادّعيت بأنني أروي عن الشيخ الألباني جميع كتبه ومؤلفاته؛ فدعواي مقبولةٌ عند الإمام مسلم، فقد عاصرته في سوريا خمسًا وعشرين سنة من عمري وعمره، منها خمس سنوات في دمشق!

وكان بين بيتي وبيته في دمشق دقائق!

أمّا على مذهب البخاريّ؛ فرواياتي عنه أيضًا موصولة صحيحة، إذ إنني لقيتُه مرّةً واحدةً بيقين، والله يشهد على هذا.

ويشهد أخي وزميلي الفاضل الشيخ حسن بن حسن فرحات الدمشقيّ على لُقيّي الشيخ ناصراً في المكتب الإسلاميّ هذه المرّة، إذ كنا معا، وهو الذي قال لي: هذا هو الشيخ ناصر الألباني.

وعاصرت الشيخ ناصراً سنة كاملةً في الأردن!

وكان يزور مكة المكرمة، وينزل عند صهره الدكتور رضا معطي، والدكتور رضا زميلي وصديقي.

وقد دعاني مرّاتٍ إلى لقاء الشيخ ناصر، فاعتذرت!

فلو أنني زعمتُ بأنني التقيت الشيخ ناصراً (100) مرة؛ لا يستطيع أحدٌ أن ينفي ذلك؛ لوجود المعاصرة وإمكان اللقاء، وعدم الطعن باللقاء!

ولولا أنني أنا أقولكم: إنني لم أجالس الشيخ ناصراً ولا ساعةً واحدةً في عمري؛ لما عرف ذلك الأكثرون منكم!

خلاصة الكلام:

لا تفكّر أنّك تملك الحقيقة إذا كنت سنيّا.

ولا تفكر بذلك إن كنت شيعيّا أيضًا!

وإنّ الحوارات والمناظرات؛ لا تفيد شيئًا، ما دام المنطلق الأساس للسنيّ والشيعيّ؛ هو الانتصار، والعلوّ في الأرض، والسيادة.

والسبيلُ الوحيدُ لتوحيد السنة والشيعة فكريّاً على الأقلّ؛ أن يكون لدى علماء الطائفتين تقوى وخوف من الله تعالى، وخشيةٌ حقيقيّة من إراقة دماء المسلمين بعضهم بعضًا!

وهذا مفقود لدى هؤلاء ولدى أولئك بيقين!

كلّ طرفٍ متخندقٌ داخل حصنه الطائفيّ، ينطلق منه ويلتجئ إليه، ولا يبتعد عنه ساعة، إلا ويشدّه الشوق إليه!

وكلّما تمادى بي العمرُ أكثر؛ زاد إحباطي ويأسي من علماء المسلمين، وازددت يقينًا أنهم جميعًا على شفا هلكة، وأنّ الله تعالى سيحاسبهم قبل العوامّ المساكين، الذين يتذابحون فداءً لأولئك العلماء القساة القلوب، الذين يحوطهم الجهل من جهاتهم السبع، وهم يظنون أنهم يعلمون طباق الأرض وأعنة السماء!

يحزنني أشدّ الحزن أنني لم ألق في حياتي كلها عالمًا واحداً غير طائفيّ.

إنا لله وإنا إليه راجعون!

رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا؛ لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ).

والحمد لله على كلّ حال.

الإباضيّةُ والصّحابةُ!

كتب إليّ يقولُ:

أنت تدّعي بأنّك من عُلماء (آل البيت)، وفي نفس الوقت تدّعي أنّك أُمّة لوحدك، فلست سُنّيًّا ولا شيعيًّا ولا خارجيًّا.

وفي الوقت نفسه تقولُ: إنّ عليًّا أفضل هذه الأُمّة.

وفي الوقت نفسه تترضّى عن شيخك الخليليّ الّذي يُكفّرُ الإمام عليّ بن أبي طالبٍ.

وحتّى لا تُدافع عن شيخِكَ هذا الدّفاعَ النّظريّ؛ فاقرأ هذا النّصّ الإباضيّ الوقح:

في كتاب السّير والجوابات (2: 307) مطبوعات (1406هـ) ما نصُّهُ:

(فهذا دليلٌ على كفر عليٍّ وضلاله، وصواب أهل النّهروان وعدلهم.

ثُمّ إنّ عليًّا خلعهُ الحكمان؛ فلم يرض حُكمهُما!

وفرّق اللهُ أمرهُ، فقتلهُ عبدُ الرّحمن بن ملجم؛ غضبًا لله!

وكان ذلك منهُ حلالًا؛ لقتله الّذين يأمُرون بالقسط من النّاس، فرحم اللهُ عبد الرّحمن).

وفي كتاب بيان الشّرع للشّيخ مُحمّد بن إبراهيم الكنديّ (3: 280- 281) ما نصُّهُ: (ونبرأُ من عدوّ الله إبليس، لعنهُ اللهُ، وأتباعهُ من الفراعنة وغيرهم من أئمّة الكفر وأتباع الطّاغوت، من لدُن آدم إلى يومنا هذا...

وبعد سبعة سُطورٍ يقولُ:

وبرئنا -بعد النّبيّ صلّى اللهُ عليه وسلّم- من أهل القبلة الّذين هُم من أهل القبلة: عُثمان بن عفّان وعليّ بن أبي طالبٍ وطلحة والزُّبير، ومُعاوية بن أبي سُفيان، وعمرُو بن العاص، وأبو موسى الأشعريّ، وجميع من رضي بحُكومة الحكمين ...) إلى آخر كلامه اللعّين.

أنت تُدافع عن الإمام عليّ، وفي ذات الوقت تترضّى عن شيخك الإباضيّ الّذي يُكفّرُهُ، وتُحبُّهُ!

وابنُّ تيمية الذي تُبغضُهُ؛ لم يُكفّره أبدًا، إنّما تكلّم كلامًا أيسر من الكفر بكثيرٍ، ومع هذا؛ فأنت لا تُحبُّهُ.

يا ليتك تُوضّح لنا كيف تُوفّقُ بين آرائك المُتضاربة هذه؟).

لو كنت ممن يثأر لذاته؛ لأعرضت عن الجواب على هذه الرسالة الوقحة وغير المؤدبة فعلاً، لكني أحتسب نفسي وشرفي عند الله تبارك وتعالى.

أقولُ وبالله التوفيق:

عند جميع العقلاء ثمّة فروق:

بين الحبّ الشرعي والحبّ العاطفيّ.

بين الحبّ الشرعي وبين الاحترام الشخصيّ.

بين الحبّ الشرعيّ وبين الوفاء الاجتماعيّ.

بين الحبّ الشرعيّ وبين الإعذار.

من لا يفهم الفروق بين هذه العباراتِ؛ ليته سكتَ، فإن سكوته أسترُ لجهله.

كان هناك رجل حمويّ نصرانيّ، يقيم في أوربا، يساعد عدداً من العائلات المسلمة الحمويّة.

طلبَ مني أحدُ من يتلقون المساعدة منه أن أكتب إليه رسالةً أشكره فيها على معروفه وإحسانه، ففعلتُ، ودعوته فيها إلى الإسلام.

هل شكري هذا الرجل بعبارات شرعية؛ يعني أنني أحبه الحبّ الشرعيَّ، أو هو من قبيل تقدير موقف الإحسان الذي يقوم به، مهما كانت نيته؟

في الصف الثاني الابتدائيّ علّمني أستاذ مسيحيّ اسمه أديب حزّوري، كان يعلّمنا حتى القرآن الكريم المقرّر في المنهج.

وإذ كنتُ الوحيدَ الذي يحفظ (جزء عمّ) في الصفّ، مع تجويدٍ وسط، وليس ممتازاً، فكنت أنا الذي أقرأ القرآن وأصحح لزملائي، فإذا أخطأت في تجويد كلمة؛ كان هو يردّني.

ظللتُ أحترم هذا المعلّم حتى أصبحت أنا مدرسًا في الثانوية، وهو ما زال مدرسًا في المرحلة الابتدائية.

الإمام عليّ الذي أحبّه، بل أقدّسه أكثر من جميع الأمة، سوى رسول الله وفاطمة عليهم أفضل الصلاة والسلام؛ كان يسمع تكفير الخوارج أسلافَ الإباضيّةِ إياه بكلتا أذنيه، ومع ذلك لم يكن يكفرهم، وحزن كثيراً لعدم هدايتهم إلى طريق الصواب؛ لأنهم في نظره اجتهدوا في طريق الوصول إلى الحقّ، لكنهم أخطأوا فلم يصلوا إليه.

هذه النقطة العَلَوية؛ هي التي تجعلني أثني على شيوخي:

مجد الدين المؤيدي المنصوري.

والسيد علي السيستاني.

والسيد محمد مهدي الخرسان.

والشيخ أحمد الخليليّ.

قد أفدت من كلّ واحدٍ فوائدَ جعلتُه في عرف العلم الشرعي شيخي.

لكنني لست زيديًا، ولا إماميًّا، ولا إباضيًا، لا في الأصول ولا في الفروع .

هؤلاء العلماء الأفاضل، إذا حاسبتهم على اجتهادي أنا؛ فربما غلّطتهم مجتمعين في جميع ما أخالفهم فيه!

لكنني إذا حاسبتهم على اجتهادهم المذهبيّ؛ أعذرهم في اجتهادهم، ولا بدّ!

لأنّ هؤلاء عند أهل مذاهبهم مجتهدون، وإن كانوا عندي ليسوا بمجتهدين البتة، حسب قواعد الأصوليين.

ليس لدى الزيدية ولا الإمامية ولا الإباضيّة كتب حديثيّة تصلح للاعتماد عليها، في دينٍ يعتمد على الأخبار في جميع تشريعاته!

إنما هي أقوال وأفعال تناقلتها هذه الفرق خلَفًا عن سلف!

أو رُويت بأسانيد هزيلة ليس لها أدنى قيمة علمية.

لكنّ التعصّب المذهبيّ، وإعجاب كلّ فرقةٍ بما لديها، ومحاولة سلاطين أهل السنة الطغاة الجهال بمباركة علمائهم الممتلئين بالعصبية تغييرَ مذاهب هؤلاء بالقوة، ومعاملتهم إياهم بالإذلال والتعيير والتكفير؛ زادهم تعصبًا إلى تعصبهم، وآثروا الموتَ في سبيل ما يعتقدون، على تغيير مذاهبهم بقوة السلاح!

ولا أشكّ أبداً في أنّ علماء أهل السنة أحسن منهم حالاً في علم الرواية والنقد، ويبقى لأهل السنة كتب فيها أسانيد يمكن للباحث فيها أن يجد بغيته، على كل حال!

أنا أعلم بأنّ الإباضية المتقدمين وكثيراً من المعاصرين؛ لا يختلفون على أنّ عثمان وطلحة والزبير ومعاوية وعمرو بن العاص وأبي موسى الأشعريّ كفّارُ شركٍ!

ولكنهم يختلفون في حقّ عليّ، فبعضهم يكفّره كفرَ شرك، وبعضهم يكفره كفر نعمة، وهو المعبّر عنه بالضلال.

وهم إلى جانب ذلك يبرؤون إلى الله من هؤلاء، ويبرؤون إلى الله تعالى من الحسن والحسين؛ لأنهما وافقا أباهما على ضلاله، ولم يردعاه عنه.

والعجيب في أمر الإباضية هؤلاء أنهم يشككون برواياتٍ في الصحيحين، لا تُسنِد أفكارهم، ويستمسكون أحيانًا بروايات من كتب التاريخ، أو من كتب ليست مسندةً أصلاً، أو هي من منقولاتهم المنفردة، وهي في الجملة تدخل تحت مقولتهم العامة: (لا عبرة برواياتِ من يخالفنا) ؟!!

وكأنّ لديهم رواياتٍ جليلةٍ من استندَ إليها؛ فقد استند إلى ركن عظيم!

أنا أعرف هذا، ربما قبل أن يولدَ هذا المعترضُ عليّ بسنين!

لكنّ معرفتي بهذا شيء، وإعذاري الآخرين شيء آخر!

وحين أقول بإعذاري للآخرين؛ لا يعني هذا أنهم معذرون عند الله تعالى أبداً !

إنما نترك أمرَ أنفسنا في اجتهاداتنا، وأمرَهم في اجتهاداتهم إلى الله تعالى.

أنا أزعم أنني على الحقّ في جميع اجتهاداتي المبنية على:

الاجتهاد في النقل.

والاجتهاد في العقل.

والاجتهاد حسب القواعد.

لأنني أزعم أنني أمتلك زمام ونواصي هذه الاجتهادات الثلاث!

وقد أكون على خطأ في بعضها؛ للقصور البشريّ، واحتمال السهو والغفلة والنسيان.

لكني لا أرى عالمًا واحداً من الزيدية والإمامية والإباضية الذين قرأت كتبهم؛ يحسن الاجتهاد في القضايا المعتمدة على النقل البتة؛ لأنهم جميعًا لا يحسنون علم النقد الحديثيّ.

ولهذا فكلّ عقيدة أصلية أو فرعية مبنية على النقل الروائي الحديثيّ، اجتهد فيها أحد مشايخي هؤلاء، وغيرُهم ممن هو مثلهم، أو دونهم؛ فليست محلَّ تقديرٍ كبيرٍ عندي؛ لأنها مبتناة على التقليد المغطّى بسمعة الاجتهاد!

وأنا عندما أعبرّ عن احترامي لشيوخي هؤلاء؛ فلأنهم مسلمون موحّدون، ويقيمون شعائر الله تعالى، ويخلصون في الدعوة إليه، وهذه هي ثقافتهم الآسرة لهم، مثلما هي آسرة لجميع علماء أهل السنة أيضًا!

ولأنني لست أسيرَ أيّ ثقافة من ثقافاتهم؛ فليس أحدٌ منهم ومن أهل السنة معنيـًّا أبداً بشأني وشأنِ أسرتي، وليس فيهم واحدٌ يسعى لي في عمل شريف!

وربما كان بعضهم يتمنى لو أموتُ جوعًا أو مرضًا، ولا يرى أنه مطالب أمام الله تعالى تجاهي بشيء!

هل رأيت سنيـًّا يخرج عن مذاهب أهل السنة قيدَ أنملة، حتى من أولئك الذين يزعمون، أو يـُزعَم لهم الاجتهادُ المطلق أو المقيـّدُ، من أمثال شيخي الجليل عبدالعزيز ابن باز، والشيخ محمد صالح العثيمين، والشيخ ناصر الألباني وغيرهم؟

هؤلاء أيضًا ليسوا بمجتهدين في نظري للسبب نفسه، فليس فيهم مَن يمتلك ناصية النقد الحديثيّ الاستقلاليّ!

أمّا كلامُك عن بغضي للشيخ ابن تيمية؛ فهذا افتراء منك عليّ، فأنا لا أبغض ابن تيمية أبداً، مع أنه ناصبيّ قُحّ؛ لأنني على عقيدة واضحة: (قد يكون المبتدع وليـًّا لله تبارك وتعالى، وقد يكون نَصر بدعته واجبًا عليه).

وأنا شخصيـًّا لا أبغض ابن تيمية أبداً، وربما اعتقدت بصلاحه وولايته، مع مخالفتي إياه في كثيرٍ من مفاريده العقدية والفكرية والتفسيرية والفقهية والحديثية، بل ليس هو عندي إلا من عوامّ المحدثين، فضلاً عن نصبه الخبيث!

وسأفرد منشوراً خاصًا بابن تيمية رحمه الله تعالى، ورحم جميعَ علماء الإسلام الذين اجتهدوا في الحصول على رتبة الاجتهاد، ثم اجتهدوا فيما ظنوه النجاةَ عند الله تعالى، خدمة لدينه الحنيف.

واللهُ تعالى أعلمُ.

والحمدُ لله على كلّ حالٍ.

خيرُ الكلام ما قلّ ودلّ!

هل أنت (سُنّيّ) أم (شيعيّ)؟!

قُلتُ مرّاتٍ لا تُحصى : إنّ الانتساب (الطائفيّ) و(المذهبيّ) مثل الانتساب (القبليّ) تمامًا!

فكما أنّ الإنسان يولد ابن والديه ذوي نسب (قبليّ)، أو (عائليّ)؛ فهو يولد أيضًا في حيّ أو قرية تعبد الله على المذهب (الحنفيّ) أو (الشّافعيّ) أو (المالكيّ) أو (الجعفريّ) أو (الإباضيّ)، ليس في هذا وذاك وذلياك أيّ امتياز!

إنما الامتيازُ أن يحصّل الإنسان من العلومِ ما يؤهّله لأن يختار، فاختياراته هي التي ينتسب إليها، وتُنسبُ إليه.

والفقير عداب في أصول الفقه والفقه والقواعد (شافعيٌّ) في الجملة، فـ(الشّافعيّ) عبقريّ هذه الأمّة كلّها، شاء مَن شاء، ورفض مَن رفض!

أما في أصول الدين؛ فأنا أختار ما يترجّح لديّ اجتهادًا، من دون تقليد أحدٍ، حتّى (عليّ بن أبي طالبٍ) رضي الله عنه!

ومن وراء دراساتي في هذه الساحة الفكريّة؛ تبيّن لي أنّ مذهب (أهل البيت)؛ هو المذهب الأصوب، وهو الجدير بأن يجمعه العالم المسلم، ويحرّره من مصادره الأصيلة، التي منها بدون شكّ مصنّفات العقائد وتفاسير (أهل السنّة) المسندة، ومنها أيضًا مصادر (الزّيديّة) و(الإماميّة) و(الإباضيّة).

وحسب دراساتي التي سأنشرها إن أبقى الله في العمر بقيّة؛ توصلت إلى أنّ مذهب (الإماميّة) بانفراده، أو مذهب (الزّيديّة) بانفراده، أومذهب (الإباضيّة) بانفراده، أو مذهب (المُعتزلة) بانفراده؛ لا يمثّل مدرسة (أهل البيت)، مع احترامي لمنْ يدّعي غير ذلك.

فإن قلتُ لك: أنا (سُنّيّ)؛ فهذا ما أعنيه، وإذا قلت لك: أنا (شيعيّ)؛ فهذا ما أعنيه، لكنْ أنا لستُ (سُنّيًّا) بمعيار (أبي الحسن الأشعريّ)، ولا بمعيار (مُحمّد بن عبد الوهّاب).

ولستُ (شيعيًّا) بمعيار المذهب (الجعفريّ)، أو (الزّيديّ).

ولست أدري لم الحرص على هذا الانتماء أو ذاك، وما الشّرف في الانتماء (الأُمويّ)، أو الانتماء (الصّفويّ)؟

أنا رجلٌ من بلاد (الواق واق) قرأت (القُرآن العظيم) و(السُنة الشّريفة) قراءة مختصّ متميّز رغم أنف من لا يريد، وقرأت (التّاريخ الإسلاميّ) كلّه، و(الفقه الإسلاميّ) كلّه، فتوصلت إلى أنّ الله تعالى أراد لهذه (الأمّة) كلّها عن بكرة أبيها؛ أن (يتعرّب) لسانها وذوقها!

وأن تهتدي بهدي (آل بيت) رسولها، الّذين هُم (قُرناءُ الكتاب)، على الرغم من أنوف (النّواصب) أجمعين.

فرحتُ أبحثُ عن مذهب (أهل البيت) متأخّراً، وتوصلت إلى نتائج طيّبة ولله الحمد، وما زلت أبحث!

وعلى هذا، فأنا أسامح (أهل السُّنّة) بمذهب (أبي الحسن الأشعريّ) الكلاميّ كله، وبمذهب (أحمد بن حنبلٍ) الأثريّ كلّه!

وأسامح (الشّيعة) بمذهب (المُفيد) كلّه، ومذهب (الطّوسيّ)، ومذهب (الحلّيّ) كلّه.

فهل في هذا لومٌ عليّ، وأين؟

إن قيل: أنت تخدع (أهل السُّنّة والجماعة) بكتاباتك، إذ يظنونك (سُنّيًّا)؟

فأقول: أستغفر الله وأتوب إليه عن مخادعتي إياهم سابقًا ولاحقًا، ولنبدأ من جديد:

أنا على مذهب أهلي (أهل البيت): (عليّ بن أبي طالب)، و(الحسن) و(الحسين) و(ابن عباس) و(علي زين العابدين)، و(الحسن بن الحسن)، وسائر (أئمة آل البيت) الذين يعدّون بالمئات.

فمن رضي عني بذلك؛ فجزاه الله خيراً، وأحسن إليه.

ومن لم يعجبه ذلك مني؛ فأنصحه أن يختار الطريقة العلمية الإسلاميّة للردّ والحوار.

لأنّ السبّ والشتم واللعن والتعيير؛ صفات الأنذال المنحطّين، وليست من صفات أهل العلم المسلمين، الذين يعتقدون بقرآنيّة قول الله تعالى:

﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا﴾ (سورة الإسراء: الآية 53).

والحمدُ لله ربّ العالمين.

المسألة الأولى: تبليغ المسلمين في الديار الإسلامية

بين يدي الدراسة:

قولنا: تبليغ المسلمين الإسلام في الديار الإسلاميّة؛ هو من باب المجاز، فمن وُلِد بين أبوين مسلمين، وفي بيئة مسلمةٍ، ويردد الشهادتين مرّاتٍ كلّ يوم؛ فهو لا يحتاج إلى تبليغ الإسلام، وإنما يحتاج إلى تعليم الإسلام.

وتعليم المسلمين في ديار الإسلام؛ يحتاجُ إلى تآزرٍ وتناصرٍ من جميع القادرين على العملية التربوية في المجتمع المسلم، وحتى تتوضح طبيعة الصراعات الفكرية القائمة بين المسلمين اليوم، وحتى نعرف من أين نبدأ في تربية الناس، وتعليمهم الإسلام؛ فيحسن أن نتعرف إلى الخارطة الفكرية للأمة المسلمة اليوم .

الأمّة الإسلامية اليوم؛ ترزح تحت وطأة المدارس الطائفية والمذهبية، وهذا بدوره قاد ويقود الأمة إلى اقتتال واحترابٍ طائفيّ ومذهبيّ، ليس فيه رابحٌ وخاسرٌ، بل الجميع خاسرون!

وبما أنّ أمّتنا الإسلامية اليوم؛ موزّعة على دولٍ قانونية علمانية؛ فالواجب يتطلّب إصلاحَ وضع كلّ بلدٍ على حدتها؛ خطوةً أولى في سبيل وحدة الفكر الإسلاميّ.

لكن كيف يتّم توحيد الفكر الإسلاميّ في كل دولة على حدتها؟

وجواب ذلك: أنّ البلاد الإسلامية؛ تتوزع على قارتي آسيا وإفريقية في الأصل، وهناك جاليات كثيرة في قارة أوربا وأمريكا وأستراليا.

وطوائف الإسلام اليوم؛ أربع طوائف أيضًا:

أهل السنة والجماعة، وعددهم يزيد على مليار نسمة.

والشيعة الإمامية، والفرق التي تُحسب عليها، وعددهم يقرب من (200) مليون نسمة.

والشيعة الزيدية، وعددهم قد يصل إلى خمسة عشر مليون نسمة.

والإباضية، وعددهم في العالم قد يصل إلى (5) مليون نسمة.

ولا حاجة بنا إلى الكلام على الإسماعيلية والدروز والنصيرية (العلويّة) فقد رأيت جميع الإسلاميين المتقدمين؛ يخرجون لباطنيتهم وغيرها عن الإسلام.1

ولنأت إلى مدرسة أهل السنة والجماعة:

فعندنا بلاد تكاد تكون حِكراً على المذهب المالكي، وهي بلدان الاتحاد المغاربي (ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب، موريتانيا، الصحراء الغربية) ومعها مالي، وتشاد وغيرها.

فهذه الرقعة الشاسعة العظيمة؛ كلها تدين الله تعالى بالمذهب المالكي، فلتبق ثقافتها العامة مستمدة من الفقه المالكي، والعقيدة الأشعرية.

أما أن نرسل إليها الغزاة ونزودهم بكل ما يحتاجونه من المال والعتاد؛ لينشروا فكرًا قاحلًا متطرّفًا، مثل الفكر الوهّابي والفكر الإماميّ؛ فتلك جريمة ترتكبها الدول التي تدعم هذا الاتّجاه؛ لتمزيق الوحدة الفكرية والفقهية بين تلك البلاد؟

وعندنا بلاد تكاد تكون حكرًا على المذهب الحنفيّ، وهي جمهوريات تركيا، وباكستان، وأفغانستان، والهند، وبنغلادش، والصين، والجمهوريات الروسية المستقلة، والجاليات الإسلامية في دول البلقان، قبل الغزو الوهابي، والغزو الإمامي لها .

فهذه الرقعة الشاسعة العظيمة؛ كلها تدين الله تعالى بالمذهب الحنفيّ، فلتبق ثقافتها العامة مستمدة من الفقه الحنفيّ، والعقيدة الماتريدية.

وعندنا بلاد تكاد تكون حكرًا على المذهب الشافعيّ، وهي بلدان المشرق الإسلاميّ: ماليزيا، الفلبين، الملايو، أندونيسيا، وغيرها من تلك الدول .

فهذه الرقعة الشاسعة العظيمة؛ كلها تدين الله تعالى بالمذهب الشافعيّ، فلتبق ثقافتها العامة مستمدة من الفقه الشافعيّ، والعقيدة الأشعرية.

1- رأيت تراجع شيخنا الشريف - حفظه الله ورعاه – عن هذا القول قريبًا وقال أنه سيكتب بخصوصه فنرجوا أن يتيسر له الوقت للبيان بإذن الله.

وهناك دولة واحدة، تكاد تكون حكرًا على المذهب الحنبليّ، وهي المملكة العربية السعودية، وعدد الحنابلة فيها قد يصل إلى خمسة عشر مليون نسمة.

وينتشر المذهب الحنبليّ في بعض قرى القدس، وبعض مناطق دمشق، وقليل من المتمذهبين به في مصر.

فهذه الرقعة الشاسعة العظيمة من بلاد الحرمين ونجد وعسير والإحساء؛ مذهب الدولة الرسمي فيها؛ هو المذهب الحنبليّ.

والمذهب الحنبليّ الفقهي ممتاز وناضج، لا يستطيع أحدٌ أن يقلّل من قيمته الفقهية العالية إن أنصف.

لكنّ الفكر البربهاريّ الأثريّ الحانق الحاقد، منذ القرن الرابع الهجري؛ لا يعرف سوى التطرّف، وصناعة المشاكل مع بقية المسلمين.

وقد كانوا في مرحلة من المراحل؛ يشعلون حربًا من أجل روايةٍ باطلةٍ ساذجةٍ عن مجاهد بن جبر هي (الإقعاد على العرش) فالبدويّ عامّة لا مكان للتجريد عنده، وهو يؤمن بالمحسوسات المادية أكثر بكثير من إيمانه المجرّد.

ولذلك فإنك إذا قرأت أيّ كتاب من كتبهم التي تلهج بما يسمونه الصفات؛ تجد الله تعالى مصوّرًا تصوّرًا تسلسليًّا: الوجه والسمع والبصر والكلام والضحك والعجب والتبشبش، وهذا يقودُ قطعًا إلى تصوّر وجه الله تعالى على صورة وجه ابن آدم.

على كلّ حال، فأهل هذه البلاد نشأوا وتربوا على هذا المذهب المتطرف فكريًّا الممتاز فقهيًّا، فليبقوا على مذهبهم، ولتكن ثقافتهم مستمدة منه.

لكن عليهم أن يتقوا الله، فلا يصدروا هذا الفكر الوهابيّ الأعرابيّ المَمزّق، خارج بيئتهم البدوية التي انتقلت فقط من الخيام إلى العمارات!

والتحضّر هو تحضّر النفس، وليس ركوبَ السيارات، ولا سكنى العمارات.

وقد أعجبني منشور صغير يصوّر الحال النفسية لأهل الخليج، يقول:

(يشتري سيارة جيب بمبلغ (290) ألف ريال، وسلاح (10000) ريال، وصقر بكذا ألف ريال؛ ليصيد أرنبًا ثمنها 15 ريال) ويفرح بصيد هذه الأرنب!

والذي يتابع قنواتِ دول الخليج؛ يجد عجبًا عجابًا من تكريس البداوة، وتعظيم القبلية، والالتصاق بالإبل والبقر والمواشي والخيول، يعرضون أسواقها على شاشات التلفاز، وكأنها شيء آخر سوى التخلف والبدائية والجهل ؟!

هذا هو الوضع السني، وعلى الحكومات الحريصة على استقرار بلادها أن لا تسمح بالمدّ الوهابيّ بحال من الأحوالِ، ولا بالمَدّ الإماميّ؛ لأنّ صراعات المذهبين مع أبناء جلدتهما، وليس لهما صراعٌ مع غير المسلمين.

ولننتقل بعد ذلك إلى الشيعة الإمامية، فإنّ لهم الآن دولةً قوية عسكريا وسياسيًّا واقتصاديًّا، هو دولة إيران، ودولة أخرى؛ هي العراق، ونظام ثالث؛ هو النظام السوريّ

ودولة إيران (براغماتية) إلى درجة مذهلة، ولديها صبرٌ سياسيّ عجيب!

وهي ماضية في نشر مذهبها الشيعيّ الإماميّ بجميع السبل.

ولعلّ من سوء حظّ المسلمين المساكين؛ أن وضع الله تعالى النفطَ تحت أيدي المتطرّفين من الناصبة والرافضة!

فالشيعة الإمامية لديهم فقه ناضج ممتاز، لا يقلّ نضجًا عن سائر مذاهب أهل السنة، ولديهم فكرٌ قاحلٌ متن طّعٌ، كتنطّع الفكر الوهّابيّ تمامًا، والإمامية والوهابية وجهان لعُملةٍ واحدة؛ هي التطرّف الفكريّ، واحتكار الحقّ، واستحلال دماء الخصوم من المسلمين!

وكلا المذهبين (في الجملة) يحتجّ بأحاديث الآحاد في الاعتقادات، لكنّ للمذهب الوهّابي مرتكزاتٍ من كتبٍ عاليةٍ في درجاتِ الصحة، من مثل صحيح البخاري وصحيح مسلم.

بينما ليس لدى المذهب الإماميّ كتابٌ واحدٌ، يطمئن المسلم إلى احتكامه إليه!

وتوضيح ذلك بمثال أولي:

لو أنّ الإمامية والزيدية والإباضية؛ اجتمعوا على نقد الصحيحين؛ فإنهم لن يخرجوا منهما (500) حديث ضعيف، فيبقى في الصحيحين أكثر من (3000) حديث صحيح وحسن محتجٌ بها في الأحكام.

لكنّ كتبَ الشيعة الإمامية الأربعة؛ أتوقع نسبة الحديث الصحيح فيها لا تتجاوز (30%) بحالٍ من الأحوال، وهذا يعني أن (70%) من رواياتهم أحاديث ضعيفة ومنكرة وموضوعة؛ لا يجوز أن يحتكم إليها في خصومة على باقة بصل، فضلًا عن أن يبنى عليها فكرٌ وعقيدة وتاريخ وأحقاد.

وإذا كنت أرى مسوّغًا للوهّابية في بعض فكرهم من الروايات التي تحملها أسانيد قوية؛ فإنني لا أجد مسوّغًا أبدًا لذاك الفكر المتطرّف لدى الإمامية؛ حيالَ أيّ جانبٍ من جوانب الاعتقاد والفكر والتاريخ!

وقد كان المذهب الزيديّ في الماضي هوَ الأعدل، وهم الميزان القسط بين التطرّف السنّي، والتطرّف الإماميّ.

لكنّ التطرّف الوهابي الذي غزاهم في عُقر ديارهم؛ جعل القوة المؤثرة فيهم اليوم غاليةً مثل غلوّ الشيعة الإمامية، وربما أشدّ.

أمّا الإباضيّة؛ فلا يقلّون تعصّبًا لمذهبهم عن أتباع أيّ مذهب من المذاهب الأخرى؛ لكنهم يتميزون عن الجميع بثلاث نقاط:

النقطة الأولى: لا يغزون أيًّا من المذاهب الإسلامية في ديارهم، ولا ينفقون النفقات الباهظة؛ لينقلوا بعض أهل السنة أو الإمامية مثلًا إلى المذهب الإباضيّ.

والنقطة الثانية: إنهم آمنوا إيمانًا راسخًا أنه لا بدّ من التعايش مع بقية المسلمين؛ لأنّ الصراع الدمويّ؛ لا يوصل إلى وحدة فكرية، وربما أوصل الصراع الفكري السلمي إلى رجحان أحد المتخاصمين على الآخر، ثم تكون فترةُ مراجعة نفسية، ثم يعتنق الإنسانُ الحقَّ الذي قامت عليه الحجة به.

والنقطة الثالثة: مراجعة مفاريد المذهب، فقد عايشت شيخي العلامة الشيخ أحمد ابن حمد الخليليّ في مسقط أكثر من أربعة أشهر، حضرت دروسه التي كان يلقيها في التفسير جميعَها تقريبًا، فلم أر مسألة واحدةً جنح فيها ذات اليمين، أو ذات الشمال وكان هو وكثيرٌ من مشايخ سلطنة عُمان؛ يدعون الشباب إلى البحث العلمي النزيه ولتكن النتائج ما تكون؛ لأنّ (طائفة الحقّ والاستقامة) كما يطلقون على الإباضية؛ لا تكون طائفة حقّ، ولا يُتصوّر منها استقامة؛ إلا إذا كان الحقّ هو المطلب الأساس من البحوث العلمية.

هذا هو الواقع الجاثم على بلادنا الإسلامية، من دون تزويق ولا تلطيف.

ولو كان الإسلام يعنيها في شيء؛ لما وقفت جمهورية إيران الإسلامية مع الطائفة المارقة والنظام العلماني المجرم في سوريا، ضدّ (90%) من الشعب السوري الذي ما عرف الغلوّ في حياته.

وكلامي السابق ليس دعوة إلى تكريس المذهبية، وما يتبع ذلك من الجهل بالآخر وتكريس الأحقاد التاريخية السياسية أيضًا.

وإنما هو خطوة أولى في سبيل معرفة (أين الخلل) في كل بلد قانونيّ ة، لنرصد مواضع الخلل، ونحاول إزالتها عن طريق الحوار الهادئ البنّاء، وتعميم نتائج الإصلاح إنما يتّم عن طريق عقد المؤتمرات الفكرية والعلمية الدورية، التي تعتمد الوضوح والصراحة والشفافية.

وسبيل ذلك كله؛ البحث العلميّ، وتحقيق مسائل الخلاف الفكرية والفقهية، ومكانها مراكز البحوث العلمية والجامعات، وليس مكانها المساجد، ولا روادها من العوامّ.

بقي أن أذكّر بأنني ليس لي غرضٌ في تجريحِ أحدٍ من المسلمين (والله الشاهد) بيد أنني وجدت طريقَ المصارحة الكاشفة، والمناصحة المخلصة؛ أجدى نفعًا على المستويين: المتوسطِ، والبعيد، وأنا لا أتوقع أن يكون لكلامي صدىً قويّ في الفترة الراهنة؛ لأننا نعيش صراعًا طائفيًّا، لا يُقبل معه إلا الكلام الطائفيّ المتشنج، الذي يزيد النار اشتعالًا، ويبيح الدماء والأموال والأعراض !

واللهُ تعالى أعلمُ

والحمدُ لله على كُلّ حال.

واللهُ تعالى أعلمُ

والحمدُ لله ربّ العالمين.

شخصيات

(شخصيات)

بلال بن رباح سيّد الأمّة ؟!

كتب إليّ يقول:

(شيخنا..من المسلّمات عند أهل السنّة أنّ ترتيب الراشدين من الصحابة في الفضل؛ على حسب ترتيبهم السياسيّ!

لكنّ سيّدنا عُمر جعل بلالًا الحبشيَّ سيّد الأمة!

فهل هذا الحديث صحيح ؟

وكيف يستقيم هذا، وأهل السنة لا يذكرون بلالًا حتى بين العشرة المبشرة بالجنة)؟

أقول وبالله التوفيق:

حديث البابِ؛ أخرجه البخاريّ في مناقب بلال بن رباح (3754) من حديث

مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدِرِ قال: أَخْبَرَنَا جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ كَانَ عُمَرُ يَقُولُ: (أَبُو بَكْرٍ سَيِّدُنَا، وَأَعْتَقَ سَيِّدَنَا) يَعْنِي بِلَالًا!

ومن حديث جابر؛ أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (31966) وابن شبّة في تاريخ المدينة النبوية (3: 838) والخرائطي في المكارم (263) والحاكم في المستدرك (5239) وقال: صحيح، ولم يخرجاه، وأخرجه البخاري كما ترى.

و(محمد بن المنكدر) من أفاضل أهل زمانه عبادة وتقوى وعلمًا، وروايته عن (جابر) في الكتب الستة وغيرها.

وقد رُوي الحديثُ متّصلًا ومُنقطعًا، ورجّح الدارقطنّي في العلل (139) المتّصل.

وأقول:

إنّ إتقانَ فنونِ اللسان العربيّ، وأساليب القول عند العرب؛ هو الأساس في الفهم الصحيح لدين الإسلام، بعيدًا عن التناقض والاضطراب!

انظُرْ إليّ مثلاً، أخاطب شيخي محمود سعيد القاهريّ: مولانا الشّيخ، سيّدنا الشيخ محمود.

وهو يخاطبني بمثل تلك الصيغ، وأنا تلميذه!

فإذا لم يكن عقلك يستوعبُ سوى ظاهر اللفظ؛ فلن تفهم أنّ هذه العباراتِ كناياتٌ عن الاحترام والتواضع وهضم النفس والعرفان والاعتراف بالفضل لأهله، وليس المقصودُ منها أنّ الشيخ محموداً مولايَ يعني يملكني، ولا أنه سيّدي أو سيّدنا؛ أنه أفضل أمة الإسلام، وأنني رقيق على باب داره!

فعمر كان يرى أبا بكرٍ أفضلَ هذه الأمة على الحقيقة، وحلفَ أنّ القتلَ في غير إثم أحب إليه من أن يكون أميراً على قومٍ فيهم أبو بكر.

وأبو هريرة كان يرى جعفر بن أبي طالب خيرَ الناس للفقراء والمساكين، كما في صحيح البخاري.(3708)

وعليٌّ عليه السلام يهضم نفسه، فيقول: (خير هذه الأمة بعد نبيها؛ أبو بكر ثم عمر) وقال عقب ذلك: (ما أنا إلا رجلٌ من المسلمين) أخرجه البخاري.(3671)

فهضم عليّ نفسَه ظاهر في قوله هذا؛ إذ لا يقول أحد من المسلمين: إنّ عليّاً في الفضل مثل معتّب بن قشير أو الصعب بن جثامة مثلًا!

وبلال ليس سيّد الأمة، ولا هو من أبرز ساداتها، إنما هو عبدٌ أكرمه الله تعالى بإيمان عميقٍ، احترمه المسلمون لأجله، وكان مؤذّن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم مدة حياته في المدينة، ثم لم يؤذّن لأحدٍ بعده.

ومسألة إعتاق أبي بكرٍ بلالًا؛ فيها تضخيمٌ وتهويلٌ أيضًا، من أجل إثبات منقبة جليلةٍ لأبي بكرٍ!

وظاهر الروايات الواردة في هذه المسألة؛ أنّ أبا بكرٍ أعتقه بالتدبير، يعني يصبح حرّاً بعد وفاته!

فقد أخرج البخاري في فضائل الصحابة (3755) من حديث قيس بن أبي حازمٍ أَنَّ بِلَالًا قَالَ لِأَبِي بَكْرٍ: إِنْ كُنْتَ إِنَّمَا اشْتَرَيْتَنِي لِنَفْسِكَ؛ فَأَمْسِكْنِي!

ً وَلَ كُنتُ انَّما اشْتَرَيْتَنِي لِلهِ؛ فَدَعْنِي وَعَمَلَ الله) لكنّ أبا بكرٍ لم يتركه وعَمل الله طيلةَ حياتِه!

وحين استأذن بلالٌ أبا بكرٍ في الجهاد؛ قال له: (أنشدك اللّهَ وحقّي)؟

فأقام معه بلال في المدينة حتى توفي، فلما مات أبو بكر؛ هاجر بلالٌ إلى الشام مجاهدًا، فمات في طاعون عمواس (18- 20 هـ) كما في طبقات ابن سعد (3: 236) وفتح الباري.(191 :11)

رضي الله عن أبي بكرٍ وعن عمر وعن بلالٍ، وعن سائر صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم الصادقين المجاهدين.

وسلام الله على عليّ وعلى سائر آل بيت الرسول، فأولئك قوم لا يقاس بهم أحد!

وأختم بجملة مفيدةٍ في مسألة فضائل الصحابة، والمفاضلة بينهم للإمام الفقيه الحافظ المجتهد أبي عُمَر بن عبد البرّ في مقدمة كتابه الاستيعاب (1: 18) قال:

(فضل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ جماعةً من أصحابه بفضائل خَصّ كلّ واحدٍ منهم بفضيلةٍ، وسَمَه بها، وذكره فيها.

ولم يأت عنه عليه السلام أنه فضّل منهم واحدًا على صاحبِه بعينهِ، من وجهٍ يَصِحّ!

ولكنه ذكر من فضائلهم ما يُستَدَلُّ به على مواضعهم ومنازلهم من الفضل والدين والعلم!

وكان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أحلمَ وأكرَمَ معاشرة، وأعلمَ بمحاسن الأخلاقِ، من أن يُواجِه فاضلاً منهم بأن غيرَه أفضلُ منه، فيَجِدُ من ذلك في نفسه!

بل فضّل السابقين منهم وأهلَ الاختصاص به؛ على من لم يَنَلْ منازلَهم.

فقال لهم: (لو أنفق أحدُكم مثل أحدٍ ذَهَبًا؛ مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلا نَصِيفَهُ)) انتهى كلام ابن عبدالبرّ.

والحديث الأخير هذا؛ أخرجه البخاري (3673) ومسلم (4611) من حديث أبي سعيد الخدري مرفوعًا.

واللهُ تعالى أعلمُ.

والحمدُ لله على كلّ حالٍ.

كتبت تقول:

(ولو سلّمنا جدلاً أنّ المرأة يمكن أن يزوّجها أبوها، وهي بنت ستّ سنين، ويدخلَ بها زوجها وهي بنت تسع سنين بيولوجيّاً!

لكنْ كيف يقبلُ رسول الله العظيم الزواجَ من طفلة بهذا السنّ، وهو ابن أربع أو خمس وخمسين سنة، وهل الزواج، هو هذه العملية البيولوجية فقط؟

وما الذي يمكن أن يستفيده الرسول من مثل هذا الزواج، وعنده ثماني نسوة ناضجات سواها؟

وإذا كان الله تعالى قد حرّم على نساء الرسول صلى الله عليه وسلم الزواجَ من بعده فهل من حكمة النبيّ صلى الله عليه وسلم أن يترك خلفه شابّةً في الثامنة عشرة من عمرها، إلى أن تموت بعد خمسين سنةً من وفاتِه، من دون زوج؟

أنا أعلم أنكم ستقولون عنّي: وقحة، وربما تقولون أكثر من ذلك!

لكن أنتم مطالبون بتفسير يقنعنا نحن النساء، فنحن لا نرى هذا من الرحمة والعدل أبداً) إلخ كلامها، مع تلطيف في الصياغة قدر الإمكان!

أقول وبالله التوفيق:

نحن يجب أن نفرّق بين أحوالٍ ثلاثٍ:

الحال الأولى: مسألة الإمكان الطبيعيّ البيولوجيّ.

الحال الثانية: مسألة أمومة أمهات المؤمنين، وتحريم زواجهنّ بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

الحال الثالثة: مسألة سنّ عائشة عند زواجها من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

أمّا عن الحال الأولى: مسألة الإمكان الطبيعيّ البيولوجيّ.

فقد ثبت بما لا يقبل التشكيك مطلقًا أنّ فتياتٍ اغتصبن في الغرب وهن بنات سبع أو ثمان أو تسع سنين، وحملن، وبعضهن وضعن حملهنّ.

ويستطيع كل واحدٍ التأكد من ذلك من على الإنترنيت!

وقد سئلتُ في مكة المكرمة من أحد السوريين: (ابنتي حاضت وهي بنت تسع سنين، فهمنا أنها أصبحت مكلفة بالصلاة، فهل هي مطالبة بالحجاب، وهي طفلة صغيرة؟)

ومعلوم لدى جميع الأطباء وغيرهم أنّ الحيض أمارة على قدرة المرأة على معاشرة الرجل وعلى الحمل والإنجاب.

ويبدو أنّ عائشة رضي الله عنها كانت واعيةً، وعارفة بقدر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، ولذلك ورد في رواية زواجها وهي صغيرة قولها: (فما فرحت بشيء مثل فرحي بزواجي من رسول الله، حين علمت بذلك!).

أمّا ماذا يستفيد هو منها، ولديه ثماني نسوة غيرها؟

ففي هذا الكلام نظر؛ لأنّ الروايات الصحيحة في هذه الموضوع أنّه حين خطبها لم يكن لديه أيّ امرأة سواها.

علاوةً على أنّ الأحاديث في الصحيحين وغيرهما أنّ الله تعالى هو الذي أمره بالزواج منها في رؤيا منامية.

وأما عن الحال الثانية: مسألة أمومة أمهات المؤمنين، وتحريم زواجهنّ بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

فهذه المسألة ربانيّة، نزل بها قرآن كريم:

(النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ (6)) (الأحزاب).

(وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا (53) إِنْ تُبْدُوا شَيْئًا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (54)) (الأحزاب).

والرسول صلى الله عليه وآله وسلم خطب عائشة في مكة المكرمة، وتزوجها في السنة الثانية من الهجرة.

وسوة الأحزاب من أواخر ما نزل من القرآن العظيم، فترتيبها في النزول (90) ونزلت بعد سورة آل عمران.

والرسول صلى الله عليه وآله وسلم لا يعلم الغيب!

(قُلْ لا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (188)) (الأعراف).

ثمّ مَن قال لك: إنّ كلّ النساء يرغبن بتكرار الزواج بعد وفاة أزواجهنّ؟

إنّ زوجة القائد قد تأنف وتتسامى أن تتزوج بعد زوجها؛ حفاظًا على حرمته من جهة، ورغبة بشرفه الذي منحها إياه، من جهة أخرى.

وبين يدي مثالان قريبان جدّاً!

الأول: زوجة عمّي شقيق والدي رحمهم الله تعالى، فقد تزوجها عمّي سنة (1941م) واستشهد عنها سنة (1947) وعاشت بعده حتى العام (1989م) ورفضت أن تتزوج أيّ رجل غيره، وهي والدتي من الرضاع، ومن أفضل كنّات آل الحمش دينًا وأخلاقًا.

الثانية: زوجة شقيقي الشهيد غسان، تزوجها شقيقي ثماني سنين تقريبًا، ثم استشهد عنها عام (2003م) وهي ترفض رفضًا قاطعًا أن يتزوج منها قريبٌ أو بعيد!

والإنسان المسلم إذا كان صاحبَ هدفٍ، فإنه يقدّم الهدفَ والقِيَم على الشهوة.

وعندنا نحن الصوفية حالٌ يدعى «قطع الطمع» يُقنعُ الإنسانُ نفسه بأمر، ثم لا يلبث إلا مدّة وجيزةً حتى يتكيّف معه، ويتأقلم تمامًا.

وأما عن الحال الثالثة: مسألة سنّ عائشة عند زواجها من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

فأنا شخصيّاً أستبعد غايةَ البعد أن يكون الرسول صلى الله عليه وآله وسلم تزوج عائشة بنت ستّ سنين، وبنى بها وهي بنت تسع سنين.

والصواب هو (بنت ستّ عشرة سنة) و(تسع عشرة سنة)ويظهر أنه خطأ قديم درج عليه الرواة تقليداً.

وليس لديّ كبير دليلٍ على هذا الكلام، سوى ما يأتي:

أوّلاً: وردت أحاديث صحيحة عديدة، تتحدّث عن غيرة عائشة رضي الله عنها.

والغيرة أثر من آثار النضج الأنثويّ، وبنت تسع سنين وعشر سنين وخمس عشرة سنة؛ لا تكون ناضجة أنثويّاً غالبًا، كما يقول الأطباء وعلماء خصائص البشر.

ثانيًا ذكر المترجمون لأسماء بنت أبي بكر أنها أكبر من عائشة بعشر سنين، كما في تاريخ الذهبي (2: 785) وأسماء توفيت سنة (73 هـ) وعمرها تسعون سنة، بينما يقول حفيدها هشام بن عروة: إنها عاشت مائة سنة!

بينما توفيت عائشة سنة (57 هـ).

فلو نحن أخذنا بالرواية القائلة إنّ أسماء ماتت عن (90) سنة، فتكون ولادتها قبل الهجرة بسبع عشرة سنة، وتكون عائشة بنت سبع سنين فعلاً، عند الهجرة!

لكن إن أخذنا برواية هشام بن عروة، وهو أعلم بجدته من غيره؛ فتكون ولادة أسماء قبل (27) من الهجرة، وهذا الذي يتناسب مع مهامّها المذكورة في أيام الهجرة.

فتكون عائشة عند الهجرة بنت (17) سنة، وبنى بها الرسول بنت (19) سنة، وتكون عند وفاته بنت (28) سنة!

وكثير من الرجال في عصرنا مَن يكبر زوجته بأكثر من ثلاثين سنة!

وأقول لك أيتها المتسرّعةلله يشهد أنّ عدداً من الفتيات طلبن الزواجَ منّي، وأنا أكبر من بعضهنّ بأكثر من أربعين سنة!

فمن أنا وجميع أهل عصري قياسًا بالرسول الأعظم؟

الدليل الثالث: ما أخرجه الطبراني في الكبير (709) وابن عبدالبرّ في جامع بيان العلم وفضله (2: 1098) من حديث عَلِيُّ بْنُ مُسْهِرٍ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عنأبيه قَالَ: قَالَتْ عَائِشَةُ: (وَمَا عِلْمُ أَبِي سَعِيدٍ، وَأَنَسٍ بِأَحَادِيثِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَإنّما كانَا غُلَامَيْنِ صَغِيرَيْنِ).

قال عداب: هذا إسناد على شرط الشيخين معًا، أخرج به البخاريّ (16) روايةً، بينما أخرج به مسلم (19) رواية.

فعلى حسب الرواية المشهورة من أنّ عائشة حين توفي الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كانت بنت ثمانيَ عشرة سنة، فكيف تقول عن أنس وأبي سعيد وهما في مثل سنّها:

(وَمَا عِلْمُ أَبِي سَعِيدٍ، وَأَنَسٍ بِأَحَادِيثِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَإنّما كانَا غُلَامَيْنِ صَغِيرَيْنِ).

أنس بن مالك توفي سنة (92- 93 هـ) وهو في حدود المائة، فيكون عمره عند الهجرة (7-8) سنين، وخدم الرسول (9-10) فيكون عمره عند وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم (16- 18) سنة، يعني هو في مثل سنّ عائشة تقريبًا.

وأبو سعيد الخدريّ كان يوم غزوة أحد سنة (3 هـ) ابن ثلاث عشرة سنة!

فكان يوم وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ابن (19- 20) سنة!

فيصح أن تقول عائشة هذا الكلام، إذا كانت تكبرهما بعشر سنوات مثلاً، لكن لا يصحّ أن تقول هذا لواحد يكبرها بسنة وآخر يصغرها بسنة؟!

أمّا بقية الإشكالات؛ فجوابها الوجيز: لكلّ زمان أعرافه ومسالكه، فلا يصح أن تقيس المرأة أحوال نساء الصحابة على نفسها وعلى مثيلاتها في عصرنا هذا، الذي أُجّجت فيه الشهوات، وتغيّرت المفاهيم، وصارت لذاذات الدنيا هي أكبر هموم النساء والرجال، إلا من رحم الله، وقليل ما هم!

والله تعالى أعلم

والحمد لله على كلّ حال.

انتهى.

نظراتٌ في شخصيّة عَبد اللهِ بن عُمر بن الخطّاب وعلمه؟!

عَبدُ اللهِ بن عُمر رضي اللهُ عنهُما؛ صحابيٌّ جليلٌ، عالمٌ، زاهدٌ، تقيٌّ، مُتابعٌ للرّسول صلّى اللهُ عليه وآله وسلّم، روى عنهُ علمًا كثيرًا.

ولذلك اعتمد على رواياتِه الإمامُ مالك، وسائرُ أهل المدينة.

وقد قُلتُ في غير واحدٍ من كُتبي:

عَبدُ اللهِ بن عُمر ناقلٌ وليس بمُجتهدٍ، ولم يذكُرهُ أحدٌ من العُلماء الكبار في المُجتهدين.

وإن ذكروا أنّهُ من أهل الفُتيا من الصّحابة رضي اللهُ عنهُم.

وقد قُلتُ أيضًا:

إذا صحّ الحديثُ إلى عَبد اللهِ بن عُمَر، على حسب منهجي في نقد الحديث؛ فهُو سُنّةٌ لسببين:

الأوّلُ: لأنّهُ يتحرّى نقل ألفاظ الرّسول صلّى اللهُ عليه وآله وسلّم، فلا يُجوّزُ الرّواية بالمعنى، خوفًا من سوء فهم بعض تلامذته للحديث.

والثّاني: لأنّهُ مُتابعٌ لجناب الرّسول صلّى اللهُ عليه وآله وسلّم غاية المُتابعة، فهُو مُتّبعٌ، وليس بمُجتهدٍ.

لا أستثني من هذا العُموم غيرَ مواقفه السّياسيّة، فلم يكُن هُو على هوى أهل البيت ومواقفهم قطعًا!

ومن الثّابتِ عنهُ أنّهُ رفض مُشاركة إمام زمانه عليّ بن أبي طالبٍ في حُروبه ضدّ البُغاةِ، بل لو أنّ عائشة وطلحة والزُّبير وافقوهُ على مُواجهة عليٍّ في المدينة وليس بالبصرة؛ لشارك معهُم في ذلك، كما ذكر ابنُ كثيرٍ في البداية والنّهاية.

ومن الثّابت عنهُ أيضًا أنّهُ لم ينصُر الحسنَ ولا الحُسين!

ومن الثّابت عنهُ أنّهُ صاحبُ حديث: (يُنصبُ لكلّ غادرٍ لواءٌ يوم القيامة) حيثُ كان يحُثُّ على طاعة يزيدَ الفاجر، وعدم الخُروج عليه، بل يرى الخُروج عليه وعلى أمثاله غدرًا وخيانةً!

وحتّى أنصارُهُ وأحبابُهُ يقولون: (كان لهُ موقفٌ من الخُروج على وُلاة الأُمور الظّلمة معروفٌ، قد لا يُوافَقُ عليه).

كُلُّ هذا الكلام، وأضعافُهُ؛ هُو كلامُ أهل السُّنّة الأفاضل، وليس كلام الرّافضة الأشرار!

والّذي يختلفُ به كلامي عن كلام غيري؛ أنّ كلامي واضحٌ صريحٌ، بينما كلامُ غيري مُزوّقٌ مُتلوّنٌ فقط!

أمّا النّتيجةُ؛ فواحدةٌ!

وليس مطلوبًا من عَبد اللهِ بن عُمر أن لا يُخطئ، وهُو ليس نبيًّا معصومًا!

فليترُك هذا التّعصُّبَ القبيحَ أُناسٌ أعمى اللهُ قلوبَهُم عن رُؤية الحقيقة، فلا يُبصرون إلا في ظلام الطّائفيّة، ولا يتنفّسون إلّا في أوحالِها النّتنة!

واللهُ تعالى أعلمُ.

والحمدُ لله على كُلّ حالٍ.

أنتم نقلتم أنني قلت: أفقه![1]

ومقصودي بالفقه الفروع.

وأكثر ما ذكرتموه ليس من الفروع.

هذه واحدة.

والثانية: ذكرت أمس في منشور صغير أن كلامي يجب أن ينصرف إلى ما وصلنا.

السيد الإمام القاسم، أفضل من الشافعي وأفقه.

نقول كل ما نريد ويتسع له خيالنا لكن أين المصاديق في أرض الواقع؟

وأخيراً: أنا غدوت أتكلم في بيئة أهل السنة فحسب.

فأنا لا يعجبني أبداً تعصب الزيدية ولا الإمامية ولا الإباضية.

وقراؤنا من أهل السنة، فلماذا نشوش عليهم ونحاول نقلهم إلى مذاهب أخرى، ليست خيراً من مذاهب أهل السنة، إلا في حب آل البيت وولايتهم.

فلندع أهل السنة إلى ولاية أهل البيت ونصرتهم ومحبتهم، ولنبق من أهل السنة وفي دائرتهم.

هذه وجهة نظري وشكراً.

1- الكلام موجه إلى أحد الإخوة من الزيدية ممن علق على إحدى مقالات شيخنا الشريف –حفظه الله ورعاه وأدام ظله الشريف في صحة وعافية- وخاطبه شيخنا ب"حبيبي الشريف" فلعل المقصود هو أخونا الشيخ الشريف فهد بن حسن بن عبد الله الشايم الرسي –وفقه الله- ولعله غيره ولعله نقل كلاماً للإمام القاسم الرسي في مسائل التوحيد مما يدل على متانة علمه ظانًا أن شيخنا الشريف عداب –حفظه الله ورعاه وأدام ظله الشريف في صحة وعافية- قصد بالفقه مطلق العلم ولم يكن كما ذكر والله أعلم.

خيرُ الكلام ما قلّ ودلّ!

(الإمامُ (أحمد ابن حنبل) والنّصب!!)

سألني أحدُ طلبة العلم:

(هل لدى الإمام (أحمد) رحمهُ اللهُ تعالى شيءٌ من النّصب؟!)

فقُلتُ لهُ:

حاشا لله تعالى، فالإمامُ (أحمد) هُو مَن ثبّت (عليًّا) بالخلافة رابعًا، وبالفضل رابعًا في آخر عُمره رحمهُ اللهُ تعالى.

وكان (أهلُ السُّنّة) في عهد (بني أُميّة)؛ لا يرونهُ شيئًا، إنّما يقولون: (أبو بكرٍ)، و(عُمر)، و(عُثمان)، و(مُعاوية).

وقد سنّ لهُم الباغي الأكبر سُنّة لعن (عليٍّ) على المنابر، فكان يُلعنُ على منابر العالم الإسلاميّ كلّها، من غير نكيرٍ من أحدٍ!

فلـ(أحمد) الفضلُ الأعظمُ في هذه المسألة، وقد كان حفيًّا بحديث (عليٍّ) أشدّ الاحتفاء، فقد خرّج في مُسنده الجليل لـ(أبي بكرٍ) (81) روايةً، وخرّج لـ(عُمر) (332) روايةً، وخرّج لـ(عُثمان) (150) روايةً بينما خرّج لـ(عليٍّ) (804) روايةً.

لكنّ نصبَ أتباعه (الحنابلة) مشهورٌ لأسبابٍ شرحها (ابنُ الجوزيّ) في كتابه (دفعُ شُبَه التّشبيه) فارجع إليه؛ تجدْ بُغيتك!

إنّما وازن -إن شئتَ- بين تخريج الإمام (أحمد) (804) رواياتٍ لـ(عليّ بن أبي طالبٍ)، وتخريج الإمام (مالك) (15) روايةً عنهُ فقط؟!

واللهُ تعالى أعلمُ.

والحمدُ لله ربّ العالمين.

(ابنُ الفارض) بين الولاية والزّندقة!

شاعرُ الصّوفيّة الأكبرُ أبو حفصٍ عمرُ بنُ عليّ بن المُرشد الحمويّ أصلًا، المصريّ مولدًا ونشأةً (تُوفّي عام 632هـ/1234م) رحمهُ اللهُ تعالى.

لا يختلفُ نُقّادُ الأدب على أنّ (ابن الفارض) مُقدّمٌ بين شُعراء القرن السّابع الهجريّ في شعر النّسيب والغزل خاصّةً، وإن كان نسيبُهُ وغزلُهُ من لونٍ خاصٍّ، يُطلقُ عليه الصّوفيّة (شعرُ الحُبّ الإلهيّ).

وممّا لا أرتابُ فيه؛ أنّ (ابن الفارض) مُؤسّسُ (مدرسة الحُبّ الإلهيّ التّجريديّ) ورائدها.

وحين كنّا صغارًا، ونحضُرُ مجالس إنشاد الصّوفيّة؛ كانت تُطربُنا المقطوعات (الفارضيّة) أكثر من غيرها، خُصوصًا أنّ قائلها شاعرٌ حمويٌّ، وما أكثر الشُّعراء المُبدعين في (حماة)!

و(تائيّةُ ابنُ الفارض)، المُسمّاة بنظم لُلسلوك، والّتي تبلُغُ (756) بيتًا، هي أعظمُ وأكبرُ قصيدةٍ قرأتُها بحياتي في هذا اللّون من الشّعر الرّقيق السّامق، على الرّغم من كثرة الجناس والطّباق والكناية والرّمز فيها.

تبدأُ (تائيّة ابنُ الفارض) بقوله:

سَقَتني حُميّا الحُبِّ راحةُ مُقلتي * وكأسي مُحيّا مَن عن الحُسن جلّتِ

فأوهمتُ صَحبي أنّ شُربَ شرابهم * به سرُّ سرّي، في انتشائي بنظرةِ

وتنتهي بقوله:

وفي عالم التّذكارِ للنّفس علمها لا * المُقدَّمُ، تستهديه مِنّيَ فِتيتي

فحيّ على جمعي القديمِ الّذي به * وجدتُ كهولَ الحيّ أطفالَ صبيةِ

ومِن فَضلِ ما أسأتُ؛ شِرْبُ مُعاصري * ومَن كان قبلي؟! فالفضائلُ فَضلَتي

ومذهبُهُ في (الوحدة) يبدأُ عند البيت (201) وينتهي بانقضاء القصيدة!

يقول في بداية شرحه لمذهبه (الطّوباويّ) الخياليّ:

وكلُّ مَقامٍ عن سُلوكٍ قطعتُه * عبوديّةٌ، حققتُها بعبودَةِ

وصرت بها صبّا، فلما تركتُ ما * أريد؛ أرادتني لها، وأحبّتِ

فصرتُ حبيبًا، بل مُحبًّا لنفسه * وليسَ كقولٍ مَرّ: نفسي حبيبتي!

خرجتُ بها عنّي إليها، فلم أعُدْ * إليّ، ومثلي لا يقول برجعة!!

وعقب إجراء عمليّة السّرطان الّتي استُؤصلت فيها كليتي اليُمنى؛ نازعني شوقٌ عارمٌ إلى شعر (ابن الفارض)، فكنتُ أُواسي نفسي به، وأُخفّفُ من آلامي بترداد قصيدته الّتي حفظتُها في المرحلة الابتدائيّة، مع جُملة مقطوعاتٍ مُختارةٍ لهُ من ديوانه، وكنتُ أُنشدُها في مجالس القوم لرقّة صوتي الطُّفوليّ يَومئذٍ!

تِهْ دلالًا، فأنت أهل لذاكا * وتحكّم، فالحُسن قد أعطاكا

ولك الأمر، فاقْضِ ما أنت قاضٍ * فعليّ الجمال قد ولّاكا

وتلافي، إن كان فيه ائتلافي * بكَ؛ عجّل به، جُعلت فداكا

وبما شئت في هواك اختبرني * فاختياري ما كان فيه رضاكا

فعلى كُلّ حالةٍ أنتَ منّي * بي أولى، إذ لم أكن لولاكا

ومنها:

ما ثناني عنك الضّنى، فبماذا * يا مَليحُ، الدّلالُ عنّي ثناكا

علّم الشّوق مُهجتي سهرَ اللّيـ * ـلِ، فصارت من غير نومٍ تراكا

ومنها:

لي حبيبُ أراك فيه مُعنّى * غرَّ غيري، وفيه مَعنىً أراكا

إن تولّى على النُّفوس؛ تولّى * أو تجلّى؛ يستعبدُ النُّسّاكا

ومهما اختلف النّاسُ في (ابن الفارض)؛ فإنّ في قصائده تجربةً شُعوريّةً مُوحيةً نضجت في كيان صاحبها الرّوحيّ، وتحقّق بها، فانطلقت على شباة لسانه شعرًا رائقًا لا يستهوي قارئه، وإنّما يُذهلُ من يفهمُهُ من الأُدباء!!؟؟

...

أمّا عن رأيي في (ابن الفارض)؛ فقد قرأتُ في مُجلّدي (التّصوُّف) من مجموع فتاوي (ابن تيميّة) للشّيخ الصّوفيّ العرفانيّ الكبير (ابن تيميّة) رحمهُ الله تعالى ما معناهُ:

قد يكونُ المُبتدعُ وليًّا لله تعالى من حيثُ إنّهُ يظُنُّ أنّهُ على الحقّ، وهُو ينصُرُ الحقّ ببدعته تلك!

ولهذا نفسه نقولُ:

إنّ (ابن تيميّة) وليٌّ لله تعالى على الرّغم من البلايا الّتي صدرت عنهُ، وكلّ الّذي صدر عن (ابن الفارض)؛ أحوالٌ تُحكى، ولا يُقاسُ عليها، ولم يُنقل عنهُ قطُّ أنّهُ كان يترُكُ الصّلاة أو الصّوم أو أنّهُ يستحلّ ما حرّم اللهُ، فهُو مُؤمنٌ مُسلمٌ مُحبٌّ لخالقه حُبًّا لن نفهمهُ إلا إذا تذوّقنا بعضهُ حالًا!

ومن غريب أُمور المُسلمين ومُسارعتهم في تكفير إخوانهم من (أهل القبلة) أنّ المُصلّي حين يُؤذّنُ المُؤذّن؛ يُردّدُ: (أشهدُ أن لا إله إلا الله، أشهدُ أنّ مُحمّدًا رسولُ الله)، وكذلك عند إقامة الصّلاة، فمن يُتابعُ المُؤذّن ويُردّدُ وراءهُ؛ فهُو مُؤمنٌ مُسلمٌ، وكذلك عند الإقامة، وهذا من رحمة الله بنا، وعلمه بضعفنا وأخطائنا، و(ابن الفارض) مُؤمنٌ مُسلمٌ، ولولا هذا ما قُلتُ في السّطر الثّاني: رحمهُ اللهُ تعالى.

واللهُ تعالى أعلمُ.

والحمدُ لله على كُلّ حالٍ!

خيرُ الكلامِ ما قلّ ودلّ!

(القولُ الفصلُ في حالِ ابن عربيّ الحاتمي؟!)

طلب عددٌ من الإخوة تفصيلَ القولِ في حال الشيخ الأكبر محيي الدين أبي بكر محمد بن علي ابنُ محمد الطائي الحاتمي الأندلسيّ، ثم الدمشقي، المشهور بابن عربيّ (560- 638هـ).

وتفصيلُ القولِ، أو فَصلُ القولِ في هذه الشخصيّة الفريدة؛ عسيرٌ عليّ في صفحاتٍ كثيرة وليس في منشور (فيسبوك).

خلاصةُ الأمر: أنا لم أقرأ جميعَ كتب ابن عربي، وربما لا تزيد قراءاتي على عشرة كتب ورسائل له، وكان أكثر قراءتي لكتابي (فصوصُ الحكم) و(الفتوحاتُ المكيّة) فقد قرأت الأول أكثر من خمس مرّات، وقرأتُ أكثرَ من عشرة شروحٍ له، وردودٍ عليه.

أماالفتوحات، فقرأته مرّة واحدةً كاملاً، وقرأت فصولاً منه مراتٍ، وكان مرجعًا مهماً لي في فَهمِ عِللِ الشرائعِ، وحِكَم العبادات.

وقد كنت في شبابي أحكمُ على الرجلِ بالمروق من الدين؛ لأنّ كثيراً مما في كتابه (فصوص الحكم) لا يحتمل غيرَ الكفر، لا في الإسلام فحسب، بل وفي اليهودية والنصرانية أيضًا!

لكنني حين قرأت كتابه الفتوحات؛ وقفت حائراً حيالَ الرجل، وتجاذبتني ثلاثة احتمالات:

1- إمّا أنّ في كتاب الفتوحات هذا دسًّا من بعض من جاؤوا بعد ابن عربي.

2- أو إنّ ابن عربي كَتبَ كتابَه هذا في صحوه وعقله، ثم أصابته لوثةٌ فكريّة، فعقّب على أبوابِ كتابِه بكلام غير معقولٍ، وغير مفهوم.

3- أو إنّ الرجل لفرط اطّلاعه وتنوع ثقافته؛ تشوّش فكره، واختلط عليه الحقّ بالباطل والصواب بالخطأ، فجاء كتابه الفتوحات عجبًا من التناقضات في المسألة الواحدة.

فرجّحتُ في برهةٍ من عمري الاحتمالَ الأوّل؛ إعجابًا بعقل الرجل، وتحسينًا للظنّ بالعالم المسلم.

ثمّ لم أَعُد أعير اهتمامًا كبيراً لكتب ابن عربي، ولا عادت نفسي تقبلُ المطالعة فيها!

ربما لأنني من أهل الحديث، الذين ينفرون من الباطنية، والتأويل البعيد، والتكلّف في الإغراب، والإغراق في التعمية.

والفقير عداب ليس من أرباب الكشف والحقائق حتى يخبر بحقيقة الرجل عن طريق الكشفِ، إنما أنا طالب علمٍ من أهل الحديث والفقه.

كما أنني لا أُعير كبيرَ اهتمامٍ لعلم الكلام الفلسفي كلّه جملةً وتفصيلاً؛ لأنني ما وجدته يزيد المؤمن إيمانًا، ولا تسمو الروح عند ممارستُه، والخوض فيه!

وانظر إلى جميع المشتغلين بهذا العلم في عصرنا، من دون استثناء، فسترى كلامكم جافًا قاحلاً متصنّعاً نظريًا، لا حياة فيه ولا اعتبار!

أما علوم العقائد الإسلامية؛ فليست من علم الكلام المذموم، وهذا لا يخفى على طلبة العلم.

أما التصوّف الذي أنتسب إليه؛ فهو التصوف العليم الملتزم بكتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلّم، وقول فقيه ضليع، والشافعيّ خير إمامٍ في قضايا التصوّف ومسائله.

أما التصوف الفلسفيّ؛ فهو فرع عن علم الكلام، وربما قلت: هو ندّ لعلم الكلام الأشعريّ!

وعلم الكلام الأشعريّ أكثر انضباطًا مع الأصول ومع الضوابط والمصطحات من التصوف الفلسفي بما لا يقاس!

ولا ريب في أنّ ابن عربيّ أحد كبار أئمة التصوف الفلسفيّ، الذي لم يطلبه الله تعالى من عباده، ولا أرشدهم إليه الرسول صلى الله عليه وآله وسلّم.

أما الوصول إلى (الحكم القضائي) فسيكون حكمي على الرجل على طريقة الفقهاء (نحكم بالظاهر، والله يتولى السرائر) وليس حكماً ذوقيّاً صوفيّاً، فقد قدّمت أنني لم أصل إلى هذه المرتبة، ولا أريد أن أصل إليها أصلاً!

في كتب ابن عربيّ حقّ وباطل، وخير وشرّ، وكتابه (فصوص الحكم) مليء إلى مشاشه بمخالفة أصول الشرائع الإلهية، وليس الدين الإسلاميّ فقط!

ولهذافلا أنصحُ أحداً من المثقفين؛ فضلاً عن الجماهير أن يُعنى بكتبه، ولا أن يشغل نفسه بها، فهو لا يحتاجها، وقد تؤذيه مطالعتها.

وأما حُكمي على الرجل بعينه؛ فالله تعالى أعلم به، وأنا لا أجرؤ على تكفير عالم كبيرٍ أفنى عمره في الكتابة والتصنيف، فيما يعتقد أنه الحقّ في نظر نفسه.

ونحن لسنا مطالبين بالحكم على العلماء حكماً قضائيًا، فلابن تيمية ولابن القيّم من التجسيم والأفكار الشاذّة الكثير، لكنّنا نمسك عن تكفيرهم وتضليلهم، ونحسن الظنّ بنواياهم.

ونسأل الله تعالى أن يعفو عنّا وعنهم، وأن يكونوا في علمه تعالى جميعًا من الأولياء والصالحين، والحمد لله رب العالمين.

بين ابن عربيّ وأرطُغرُل ؟!

سألني أحدُهم قائلًا:

هل هُناك علاقةٌ حقيقيّةٌ بين الشّيخ مُحيي الدّين بن عربيّ

وبين مُؤسّس الدّولة العُثمانية (أرطُغرُل الغازي)؟

أقولُ وبالله التّوفيقُ:

وُلد الشّيخ مُحيي الدّين بن عربيّ الطّائيّ ثُمّ الدّمشقيّ عام (558) وتُوفّي عام (638) من الهجرة، [ومولدُهُ] في بلاد الأندلُس.

ثُمّ رحل إلى الشّام واستقرّ بدمشق.

ووُلد أرطُغرُل عام (587) وتُوفّي عام (687) من الهجرة.

فهُما من جيلٍ واحدٍ، وإمكانُ الالتقاء بينهُما قائمٌ.

لكن في حُدود اطّلاعي الثّقافيّ المحدود، لم يعلق في ذاكرتي ثُبوتُ التقائهما.

فإن ذُكر في الثّقافة التُّركيّة شيءٌ؛ فلا علم لي به.

ويترجّحُ عندي أنّ شخصيّة ابن عربيّ رمزُ التّوجُّه الصّوفيّ الرّوحيّ للدّولة العُثمانيّة.

ومن المعروف تاريخيًّا أنّ السُّلطان سليم جعل قبر الشّيخ مُحيي الدّين مشهدًا يُزارُ.

واللهُ تعالى أعلمُ.

والحمدُ لله على كُلّ حالٍ.

فخر الدين باشا

(النمر العثماني) الذي رفض تسليم مدينة الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم للإنجليز؟!

عايشنا الضجّة الوقحة التي أحدثها وزير خارجية محميّة ما يُدعى بدولة الإمارات العربية المتحدة، العميل ابن العميل عَبد اللهِ بن زايد آل نهيان.

في زعمه وافترائه على فخر الدين باشا (رحمه الله تعالى ورضي عنه) آخر ولاة الخلافة العثمانية على الميدنة الطيّبة، مدينة الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم.

كنت قد قرأتُ منذ زمنٍ مقالاً مطوّلاً عن مذكرات (فخر الدين) باشا، في أثناء كتابتي بحثًا عن (الشريف حسين بن علي).

ولم أتعمّق كثيراً في دراسة شخصية (فخر الدين).

أمّا حين تطاول العميل ابن العميل (المسخ) على فخر الدين؛ رُحت أبحث وأتعرّف إلى هذه الشخصيّة، قبل أن أدافع عنه، أو أتحامَلَ عليه.

فكان في جملة ما وقفت عليه؛ المقال الآتي:

فخر الدين باشا

(النمر العثماني) الذي رفض تسليم مدينة الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم للإنجليز؟!

بقلم بسام رمضان، بتاريخ.(18/ 7/ 2014)

(لن نستسلم أبدًا ولن نسلم مدينة الرسول لا للإنجليز ولا لحلفائهم)

كانت الكلمات السابقة لآخر قائد عثماني حكم المدينة المنورة، ويدعى فخر الدين باشا، ورفض تسليمَها للإنجليز في أعقاب معاهدة (موندروس) التي استسلمت الدولة العثمانية بموجبها لقوات الحلفاء في الحجاز.

كانت شبه جزيرة العرب بما فيها مكة المكرمة والمدينة المنورة خاضعة للخلافة العثمانية منذ (1517م) حتى سقط الحكم العثماني بالحجاز بعد الثورة العربية، واستسلام، محافظ المدينة المنورة، اللواء فخر الدين باشا، للإنجليز، عام (1919م).

قال المؤرخ العراقي أورخان محمد على (إن خروج العثمانيين من المدينة شهد ملحمة إنسانية رسمت فيها أسمى العواطف الإنسانية لوحة رائعة ستبقى خالدة على مر التاريخ ولن يطويها النسيان، وملحمة عسكرية تحدت أصعب الظروف وأقسى الشروط، وكان بطلها اللواء فخر الدين باشا).

وتابع (أورخان)، في مقال له على موقع (التاريخ)، أن (فخر الدين اشتد بحبه الشديد للنبي صلى الله عليه وسلم، ويطلق عليه (نمر الصحراء) أو (النمر التركي)، كان قائد الفيلق في الجيش العثماني الرابع في الموصل برتبة عميد عندما اشتعلت الحرب العالمية الأولى في (1914م) ثم رقي إلى رتبة لواء، واستدعي عام (1916م) إلى الحجاز للدفاع عن المدينة المنورة عندما بدت تلوح في الأفق نذر نجاح الإنجليز في إثارة حركة مسلحة ضد الدولة العثمانية).

تولى فخر الدين باشا منصب محافظ المدينة المنورة قبل بداية عِصيان (الشريف حسين) بفترة وجيزة.

فأرسله جمال باشا، قائد الجيش الرابع إلى المدينة، في (28) مايو (1916م) واستهل الشريف حسين ثورته بتخريب الخط الحديدي الحجازي وخطوط التلغراف بالقرب من المدينة المنورة.

ثم هاجم المخافر فيها ليلتي (5 - 6) يونيو ولكن الإجراءات الاحترازية التي اتخذها فخر الدين باشا؛ نجحت في تشتيت شملهم وإبعادهم عن المدينة.

وبحسب المؤرخ التركي (فريدون قاندمر) في كتابه (الدفاع عن المدينة: آخر العثمانيين في ظلال نبينا صلى الله عليه وسلم) استهل فخر الدين باشا حربه ضد العمليات المناوئة للدولة؛ بهزيمة المتمردين القابعين في المواقع المعروفة.

ثم تم تعيينه قائدًا للقوة الحربية الحجازية التي تعززت بوحدات عسكرية جديدة، إلا أن المتمّردين شنوا هجومًا في (9) يونيو بسبب سوء تدبير (غالب باشا) والي مكة أسفر عن دخولهم جدة في (16) يونيو، ثم مكة في (7) يوليو ثم الطائف في (22) سبتمبر.

فآلت بذلك جميع المراكز الكبيرة التي دافع عنها فخر الدين باشا إلى العصاة المتمردين.

ولم تتمكن الحكومة العثمانية من إرسال تعزيزات عسكرية إلى المدينة بسبب شدة وطيس معارك عمليات القتال.

ودافع فخر الدين باشا عن المدينة المنورة طيلة سنتين وسبعةِ أشهر، رغم إمكاناته المحدودة.

وأراد في البداية تشكيل خط أمان للمدينة وضواحيها، فطهر من المتمردين كلًا من خليج عسر، وبئر درويش، وبئر الروحاء، مما أدى إلى تكوين قطاع آمن حول المدينة طوله (100) كم في (29) أغسطس (1916م).

وقد رغب (فخر الدين) في أن تمده الحكومة في استانبول بقوات مساندة، لكن الحكومة أبلغته بأنها لا تستطيع تلبية رغبته.

وقال أورخان محمد: (انسحبت الجيوش العثمانية من الحجاز بعد سقوط الحجاز بيد الثوار، ولم تبق هناك سوى حامية فخر الدين باشا، التي كانت تبلغ (15) ألفًا من الجنود مع بضعة مدافع، بقي فخر الدين باشا وحده وسط بحر من الصحراء، ومن الأعداء!

أصبح أقربَ جيشٍ عثماني يبعد عنه (1300) كم، انقطعت عنه جميع الإمدادات، ومما زاد في عزلته؛ قيام لورنس، الجاسوس الإنجليزي وأعوانه من بدو بعض القبائل بنسف سكة حديد الحجاز في عدة مواضع، ونسف أعمدة التلغراف، فأصبح معزولاً عن العالم، وحيدًا ومحاصرًا من قبل أعداء يفوق عددهم عدد جنوده أضعافًا مضاعفة، ويقومون بالهجوم على المدينة، ويطلبون منه الاستسلام!

ولكنه كان يردهم على أعقابهم في كلّ مرة!

وعندما قررت الحكومة العثمانية إخلاء قسم من المدينة المنورة، وأبلغوا (فخر الدين باشا) بهذا القرار؛ أرسل رسالة إلى أنور باشا، رئيس الحكومة، يتوسل فيها، ويقول: (لماذا نخلي المدينة؟ أمن أجل أنهم فجّروا خط الحجاز؟ ألا تستطيعون إمدادي بفوجٍ واحد فقط، مع بطارية مدفعية؟ أمهلوني مدة فقد أستطيع التفاهم مع القبائل العربية!

لن أُنزلَ العَلَمَ الأحمر بيديّ، من على حصن المدينة، وإن كنتم مُخلينَها حقًا؛ فأرسلوا قائدًا آخر مكاني).

وكان يردد: (الدفاع عن المدينة المنورة؛ قائم، حتى يحل علينا القضاء الإلهي والرضا النبويّ، والإرادةُ السلطانية، قرناء الشرف).

ما اقترح (فخر الدين باشا) عليها نَقْلَ (30) غرضًا، هي الأمانات النبوية الشريفة إلى الآستانة، خوفًا من تعرض المدينة المنورة لأعمال سلب ونهب فوافقت الحكومة على طلبه، شريطةَ تحمّله مسؤوليةَ الأمر كاملة!

فقام الباشا بإرسالها إلى استانبول، نظير عمولة خاصة، تحت حماية (2000) جندي.

ويسرد (أورخان محمد) تفاصيل تسليم المدينة للإنجليز والشريف حسين، قائلًا: (انتهت الحرب، وصدرت إلى (فخر الدين) الأوامر من قبل الحكومة العثمانية بالانسحاب من المدينة، وتسليمها إلى قوات الحلفاء، ولكنه رفض تنفيذ أوامر قيادته وأوامر حكومته، أي: أصبح عاصيًا لها!

كانت الفقرة رقم (16) من معاهدة (موندروس) الاستسلاميّة؛ تنص صراحة على وجوب قيام جميع الوحدات العثمانية العسكرية الموجودة في الحجاز وسوريا واليمن والعراق بالاستسلام لأقرب قائد من قواد الحلفاء.

واتّصل به الإنجليز باللاسلكي من بارجة حربية في البحر الأحمر يخبرونه بضرورة الاستسلام، بعد أن انتهت الحرب، وتم التوقيع على معاهدة الاستسلام، فكان جوابه الرفض).

كتب إليه الصدر الأعظم أحمد عزت باشا، وهو يبكي، رسالة يأمره بتسليم المدينة تطبيقًا للمعاهدة، وأرسل رسالته مع ضابط برتبة نقيب.

ولكن فخر الدين باشا حبس هذا الضابط، وأرسل رسالة إلى الصدر الأعظم قال فيها: (إن مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لا تشبه أي مدينة أخرى؛ لذا فلا تكفي أوامر الصدر الأعظم في هذا الشأن، بل عليه أن يستلم أمرًا من الخليفة نفسه).

وصدر أمر من الخليفة نفسه إلى (فخر الدين باشا) بتسليم المدينة، وأرسل الأمر السلطاني بواسطة وزير العدل، حيدر ملا، ولكن (فخر الدين) أرسل الجواب مع وزير العدل. قال في الجواب: (إن الخليفة يُعَدُّ الآن أسيرًا في يد الحلفاء؛ لذا فلا توجد له إرادة مستقلة، فهو يرفض تطبيق أوامره ويرفض الاستسلام).

ويقول (أروخان): (وبدأ الطعام يَقِلُّ في المدينة، كما شحت الأدوية، وتفشت الأمراض بين جنود الحامية.

جمع (فخر الدين باشا) ضبّاطه للاستشارة حول هذا الظرف العصيب، كان يريد أن يعرف ماذا يقترحون، ومعرفة مدى إصرارهم في الاستمرار في الدفاع عن المدينة، اجتمعوا في الصحن الشريف، في الروضة المطهرة في صلاة الظهر، أدى الجميع الصلاة في خشوعٍ، يتخلّله بكاءٌ صامتٌ ونشيج!

ثم ارتقى فخر الدين باشا المنبر، وهو مُلتفٌّ بالعلم العثمانيّ، وخطب في الضباط خطبة كانت قطرات دموعه أكثر من عدد كلماته!

وبكى الضباط حتى علا نحيبهم، وقال: لن نستسلم أبدًا ولن نسلم مدينة الرسول صلى الله عليه وسلّم، لا للإنجليز ولا لحلفائهم).

ويكمل (أروخان): (نزل من المنبر فاحتضنه الضباط، هم يبكون!

في الأثناء؛ اقترب من القائد العثماني أحد سكان المدينة الأصليين، واحتضنه وقبّله، وقال له: (أنت مدنيّ من الآن فصاعدًا.. أنت من أهل المدينة يا سيدي القائد)).

ويواصل (أروخان): (عندما يئست القوات المحاصرة للمدينة من (فخر الدين باشا) زادوا اتصالهم مع ضباطه.

كلّمه ضباطه شارحين له الوضع المأساوي للحامية ولأهل المدينة، فوافق أخيرًا على قيام ضباطه بالتفاوض على شروط وبنود الاستسلام، وعلى رأس بنود الاتفاقية بند يقول: (سيحل فخر الدين باشا ضيفًا على قائد القوات السيارة الهاشمية في ظرف (24) ساعة، وأنه تم تهيئة خيمة كبيرة لاستراحته!

وفي المدينة كانت ترتيبات الرحيل تجري على قدم وساق، وكانت سيارة القائد (فخر الدين) مهيّأة، وقد نُقلت إليها أغراض القائد!

بقي الضباط في انتظار خروجه، ولكن الساعات مضت، ولم يخرج إليهم، بل جاء أمر منه بتخليه السيارة من أغراضه الشخصية، ونقلها إلى بناية صغيرة ملحقة بالمسجد النبوي.

كان (فخر الدين) هيأ هذا المكان لنفسه، لم يكن يريد الابتعاد من عند مسجد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وذهب إليه نائبه (نجيب بك) ومعه ضباط آخرون، فوجدوه متهالكًا على فراش بسيط في تلك البناية، ولم يرد أن يخرج، بل قال لهم: (اذهبوا أنتم أما أنا فسأبقى هنا).

ويستطرد (أورخان): (احتار نائبه والضباط ولم يدروا كيف يتصرفون، تشاوروا فيما بينهم، ثم قرروا أن يأخذوه قسرًا، اقتربوا من فراشه، وأحاطوا به وحملوه قسرًا إلى الخيمة الـُمعَدّة له، وهم يبكون!

كانوا يعرفون مدى حبّ قائدهم للرسولِ صلّى الله عليه وسلّم، ولماذا يعاند كل هذا العناد رافضًا الابتعاد من عند رسول الله صلّى الله عليه وسلّم.

ولكنهم لم يكونوا يستطيعون تركَ قائدهم هكذا وحيدًا هناك، وقد حدث هذا في يوم (1919/1/10) في اليوم الثاني اصطف الجنود العثمانيون صفوفًا أمام المسجد النبوي، وكان كلُّ جنديّ يدخل، ويزور ضريحَ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ويبكي، ثم يخرج، وكذلك الضباط.

ولم يبق أحدٌ لم يسكب دموعًا حارّة في لحظة الوداع المؤثرة هذه!

حتى إنّ سكان المدينة وقوّات البدو؛ بكوا من هذا المنظر).

ويتابع: (عندما نقل فخر الدين باشا إلى الخيمة المعدة له؛ كان هناك الآلاف من قوات البدو يحيطون بالخيمةِ، ويشتاقون إلى رؤية هذا البطل الذي أصبح أسطورةً!

وما أن ظهر حتى ارتجّت الصحراء بنداء: (فخر الدين باشا).. (فخر الدين باشا!)، لم يكن هناك من لم تبهره بطولتُه، وحبّه لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم وفي (1919/1/13م) دخلت قوات البدو حسب الاتفاقية إلى المدينة، واستسلمت الحامية العثمانية في المدينة المنورة، بعد (72) يومًا من توقيع معاهدة موندروس)

انتهى المقال بإضافة (صلّى الله عليه وسلّم) في المواضع التي خلت منها فقط.

قال عداب: لا يحقّ لمن يسمح بإنشاء معبدٍ بوذيّ شركيّ في بلده؛ أن يتحدّث عن (فخر الدين باشا) وجنوده المؤمنين المحبّين للرسول صلّى الله عليه وسلّم، بمثل هذا الكلام الفارغ.

لا يحقّ لمن يتشفّى بتجويع أهل اليمن؛ أن يتكلّم عن الإنسانية، ولا عن جوع أهل المدينة وعطشهم المكذوب!

لا يحقّ للعميل بن العميل أن يطلق لسانه على الشرفاء الأحرار!

وإنّ خطأ الشريف باجتهاده؛ خير من إصابة العميل إن حصلت جدلاً!

ألا شاهت وجوه العملاء، أعداء الدين والأمة والوطن!

وليحيَ (فخر الدين باشا) ولتحيَ الخلافة العثمانية بصوابها الكثير وخطئها القليل.

والله من وراء القصد.

والحمد لله على كلّ حال.

الدُّكتور (البوطيّ) والنّهاية الحزينة!

استمعت إلى كلمة الشّيخ (مُحمّد عليّ الصّابونيّ)، وتوقّفتُ عند استدلاله بالآية الكريمة (ويتبع غير سبيل المؤمنين).

واستمعت خطبة علمية متوازنة للدكتور عدنان إبراهيم، وهي أول شيء أسمعه لهذا الرجل الواعي الفاضل والله حسيبه.

وقرأت ما كتبه المدعو (عبد الرّحمن السّديس)، وقرأت بيان اتحاد علماء المسلمين.

والذي أحب أن أؤكّد عليه هو أن الخواتيم بيد الله تعالى، ومن العار على هذه الأمة أن تتشفى بمقتل عالم قلّ وجود مثله في هذا العصر.

فلئن كان الشيخ (البوطيّ) مُحسنًا، فالمسلمون يقولون: اللهم إن كان مُحسنًا؛ فزد في إحسانه.

وإن كان الشيخ (البوطيّ) مخطئًا مسيئًا في مواقفه، وهو ما نعتقده، فالمسلمون يقولون في العادة: اللهم إن كان مسيئًا؛ فتجاوز عن سيئاته.

اللهم اغسله من ذنوبه بالماء والثلج والبرد.

اللهم نقّه من الخطايا، كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس.

اللهم اغفر له، اللهم ارحمه، اللهم آنس وحشته وارحم غربته!

أليس هذا ما نقوله في صلاة الجنازة حتى لتاركي الصلاة ولشاربي الخمرة، ولمن يشاع أنه من أصحاب الفواحش والزناة؟

يا سبحان الله!

يطلب منا بعض الجهلة الأجلاف أن نفرح بمقتل الشيخ (البوطيّ)!

أما والله لو كان (البوطيّ) من أصحاب خاتمة السوء لا قدّر الله تعالى؛ لوجب علينا أن نبكيه ونحزن عليه؛ لأنه أمضى عمره كله منافحا عن دين الله وداعيًا إليه بحاله ولسانه وقلمه، ثم لم يختم له بالحسنى!

ألا يحزن هذا المؤمنين بدلاً من أن يفرحوا؟

ألا ترعب مثل هذه الخاتمة أن يختم لنا بمثلها أو أسوأ منها، والمشتفّون بمقتل (البوطيّ) جميعهم دونه علماً وعملاً وحالاً؟

إنّ الدكتور (البوطيّ) من العلماء العاملين، والدعاة النابهين الناجحين والمفكرين المعتدلين، والزاهدين العابدين، ولا أعلم فيمن بقي من مشايخي الأجلاء من يقاربه في شيء من علمه وعمله وحاله!

وأقول للإخوة الذين لا يحسنون إلا السبّ والشتم واللعن: استحيوا على أنفسكم وخافوا من ربكم، واستعيذوا به تعالى من سوء الخاتمة وإياكم والشماتة فإنها من أخلاق الأعراب الأجلاف.

فرحم الله تعالى شيخنا وأستاذنا الدكتور (مُحمّد سعيد البوطيّ) رحمةً واسعة، وغفر له اجتهاداته الخاطئه، بحسن نيته، ونافع علمه، وصالح عمله؛ إنّ ربي هو الرؤوف الرحيم.

ذكريات

تمهيدٌ[1]

كثيرٌ من الأحباب يُريدُ أن أكتُب سيرتي الذّاتيّة؛ لُيفيدوا من تجربتي الطّويلة في العلم والعمل والدّعوة والتّأليف والسّياسة، كما يظُنّون!

وبعضُ الإخوة الأحباب يُريدُ أن أَردّ على الاتّهامات الّتي يقرؤونها، وأنا لم أقرأها، أو قرأتُها ولم أجدها تستحقُّ الردّ.

وسأبدأُ كُلّ حلقةٍ بمرحلةٍ من مراحل العُمر، على حسب ما فيها من محطّاتٍ أحفظُها أنا، أو إنّني مُستوثقٌ منها تمامَ الاستيثاق.

وستكونُ هذه شهادتي على نفسي، وعلى ما أعلمُهُ يقينًا، أو ظنًّا راجحًا من تقويمٍ للشّخصيّات الّتي عاصرتُها.

وطَلبُ بعض الإخوة كتابة مُذكّراتي قديمٌ، وليس ابنَ السّاعة!

فقد تبرّع بعضُ تلامذتي -سابقًا- في الطّائف أن يُسجّل لي مُذكّراتي، ثُمّ يُفرّغُها على الورق، ثُمّ أنظُرُ فيها، تمهيدًا لنشرها؛ لُيفيد منها النّاسُ، على حدّ زعمه.

وفي العراق أصرّ تلامذتي -سابقًا- على هذا الأمر، وكلّفوا الأخ الماجد السّيّد حذيفة بن كاظم الجواديّ الحسنيّ بذلك.

فكان السّيّدُ حُذيفة يأتي إليّ في منزلي بمنطقة الخضراء، ومعهُ مُسجّلٌ، فأتكلّمُ أنا وهُو يُصغي، فإذا وجد ثغرةً تحتاجُ إلى تكميلٍ؛ كتب إليّ ورقةً صغيرةً لأُكملها.

وسجّلتُ معهُ عددًا من الأشرطة، وفي الشّريط الأخير؛ كُنتُ أتكلّمُ على قسوة المُعاملة الّتي عشتُها في طُفولتي، فبكيتُ بُكاءً شديدًا، فأوقف السّيّدُ التّسجيل!

فأخبرتُهُ أنّ سبب إعراضي عن كتابة ذكرياتي؛ خشيةَ أن أقوم بعُقوقٍ للوالدين أو تنكُّرٍ لفضل الأقربين!

1-أرجو القارئ الكريم قبل القراءة في قسم الذكريات من هذا الكتاب والذي هذه اول مقالة فيه ان يتوجه إلى المقالة بعنوان "بعيد عن السياسة: التوبة عن السياسة؟!" بهذا الكتاب ص375.

ثمّ تكرّر طلبُ ذلك ولا يزالُ، وأنا أرفُضُ كتابة مُذكّراتي، حتّى العلميّة منها!

ففي مُذكّراتي من الأسى ما يتجاوزُ الكذب والخيال!

ولا أظُنُّ أحدًا من أقراني عاشَ بعضَ الأسى الّذي عشتُهُ في طُفولتي وبواكير شبابي، وأظُنُّ كثيرين سيقولون لبعض ما سأقولُهُ: هذا كذبٌ ومُبالغةٌ!

وآخرون سيقولون: هذا خيالُ شاعرٍ!

حين كنتُ في جامعة دمشق كتبتُ (400) صفحةٍ من صفحات الدّفتر المدرسيّ من مُذكّراتي، أسميتُها (قُطوفٌ من الآلام) أو (على جناح الخيال).

وقد أطلعتُ على بعضها بعضَ أساتذتي من أمثال أُستاذي توفيق كليب وأُستاذي وليد قنباز، وأُستاذي عبدالغني الحدّاد، فذُهِل ثلاثتُهُم ممّا كتبتُ!

فالأُستاذ توفيق قال لي: اُكتُب، ولا تُطلِع عليها الآن أحدًا، فما كتبتهُ يصلحُ أن يكون فيلمًا سينمائيًّا في التّراجيديا!

وقال لي أُستاذي وليد: شيءٌ لا يُصدّقُ، أخشى إن نشرتَ شيئًا من هذا في إحدى الجرائد أن يُساء الظّنُّ بك وبأُسرتك!

وأُستاذي عبد الغنيّ الحداد، عشتُ معهُ شُهورًا ماتعةً رائعةً جميلةً في مدينة حلفايا، حيثُ كنّا نُعلّم في مدرسةٍ واحدةٍ، وكنّا نسهرُ يوميًّا معًا.

أعطيتُهُ الدّفتر الأوّل من الذّكريات، فقرأ المُقدّمة، ودمعت عيناهُ، وقال لي:

لا أظُنُّ أحدًا مهما كان قاسي القلب، يستطيعُ أن يقرأ هذا الكلام!

وأثنى على أُسلوبي الأدبيّ، وهذا غيرُ مقصودٍ هُنا.

وقد نشرتُ على الفيس أكثر من عشرين مقالًا حملتْ بعضَ مُذكّراتي وذكرياتي.

فحبّذا لو كان عند أحدٍ منها شيءٌ، أو عند آخر غيرُها؛ فليُرسلها إليّ مشكورًا.

وفي كتابتي هذه؛ لن أدخُل في التّفاصيل كثيرًا، فالتّفاصيلُ مُحزنةٌ موجعةٌ!

وسأكتفي بنقاطٍ يسيرةٍ تدُلُّ على ما وراءها من الأسى غير المُسوّغِ ولا المفهوم.

وغير القابل للفهم والتّفسير فيما أرى!

وفي كتابي (الشّهيد مروان حديد) (400) صفحةٍ من الذّكريات يجبُ أن لا تفوت مُهتمًّا!

أختمُ بقولي:

من نشأ نشأتي، وعانى مُعاناتي، وعرف طبيعتي؛ فلا بُدّ أنّهُ سيتفهّم أسباب أخطائي في التّعامُل مع الآخرين، وسبب رحمتي الشّديدة بالفُقراء والضُّعفاء، وسبب قسوتي الشّديدة مع المُتغطرسين والكبراء!

واللهُ هُو المُستعانُ، وعليه التُّكلان، ولا حول ولا قوّة إلا بالله العليّ العظيم.

والحمدُ لله على كُلّ حالٍ.

مرحلة الطّفولة المُبكّرة!

أحبابي الكرام:

جعل اللهُ جُمعتكم وسائر أيّامكم غامرةً بالهناء والعافية، في ظلال الإسلام.

...

وأرجوكم الدُّعاء لي بالعافية، والوفاة على الإيمان والسُّنّة.

(السُّنّة: هي منهجُ أهل البيت فقط، فهُم وحدهُم قُرناءُ الكتاب).

أمّا بعدُ:

فحين وُلدت شقيقتي فاطمةُ رحمنا اللهُ بها؛ كانت آيةً في الجمال، وقيل لي: إنّها كانت وادعةً سكينةً على خلاف والديها أبي وأُمّي، فكلاهُما يُعدّان حادّي المزاج، لكنّ حدّة والدتي تُؤذيها، وقد تُؤذي بلسانها من يحزنها!

بينما شِدّة والدي قد تُؤذي والدتي وغير والدتي كثيرًا.

شقيقتي أُصيبت بالسُّعال الدّيكيّ، ووالدي لا يُؤمنُ بالطّبّ الحديث، فرفض عرضها على طبيبٍ بالأُجرة، أو على طبيبٍ في المشفى، وانتظر عليها حتّى ماتت، وهي بنتُ أربعة أشهُرٍ، فدفنها ودُموعُهُ تنسابُ على وجهه!

وقال: الحمدُ لله ربّ العالمين، خيرُ الصِّهْر القبر!

بعد ذلك حملت والدتي بي، ووضعتني عند أذان فجر الجُمعة من (مربعينيّة الشّتاء) في (17) صفر الخير، عام (1369هـ) المُوافق (1947/12/9م).

قالت والدتي:

إنّها كانت تسمعُ صوتي أُعنّفُها لمّا كنتُ في بطنها، وقدّرت هي أنّ ذلك يكونُ عندما تتعبُ، أو تجوعُ!

إنّ حملها بي كان شديدًا، ولولا وُجودُ جدّتي فاطمة زمزم على قيد الحياة؛ لرُبّما حدث بينها وبين والدي مشاكلُ كثيرةٌ؛ لأنّها طيلةَ مُدّة حملها بي كانت عاجزةً عن القيام بواجباتها المنزليّة.

لم تكن والدتي بحاجةٍ إلى أن تَظهر بمظهر المُقصّرة في شؤون بيتها؛ لأنّها كانت موسرةً بالنّسبة إلى بقيّةِ نساء أُسرتنا.

فقد كان يأتيها من أوقاف الأيّوبيّين (69) ليرةً سوريّةً في كلّ شهرٍ.

وكان يأتينا في كلّ يوم جُمعةٍ، من جميع ما في بساتين الوقف من خُضارٍ وفواكه تُغنينا جميعًا عن شراء أيّ فاكهةٍ طيلةَ الأُسبوع.

فكان يسعُها أن تستأجر امرأةً من فقيرات الحيّ اللّواتي تُساعدهُنّ باستمرارٍ، لولا قوانين (آل الحمش) الصّارمة:

1- لا يجوزُ لواحدةٍ من نساء الحيّ أن تستعين بامرأةٍ؛ لأنّ بيتنا يُصبحُ مثل الشّارع مكشوفًا للآخرين.

2- لا يجوزُ تبادُلُ الزّيارات بين نسائنا ونساء الحيّ لأنّ (الشّابَّ يُفسدُ الشّابّ والفتاةَ تُفسدُ الفتاةَ، والمرأة تُفسدُ نساءً كثيراتٍ) فلم يكن مُتاحًا لوالدتي أن تستعين بامرأةٍ خارجيّةٍ، حتّى لتلك النّسوة اللّواتي يقرأن عليها سُوَرًا من جُزء (عَمّ) من أجل الصّلاة، أو اللّواتي كُنّ يسألنها عن أُمور العبادة؛ لأنّها وحدها ابنةُ الشّيخةُ سُكينة الوليّ العُمريّ!

فرحَ والداي والأُسرةُ جميعُها بولادتي، وسمّاني والدايَ (مُحمّد فيصل) إذ إنّ والدي وُلد في عام تنصيب الملك فيصل بن الحُسين الهاشميّ ملكًا على سوريا.

وممّا لا ريب فيه أنّ لدى أُسرتنا عمومًا تعصُّبًا لبني هاشم، وشعورًا كامنًا بفوقيّةٍ لهُم على سائر الخلق!

حين انتهت الدّاية (أُمّ عوض حشكة) من توليدي؛ كان لا بُدّ أن تمُرّ على جدّي الّذي كان يُسبّحُ الله تعالى بصوتٍ عالٍ، ويدعو بصوتٍ عالٍ، كما هي عادتُهُ حتّى تُوفّي رحمهُ اللهُ تعالى، وكأنّ هدفهُ كان إيقاظَ أهلِ البيت لصلاة الفجر!

سألها عن اسم المولود الجديد، فقالت لهُ: مُحمّد فيصل!

فنادى على والدي، فجاء إليه وقال لهُ: أحضر لي المولود.

فأُحضرتُ لهُ، فقرأ عليّ، وتوسّم بي وتفرّس، ثُمّ التفتَ إلى والدي وقال له:

كم فيصل في حماة؟

قال: كثيرٌ!

قال: ليس مثلُ هذا الولد في حماة كثيرٌ!

سمّه (عداب) أو (عيداب!) فهُو اسمٌ نادرٌ، مثل ابنك هذا يا أبا عداب!

وسبب شكي بين (عداب -عيداب) أنّني وجدتُ في وثائق المحكمة الشّرعيّة العُثمانيّة اسم (عَيداب بن مُحمّد كنعان) وهُو عمّ جدّي خالد بن خضر بن مُحمّد كنعان.

فرُبّما سمّاني جدّي على اسمه، لكنّ المرأة الأُمّيّة لم تُحسن التّفرقة، فسُجّلتُ باسم (عداب) ثمّ لم يظهر لهذا أيُّ أثرٍ عمليٍّ، حتّى دخلتُ المدرسة التّمهيديّة التّابعة للملجأ الإسلاميّ الخيريّ، فعرفتُ يومها أنّ اسمي (عداب).

فوالدي كان يُناديني (فيصل).

ووالدتي كانت تُناديني (فيصول - فيصولة - فولة).

وجدّي كان يُناديني (عدّوب - عديّب - عداب الخيل!).

فيظهرُأنّني لم أكن أهتمّ بهذا، ورُبّما كنتُ أظنُّ أنّ كلّ واحدٍ يُناديني باسمٍ يُحبُّهُ هُو تعبيرًا عن حُبّه لي.

في الصّفّ الأوّل التّمهيديّ؛ نادت المُعلّمةُ (ابتهال): عداب محمود الحمش!

كررت النّداء عدّة مرّاتٍ، فلم أردّ عليها!

فنادتني ابنةُ عمّي الصّغيرة، وكانت تكبُرُني بسنتين: قُل: نعم، قُل: نعم!

فقُلتُ لها: أنا اسمي فيصل!

فجاءت المُعلّمة وقالت: ما اسمُ أبيك؟ قُلتُ: محمود، قالت: ما اسمُ أُمّك؟ قُلتُ: خديجة!

قالت: طيّب! أنت من هُنا وطالع اسمُك هُنا عداب، واسمك في البيت فيصل!

لمّا كنتُ أسمعُ بعض أهلي يُنادونني فيصلًا، وبعضهُم يُناديني بما يُشبهُ (عداب) لم أجد فيما يبدو مانعًا من أن أقول لها: نعم!

تُوفّيت جدّتي فاطمة بنت أحمد زمزم الدّقّاق رحمهُ الله عليها، بعد أربعين يومًا من ولادتي، يعني في أواخر شهر كانون الثّاني، أو أوّل شهر شباط، من عام (1950م) وكأنّ وفاتها في شهر شباط أرجح، وأظنُّ هذا ما هُو مُسجّلٌ على شاهدة قبرها، الّذي كنتُ أزورُهُ باستمرارٍ، عندما كبُرتُ.

عادت مُعاناةُ والدتي مع والدي، من أجل المشُاركة في (الخبز) على التّنّور، ومن أجل إعداد الإسطبل لحضراتِ الدّوابّ المـُتعبة، الّتي تعملُ (من الفجر إلى النَجْر).

هذا تعبيرٌ شائعٌ عندنا، ومعنى النّجر في اللُّغة (الأصل!) فكأنّ النّاس استعملوه بمعنى الأصيل، وهُو قُربَ (المغرب!).

وعادت الشّقاوةُ بدلَ السّعادة إلى البيت!

لا تستطيعُ والدتي استئجار واحدةٍ تُعينُها على مُصابها، حتّى لو بذلت من مالها الخاصّ!

والدي لا يقبلُ أن تكون زوجتُهُ أقلّ قوّةً وطاقة تحمُّلٍ من أخواته ومن سلفتيها!

ولا يجوزُ دُخولُ الغرائب إلى بيتنا؟

ونساءُ البيت مُرهقاتٌ غاية الرّهق في تعبٍ يوميّ مُضنٍ، فقد كان يعملُ عندنا في موسم الفلاحة والبِذار، وفي موسم الحصاد في تلك الأيّام خمسون عاملًا وعلى نساء الأُسرة أن يقمن على تجهيز ثلاث وجباتٍ من الطّعام لهُم!

إضافةً إلى ترتيب المضافة وتنظيفها، إذ كانوا ينامون فيها.

إضافةً إلى طحن علف الدّوابّ، من بقرٍ وبغالٍ وخيلٍ وحميرٍ!

فكانت حياتُهُنّ كلُّها شقاءٌ وتعاسةٌ، وأنا لا ادري والله كيف كُنّ يصبرن على هذه الحال سنواتٍ طوالًا.

وحين كنتُ أسألُهُنّ لـمّا كبُرتُ: لماذا كُنتُنّ تصبرن على هذا الشّقاء؟

يستغربن ويقُلن: هذا قدرُنا يا ولدي، السّعادةُ والشّقاءُ من الله، والحمدُ لله على كُلّ حالٍ!

ما كُنتُ أقتنعُ بكلامهنّ هذا أبدًا، وما كنتُ أرى من عدل الله تعالى أن يُشقي قومًا أفاضلَ، ويُسعد قومًا في الغالب هُم من السّفلة، ومَن لا دين لهُم!

وحين تعلّمتُ؛ فهمتُ لماذا جعل الطُّغاةُ القَدَرَ الجبْريَّ عقيدةً للأُمّة!

جعلوها كذلك لينعموا هُم بالهناء والسّعادة (وهذا قَدَرُ الله) !

بينما تُمتحنُ الأُمّةُ بظُلمهم وجبروتهم وإذلالهم (وهذا قَدَرُ الله) أيضًا.

ألا ترى إلى هذا القَدَرِ ما أظلمهُ؟!

من الطّبيعيّ أن لا أذكر كثيرًا من مآسي مرحلة الطُّفولة المُبكّرة هذه (1-5) سنواتٍ.

لكنّ فيها محطّاتٍ عديدةٍ أذكُرها تمامًا، وبعضُ المحطّات أعلمُها تمامًا عن طريق والديّ وجديّ وغيرهم.

سأتناولُ أبرزها في مقالٍ تالٍ، إن شاء اللهُ تعالى.

والحمدُ لله على كُلّ حالٍ.

من الطّبيعيّ أن لا أذكر كثيرًا من مآسي مرحلة الطُّفولة المُبكّرة هذه (1-5) سنواتٍ.

لكنّ فيها محطّاتٍ عديدةٍ أذكُرها تمامًا، وبعض المحطّات أعلمُها تمامًا عن طريق والديّ وجديّ وغيرهم.

فأولى هذه المحطّات: أنّ والدتي كانت مُضطرةً أن تغسل في كُلّ يومٍ ثيابَ الطُّفولةِ، الدّاخليّة والخارجيّة، وفي تلك الأيّام، في الشّهر الأخير من عام (1949 م) لم يكن عندنا كهرباء، وبالتّالي لم يكن عندنا غسّالةُ ثيابٍ، وغسّالة غيّاراتٍ، وكانت والدتي تقرفُ كثيرًا جدًّا، إلى أن ماتت رحمةُ الله عليها، فكانت تضعُ على الغيّارات (الكلور).

وما هي إلّا عدّة أيّامٍ، حتّى تسلّخ جلدي، فصارت مُضطرةً أن ترمي غيّاراتي في كُلّ يومٍ، ومع استعمال المراهم؛ استعاد جلدي عافيتهُ بعد مُدّةٍ.

ونصحتها القابلةُ بأن لا تستخدم الكلور مُطلقًا في تنظيف غيّاراتي الدّاخليّة.

فسبّب لها هذا حرجًا مع نساء البيت، فوُصفت بالمُتقزّزة والمُتبطّرة، ونالت من ضرب والدي وإهاناته بسبب هذا الشّيءَ الكثير، مع أنّها هي مَن تدفعُ ثمن القماش الّذي تشتريه لها خالتي، من (الخام) الرّخيص نسبيًّا!

ومُنذُ ذلك الحين وإلى هذا اليوم؛ لا يحتملُ جلدي حتّى الصّابون الغار المُمتاز ولا أيّ صابونٍ في الدُّنيا، فالنّاسُ تتنظّفُ بالصّابون لتتلطّف، وأنا أتنظّف به وأتأذّى!

وثاني هذه المحطّات: مسألةُ الغيرة الفطريّة!

فقد حدّثتني والدتي مرارًا بهذه المسألة الغريبة، وأنا أُشهد الله على أمانة نقلها.

قالت والدتي: كنتَ صغيرًا جدًّا، دون السّنتين من عُمرك، فكنتُ إذاأردتُ تنظيف أغراضك اليوميّة، أو أردتُ أن أغسل ثياب الأُسرة؛ لا بُدّ من كشف ذراعيّ من أجل ذلك.

وخوفًا عليك من أن أترُكك في الغُرفةِ، ليس عندك أحدٌ؛ فقد كنتُ أضعُك في برميل الماء الفارغ بجانبي، نُسمّيه نحنُ (القادوس).

فمن جهةٍ آمنُ عليك، ومن جهةٍ أُسرُّ من مُناغاتك!

فما هي إلّا لحظاتٍ، حتّى تبدأُ تُولولُ وتصرُخُ وتبكي، وتتخبّطُ في البرميل، إلى أن تقع على الأرض!

فكنتُ أُعيدُك إلى (القادوس)، فتتكرّرُ الحادثةُ، حتّى أضعُك في حضني وأغسلُ!

فتمُدّ يدك الصّغيرة إلى كُمّ إحدى يديّ، وتصرُخُ، وتشُدّهُ إلى أسفل حتّى يعود إلى حالته العاديّة، وتفعلُ هذا باليد الأُخرى، وأنا لا أفهمُ شيئًا!

في كُلّ يومٍ تتكرّرُ هذه الحالة غير المفهومة، ويستمرُّ صُراخي وبُكائي، حتّى تستُرَ والدتي ذراعيها، فمتى سترتهُما؛ ضحكتُ وسكتّ!

قالت والدتي: فلا أدري أنا الّتي انتبهتُ إلى هذا الأمر، أم نبّهتني زوجةُ عمّك أُمّ ضِرار (وهي والدتي من الرّضاع!).

كأنّها قالت لي: يا لطيف! اُنظُري إلى أولاد الحمش، غيرتُهُم قاتلةٌ من لدُن ولادتهم!

فجرّبتا معًا أن تُنزل والدتي كُميها، فكنتُ أسكتُ وأضحكُ، فإذا رفعتهُما؛ أصرُخُ وأضطربُ وأبكي!

فكلمتا جدّي السّيّد إبراهيم في ذلك؛ فقال لوالدتي: لقد زعلتِ يا خديجة عندما أسميتُ ولدك (عداب) أما قُلتُ لكم: هذا ولدٌ مُختلفٌ عن الأولاد؟!

عندما كبُرتُ؛ سألتُ والدتي: لم تغسلين وأنت مُغطّيةٌ ذراعَيك؟

فقصّت عليّ القصّة وقالت: مُنذُ ذلك اليوم وإلى أن أموت؛ لن أغسل الثّياب إلّا هكذا، كرامةً لغيرة عداب!

والمحطّةُ الثّالثةُ: صُراخٌ لا ينتهي!

في تلك الأثناء، وقبل بُلوغي الثّانية من العُمر؛ دخل والدي على والدتي مُغضبًا من بعض الكلام الّذي يُنقَل إليه عن زوجته: (مُدلّلةٌ، مُقصّرةٌ، شايفة نفسها، لا تُساعدنا، لم تُنظّف الإسطبل).

دخل هذه المرّة، وبيده عصًا متينةٌ جدًّا، يستعينُ بها الفلّاحون عادةً لنقل المحاصيل على ظُهور الجمال، يُسمّونها (الغازوز!).

تحاور والدي مع والدتي بشأن تلك التُهَم الخطيرة، فكأنّ الوالدة ردّت عليه ردًّا يتناسبُ وحالها.

قالت لي: قُلتُ لهُ يا محمود اتّق الله، أنت لم تأتِ بي من وراء مزابل الدّوابّ، أنت جئت بي من بيت (النّشتر)، فيتوجّبُ أن تُراعي هذا، وتحمدَ الله على النّعمة الّتي أنعم اللهُ بها عليك!

اُنظُرْ إلى هذا الولد الّذي أكرمك اللهُ به، ألا يُساوي عندك هذه الدُّنيا كلّها، الأراضي والبقر والحمير والبغال!

قالت والدتي: ما أحسستُ إلّا والعصا تقتربُ منّي، فِحدتُ عنها لأنجَو، فنزلت العصا على رأسك!

لم تَتحرّك، ولم تتنفّس، أُغمي عليك مُباشرةً، وكاد يُغمى عليّ، لكنّ والدك كان أصلبَ منّي، أمسك بيدك ورقبتك، فرأى أنّ هُناك نبضًا، فأمرني أن ألبس، وأوصلني إلى بيت أهلي، وقال لي: أبوك يُطبّبُ الولد، فإن مات فلا تُخبروني!

قالت والدتي: بقيتَ على هذه الحال عدّة أيّامٍ، وجدّتُك سُكينة جالسةٌ في جوارك وأنا من الجهة الأُخرى، نقرأُ القُرآن، ونضرعُ إلى الله تعالى أن تستيقظ ولكن من دون جدوى!

بعد مُرور خمسةِ أيّامٍ تقريبًا، توّقف النّبضُ تمامًا، فحملك جدُّك (أبو سعيد) إلى أحد الأطبّاء القريبين، فقال لهُ: اصبروا عليه (24) ساعة، فإن لم يصحُ؛ فعظّم اللهُ أجركم، وعوّض عليكم!

بعد (48) ساعةً، لم يستيقظ عداب، فكفّنوهُ، وحملوهُ ليدفنوهُ في مقبرة (العُشْر).

راحوا يحفرون لهُ قبرًا صغيرًا، ووضعوهُ تحت الشّمس، والنّساءُ يبكينهُ، فصحا الأفندي (عداب) وعطَس عطسةً قويّةً، أبهرت الحاضرين جميعًا، وأعادت نُفوسهُم إلى الحياة.

أظُنُّ والدتي قالت لي: إنّنا أخبرنا والدك، فكان وهُو يحفرُ قبرك؛ يضربُ نفسهُ بالمِعْوَل، ويصُبُّ التُّراب على رأسه، وليس على الأرض، من هول ما صدمهُ الحدث!

عاد والدي بوالدتي إلى بيتهِ، رغمًا عن الجميع، فمن يستطيعُ أن يقف بوجهه!

حين دخل المنزل؛ وضعني بين يدي جدّي، الّذي استقبلهُ بضرباتٍ عنيفةٍ جدًّا من عصاهُ (الخيزران) وذبح جدّي كبشًا، ووزّعهُ على فُقراء الحيّ!

المُشكلةُ أنّ عدابًا صحا، لكنّهُ ظلّ يصرُخُ في اللّيل والنّهار حتّى بلغ من العُمر (40) شهرًا!

قالت لي ابنةُ عمّي، ورضيعتي أُمّ عماد: والله يا عداب، نحنُ ستُّ نسوةٍ في البيت نتبادلُ حملك وإسكاتك، أرهقت الدُّنيا قُرابة سنتين، لا ليلُك ليلٌ ولا نهارُك نهارٌ!

قالت والدتي كنّا نسقيك (اليانسون، الشمار، ورق الخشخاش، ورق الأفيون) إضافةً إلى المُنوّمات الّتي وصفها لك الطّبيبُ (شكيبُ الدّلال).

(شكيبُ الدّلال) صديقي رحمهُ الله عليه، عندما غدوتُ شابًّا؛ زُرتُهُ، وحملتُ لهُ هديّةً رمزيّةً وطاقةَ وردٍ، وعرّفتُهُ بنفسي، فاحتضنني قائلًا: ابني فيصل، ما شاء اللهُ عليك، الحمدُ لله على سلامتك، كم عانيت يا ولدي، وكم عانت الأُسرة، وعانينا بشأنك، اللهُ يُسامح أخي الحاجّ محمود، عصبيتّه لا تُطاق!

بعد أربعين شهرًا من عُمري؛ رجعتُ بشرًا سويًّا، والحمدُ لله ربّ العالمين!

قالت أُمّي من الرّضاع (أُمّ ضرار): الحمدُ لله على سلامتك يا ابني، لو مُتَّ أنتَ يومَها؛ كنّا جميعُنا شُركاء أمام الله في دمك!

كنّا نغارُ من أُمّك كثيرًا، فكنّا نتصيّدُ لها أدنى حرفٍ، فنُخبرُ والدك الّذي لا يَحتملُ أيّ كلمةٍ، لنتشفّى بضربها وبكائها، وهي مسكينةٌ لا تصنعُ شيئًا لنا والله، غير أنّها تُدافعُ عن تقصيرها بأنّها بنتُ مُلوكٍ، وليس من شأنها خدمة الدّوابّ وتنظيف الإسطبلات، فكنّا نغضبُ جدًّا لتباهيها!

المحطّةُ الرّابعةُ: النّومُ على السّطح!

جاء الصّيفُ وقد بلغتُ الرّابعة من عُمري، وكان شهر (آب) لهيبًا، تلك السّنة في حماة.

قال والدي لوالدتي: نامي أنت والبنات في الغُرفة، وأنا سأنامُ مع عداب على السّطح!

رُعبَت والدتي من هذا الكلام، وعارضت أشدّ المُعارضة، لكنّهُ صفعها على وجهها، فخرست!

ارتفاع سطح بيتنا يزيدُ على ثمانية أمتارٍ إلى ساحة الدّار، لكن من جهة الغرب هُناك سطحُ مطبخ المضافة من ألواح (توتياء) ومن جهة الشّمال، هُناك ساحةٌ تزيدُ على (6×5) تُعدّ سطح الطّابق الأوّل (سطح الإسطبل!).

كأنّني رأيتُ منامًا، فُرحتُ أمشي على السّطح غير المُسوّر، فسقطتُ على سطح المطبخ، ثُمّ ارتطمتُ من سطح المطبخ على ساحة أرض الدّار!

أفاق والدي على صوت ألواح (التّوتياء) تحتي!

ريثما وصل والدي من على السّطح إلى أرض الدّيار؛ كنتُ قد فارقتُ الحياة!

استيقظ جميعُ من في الدّار، وعلا الصُّراخُ، وجميعُ من في الدّار يُؤنّبُ والدي وخُصوصًا جدّي.

بينما راح والدي يضربُ رأسهُ بالحائط، ويشتُمُ نفسهُ، ويعيبُ عنادَهُ، كما حدّثني جدّي ووالدتي وغيرُهُما!

المُهُمُّ أنّ جدّي صرخ بالجميع: لا يقتربُ من الولد أحدٌ!

قالت والدتي: ضربك جدُّك بعصاهُ ضربًا خفيفًا، ثُمّ حملك، ووضعك على سريره، وظلّ يبكي، ويدعو الله تعالى لك، حتّى أُذّن لصلاة الفجر، وجميعُنا بين نحيبٍ وذُهولٍ!

عند أذان الفجر؛ نادى عدابُ والدتهُ: ماما عطشان!

ومُنذُ ذلك اليوم؛ لا يُقالُ لي: عداب، إنّما يُقالُ لي: الشّيخُ عدابُ!

اعتقادًا منهُم أنّ نجاتي من الموت كرامةٌ من الله تعالى لي.

المحطّةُ الخامسةُ: طلاقُ والدتي!

عقب نجاتي من هذا الموت المُحتّم؛ جاءت جدّتي سُكينة في غياب والدي لتأخُذ والدتي إلى بيت والدها.

لم يستطع جدّي ثنيَها عن عزمها، لكنّهُ لم يسمح لها بأخذ الأولاد، فقد كنّا ثلاثةً: (عدابُ، ليلى، فريالُ) رحمةُ الله عليهم.

قالت والدتي: لا يستطيعُ أحدٌ أن يُسكت عدابًا، سوى أُمّهُ، والطّفلتان الأصغرُ تحتاجان إلى رعايةٍ وعنايةٍ، وكانت بنتُ عمّك (خولة) تقومُ برعايتكم وهي لم تبلُغ العاشرة من عُمرها!

جاء والدُك وجدُّك ليأخذاني إليكم، ولم يكن عندي مانعٌ من العودةِ، من شوقي إليكم، وخوفي عليكم، فقد أيقنتُ أنّ قدري الشّقاءُ والعناء من أجلكم!

قالت: لكنّ والدي وعمّي (مير قادر) ووالدتي؛ رفضوا ذلك رفضًا قاطعًا، وطلبوا من والدك الطّلاق!

غضب والدُك كثيرًا، وألقى عليّ الطّلاق وخرج!

بقيت والدتي مُطلّقةً أكثرَ من سنةٍ ونصفٍ، ولم أرها إلّا في روضة (ملجأ الأيتام) الإسلاميّ، بعد الخامسة من عُمري!

وإلى لقاءٍ قادمٍ بإذن الله تعالى، والحمدُ لله على كُلّ حالٍ.

أحلام ضيّعها الزّمان!؟

من العسير على الإنسانِ أن يحقّق جميعَ طموحاته المشروعة، وغير المشروعة لا سمح الله، في عمره القصير الغرير!

خُصوصًا إذا أخذنا بعين الاعتبار؛ ما يريده الإنسان هو، وما يُرادُ منه، وما يرادُ له !

ولاعالمِ عالمًا أو مفكّراً من طبقة شيوخي أنجز جميعَ مشروعاتِه العلمية، سوى سيّدي الشيخ (سعيد حوّى) رضي الله عنه!

فقد سألته في صيف عام (1988م): هل حقّقتم جميع مشاريعكم العلمية والفكريّة؟

فتبسّم بسمة وادعة هامسةً، كان لها وقعٌ كبيرٌ على روحي، وقال: حتى كتبنا حتى(يوميّات الغروب) ولله الحمد والفضل والمنة!

بقي كتابان ليسا مهمّين كثيراً؛ لأنني لا أتوقّع فيهما جديداً كثيراً!

وذكر منهما كتابًا في أصول الاستدلال على ما أظنّ!

والفقيرُ عداب كعادتِه؛ يعترف بكلّ إخفاقاته ونقائصه، ومنها تأخُّر نُضجِه النفسيّ، ونُضجه الاجتماعيّ، وإلى حدٍّ ما، نُضجُه العلميّ!

بينما كان نضجه الأدبيّ مبكّراً جدّاً!

فمنذ الصفّ (الثّالث) الابتدائيّ، إلى نهاية درس (الإنشاء) في المدارس الثانوية كان موضوعي أفضلَ موضوع في الفصل الذي أكون فيه مطلقًا، وبدون مثنويّة!

ومنذ الصفّ (الرّابع)؛ كنت أنا الذي يصحّح دفاتر الإملاء والمحفوظات والقواعد لزملائي في الفصل، والله أرحم الراحمين هو الشاهد على كلامي!

كان أستاذنا (مَهدي الجندي) رحمه الله تعالى، يضع لي طاولة صغيرة فوق كرسيّ المعلّم، ويضع الدفاتر على المنبر لأقوم بتصحيحها.

ولا أذكر أنه نظر في الدفاتر بعد تصحيحها أبداً، إنما كان يطلب مني أن أوزّعها على زملائي مباشرة!

في الصفّ (الخامس) الابتدائي؛ بدأت بقول الشعر على السليقة، وفي الصفّ (السّابع) جاوزت قصائدي المائة بيت شعريّ!

وفي الصفّ (السّادس) الابتدائيّ خطبت الجمعة في قرية (كازو)!

وقد أثنى عليها أهل القويقوا ُكرموني بثنائهم كثيراً كثيراً!

بيدَ أنّ نضجَ الفقيرِ الأدبيّ المبكّر؛ كان عديمَ الجدوى، لعدم وجودِ برنامجٍ وأهداف للفقير عداب في هذا الاتّجاه.

وربما كان لتنفيرِ شَيخنا (مُحمّد الحامد) رضي الله عنه من الاهتمام بالشعر أثرٌ عليّ في ذلك، لا أدري!

وربما كان لظروف فقدان شعري الكثير:

(8800)بيتٍ شعريّ، عندما اعتقلت في منزل الشهيد مروان (1975م).

(2500)رفضت المخابرات الأردنية تسليمي إياها، مع ثلاثة بحوثٍ صغيرة كتبتها في فترة سجني (1975م).

(2200)بيت من الشعر ضاعت في ليبيا.

مع أنّ الأخ النبيل الفاضل الذي أودعتها لديه، ريثما أعود؛ احتفظ بها حتى العام (1980م).

فلمّا قامت المخابرات السورية بالمداهمات؛ وضعها في المدفأة الباردة، لكنّ والده أو والدته أشعلت المدفأة، فذهب شعر ليبيا كلّه، إلا بضعة أبيات أحفظها أو أبياتٍ يحفظها ذاك الأخ الفاضل الحبيب .

وقد لازمتني صفة الاستهانة بشعري حتى الآن، فلو أنّ إنسانًا جمع ما أكتبه ارتجالاً وتعليقًا على صفحات الآخرين في (فيسبوك) فقد يجمع ديوانًا من الشعر، لا أحتفظ أنا بشيء منه!

وقد كان نضجه الرياضي والحربيّ مبكّراً أيضًا، فقد رُشّحت لبطولة سوريا في المصارعة الرومانية عام (1968م) لكنّ مديرَ نادينا كان تافهًا، نطقَ أمامي بألفاظ نابية وسخة، فصفعته على وجهه ثلاثَ صفعاتٍ في مكتبه، فطردوني من النادي، وحُرِمتُ من المشاركة!

أعترفُ أمامكم للعبرة والعظة؛ بأنني لم يكن لديّ مرشدٌ إبداعيّ من أهل بيتي، فالأميّة العلمية والثقافية شاملةٌ أسرتنا شمولاً تامًّا!

وحتى حصولي على الثانوية؛ لم يكن أحدٌ من أعمامنا في الحيّ، آل (الحمش، وشيخ الهبطة، ومرعي، والعتّال، وميلص، وعُلّي) حصل على أكثر من السادس الابتدائيّ.

وكان توجيه شيخيّ (عارف ونايف) النوشي السبسبيّ، رضي الله عنهما يقتصر على العلم الذي أتعلّمه عليهما.

وحتى عندما واظبت أكثرَ من ستّ سنوات على دروس شيخنا (الحامد) المسائيّة، لم أسمع منه مرّة واحدةً كلامًا عن مشروع علميّ أو فكريّ، فصورة شيخنا (الحامد) في مخيّلتي صورة العالم الزاهد الورع المقلّد تقليداً شديداً جدّاً، وليس للمقلّد مشاريع علمية بالتأكيد!

وهكذا سائر شيوخنا الآخرين في (حماة) و(حمص) و(حلب) و(دمشق)!

أقول: إذا تجاوزنا مسألة (التلوّم) و(جلد الذات) و(الندم) وحتى التواضع!

وواجهنا الحقيقة الماثلة أمامنا في سنّ السبعين، فما عسى أن تكون مطامحُ عداب الناضجة، التي ترسّخت لديه مع مرور الزمان، والتي يستطيع هو أن يقوم بها، أو يدير مؤسسةً علميّةً للقيام بها؟

وهل يسعه رسمُ معالم خطة تطبيقيّة لكلّ واحدٍ من مشاريعه وطموحاته العلمية والماديّة؟!

إنّ انتهاء العُمر مسألة غيبيّة، وآل (الحمش) بوجه عام مُعمَّرون، فقد أعيش كما عاش أحدُ آبائي، مُمتّعين بقواهم الجسمية والعقلية والماليّة.

فجدّنا الشيخ (خالد كنعان) عاش (108) سنوات، لم يترك جماعة المسجد سوى أسبوعٍ واحدٍ، مرض فيه، ثمّ انتقل إلى رحمة الله تعالى.

وولده الشيخ (محمّد)، الملقّب (الحَمْش) فقد عاش (123) سنةً، لم يخلع سنًّا من أسنانه، ولم يدع ركوب الحصان، إلا في آخر ثلاثة أيامٍ من عمره المبارك!

أمّا جدي السيّد إبراهيم (فارس جيله من دون منازع!) فقد عاش ما بين (1867-1968م) كان والله إذا هزّ سيفَه الثقيل جدّاً، في آخر عمره؛ تهبطُ قلوبنا تحت أقدامنا!

وقد عاش ممتّعًا بجميع قواه، سوى (30) ساعةً، عايش النزع فيها، حتى قبضه الله إليه.

أمّا سيدي الوالد، فقد عاش ما بين (1918-2012م) ممتّعا بقواه العقلية والجسمية، رحمهم الله تعالى ورضي عنهم.

وفي عمر التسعين كان والدي يُلحُّ على أخواتي ليزوّجنه، لكنهنّ كنّ جاهلاتٍ وللأسف، خشين كما قالت لي كبراهنّ أن يخلّف عدداً من الأولاد ثم يموت، ويتركهم عالة!

أقول: إذ كان الأمر كذلك؛ فعلى العالم والمفكّر الذي يعتقد لديه تميّزاً في جانبٍ أو أكثر؛ أن يؤهّل عدداً من تلامذته، من حملة (الدكتوراه) في التخصصات التي تلزمه، إلى مستوى الاضطلاعِ بفهم منهجه النظريّ، وتطبيقاته العملية!

وما لم يعمل ذلك ؛ فهو رجلٌ أنانيّ نرجسيّ ماديّ، يسعى من وراء علمه إلى تحقيق مكاسبَ مادية.

ورجل مثل هذا؛ لا يُكتبُ لعلمه عمومُ الإفادة، كما لا يُكتبُ له الاستمرار، مهما برز إعلاميّاً وعلميّاً لأغراض مذهبية وسياسيّة.

وفي المنشور التالي؛ أكتب لكم مشاريعي العلميّة باختصار، مع التعريف الوجيز بكلّ واحد منها، إن أعان الله تعالى ووفّق.

والحمدُ لله على كُلّ حالٍ.

ما لا يُدْرَكُ كُلّه؛ لا يُترك كُلّه، ولا جُلّه، ولا بعضُهُ؟!

إنّ ممّا يعلمُهُ العُلماءُ النّابهون أنّ الجمهرةَ العُظمى من العُلماء المُتميّزين، الّذين قدّموا جديدًا؛ إنّما ينضجون بعد اجتيازهم الخمسين من العُمر.

والإنسانُ في هذه السّنّ؛ يكونُ قد بدأ الضّعفُ الجسميُّ يحتوشُهُ، والأمراضُ تغزوه.

فإذا قُدّر لهُ أن يكتُبَ أفكاره الإصلاحيّة في تلك السّنّ؛ فيكونُ قد ربح ونجح.

وإن هُو مالَ إلى اليأس، أو حالت بعضُ الظّروف دون كتابته؛ فيكونُ قد ضيّعَ على نفسه وعلى الأُمّة خيرًا كثيرًا، لا أشُكُّ في أنّ الله تعالى سيسألُهُ عنهُ.

وفي عام (1988م) وفي الأيّام الأخيرة من حياة الشّيخ سعيد حوّى رحمهُ اللهُ تعالى كُنتُ قريبًا منهُ، وأعيشُ معهُ في بيتٍ واحدٍ تقريبًا، فسألتُهُ:

سيّدي هل كتبتَ كُلّ ما ترغبُ بكتابته، وهل تتمنّى أن تكتُب أشياءَ ترى الأُمّة في حاجةٍ إليها؟

فقال لي: أما قرأت (يومياتُ الغُروب؟)

قُلتُ: بلى!

قال: وهل بقي بعد الغُروب شيءٌ، سوى انتظار القبر؟!

قُلتُ: والله يا شيخي ستموتُ وفي صدرك حقائقُ وعلومٌ، لم تُسطَر على قرطاسٍ!

قال: لا يستطيعُ طالبُ علمٍ أن يكتُب كُلّ ما في صدره!

هل ما وصلنا من علم عليٍّ، هُو علمُ عليٍّ رضي اللهُ عنه؟

هل ما وصلنا من علم الشّافعيّ، هُو جُملةُ علم الشّافعيّ رحمه اللهُ؟

لكنْ يكتُبُ طالبُ العلم ما يرى أنّ أُمّتهُ في حاجةٍ إليه!

وأنت لن تستطيعَ أن تكتُب كُلّ ما تريدُ من العُلوم، فاحرص على كتابة الأهمّ ثُمّ المُهمّ فالعُمر ومضةٌ، تنطفئُ فجأةً، ولا يليقُ بالعاقل أن يهتمّ بكثرة المكتوب، بل ليهتمّ فيما يُضيفُ!

رحمهُ اللهُ وأجزل مثوبته، وسائر مشايخنا الا ّكارم.

لا أدّعي أنّني قبلَ أربعين سنةً م ن هذا اليوم؛ كنتُ على نحو ما أنا عليه اليوم من معرفةٍ وعِلمٍ وتمييز بين الأهمّ والمُهِمّ والأقلّ أهميّ ّة من بين اهتماماتي العلميّ ّة.

حين كنتُ في مصر عام (76-1977م) كانت اهتماماتي تنصرفُ إلى إتقان (القراءات السّبع) وتلقّي (عُلوم الحديث) على الشّيخ مُحمّد الحافظ التّجّانيّ، وكتابة (التّفسير الفقهيّ) للقُرآن العظيم.

ولأجل هذا المشروع؛ فقد جمعتُ جميعَ المطبوع من كتُب القراءات وأُصول الفقه وعُلوم القُرآن، وقرأتُها مرّاتٍ، وسألتُ عمّا أُشكل عليّ شُيوخي المصريّين الكثيرين، كُلًّا وَفقَ تخصُّصه المُشتهر به.

وكتبتُ في هاتيك السّنتين كتابي (القُرآن الكريم ودعاوي النّسخ فيه) في (1000) صفحةٍ.

ثُمّ طرأ على فكري اهتماماتٌ كثيرةٌ جديدةٌ، قادتني إلى ضرورة إتقان علم (نقد الحديث) الّذي لم أُعاصر أحدًا يُحسنُهُ تأصيلًا وتطبيقًا، بعيدًا عن التّقليد والتّرقيع.

وحين أتقنتُ هذا الـ علمَ من وُجهة نظري القاصرة؛ انفسحت أمامي مشاريعُ هائلةٌ تدعوني إلى مُراجعة التُّراث كُلّه، بَدْءًا من (جمع القُرآن وتدوينه) إلى (كان رسولُ الله يُعلّمنا كُلّ شيءٍ حتّى قضاءَ أحدنا حاجتَه!).

حين وصلتُ عند نفسي إلى هذا المُستوى من الفهم؛ كنتُ في أشدّ فتراتِ حياتي الماديّة قسوةً، إذ كنتُ على مدار تسع سنواتٍ، لا أملكُ دولارًا واحدًا، وتعدادُ أُسرتي فقط (16) نفسًا!

وهذا من شأنه أن يُعطّل العقلَ، وأن يحرقَ الأعصابَ، وأن يترُكَ الإنسانَ نُهبَ الأسى!

في هذه الظُّروف ذاتها؛ تقدّمتُ بمشروعي في خدمة السُّنّة إلى الرّئيس (صدّام حُسين) وفي تلك الظُّروف ذاتها كتبتُ أُطروحتي الثّانية للدُّكتوراه (أقوالُ التّرمذيّ في نقد الرّجال) وكتابي (المهديُّ المُنتظرُ في روايات أهل السُّنّة والشّيعة الإماميّ ّة) وكتابي (مناهجُ المُصنّفين في الحديث النّبويّ) وكتابي (مُحاضرات في تخريج الحديث ونقده) إضافةً إلى (الأمالي العراقيّ ّة) الّذي أمليتُ ا كثرَهُ من الذّاكرة على طُلّابي الكرام.

حين خرجتُ من العراق في (أيّار) عام (2002م) اقترضتُ من تلميذي الفاضل الدُّكتور (عمر الأيوبي) أُجرة الطّريق، واصطحبتُ أُسرتي الصّغيرة (أُمَّ سعيدٍ وأطفالها) لأنّها تستطيعُ أن تُقيم عند أهلها فترةً من الزّمان، ريثما أتدبّ ّر أمر عملٍ لي!

لكنّ العمل لم يحصُل في أيّ جامعةٍ من الجامعات العربيّة؛ لتشويه الجهلة الطّائفيّين والسّياسيّين صورتي، حتّى غدوتُ قرين الشّيطان الرّجيم، ورُبّما أقبحُ صورةً!

حين (بلغت القُلوبُ الحناجر...)قيّض اللهُ لي الشّيخ صالح كامل، فاتّصل بي الرّجُلُ وأبدى إعجابَهُ ببعض مُؤلّفاتي، وطلب منّي التّعاوُنَ معهُ في مشروعه العلميّ.

مُنذُ ذلك اليومِ في (أيلول (2004 م) وإلى هذا اليوم، والشّيخ صالح كامل (جزاهُ اللهُ خيرًا، وقوّاهُ وأعانهُ) يصرفُ لي مُرتّبًا يكفيني بالمعروف، لكنّني لا أستطيعُ أن أُوظّف مُوظّفًا واحدًا يُساعدُني في أعمالي العلميّة، خُصوصًا بعد تدافُع الأمراض، واستيقاظ الأوجاع، وتزاحُم الهُموم.

أمام فشلي في إقناع الشّيخ (صالح كامل) بضرورة أن يترُكَ قيادة المشروع لي، وأمام نفاسة (المُنسّق العلميّ) فيما يبدو، وأمامَ صراحتي الزّائدة مع الدّاء الشُّرطيّ (الأمين العامّ للمشروع الحديثيّ!!؟؟) فلم يعُد لي مكانٌ في المُؤسّسة، وطُردتُ شرّ طِردة!

طُردتُ من المُؤسّسة، ثُمّ كشف اللهُ للشّيخ صالح كامل أنّ الأمين العامّ والمُنسّق العلميّ يخدعانه، فطردهُما وجمّد عمل المُؤسّسة!

ماذا يفيدُ هذا، وقد مضى قُرابة عشر سنواتٍ على إنشائها، لو فوّض إليّ أمرها؛ فرُبّما أنجزتُ الكثير الكثير!

لكن هكذا شأنُ أصحاب المال، دومًا لديهم شُكوكٌ في أهل العلم ورُبّما كان معهُم بعضُ الحقّ.

بقي لي من الأحلام الواقعيّة؛ تكميلُ الكُتُب الآتية:

(1) التّخريجُ النّقديُّ لصحيح الإمام البُخاريّ، بعد أن أنجزنا تحقيقهُ وتخريجهُ العامّ.

(2) التّخريجُ النّقديُّ لصحيح الإمام مُسلم، بعد أن أنجزنا تحقيقهُ وتخريجهُ العامّ.

(3)التّخريجُ النّقديُّ لصحيح الإمام ابن حبّان، بعد أن أنجزنا تحقيقهُ ويحتاجُ إلى تخريج زوائده على الصّحيحين.

(4)مناهجُ المُصنّفين في الجرح والتّعديل (مُجلّدان).

(5)مناهجُ المُصنّفين في الحديث النّبويّ (مُجلّدان).

(6) القُرآنُ الكريم ودعاوي النّسخ فيه (مُجلّدان).

وفي النّيّة كتابةُ أربعة كُتُبٍ أُخرى، تحتاجُ إلى جُهودٍ كبيرةٍ، وتعاوُنٍ، وهي:

(1)ظاهرةُ الانحراف السّياسيّ في القرن الهجريّ الأوّل، وأثرُها على الحياة الفكريّة والسّياسيّة في العالم الإسلاميّ.

(2)إعادةُ صياغة العقل المُسلم في المرجعيّات والمُصطلحات والمصادر والتّاريخ.

(3)ظاهرةُ العُنف في السُّلوك الإسلاميّ المُعاصر - التّوصيفُ والعلاجُ.

(4)مراتبُ الأدلّة النّقليّة وأثرُها في الخلاف والاختلاف.

وهُناك كُتُبٌ وأبحاثٌ أُخرى تقرُبُ من (3000) صفحةٍ، هي شبهُ ناجزةٍ، فُيمكنُ لأولادي وطُلّابي الكُسالى أجمعين أن يُخرجوها بعد وفاتي، إن رأوا فيها ما ينفعُ المُسلمين.

كُلّ هذه المشاريع؛ إنجازُها في حياتي يسيرٌ، إذا وُجد الباحثون المُساعدون الصّادقون المُؤمنون بأنّ لدى الفقير شيئًا يُقدّمهُ.

ووُجد العونُ الماليُّ الّذي يُغطّي رواتبهُم ونفقات العمل.

فإذا لم يتيسّر لنا شيءٌ من هذا؛ فُيمكنُ أن ينشُر أولادي وطُلّابي النّاجزَ من هذه المشاريع وغيرها بعد وفاتي.

كما يُمكنُ لهُم أن يكتبوا في المشاريع الّتي أشرتُ إليها، لكن ينسبونها لأنفسهم، وليس لي؛ لأنّني ربيتُ تلامذتي على استقلال شخصيّاتهم العلميّة، وما أظُنُّهُم بفاعلين شيئًا لأنّ حاجات الدُّنيا رفستهُم بعيدًا عن ساحة العلم الشّرعيّ، واللهُ المُستعان.

ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم.

والحمدُ لله على كُلّ حالٍ.

بين العقلِ الحرِّ والتّبعيّة الفكريّة!

في مجلس من مجالس أهل العلم في مكّة المكرمة، عام (1980) ذكرت أنّ شيخنا عبد الفتاح أبو غدّة (رحمه الله تعالى) يذ هب إلى أنّ الراوي الذي سكت عنه أئمة الجرح والتعديل، فلم يذكروا فيه جرحًا؛ هو ثقة عندهم؛ لأنهم لو علموا فيه جرحًا؛ لذكروه.

فانبرى زميلٌ لنا، وقال: هذا كلام فارغ، الشيخ عبد الفتاح لا يمكن أن يقول هذا الكلام، هو أعلى من ذلك بكثير!

هل تعلم ما معنى كلامك هذا؟

قلت غاضبًا: ما معناه؟

قال: معناه أنّ خمسة آلاف راوٍ مجهول؛ سيصبحون ثقاتٍ!

غضبت أنا طبعًا، وكنتُ حادّ المزاج، فقلت له: يا أخ فلان، أتظن أنني عاجز عن الرد عليك بأي صورة من صور الردّ؟ أنت تكذبني؟

أنا أزيدك فأقول: وبقول الشيخ عبدالفتاح يقول الدكتور أكرم العميّ، والدكتور محمود الطحان، أنا لا أكذب وأتحدّى.

كأنّ الرجل رأى أني غضبت لنفسي أكثر من اللازم؛ فقال لي: أنا لا أكذبك معاذ الله، إنما أستبعدُ هذا الكلام عن الثلاثة.

على كلّ حالٍ يا أخ عداب: هذا بحث مهمٌّ جدّاً، حبّذا لو قمتَ به، وستتوصّل من وراء البحث إلى اليقين عندك، فعندها يَسعك أن تدافع عن رأيك القائم على البحث العلميّ، وليس المنقول عن الآخرين!

لم أنم تلك الليلة، حتى وجدت النصوص المؤيدة لكلامي، عند هؤلاء الثلاثة وغيرهم، وعقب صلاة الفجر في الحرم الشريف؛ زرته في منزله، وأعطيته ورقة نقلتُ فيها أقوال هؤلاء الثلاثة واللكنوي والتهانويّ، ووثقت أرقام الصفحات.

فقرأ الورقة وقال لي: لقد زدتني والله حرصًا على ضرورة القيام بهذا البحث، ولو كان عندي وقتٌ؛ لقمت به، فهو مهمٌّ جدّاً.. وطيّب الرجل خاطري وافترقنا.

لقد قدّرت الكتب التي أحتاجها في هذا البحث؛ فحضّرت منها ما وجدته في مكتبتي، واشتريت من السوق الباقي (وهذا مبدأ عندي، لا أحبّ استعارة كتب العلم ولا تضييع الوقت في المكتبات العامة) إلا للضرورة القصوى.

قبل كتابة البحث؛ كنت مقتنعًا قناعةً تامّة بمذهب شيخي عبدالفتّاح ومن تابعه.

وعقب انتهاء البحث؛ توصّلت إلى أنّ هذا المذهب باطل، وأنّ شيخنا استفاد فكرته من السيّد عبدالحيّ اللكنويّ، ومن الشيخ ظفر التهانويّ، وهدف هذا الطرح؛ هو توثيق المساتير والمجاهيل من رواة أحاديث الأحكام عند الحنفية.

فجهرتُ برأيي هذا، وتركت متابعة شيخي وتقليده، وكثيرون يعرفون ما ذا أصابني بسبب هذه المخالفة، من الإخوان المسلمين، ومن غيرهم!

وفي عام (1974م) التقينا بشيخنا الشهيد مروان رحمه الله تعالى، وطلبنا منه وضع برنامجٍ عملٍ لفكرته الجهادية، وخطّةٍ مرحليّة للدعوة والجهاد.

وبعد أخذٍ وردّ ذكرتُ بعضَه في كتابي (الشهيد مروان حديد ومنهجه في الدعوة والجهاد) وبعد جدالٍ طويل؛ اقتنع الشهيد بضرورة مثل هذه الخطة، واتفقت كلمة الحاضرين على تكليفي بكتابة ذاك البرنامج.

قال لي الشهيد رحمه الله تعالى: مثل هذه الكتابة؛ يجب أن تأخذ بالحسبان تجارب الآخرين، ورموز الثورات المعاصرة، فالحكمة ضالّة المؤمن.

ذهبت إلى المكتبات، واشتريت على مدى أسبوعٍ أكثر من سبعين كتابًا عن الثورات الناجحة والفاشلة، وعن السياسة الدولية المعاصرة، وعن كبار الشخصيات العسكرية والثورية من أمثال (هتلر، روميل، تشرشل، جورج واشنطن، نهرو، تيتو، غاندي، هتلر، موسوليني) وأكثر من عشرين كتابًا من مذكرات القادة العرب، نصفها مذكرات عراقية!

ولم أنس (ستالين، غيفارا، ماو تسي تونغ، القسام، سعيد العاص، فوزي القاوقجي) ورجالات الثورة الفلسطينية.

كان من فضل الله تعالى عليّ في تلك الأيام أنني أستطيع قراءة (300- 400) صفحة في اليوم، وأستطيع أن أتقدم بها في امتحانٍ، وأنجح.

قرأت هذه الكتب، واستخلصت منها خلاصات، ثم صُغت البحث، وكتبته في دفترين صغيرين (دفاتر المدارس) تقرب صفحاتهما من (400) صفحة.

حين شرعتُ في كتابة البحث؛ كنتُ مقتنعًا تمامًا بضرورة مواجهة النظام البعثيّ في سوريا حتى لو لم يبق منا رجلٌ واحدٌ، وكنت على ثقة من النصر؛ حماسةً، وثقةً بشيخي مروان.

وحين انتهيت من كتابة البحث؛ خرجت بنتيجةٍ خلاصتها أنّ مواجهة النظام في مثل ظروفنا (انتحار حقيقيّ، وحرام شرعًا) وسجّلت هذا في البحث طبعًا.

لم يوافق شيخي الشهيد مروان على قراءة البحث من أصله، لكنّ البحث وقع في أيدي الذين اعتقلوه، وحُرمتُ من جهد كبيرٍ، أعتزّ به، لو أنه سَلِمَ لي.

حين لم يوافق شيخي على قراءة البحث؛ اعتذرت عن متابعة العمل معه، وقرّرت في نفسي أنّ الظروف التي تحيط بنا؛ لا تسمح بمثل هذا العمل كلّه.

وإذا كان شيخي حين اعتقل؛ لم يكن يمتلك ليرةً سورية واحدةً، فكيف سيشعل ثورةً على نظام دكتاتوريّ، له جيش قويّ، وأجهزة أمن، وموارد هائلة؟

بعد هذا البحث؛ توصّلت إلى أنّ من المحال نجاحَ ثورة على نظام مجرم كهذا النظام من دون دَرْسٍ عميقٍ في مقاصد الشريعة، ومصالح الأمّة، واعتبار الموازنات الحاكمة التي تأمر قادة الأمة وتنهاهم، وليس لهم معها حولٌ ولا طولٌ!

نظرتُ إلى نفسي، فرأيتها أعجز من ذلك، ورأيت مثلَ هذا العمل؛ لا يوصل إلى أيّ نتيجةٍ مرجوّة، ولذلك كنتُ على طول الخطّ؛ ضدّ بداية الانتحار والدمار!

لكنّ الشباب؛ لم يستمعوا إليّ، والصوت العالي، والصوت المتطرّف في مجتمعنا؛ هو المتغلّب دائمًا.

وبا لأمس واليوم، حين أطرح طرحًا يخالف ما كان عليه واحدٌ من شيوخي؛ ينبري من يقول لي: (وهل كلامك هذا؛ يوافق ما كان عليه شيخك فلان، أو فلانٌ؟).

أقول: كان فلانٌ وفلانٌ وفلانٌ من شيوخي في مرحلة الطَلَب، وسيظلّ فضلهم ملازمًا لي ما حييتُ، لكنّ هذا لا يعني أنني يجب أن أبقى أعيش في ظلّهم إلى آخر العمر، كما لا يعني أنني ما زلتُ في دائرة علومهم التي توفوا عليها، وما زلت دونهم في العلم، ومستوى التفكير؟

أقول: هذا هو الفرق بين العقل العلمي الحرّ، والتبعية الفكرية القاحلة.

والحمد لله رب العالمين.

الحقيقة المرة لابن عثيمين[1]

مرّةً سجن أحدُ السُّفهاء من الكفلاء السُّعوديّين تلميذًا دمشقيًّا لي، أخذ الإقامة فقط لتلقّي العلم وكان قد قرأ عليّ 24 جُزءًا من (القُرآن العظيم).

فلم يُرق الكفيل طلبُ الرّجُل للعلم، فرفع عليه قضيّة تسفيرٍ بدعوى أنّهُ لا يتواجدُ في مكان عمله، وسُجن الرّجُلُ، فاتّصلتُ بالشّيخ (ابن باز)، فقال لي: أنا أكثرتُ عليهم لكن الشّيخ (ابن عُثيمين) لايُردّون لهُ طلبًا!

وطلباتُهُم نادرةٌ، وزوّدني برقم الشّيخ (ابن عُثيمين) وقال: بلّغهُ سلامي، وكان (ابنُ عُثيمين) في (مكّة المُكرّمة).

اتّصلتُ بهوأبلغتُهُ سلام الشّيخ وقُلتُ لهُ: هُو أعطاني رقم هاتفكم.

ثُمّ شرحتُ لهُ قصّة طالب العلم وأمليتُ عليه رقم هاتف كفيله.

وطلبتُ منهُ تأجيل التّسفير أُسبوعًا فقط ليُكمل الطّالبُ (ختمة القُرآن)؟!

فقال لي الشّيخ (ابن عُثيمين):

أقولُ : أولياءُ أُمور هذه البلاد أعرفُ بمن يستحقُّ الإقامة بهذا البلد من غيرهم... مع السّلامة!

هذا هُو (ابنُ عُثيمينكم) عليه من الله ما يستحقُّ!

والحمدُ لله على كُلّ حالٍ!

1- هومحمد بن صالح العثيمين الوهيبي التميمي، من أعلام المتمسلفة الوهابية، ولد ليلة 27 رمضان 1347هـ، وتوفى صباح الأربعاء 15 شوال 1421هـ.

رحم الله زوجتي أم أبيها

(...) (1)

كنت طالبًا أحضر درجة الماجستير.

وكان الدكتور شرف الشريف حفظه المولى، عينني مسافقثعدا له لشؤون قسم الطالبات.

فكانت تصله رسائل من مديرة (عميدة) قسم الطالبات، فيها طلبات إصلاحات كهربائية وصحية وغير ذلك.

وكنت أقوم أنا بشرائها وتوصيلها إلى قسم الطالبات.

ولثقته بي، فلم يكن ينظر في الرسائل الواردة إليه من قسم الطالبات، بل يوجهبوضع الرسائل على مكتبي.

فتحت أحد ظروف الرسائل، فوجدت فيها قصيدة ورسالة.

أما الرسالة ففيها كلمات في منتهى الرقة والتعريض يفهمها حتى الذي لا يفهم.

في الليل كتبت نقدا لقصيدتها، وأنبتها على ما أرسلت إلي، وأعدت إليها الرسالة مختومة.

بعد عدة أيام، جاءنا اتصال من قسم الطالبات.

فوجئت بالدكتور شرف يقول: الهاتف لك شيخ عداب...

أجبت على الهاتف، فإذا هي البنت إياها!

فلم أتجرأ أن أنبس ببنت شفة!

قالت: اليوم ألتقيك عقب صلاة العشاء في الطواف وأنا أختك المسلمة، أريد أن أصارحك بأمر في رفضك إياه ضرر على مستقبلي وعليك!

وأغلقت الهاتف!

(...) (2)

---

(1)، (2) هنا كان لشيخنا الشريف كلام لكن سقط من حفظي، وغن كان في ذاكرتي أشياء منها لكن الفقير يخاف أن يقع في خطأ يؤذي شيخه لذا سيمسك.

كنت في الشوط الخامس أو السادس، وإذا بامرأة محتجبة مختمرة تلبس قفازين في يديها، تقول:

السلام عليكم أخي الشيخ عداب، أنا فلانة التي أحرجتك بمكالمتي.

أنا في حاجة إليك أرجوك، اجلس معي هنا في بيت الله الحرام ربع ساعة، أشرح لك مشكلتي.

قلت لها: يا أختي أنا شاب، وجلوسي معك في الحرم مثار شبهة لي ولك.

هذا شيخي عبد الغفار الدروبي أقدر على مساعدتك مني، أرجوك لا تلفتي نظر الناس إلينا، من لا شئ!

استحلفتني بالله تعالى ، فرضخت مكرهًا.

اعتذرت من الأخ الذي وعدته بأن أوصله إلى سكن طلاب الجامعة، وذهبت معها إلى ساحة المسجد الحرام الخارجية، ووقفنا جانبا.

فخلعت القفازين من يديها ورفعت الغطاء عن وجهها ونظرت إلي وهي تبكي، وقالت:

يا عداب!

إذا كنت مقتولا، فكن خير قاتل وإلا فادركنءي ولما أمزق!

قلت لها: خير ما الأمر؟

قالت: أنا أمامك، وقد جاء إلى أبي فلان المهندس وطلب يدي، وأنا رفضت، رفضت لأنه لا يصلح لي زوج سواك، وا ُكيد أن أصلح لك خادمة، جارية، كما تشاء.

تأثرت أنا بكلامها أيضا، وذرفت عيناي دمعتين ثخينتين!

لكنني تماسكت، وقلت لها: يا أختي اهدئي قليلا فمسألة الزواج ليست بهذه السهولة!

أنا متزوج من بنت خالتي، ولي منها ستة أولاد وأنا شاب طالب فقير، لا أملك من الدنيا سوى سيارتي (...) (1).

---

(1) سقط، والحاصل أنه حدث الزواج وتم التيسير في مسألة الاموال من أسرتها، لكن بعد الزواج لم تصبر – رحمها الله - على احساس أن لها شريكة في زوجها واعترتها غيرة شديدة، لم يكن لها حلاً إلا الطلاق، فإذ بها لا تصبر على ذلك ايضًا حتى أنها لما سمعت الخبر أغمي عليها وسقطت لتوها.

وفي الصباح حملوها إلى البيت، بين الموت والحياة ولم أدعها تراني!
كنت في كل يوم أرى والدها، أبكي ويبكي معي على هذه المسكينة الشاعرة التي ابتليت بشر تقديرها!
مضى رمضان كله، وشوال كله، ولم أرها ولم تراني!
فصرخت على والديها: أريد أن أرى حبيبي عداب!
قالا لها: يا بنتي أنتِ مطلقة ثلاثا.
قالت: حتى لو كنت مطلقة ألف طلقة، أريد أن أراه فقط!
فحضرت إليها ومعي طاقة من الورد، ودخلت عليها وأنا أبكي.
وما أن رأتني حتى صارت تصرخ بأعلى صوتها:
أنا حبيبتك يا عداب!
أنا زوجتك يا عداب!
اتق الله دائما يا عداب!
حتى ا ُكون زوجتك في الجنة.
لم أتمالك نفسي أمام حالتها، فقلت لها: راجعتك إلى عصمتي يا حبيبتي.
ورجعت إليها، وغدوت ألاطفها ا ُكثر، وأمكث عندها مدة أطول.
حتى سلمت روحها إلى بارئها، ليلة عيد الأضحى المبارك، وهي بين يدي!
ولم أحج ذلك العام، من قلقي عليها وحزني لما أصابها بسببي!
فإذا كنت ستتزوجين بشاعر يا ابنتي، فالمحافظة على الشاعر ليست يسيرة! (1)
رحم الله زوجتي أم أبيها مراد، رحمة واسعة.
وغفر الله لنا ذنوبنا ومعاصينا.
ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.
والحمد لله على كل حال.

---

(1) وقد سُئل شيخنا الشريف - حفظه الله -سؤالاً في اختيار الزوج فلعلها كانت مناسبة هذه المقالة وكان هناك رداً مختصر في اولها في اول سقط أشرنا إليه، والله أعلم.

(مع شيخي (عبد الكريم المُدرّس) رضي اللهُ عنهُ؟!)

سألني عددٌ من الإخوة الكرام أن أذكر لهم أبرز ملامح شخصيّة الشّيخ (عبد الكريم بيارهْ) العلميّة.

جميعهم قالوا: (نرغب بصفوة الكلام منك، فقد سئمنا من التراجم المنقبيّة!

فكلّ من يُتوفى يترجمونه على أنّه علم الأعلام، وأنه أتقى الأتقياء.

ولا يخفى عليك أنّ (العراقيّين) يُبالغون في إطراء من يحبّون كثيرًا، تمامًا مثلما يُبالغون في ذمّ من يبغضون).

أقول وأستمدّ السداد والرشاد من الله ربّ العباد:

هو فقيه (شافعيّة) أهل (العراق)، من دون مثنويّة، الشّيخ (أبو مُحمّد عبد الكريم بن مُحمّد بن فاتح بن سُليمان) الكرديّ العراقيّ البياريّ المُدرّس، نسبةً إلى مهنة التّعليم.

وشهرته الكبرى (عبد الكريم بيارَهْ) و(عبد الكريم المُدرّس).

ولد في مدينة (بيارهْ) شماليّ (العراق) في شهر ربيع الأول من شهور سنة (1323هـ) الموافق لشهر أيّار سنة (1905م) وتوفي يومَ الاثنين (27) رجب الحرام من شهور سنة (1426هـ) الموافق (29) آب سنة (2005م) فيكون قد عُمّر (103) سنواتٍ هجريّة، وأشهرًا.

لم تكن صلتي بالشّيخ (عبد الكريم المُدرّس)، رضي اللهُ عنهُ، صلة التلمذة المعهودة لدى طلبة العلم، فقد دخلتُ (العراقَ) ضيفًا على الرّئيس (صدّام حُسين) ولي من العُمر (42) عامًا، وكنت مُجازًا بعددٍ من العُلوم، كما كنتُ مُجازًا بالفُتيا والقضاء.

وقد وضعتُ من قَدْر نفسي، عندما رضيتُ أن أحصل على درجة (الدُّكتوراه) من جامعة (بغداد) في الحقيقة.

إذ لم يكن في أساتذتي يومها أحدٌ يستحقّ أن يكون أُستاذًا لي في تخصُّصي الحديثيّ على الأقلّ؟!

وقد قال الدُّكتور (عرفان عبد المجيد فتّاح)، في أوّل محاضرةٍ ألقاها علينا:

(أنا في الحقيقة أستحيي أن أحاضر في قاعة يجلس فيها أخونا الشيخ عداب الحمش طالبًا، فهو عالم كبير معروف لدى أهل العلم).

وقال الدُّكتور (مُحسن عبد الحميد فتّاح):

(الشيخ عداب زميل عالم فاضل، ومؤلفاته تشهد له ببراعته في تخصصه، لكنّ ظروف بلاده؛ أجبرته على أن يجلس بين أيدنا طالبًا، وهذا من أدبه وتواضعه بلا ريب).

وقال الدُّكتور (حارث الضّاري) الذي نصب لي الخصومة بعدُ:

(الشّيخ عداب وَردةُ دورة الدُّكتوراه هذه)... إلى آخره.

إنّما كانت صلتي بسيّدي الشّيخ (عبد الكريم بيارهْ)؛ صلةَ محبّةٍ وصداقةٍ وصلةٍ ومشورة.

ممّا لا ريب فيه أنّ لمدارس (الأكراد) العراقيّة امتيازًا بارعًا في علوم الآلة، وفي الفقه.

وكان شيخنا المُترجَم فقيهًا شافعيًّا بامتيازٍ، وقد كان مُستمسكًا بنصوص الفقه (الشّافعيّ)، لا يُغادره في دقيق المسائل ولا في جليلها.

وقد كنتُ في مطلع كلّ شهر ميلاديّ أزور سيّدي وجدّي (عبد القادر الجيلانيّ) ثمّ أزوره، ثمّ أزورُ شيخي ومُرشدي الصوفي الوليّ (محمود النعيميّ) رضي اللهُ عنهم.

وكان لشيخنا (عبد الكريم) تلامذة كثيرون من الأكراد ومن العرب، وكنت على معرفة بمساعدته إياهم ماديًّا، فخصّصتُ مبلغًا شهريًّا كنتُ أسلّمه للشّيخ (عبد الكريم) لهذا الغرض، من دون إفصاح.

كان اللّقاء الأوّل في السّابع من رمضان عام (1992م) ولا أذكر الآن التّاريخ الهجريّ .

وكان اللّقاء الأخير في الشّهر الخامس من عام (2002م).

وقد حجبتُ مُساعدتي في (العراق) عن كثيرين، بسبب افتقاري، لكنني لم أحجب المُخصّص للشّيخ (بيارهْ) حتّى مُغادرتي (العراق)!

كنتُ في كلّ شهر أسألُ الشّيخ الجليل سُؤالين أو ثلاثة أسئلة فقط!

وكنت أتحاشى الأسئلة المُثيرةَ له، رضي اللهُ عنهُ.

وكنت أحيانًا أزورُهُ مرّتين أو خمسًا في الشّهر الواحد، على حسب زياراتي لمشهد الشّيخ (عبد القادر).

ذات مرّة أجلسني عند رجليه على سريره، فدخل رجلٌ (بغداديٌّ)، وشكى إليه أنّ زوجته عنيدة، وتراجعه كثيرًا، فحنق عليها وقال لها: (أنت طالق بالثلاث والتسع، والتسعمائة!) فسأله الشّيخ: أكنتَ واعيًا؟

قال السائل: لا، فقدتُ وعيي، وصرت أخربط، وضربتها، وشتمت والديها وعشيرتها؟!

قال له: أعِدْ عليّ ما قلتَه لها، من دون زيادةٍ، ولا نقصان؟!

فأعاد الرجل الكلام بعينه!

فقال له الشيخ: إذا كنت فاقدًا للوعي، فكيف حفظتَ كلامَك الذي قلتَه لزوجتك بتمامه؟

قال السائل: إي والله أحفظه!

قال له الشيخ: زوجتك بانت منك بينونة كبرى، ولم تعد زوجتك!

مُرها أن تعتدَّ، ثم إن شاءت أن تنكح زوجًا غيرك، وإن شاءت صبرت وربّت أولادها، لكن عليك أن تحسن إليها، وتخصص لها نفقة تكفيها، وتكفي أولادك!

السائل العاميّ لم يكن يتصوّر هذه النتيجة المأساويّة، فغادر غرفة الشيخ وهو يبكي.

كان معي واحدٌ من تلامذتي، فهمستُ بإذنه أن اخرج إلى هذا السائل، وقل له لينتظرني قليلًا!

واستأذنت الشيخَ الجليلَ، وقابلتُ الرجل السائل، وكتبتُ له ورقةً بأنّ زوجته على حالها، وأنّه قد وقع عليها طلاق واحدٌ فقط، وأمرته بتسجيل هذا الطلاق في المحكمة، وأعطيته رقم هاتفي ليخبرني بتسجيل الطلاق.

فأخبرني أنهم سجلوه له مباشرة!

عندما رجعت إلى الشّيخ (عبد الكريم)؛ قابلني مباشرة بقوله:

(طلاق الثلاث عندنا يقع ثلاثًا والولد الذي يُولد بعد هكذا طلاقٍ تسلب سيادتُه، إن كان أبوه سيّدًا).

لاريب أنّ الشيخ يتكلّم بلسان الحالِ، لكن لم أجد مُستندًا فقهيًّا لقوله هذا حتى هذا اليوم!

مثل الشّيخ (عبد الكريم بيارهْ) في مقامه الصوفيّ الروحيّ عندنا؛ لا يطلَبُ منه شيءٌ علانيةً، إنما يطلَب في السرّ!

فطلبت منه في سرّي عام (2000م) الإجازةَ العلميّة، لمكانتي عند الشيخ!

فردّعليّ بأسرع من البرق قائلًا: نحن إجازتنا (كرديّة) تقليديّة، الذي يريد إجازة تخولّه بالاجتهاد، والخروج على المذهب ترجيحًا أو تفريعًا؛ فلا تفيده إجازتنا لأنها تُلْزمه بمذهب الإمام (الشّافعيّ).

والتفتَ إليّ، وقال: إجازتك من ابننا (مصطفى) تكفيك، لا تطلب من أحد في (العراق) إجازة غيرها.

يريد أستاذي ومجيزي الدُّكتور (مُصطفى الزّلميّ) رحمهُ اللهُ تعالى.

وفي مرّة أُخرى ذكر في أقلّ من خمس دقائقَ ثلاثةَ أحاديثَ ضعيفةً، فأنكرتُ ذلك بقلبي، فضحك الشّيخ وقال: صحيح في حضرة المحدثينَ؛ لا يجوز لمثلنا أن يحدّث، لكن معلوم لديكم جواز الاستئناس بالضعيف في فضائل الأعمال والمواعظ!

وفي مرّة ثالثة و عاشرة، واحدى بعد المائة؛ جاء إليّ أخ صوفي معتقدٌ بالشيخ وبي، كنيته (أبو حمزة)، وقال لي ما معناه: مكانتك عند الشيخ (عبد الكريم) معروفة فأريد أن نزوره ليدعو لي، عسى الله أن يرزقني أخًا لـ(حمزة).

مسكينة زوجتي تقطع قلبُها والله، تحمل وتصبر ستة أشهر، أو سبعة أشهر وربما أكثر، ثمّ تجهَض، مات لي أكثر من خمسة أولاد على هذه الحال!

زرنا سيّدي (عبد القادر)، ثم زرنا سيّدي (عبد الكريم بيارهْ)، وجلسنا ننتظر الإشارة!

فحكى لنا قصةً طويلةً عن رجل (كرديّ) تزوّج أوّل مرة، وثاني مرة، ورابع مرة من أجل أن يرزقه الله بأولاد يملؤون عليه بيته، فلم يرزقه الله من أربع نسوة إلا بنتًا واحدةً!

ثم التفت إليّ وقال: يعني ليحمد الإنسان الله على ما أعطى قليلًا، كان أم كثيرًا، هو يعطي متى أراد، ويمنع إذا أراد!

قال (أبو حمزة): استُلِمتْ، خلّنا نستأذن الشيخ وننصرف.

علوم الشيخ: إذا قلنا: إنّ الشيخ عالم بالنحو والصرف والبلاغة والوضع والاشتقاق والمنطق وعلم الكلام والأصول والفقه والتفسير والسيرة؛ فكله صحيح.

وهو طبعيّ؛ لأنّ شيخنا رضي الله عنه مُجازٌ بالمعقول والمنقول، ويُجيز أهلَ العلم بالمعقول والمنقول، ولا يمكن لعالم يخاف الله تعالى أن يجيز بالمعقول والمنقول لمن لم يتحقّق من تلك العلوم.

وقكان شيخنا مُتحقّقًا من هذه العلوم، وقد علّمها أكثر من سبعين عامًا.

وقد قرأت عددًا من كتبه، وطالعت عددًا آخر، فوجدتُ الشيخَ (تقليديّ) في جميع كتاباته، مثلما هو مقلّد في جميع دروسه.

ولم أقف له في حدود ما قرأتُ على شيء اجتهدَ فيه، أو رجّح ترجيحًا غير مسبوقٍ إليه.

لكنني أشهد بأنني ما سمعته نطق بكلمة نابية طيلةَ عشر سنواتٍ عاصرتُه فيها.

وأشهد بأنه من أصحاب الكشف الباطنيّ الربانيّ، ولهذا كنت أطهّر قلبي وأكثر من الاستغفار والتوبةِ قبلَ دخولي إليه!

فلم يُعرف عن شيخنا (عبد الكريم) مُطلقًا أنّه كان من المتصوفة الذين يتعاملون مع الجنّ، ويستجوبون القرينَ، ثم يضحكون على تلامذتهم بأنهم من أهل (الكشف، والفتح!).

جميع المسائل العلمية التي راجعتُه فيها، يمكن لمثلي أن يقرأها في يوم واحد أو يومين، وجميعها كانت من قبيل (المذاكرة)!

لكنّ فوائدي الروحيّة الباطنيّة من جلوسي بين يديه أعظم أثرًا عليّ بما لا يقاس!

وممّا يؤخذ على الشيخ: اهتمامه المبالغ به بالأكراد، ماديًّا ومعنويًّا، وإظهار اهتمامٍ وحبّ.

فربما دخلت عليه، وراح يحاورني، فيدخل (كرديّ) من عوامّ (الأكراد)، ومنهم لا يظهر عليه سيما أهل العلم أو الدين، فيقطع حديثه معي ومع غيري، وينصرف بكلّيّته إلى ذلك (الكرديّ)، وقد يستغرق انصرافه عنا ساعة.

وهذه سمة عامّة لدى (أكراد العراق)، حتى السادةُ من أهل البيت الناشؤون في الجبل، هذه حالهم وللأسف!

والأمر الآخر الذي كان يضايقني من فتاوى شيخنا: هو فتاواه المذهبيّة الحديّة، فلم أره مرّةً واحدةً انتقل إلى مذهب آخر، كما لم أره مرّةً واحدةً أخذَ بغير الراجح في المذهب!

أختم بقول شيخي (محمود النّعيميّ): أنت يا شيخ (فيصل) مؤدب وثابت!

قلت له: كيف؟

قال: تزور سيّدنا الشّيخ (عبد القادر) أوّلًا، وهو سيّد هذا المشهد.

ثمّ تزور سيّدنا الشّيخ (عبد الكريم)، وهو سيّد هذا المشهد من الأحياء.

ثمّ تزور (محمود النّعيميّ) خادم الأولياء والعلماء.

رضي الله عن ساداتنا الرّبانيّين: (عبد القادر) و(عبد الكريم) و(محمود)، ونفعنا بحُبّهم وصلاحهم.

والحمدُ لله ربّ العالمين.

هدية بمناسبة ذكرى الميلاد الميمون للشّيخ (الكَسنْزانيّ) الحُسينيّ القادريّ!

ليلة هذا الصّباح المبارك (14/04/2014م) كانت ذكرى ميلاد شيخنا السّيّد (مُحمّد بن عبد الكريم الكَسنْزانيّ) البرزنجيّ الحُسينيّ، السّابع والسّبعين حفظهُ المولى تعالى وبارك في عُمره!

اتّصل بي ولدُهُ الشّيخ (مُحمّد نهرو) (أبو تيجان) وأخبرني الخبر مُتأخّرًا جدًّا.

ذهبتُ إلى مجلس الشّيخ في محلّة (عبدون) من (عمّان الأُردُنّ)، بعد انقطاع سنواتٍ عن زيارته غفر اللهُ تعالى لي، وإذا بجمعٍ غفيرٍ من إخوان الشّيخ وأحبابه.

ولا يخفى أنّ (أهل الله تعالى) يستذكرون مثل هذه الذّكرى بتسبيح الله تعالى وتحميده وتمجيده.

وبعد انتهاء أداء فعّاليّات (الطّريقة الكَسنْزانيّة)؛ أهداني الشّيخ ثلاث هدايا ثمينة:

الأولى: دعا لي دعاءً حارًّا، شعر جميعُ من سمعهُ بصدقه، ورجاء استجابته من الله تعالى.

والهديّة الثّانية: (موسوعة الكَسنْزان فيما اصطلح عليه أهل التّصوُّف والعرفان) في (22) مُجلدًا من القطع الكبير (وسأُعرّفُ بهذه الموسوعة في حلقةٍ مُفردةٍ إن شاء اللهُ تعالى).

والهديّة الثّالثة: أعطاني وردًا مُباركًا وجيزًا عظيمًا، قال لي: هذا شفاءٌ من كُلّ مرضٍ وداءٍ بإذن الله تعالى، وهُو مُجرّبٌ، وهُو (لا إله إلّا الله مُحمّدٌ رسولُ الله، صلّى اللهُ تعالى عليه وسلّم) (150) ألف مرّةٍ.

شرعتُ في الورد مُنذُ استقلّيتُ سيّارتي على باب بيته، وحتّى نمتُ.

وبعد صلاة الفجر؛ قرأتُ حزبي الوجيز من (القُرآن الكريم)، ثُمّ ذكرتُ الله بهذا الورد (300) مرّةٍ فقط، فأخذت منّي من الوقت (26) دقيقة، فكم من الأيّام والسّاعات يحتاجُ هذا الورد الكَسنْزانيّ (ورد العزائم؟) لكن (ومن يخطُب الحسناء؛ لم يغله المهرُ!).

رضي اللهُ عن ساداتنا (الكَسنْزان)، وعن ساداتنا (القادريّة)، وعن ساداتنا (أهل الطّريق إلى الله تعالى) أجمعين، ونفعنا ببركاتهم وإرشاداتهم وأنفاسهم.

وعلى هامش هذا الحفل الجليل المهيب؛ تحدّث معي أحد السّادة (البرزنجيّة) فأخبرني أنّهُ يُعدُّ بحثًا للتّفرقة بين (بابا عليّ الهمذانيّ الكبير) جدُّهم، وبين السّيّد (عليّ الهمذانيّ الرّوذباريّ) جدُّنا في سلسلة النّسب، وقال لي: من الثّابت تاريخيًّا أنّ جدَّكم السّيّد أبا يعقوب (يوسف) بن (أيّوب) بن (حُسين) بن (وهرة) {والوهرة الأسد} هُو أبو (الطُّرق الصّوفيّة) كلّها، وهُو شيخُ السّيّد (عبد القادر الجيلانيّ)، وهُو الّذي أذن لهُ بالطّريق، وبشّرهُ بالولاية... وكان جدُّنا هذا -رضي اللهُ عنهُ- من أهل النّور والكشف؛ تُراجع ترجمتُهُ في (سير أعلام النُّبلاء) للذّهبيّ، فقد ذكر بعضًا من كشوفاته العجيبة.

ولا زال الكشفُ في ذُرّيته المُباركة حتّى أيّامنا هذه.

وبهذه المُناسبة أذكُرُ لسيّدي الوالد (الأُمّيّ) رضي اللهُ تعالى عنهُ ورحمهُ كشفًا مُرعبًا هائلًا!

ففي عام (1999م) خرجتُ من (العراق)، وقد اقترضتُ أُجرة الطّريق من حبيبي وتلميذي الدُّكتور (عمر الأيوبي)، وحين وصلتُ إلى (عمّان)؛ اتّصلتُ بسيّدي الوالد وقُلتُ لهُ: لا أملكُ ثمن رغيف خُبزٍ!

فجاء إليّ من (حماة) في اليوم التّالي ومعهُ (4000) دولار، وصل والدي ليلًا إلى منزل الشّيخ (محمد سعيد حوى) في (عبدون)، وكنتُ أنا مُعتكفًا في (جامع الأوّابين)، فلم يشأ الشّيخ (مُعاذ) أن يقطع عليّ اعتكافي؛ لأنّ الوالد وصل مُرهقًا، ونام مُباشرةً.

وعقب صلاة الفجر زُرتُ الوالد في (عبدون)، فبعد أن عانقني قال: اسمع يا (عداب):

هذا البيت الّذي تسكنُهُ ليس (أُغرًا عليك) يعني ليس فألُهُ حسنًا، تخرُجُ منهُ فورًا وهذا المالُ بين يديك لاستئجار بيتٍ عاجلًا.

ثُمّ قال: وعودةٌ إلى (العراق) ما في (يعني: لا أسمحُ).

وسفرٌ إلى (أمريكا) ما في!

إن وجدت عملًا هُنا في (عمّان)؛ فبها ونعمت، وإن لم تجد عملًا؛ تعيشُ على ما أُرسلُهُ إليك، قليلًا كان أم كثيرًا.

وبعد ثلاث ساعاتٍ؛ غادر (عمّان) إلى (سوريا).

بحثتُ عن بيتٍ، فلم أجد، فقُلتُ: لا حاجة إلى العجلة؛ فأختارُ بيتًا بهُدوءٍ!

ففي مساء اليوم الثّالث؛ وقع ولدي (سعيد) من على سور المسجد؛ فتهشّم أنفُهُ وكسرت يدُهُ ثلاثة كسورٍ؛ وضعوا لهُ فيها (أسياخ حديد) شُهورًا مُتطاولةً، وكانت الدّفعةُ الأولى من العلاج (505) دنانير.

وفي بداية العام الدّراسيّ؛ ألزمتُ زوجتي (أُمّ سعيد) أن تُسافر إلى (العراق) ليدرُس الأولادُ هُناك لأنّني لا أستطيعُ على مصروف (الأُردُنّ)...

وصلتُ العراق في (2000/10/3م) وفي (2000/10/20م) استُشهد ولدي (الحُسين)، عبث بمُسدّسي، فقتل نفسهُ.

وكنتُ قد اتّفقتُ اتّفاقًا مبدئيًّا مع أحد (المراكز الإسلاميّة) في (أمريكا)، فرفضتُهُ.

والآن يُلحُّ أحدُ الأحباب عليّ في السّفر إلى (أمريكا)، فأرفُضُ رفضًا قاطعًا.

رضي اللهُ عن ساداتنا (آل بيت الرّسول صلّى اللهُ عليه وآله وسلّم).

والحمدُ لله على كُلّ حالٍ!

علاقةُ السّيـّد السّيستانيّ بريطانيا ؟

صرّح (بول بريمر) في تسجيلٍ صوتيٍّ عن علاقته الوطيدة مع السّيـّد عليّ السّيستانيّ، وقال: رأى السّيـّد السّيستانيّ أنّ لا يتّصل به أحدٌ، فاحترمنا رأيه!

وقال: كان بيني وبين السّيستانيّ (48-49) رسالة عبر وُسطاء!

وصرّح (بريمر) بأنّهُ يُكنُّ كلّ احترامٍ للسّيستانيّ، ويعترفُ بأنّهُ ساعدهُ كثيرًا في فترة حُكمه للعراق!

أمّا (دونالد رامسفيلد) وزيرُ الدّفاع الأمريكيّ فيقولُ:

دفعنا للسّيستانيّ (200) مليون دولار، ليُصدر فتوى بتحريم قتال الأمريكان في مارس (2003م).

ومُنذُ يومين نشرت صحيفةُ (أخبار الخليج) البحرينيـّة نقلًا عن صحيفةٍ روسيـّةٍ

أنّ الرّئيس (ترامب) يُطالبُ بريطانيا بإنهاء خدمة السّيستانيّ في العراق، والعبـّاديّ يُعبّرُ عن قلقه، ويعتبرُ ذلك مسألةً خطيرةً!

قرأتُ رُدود الإعلام العراقيّ المُتشنّجة على هذا الكلام، والمُهُّم عندي هُو تكذيبُ (ترامب) لهذا الكلام، لماذا ؟

جميعُ قُرّائي يعلمون أنّني كنتُ أعتزُّ وأقولُ:

السّيـّدُ السّيستانيُّ شيخي، والسّيـّد مُحمّد الحكيم شيخي، والسّيـّد مُحمّد مهديّ الخرسان شيخي ومُجيزي.

لكنْ ممّا لم أقُلْهُ من قبلُ أنّني في إحدى مجالسي مع السّيـّد السّيستانيّ؛ قال لي :

افرض أنّني كافرٌ في نظرك، وأنت كافرٌ في نظري، لا سمح الله!

لكن حُكومات أهل السُّنـّة السُّعوديّة وغيرها بينها وبين الكفّار الأصليـّين علاقاتٌ، وكثيرٌ من حُكومات الدُّول العربيـّة بينها وبين اليهود علاقاتٌ، سريـّةٌ أو علنيـّةٌ.

أفلا يسعُنا نحنُ التّعايُش السّلميّ فيما بيننا ؟

أنت تقبلُ بي كما أنا، وأنا أقبلُ بك كما أنت، مع مُراعاة خُصوصيـّات كلّ مذهبٍ!

في هذه الأثناء؛ قال أحدُ الحاضرين مجلس السّيستانيّ:

أنتُم تقولون عنّا كفرةً، من دون لِفٍّ ولا دورانٍ، شيخ عداب!

فما دُمنا كفرةً، فغدًا سنتحالفُ مع الكفرة أمثالنا ضدّكم، ونُسقط حُكومة العراق وغير العراق أيضًا.

أليس هذا أكرَمَ لنا من أن نظلّ تحت سُلطانكم، وأنتُم تُهينوننا وتُذلّوننا؟

وعقب خُروجنا من منزل السّيّد السّيستانيّ قال لي أحدُ الحاضرين:

(والله والله لو مات صدّام حُسين؛ لا نقبلُ بحاكمٍ سُنّيّ، حتّى لو أفنينا أهل السُّنّة عن آخرهم).

ضحكتُ وقُلتُ لهُ: ولم لا تثورون على صدّام حُسين؟

قال: صدّامُ حُسين قَدَرُنا!

لكن الله كريمٌ.

سأُذكّرك يومًا بهذا الكلام يا شيخ عداب!

اتّصلتُ اليوم بأحد تلامذة السّيستانيّ وزُوّاره، فسألتُهُ عن هذه الاتّهامات؟

فقال: والله يا شيخنا، لم يعُد عندي ثقة بواحدٍ من هؤُلاء المراجع، وعلاقتهم مع بريطانيا ليست مُنذُ أمس، إنّما هي قديمةٌ مُنذُ الاحتلال البريطانيّ للعراق!

لو أراد السّيّدُ السّيستانيُّ؛ يتغيّرُ حالُ العراق بساعتين، كُلُّ هذه المصائب تجري وهُو صامتٌ!

لم أنت صامتٌ يا أخي، لم تسكتُ على الظُّلم والنّهب وتُدخل إيران وغير إيران بشأن العراق؟

أقولُ: سننتظرُ لنرى موقف (ترامب) فقد يكونُ الخبرُ صحيحًا وقد يكونُ كاذبًا.

أمّا أنا فأقولُ: لا أستغربُ هذا الشّيء أبدًا، فهاهُم عُلماءُ أهل السُّنّة من الشّيخ القرضاويّ فما دون؛ يتوسّلون لأمريكا لتُخلّصهُم من بشّار الأسد!

إذًا لدينا قابليّةٌ للعمالة، ولدينا قابليّةٌ للاستعمار، (وما حدا أحسن من حدا)!

وعند عداب الحمش تحديدًا:

العمالةُ للسُّعوديّة أو لأيّ دولةٍ أُخرى؛ هي عمالةٌ لأمريكا، فالنّظامُ السُّعوديُّ يحكُمُ إحدى الولايات الأمريكيّة عند التّحقيق، وبقيّةُ حُكّام الخليج يحكمون مُقاطعاتٍ في إحدى الولايات المُتّحدة!

واللهُ تعالى أعلمُ.

والحمدُ لله على كُلّ حالٍ.

مع شيخي الدكتور إبراهيم عبد الرحمن خليفة رضي الله عنه!

نَعَتْ إدارة جامعة الأزهر شيخنا الأستاذ الدكتور إبراهيم عبد الرحمن خليفة بتاريخ (27/ 6/ 2013م)، فقالت: (ينعي الأزهر الشريف العالم الأزهري الكبير أ.د. إبراهيم عبد الرحمن خليفة، صاحب الكتب والأبحاث المتخصصّة في التفسير وعلوم القرآن، والتي تمتاز بالأصالة والجدة والابتكار.

ويُعَدّ بحق خاتمة المفسرين بمصر والعالم الإسلامي.

رحم الله الشيخ رحمة واسعةً، وأسكنه فسيح جناته).

الشيخ إبراهيم خليفة في نظري الخاصّ؛ أكبر شخصيّة علميّة عرفتُها في حياتي، فهو بحقّ السابق الرّمّاح!

والفارق بينه وبين المصلّي الثاني كبيرٌ جدّاً.

وإنّ أبرز صفاتِ شيخنا الجليل الشخصيّة، رحمه الله تعالى؛ ذاك الإباءُ والشمم السامي المهذّب!

وتلك الشخصيّة القويّة المهابة من أقرانه، قبل تلامذته!

وذاك الصدع بالحقّ، مهما كلّف من مقابل!

ولعلّ أبرز صفاتِ شيخنا الكبير العلميّة؛ الموسوعيّة العلمية الشموليّة المتخصّصة.

لم يكن شيخنا محدّثًا، ولم يكن شاعراً، ولم يكن مقرئًا.

وكان إمامًا فيما سوى ذلك من علوم عقليّة ونقليّة!

فهو إمام في جميع علوم العربيّة: الوضع والنحت والاشتقاق والنحو والصرف والبلاغة وفقه اللغة، وكان له في نقد الشعر حسّ بديعٌ سام!

وهو إمام في العقائد وعلم الكلام والفلسفة والمنطق، حين قرأت عليه (مواقف) الإيجي؛ كنت أحسّ بأنه أعلم من الإيجيّ بمراحل!

وكان يناقش مواقفه لقفًا معه، بلغة الندّ المتفوّق، وللأمانة، كنت لا أفهم كثيراً مما يقول، لكنني لم أكن أستوقفه؛ لأستمتع بعذوبة شرحه ونقده ونقضه!

قرأت عليه السلّم المنورق، وشرحه لخالد الأزهريّ، فما خرجنا منه، إلا قال لي: لست بحاجة إلى قراءة شيء من علم المنطق بعده!

كنت مغرمًا بكتاب (في ظلال القرآن) ولم يكن يعجبه أبداً، وكان يقول لي: هذا كتاب للمثقفين، بل لأنصاف المثقفين!

وكان يثني كثيراً على تفسير الألوسي، ولم أسمعه مرّة ابتدأ بذكر تفسير قبله!

وكان يعجبه تفسير (الكشاف) وتفسير (أبو السعود) وتفسير البيضاوي.

وقد أملى عليّ تقويمًا لعشرة تفاسير، كان يراها هي كتب التفسير الحقيقيّة!

كان لا يعجبه تفسير (سيد قطب) وكان ينصح بتفسير (الجلالين)!

قال له أحد الطلاب مرةً: بتفسير الجلالين تنصحنا يا مولانا، دهْ تفسير للعوام!؟

فغضب الشيخ إبراهيم وقال: بيقينٍ أنت لم تفتح تفسير الجلالين، وإذا كنت تفهم تفسير الجلالين وتشرح صفحة منه بعد المقدمة؛ فأنا سأشهد لك أنك مفسّر!

كانت وجهة التعليم في السعوديّة أثريّة كما هو معلوم، فقال لي: يا عداب أنت مشهودٌ لك في علم الحديث، وأنا أريد أن أتتلمذ عليك فيه، مثلما أنت تتلمذ عليّ في البلاغة والفلسفة وعلم الكلام والتفسير.

قلت له: بل أنا والله أتتلمذ عليك في الحديث وعلومه، فأنت تفهم من الكتاب أضعافَ ما أفهمه أنا!

قال: بم نبدأ في نظرك؟

قلت: أسمع منك سيدي!

قال: نبدأ بقراءة نخبة الفكر، فنستعيد حفظها، إذ سبق لي أن حفظتها في الابتدائيّ، لكن مضى زمان طويل!

ثمّ نقرأ النزهة، مع بعض الحواشي.

ثم نقرأ علوم الحديث لابن الصلاح.

ثم نقرأ التقييد والايضاح للعراقي.

ونختم بكتاب نكت الحافظ ابن حجر.

وهذا يكفي!

قرأت له النخبة، فشرحها لي في مجلس، وقرأت له النزهة، وشرحها لي في سبعة مجالس، في أسبوع واحد!

إذ كان أوقف جميع الدروس الأربعة التي كان يعطيني إياها في الأسبوع!

استوقفته عند قول ابن حجر: إنّ المتواتر ليس من علوم الحديث، فشرح لي ذلك المقطع شرحًا مستفيضًا، ووصل فيه إلى أنّ علوم الشرع لا يصلح فيها إلا عدالةُ الرواة!

لأنّ التواتر العام يتداخل مع الإشاعة، ومع شهادة التسامع، ومع توجيه الحاكم ومراسيمه.

فإذا لم تكن الأسانيد هي الحاكمة في الأمور الشرعيّة؛ فسيعود الشكّ على كلّ مزعوم التواتر (الكلام بالمعنى).

كان يطالبني رحمه الله تعالى أن أخرّج الأحاديث، وأن أترجم للرواة الذين يذكرهم ابن حجر في تضاعيف (نزهة النظر) وكنت أفعل ذلك في كرّاس خاصّ بمادّة علوم الحديث.

وقد تحصّل لديّ صفحات كثيرة تصلح أن تكون شرحًا للشيخ إبراهيم على نزهة النظر.

لكنّ هذا الكرّاس، وسائر ما كتبته عن الشيخ رحمه الله تعالى، وغيره ؛ فُقد في (جمرك عمّان) حيث كان الإهمال يضرب أطنابه، وللأسف!

لكنّ المنهج الذي قرأتُ النزهة عليه؛ أعدت كتابته على النزهة، وأودعته خلاصة تجربتي الحديثيّة، بمعزلٍ عن موافقتي لما علمتُه من آراء الشيخ رحمه الله تعالى في بعض المسائل، أو مخالفتي إياه.

عقب انتهائنا من قراءة نزهة النظر؛ قال: أرى أن نتوقّف الآن قليلاً عن متابعة ما كنا نويناه؛ لنقرأ كتابًا جامعًا في الحديث، فما تقترح ؟!

قلت: أسمع من فضيلتكم.

قال: هل نقرأ شرح السنّة للبغويّ، فهو من أجمع كتب أحاديث الأحكام؟

قلت له: أتسمح لي بالكلام سيّدي؟

قال: طبعًا نحن نتشاور!

قلت: أمرني سيدي محمد الحافظ التجاني رحمه الله تعالى أن أحفظ كتاب (جمع الفوائد من جامع الأصول ومجمع الزوائد) للشيخ محمد سليمان المغربي.

قال: وحفظتَه؟

قلت: لا لم أحفظ منه سوى ألف حديث تقريبًا، لكن أرى أن نقرأ (جامع الأصول لابن الأثير الجزري) سيدي!

قال: لم هذا؟

قلت: جامع الأصول يجمع صحيح البخاري ومسلم وسنن أبي داود

والنسائيّ وجامع الترمذيّ وموطّأ مالك.

وهذه بالتأكيد أصحّ بكثير مما في مجمع الزوائد، الذي أودع الشيخ المغربيّ خلاصته في جمع الفوائد.

قال: كلام طيّب، يحفظ الإنسان الأحاديث الصحيحة والحسنة؛ خير من أن يحفظ ما يحتاج إلى بحث طويل، ليس لدينا وقتٌ له.

كلفني فاشتريت له نسخة من جامع الأصول، بتحقيق الشيخ عبدالقادر الأرناؤوط، رحمه الله تعالى.

وشرعنا في قراءة المقدمة التي راقتْ له كثيراً، وشرح لي بعضَ غوامضها.

لكنّه امتعض من عدّ الكليني والشريف المرتضى في المجددين!

قرأت عليه المجلّد الأوّل فقط، وكانت قراءتي عليه بتكرار الحديث الواحد ثلاث مرّات، وكان هو يعاود قراءته للمرة الرابعة.

فإذا كان الحديث طويلاً؛ أمرني فقطعته إلى فقرات، ثم قرأتُ عليه كلّ فقرة ثلاث مرّاتٍ!

في تلك الفترة، كان قد وظّف رجلاً ليساعده في التنقّل والقراءة، فقال لي:

أنت لست في حاجة إلى تضييع وقتك في كتابٍ قرأته من سابق، وعرف ما هو أكثر منه بكثير، سيقرأ عليّ فلان، ولنرجع معًا إلى دروسنا.

أخذتُ عليه من موادّ التفسير وعلوم القرآن في مرحلة (البكالوريوس) أكثرَها، وكان يقول لي: أنا أقرأ ورقتك لأستمتع بها، لا لتصويبها!

بعد تعييني أستاذاً محاضراً في كليّة التربية بالطائف، عام (1407 هـ) طلب مني أن أحقّق معه كتابًا في عقائد الأشاعرة، قال لي: إنه أعظم كتاب في المذهب [وقد نسيت اسمه] فوعدته أن أقوم معه بذلك.

لكنه ترك السعودية بعدها، وانتقل إلى القاهرة، ثم إلى بلد آخر، وانقطعت صلتي به الظاهرة معه، رحمه الله تعالى.

في علم (2007م) زرتُه في بيته بالقاهرة، وطلبت منه أن يشرف على قسم علوم القرآن في مؤسسة (اقرأ) الخيريّة، التي كان الشيخ صالح كامل بصدد تأسيسها، فاشترط عدداً من الشروط التي تناسبه؛ فلم يجبني عليها الشيخ صالح كامل بشيء!

في تلك الأثناء؛ طلبت منه إجازةً في التفسير وعلوم القرآن!

فتبسّم وقال: أنت يا شيخ عداب أهل لكلّ خير، لكن إجازة التفسير عند إبراهيم خليفة؛ مثل إجازة الحديث عند الشيخ عداب، لها شروطها ومتطلباتها.

قلت له: ما شروطها؟

قال: تداوم عندي سنةً كاملة اثني عشر شهراً، ألقاك أربع مراتٍ في الأسبوع، في كلّ لقاءٍ ساعتين على الأقل!

ومن شروطها أيضًا خمسة آلاف جنيه في الشهر، فأنت تعلم حاجتي الماسّة للمال، فأسرتي كبيرة، ولم أزوّج من بناتي أيّ واحدة لهذا السبب!

قلت له وما المتطلّبات؟

قال: تسمعني القرآن الكريم كاملاً في أسبوعين، تقرأ عليّ جزأين في كلّ لقاء.

ثمّ نقرأ كتبي في علوم القرآن والتفسير.

ونقرأ منهاج الوصول للبيضاوي، وقواعد الحصني والموافقات للشاطبيّ وأشياء أخرى.

وأنت لا تحتاج إلى دراسة النحو والصرف، فأنت فيهما جيّد، وسبق أن قرأت عليّ رسالة الوضع، والاشتقاق، وفقه اللغة، فمتطلباتك أيسر من غيرك!

ثم نجري لك امتحانًا شاملاً، وبعدها نمنحك الإجازة إن شاء الله تعالى.

ذكّرته بما كان يقوله لي، وما كان يثني به عليّ، ومن ذلك قوله: أنا أقرأ ورقتك لأستمتع بها، لا لتصويبها!

فقال لي: لا شكّ في أنني لم أدرّس طالبًا مثلك، لكنْ كلامي هذا لك عندما كنتَ طالبًا.

أما الآن، فأنت أستاذ مشارك في الحديث وعلومه، كما قلت لي، وتطمح أن تصبح من أهل التفسير، فسنةٌ ليست كثيرةً يا شيخ عداب!

وعدتُه أن أردّ عليه خبرَ موافقتي قريبًا، لكن حالت ظروف انتقال عملي إلى عمّان دون القيام بمتطلبات الإجازة.

ويشهد الله لو أنني حصلت منه على إجازةٍ في التفسير؛ لكانت أحبّ إليّ من شهاداتي كلّها!

إنّ تأريخ سنواتٍ عديدة قضيتها في التلمذة عليه؛ تحتاج إلى كتاب يزيد على (500) صفحة، من أين آتي بالوقت لكتابتها؟

رحمه الله تعالى، ورضي عنه.

وإنا لله وإنا إليه راجعون

والحمد لله على كلّ حال.

خيرُ الكلام ما قلّ ودلّ!

(وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ)!؟

ما أجمل الإسلام ؟!

ما أطهر الإسلام ؟

ما أعفّ الإسلام ؟

ما أنبل المسلمة الصابَرة!؟

عقب إجراء عمليّة السرطان في المشفى الإسلاميّ بعمان الأردن عام 2011م.

مللت من سرير المرض، فخرجت في الليلِ أتمشّى في ردهة جناح الجراحة!

لمحتها، فغضضت بصري، ثم اختلست نظرة اخرى غصب عني، وأستغفر الله العظيم، فرأيتها واجمة تنظر إليّ بدهشة ولهفة، ثم انطلقت نحوي قائلةً: عداب!

ما لك يا عداب ؟ ما عهدتك إلا بطلًا قويًّا، ما بك يا أخي!

أطرقت إلى الأرض، وقلت لها: أنت ما بك ؟

قالت: ما أنا، ومن أنا، مهما كان بي، المهّم عداب، قل لي: ألف سلامة عليك، ما بك ؟

أجبتها باختصار، فأجهشَتْ في بكاءٍ مرير، وقالت: أين زوجتك، أين بناتك ؟

حسبي الله ونعم الوكيل!

فديتك بنفسي وأولادي وما أملك، أهكذا صار حال عداب ؟

قلت لها: أقلّي اللوم على نفسك يا أختاه، هكذا هي الأقدار، أنا بخير، والحمد لله رب العالمين

جلسَتْ على مقعد في ردهة الجناح، وراحت تبكي في انتحاب.

تركتها والدموع تملأ عينيّ، ودخلت إلى غرفتي، متأثّرًا بهذا الموقف الحزين!

بعدساعتين تقريبًا؛ ضاق صدري، فخرجت من غرفتي ثانية، فإذا هي في موضعها تبكي!

وقفتْ حين رأتني، وقالت: لولا أن الإسلام حدّ بيننا حدودًا؛ لخدمتك بجفون عينيّ!

أنت رفضتني زوجةً، وقلت لي يومها: أنت أختي، وظللتُ أعيش أربعين سنةً على صدى هذه الكلمة، الحمد لله على نعمة الإسلام، الحمد لله يا أخي!

هل تدرون مَن تلك المرأة النبيلة؟

زميلتي الدمشقيّة، في كلية الشريعة بجامعة دمشق، طَلَبتْ هي من والدها أن يخطبها لي فاعتذرتُ أنا مستغربًا ومقدّرًا، ثمّ ندمت (ولات حين مندم).

أسألُ الله تعالى أن لا يحاسبنا على مشاعرنا، ولا على حنيننا، ولا على أمانيّ النفوس!

(لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير) (سورةُ البقرة: الآية 284).

كم تخيفني هذه الآية الكريمة، لم يقنعني كلام المفسرين بنسخها، ولا بتأويلها، ولا بالحديث المخصص لها.

وعزائي وعزاء أمثالي من أصحاب القلوب الضعيفة؛ أنّ حديث النفس من اللمم، وعلاجه العفاف والاستغفار!

(لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِين) (سورةُ البقرة: الآية 286).

والحمدُ لله ربّ العالمين.

قطوف من الالام: هل كنت عميلاً للسعودية؟!

كتب الي أحد الاخوة السعوديين يقول: (لقد عاصرتك في مكة المكرمة سبع سنوات تقريبًا، وحضرت لك مجالس متعددة، بعضها مع السلفيين، وبعضها مع الصوفية، ورايتك اكثر من مرة في مجلس السيد (محمد علوي المالكي) ورأيتك أكثر من مرة في مجلس الشيخ (محمد نور سيف) الصوفي، ورأيتك عدة مرات في مجلس الشيخ الفاداني.

وفي جميع مجالسك التي شاهدتك فيها، كنت جريئًا، تنتقد هذا وذاك، بل وتنتقد حتى الشيخ ابن باز الذي هو شيخك! فكنا نحذر منك، ونتصور أنك كنت على صلة مع الحكومة السعودية، ولولا ذلك، ما كنت تجرات بهذا الشكل.

ومقالك هذا في لقائك مع الأمير ماجد، رسخ عندي هذا التصور، وثبت لدي انك كنت عميلاً للأجهزة الأمنية السعودية، ثم انقلبت عليهم.

فهل تشرح لنا هذه الصلة، ما دامت صارت من الماضي، باعتبارها مرحلة مهمة من مراحل حياتك؟).

أقول وبالله التوفيق:

شهد الله، وملائكته المقربون، والملكان الموكلان علي، انني ما ارتبطت بأي جهاز امني، او سياسي، أو استخباراتي، او عسكري لأي دولة من الدول، ولا لأي حكومة من الحكومات، منذ ان خلقني الله تبارك وتعالى وحتى هذه اللحظة التي نعيشها معا. (1)

...(2).

---

(1) وكانت هذه المقالة بتاريخ 6 يوليو 2016م، الموافق 1 شوال 1437هـ.

(2)هنا سقط.

بل ليسألوا دار الحديث التي درست فيها أربع سنوات شيوخًا وطلابًا، هل كانوا صابرين علي إلا عرفانًا بعلمي؟

فمن قال: غنني كنت أتظاهر بأنني سلفي، فهو قطعًا لا يعرفني، وإنما يقدّر تقديراً.

لكنني أحب كل من ذكرت وأخلص لهم، وأحب شيخي عبد الله ابن حميد، وشيخي عبد العزيز ابن باز، على كثرة ما خالفته وأحرجته!

ولو تساءل الأخ الذي يتهمني بأنني كنت سلفيًا او أتظاهر بالسلفية: لم طردت من السعودية شر طردة، والسعودية تحتضن السلفيين، وتغدق عليهم بالاموال.

بينما انا بقت في السجن، حتى قيض الله من دفع لي ولأولادي قيمة تذاكر السفر، لأنني لم أكن أمتلك قيمة تذكرة واحدة...

ويعلم كثير من تلامذتي أنني كنت إذا أردت السفر من الطائف إلى المدينة المنورة ألتفت إليهم وأقول: أنا مسافر إلى مدينة جدي رسول الله، ثم لزيارة مسجده الشريف!

وليسأل من يتهمني بذلك الشيخ عدنان عرعور والشيخ رضا معطي والشيخ حسين عشيش، والشيخ محمد رفيق العجمي، يوم رفع بي واحدٌ من الناس تقريراً بأنني لست سلفيًا، وأنني أبغض رؤوس السلفيين، ولا أحب ولاةً الأمور، ليسألهم هل هذا صحيح؟

يومها قلت للشيخ عبد العزيز ابن باز: انت تعلم يا شيخي الكريم أنني لست سلفيًا لا في الصفات ولا في الفقه، وليس ذلك بغضًا بالسلفيين معاذ الله.

وهب أن اجتهادي أوصلني إلى موافقة القاضي عبد الجبار وأوصلني إلى بغضك وبغض الشيخ الألباني...بل وبغض أحمد بن حنبل نفسه، فما هو تكليفي الشرعي؟

قال بالحرف الواحد: مثلك لا يسعه إلا اجتهاده.

بل أنا في العراق قلت لمدير الأمن العام، وفي محاضراتي العامة والخاصة: السلفيون يحبون الله تعالى، ويحبون رسوله، ويحبون العلم ومتابعة السنة.

لكن مشكلتهم أنهم يحتاجون إلى علم، العلم يدفع العلم أما إذا ضربتني بالساطور على رأسي، فإنك تخرج الدم، وتثبت الفكر الخاطئ!

والسلفيون الذين في بلادكم العراق من سلفيي التربية والتصفية ولا علاقة لهم بالسياسة، ولا بالقاعدة.

ومع عدم محبتهم لي وقلة صلتهم بي، فإذا صدر منأحدهم سوءٌ فأمام عنقي هذه.

إي والله الذي لا إله إلا هو.

وتاكيداً لهذا المعنى كان احدالزملاء معتقلاً بهذه التهمة فرفضت الخروج من مكتبه حتى يفرج عنه، فوعدني أن يفرج عنه، فوعدني أن يفرج عنه قبل صلاة المغرب، وفعلاً صلى المغرب في المسجد الذي كان إماما فيه.

فأنا أحب جميع المسلمين ولست متقلبًا.

وقالوا: عندما جئت إلى الأردن، غدوت صوفيًا، وأقول: حين كنت في جامعة ام القرى في السعودية اعلنوا عن مسابقة بعنوان (الإسلام وتحديات العصر) ومن فروع المسابقة الكلام على بدعة التصوف عندهم، فقسمت الصوفية على خمسة أقسام، ثم قلت: فالقسم الأول والثاني من كبار أولياء الله (...) (1).

فأنا لا يمكن ان أكون في آن واحد على مناهج سادتي:

الشيخ محمد الحامد الحنفي الماتريدي النقشبدي.

والشيخ محمود الشقفة الشافعي الأشعري الرفاعي.

والسيد محمد الحافظ التجاني المالكي الاشعري التيجاني.

والشيخ عبد العزيز ابن باز الحنبلي الوهابي.

والسيد مجد الدين المنصوري الزيدي الهادوي.

والسيد علي السيستاني الجعفري الأمامي.

والشيخ أحمد الخليلي الإباضي.

---

(1)هنا سقط.

فإذا كان مطلب كل واحد من شيوخي ان اتابعه على مذهبه العقدي والفكري والفقهي والسياسي، فمعناها ساعيش في دوامة عقدية وفكرية وفقهية وسياسية، من دون أن أستطيع إرضاءَ أحدٍ منهم!

أنا الفقير إلى الله تعالى أحب شيوخي هؤلاء، وبائر شيوخي من شتى الفرق والمذاهب، وأدعو لهم مع دعائي لنفسي.

لكنني لست على مذهب واحدٍ منهم على طول الخط!

فإذا رضوا مني بهذا، فجزاهم الله عني خير الجزاء.

وإذا رفض بعضهم هذا المنهج (العدابي) الخاص، فلن يغير ذلك من حبي لهم ودعائي واحترامي، فأنا أعذرهم، لكن طبيعة المذهبية مثل طبيعة الحزبية، لا تعذر!

ولو كان بعض شيوخي أحياء، لغضب من موقفي من معاوية وعرو، وشلّة المنافقين البغاة الطغاة، وهم عددٌ يسير (12) صحابيًا فقط!

لكن لو كان بعضهم على قيد الحياة، فإنه سيكون مسروراً مما أعانني الله عليه من كتاباتٍ كان بعضها صدىً لتوجيهاتهم ومطالبهم.

وجميع شيوخي، من دون استثناء، حتى الشيخ محمد الحامد والشيخ محمود الشققة، يعلمون أنني لا أحب معاوية، ولا انتمي إلى دولة الأمويين ولا العباسيين ولا الأيوبيين (...) (1).

بيد انّ سيدي الحافظ التجاني، قمة الورع والتقوى والأخلاق وعفة اللسان وسلامة الصدر، وقد كان على المنهج الذي أسير عليه أنا ذاته (...) (2).

---

(1)، (2) في هذين الموضعين سقط.

إعلانُ طلب عمل ؟!

من أهداف الفيسبوك تواصُل بعض النّاس مع بعض.

وقد خطر على بالي أن نُعلن إعلاناتٍ مجّانيّةٍ على صفحتي.

لعلّها تُفيد بعض النّاس المساكين الّذين لا يُحسنون التّواصُل مع المسؤولين عن العمل في عالمٍ كئيبٍ ندُرت فيه فُرَص العمل.

الطّلبُ الأوّلُ:

دُكتور في الشّريعة الإسلاميّة،عُمرُهُ أكثر من ستّين سنةٍ.

1- يحفظُ كتاب الله وسُنّة رسوله (صلّى الله عليه وآله وسلّم).

2-كتب في خدمة الكتاب والسُّنّة (13) ألف صفحةٍ.

3-حقّق في السُّنّة النّبويّة (13) ألف صفحةٍ.

4- كتب في الثّقافة الإسلاميّة العامّة (13) ألف صفحةٍ.

5-يُتقنُ فنّ التّعليم والبحث العلميّ وتحقيق التُّراث الإسلاميّ، والمُحاضرة والإمامة والخطابة، وتعليم القُرآن الكريم، والنّحو والصّرف والبلاغة وعُلوم القُرآن والتّفسير وعُلوم الحديث والتّخريج والنّقد، والأصول والفقه والتّاريخ والسّيرة، وهُو مُجازٌ بالاجتهاد والفتوى والقضاء.

قال عافاهُ اللّهُ:

إنّهُ على استعدادٍ أن يُعلّم القُرآن الكريم في المدارس الابتدائيّة، حتّى تحصُل أُسرتُهُ على خُبزها بكرامةٍ.

وقال غفر اللّهُ لهُ:

فيه عيبان من الضّروريّ بيانُهُما، حتّى لا ينخدع به أحدٌ:

الأوّلُ: إنّهُ سيّدٌ حُسينيٌّ من آل بيت رسول الله صلّى اللّهُ عليه وآله وسلّم، وهُو مُتعصّبٌ لهذا البيت الطّاهر ولا يُحبُّ أعداءهُم، حتّى لو كانوا من جيل الصّحابة.

والثّاني: إنّهُ يرى جميع المذاهب الإسلاميّة مُتكافئة، فليس ثمّة مذهبٌ أفضلُ من مذهبٍ.

وفي جميعها أغلاطٌ سخيفةٌ قاتلةٌ.

وقال أراحهُ اللهُ بالموت من هذه الأُمّة كُلّها:

إذا اشتغل في بلاد الشّيعة؛ فهُو يتعهّدُ بأنّهُ سيُعلّمُ المُقرّرات الّتي يُريدونها، ويُنبّهُ إلى المسائل الباطلة والمرجوحة.

وإذا اشتغل في بلاد السُّنّة؛ فهُو سيُفتي ويقضي كما يريدون على المذهب الحنفيّ أو الشّافعيّ أو الحنبليّ.

فهُو مجازٌ في هذه المذاهب الثّلاثة فقط، وهُو بالتّأكيد سيُبيّنُ لهُم المسائل الهزيلة في كُلّ مذهبٍ.

وإذا اشتغل في بلاد الإباضيّة؛ فهُو لم يتعلّم المذهب الإباضيّ على شُيوخه، فلا يحقُّ لهُ سوى التّعليم، وسيُعلّمُ أبناءهُم كُلّ ما يُريدونهُ، ما عدا أُمور السّياسة.

ملحوظة: هذا طلبٌ حقيقيٌّ، وأوراقُ هذا العالم الثُّبوتيّة وشهاداته عندي.

وأنا أشهدُ لهُ بالله أنّها شهادات رسميّةٌ حقيقيّةٌ، وثلاثتُها (البكالوريوس والماجستير والدُّكتوراه) بتقدير امتيازٍ.

وعددُ صفحات أبحاثها العلميّة (4800) صفحة فقط!

وما شهدنا إلّا بما علمنا وما كُنّا للغيب حافظين.

والرّجُلُ على عجلةٍ من أمره، فهل من فاعل خيرٍ نشيطٍ غيرِ باردٍ، وغير مُسوّفٍ؟

والحمدُ لله على كُلّ حالٍ.

المسلمون بحمد الله تعالى وفضله عليهم إخوةٌ (إنَّما المُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ) وقد فهمت بعض الحركات الإسلامية الفاشلة أنّ الانتساب والتّأكيد على الأصل النّسبيّ يتعارض مع الأُخُوّة الإسلاميّة، وتناسوا قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ).

العرب هم العمود الفقري لأُمّة الإسلام، وإذا ذلّ العرب ذلّ الإسلام، فليس في الدّين ما يمنع من القول مثلًا: أنا عربيّ هاشميّ حُسينيّ، وأقول: خالُ أبي كرديّ، وخالي كرديّ، وخال أولادي كرديّ، وكلّ كرديّ مُسلم يعتزّ بإسلامه هُو أخي، وكلّما ازداد تمسُّكه بالإسلام؛ كان أحبّ إليّ من العربيّ غير المُلتزم بالدّين حتّى لو كان أخي أو ابني..

لكنّ هذا لا يعني كتمان نسبي، وعدم الاعتزاز به، بحُجّة عدم إثارة النّعرات، ولماذا تُثار النّعرات أصلًا؟ لماذا لا يتكلّم الكورديّ مع الكورديّ إلّا بلغته حتّى لو كانا في مُجتمع عربيّ، وكلاهما يُجيدان العربيّة، أليس هذا اعتزازًا بلغتهما وقوميّتهما، ويُطلب منّا نحنُ العرب ألّا نعتزّ بعُروبتنا وقوميّتنا، ونحنُ الّذين اختارنا الله لحمل رسالته وفهمها وفق الذّوق اللُّغويّ العربيّ، وتبليغها للنّاس!

يوم كنتُ في بغداد الحبيبة؛ كنت أزور شيخي الجليل عبد الكريم بيارة المُدرّس شيخ علماء بغداد في زمنه، رحمه الله تعالى، وكان يُحبّني ويُعاتبني إذا تأخّرت في زيارته!

ومع هذا، فكان إذا دخل ضيف كرديّ، ولو كان من عامّة النّاس؛ يرفعه ويقرّبه، ويُقبلُ عليه بكلّيته، يتحدّث معه بالكرديّة، مع أنّ الضّيف يُجيد العربيّة تمامًا، وفي إحدى هذه الزّيارات بقي يُكلّم واحدًا من الأكراد، من دون أن يلتفت إلينا مُجرّد التفاتة (35) دقيقة.

وكذلك كان يفعل شيخنا السّيّد مُحمّد عبد الكريم الكسنزانيّ، كان يتكلّم بالكرديّة مع ضُيوفه، بل حتّى مع أولاده أحيانًا!

حين استشهد شقيقي السيّد غسّان في معركة الحلّة عند احتلال العراق؛ جاء وفدٌ من إحدى الحركات الإسلاميّة يُعزّيني، وفي أثناء الحديث التفتُّ أنا إلى رجلٍ منهم أعرف أنّهُ من السّادة الرّفاعيّة، فأحببت أن أتأكّد من معلومتي لاهتمامي بمسألة الأنساب، فسألته: أخي فُلان: أنتم من السّادة الرّفاعيّة أليس كذلك؟

فأجاب بسُرعة فائقة: (أنا نَوريّ، أنا قُرباطيّ، أنا مسلمٌ فقط!). وهذا فهمٌ خاطئ جدًّا، وتضييع للأصول والأنساب تحت دعوى أنّ الاعتزاز بالأنساب (دعوى جاهليّة!) وأسأل هؤلاء: إذا كان الانتساب من أُمور الجاهليّة، فلماذا ننسب رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، ونتغنّى بأنّه قُرشيّ وهاشميّ، ونعدّ نسبه أشرف أنساب العرب، بل الخلق أجمعين.

ولماذا يُترجم عُلماؤنا المُصنّفون عُلماء الأمة فينسبونهم ويرفعون من أقدارهم، وإذا كان أحدهم من آل البيت قالوا: الشّريف الحسيب النّسيب السّيّد فلان بن فلان بن فلان؟

إنّ أكثر الإسلاميّين يُخطؤون في هذا الاتّجاه، مثل خطأ القوميّين العرب الّذين يجعلون العربيّ الفاسق أو حتّى الكافر أقربَ إليهم من المُسلم الأعجميّ الصّالح، فكلا الطّرفين مُفرطٌ ومفرّط، واللهُ تعالى أعلم.

وَيْ! وَيْ! (وَيْ كَأَنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ)؟!

شيخي وأُستاذي المرجع الدّينيّ الأكبر، السّيّد عليّ السّيستانيّ المُوقّر

سلامٌ من الله عليك ورحمةٌ منهُ وبركاتٌ!

أُناشدُك الله تعالى أن تُسهم في رأب الصّدع، وتخفيف حدّة الصّراع الفكريّ الخطابيّ، فليس في مصلحة أحدٍ من المسلمين هذه الحُروب الطّاحنة، والدّماء المهراقة الغزيرة، وذاك الحشد الطائفيّ البغيض!

أرسل إليّ أحدُ المُحدّثين الكبار من أهل السُّنّة مقطعَ (فيديو) كأنّهُ يردُّ عليّ كلامي في ضرورة التّعايُش والتّفاهُم، بين أهل السُّنّة والشّيعة، الّذي سمعتُكم غير مرّة تتكلّمون به.

الفيديو لمُعمّم شيعيّ والحمدُ لله أنّ عمامتهُ بيضاء، يقولُ في هذا المقطع:

(والله، والله، مو شارون، كلب شارون أفضل من أبي بكرٍ وعُمر).

ألا ترون هذا الكلام المُخالف لكُلّ آياتِ تكريم بني آدم، يُصدرُهُ هذا الجاهلُ، وجهلهُ يا سماحة السّيّد مُركّبٌ؛ لأنّهُ يجهلُ أنّ جميع الرّوايات الّتي تَشينُ صحابة رسول الله صلّى اللهُ عليه وآله وسلّم، في كتاب الكافي وغير الكافي؛ كُلُّها ساقطةٌ كاذبةٌ، لا تُساوي عفطة عنزٍ في ميزان العلم.

ما الّذي يجعلُكم صامتين حيالَ مثل هذا الأفّاك، الّذي يستحقُّ قطع لسانه على أقلّ تقديرٍ!

أبو بكرٍ وعُمر مُسلمان مُؤمنان مُحسنان بشهادة جدّنا الإمام عليّ عليه السّلام، وفي نهج البلاغة!

أهكذا وصل الصّلفُ والوقاحةُ بخُطباء الفتنة، و(روزخونات) المآتم؟

هل بلغكم يا سيّدي أنّ واحدًا من (داعش) الوهّابيّة الإرهابيّة قال عن سيّدنا وإمامنا عليّ، أو الحسن أو الحُسين، أو سائر أئمّة آل البيت كلمةً نابيةً

لا أرى لكم عند الله عُذرًا يا مولاي، إن لم تُجرّموا وتُحرّموا مثل هذا الخطاب الحاقد الجاهل الأثيم!

كيف أُدافعُ عن الشّيعة، وكيف أُزكّي التّشيُّع لدى أهل السُّنّة، وأنا أرى وأسمع هذا الباطل الإجراميّ البغيض!

ومثلُكم يا مولاي لا يخفى عليه أبدًا؛ أن في كتاب الكُلينيّ أكثرَ من اثني عشر ألفَ حديثٍ باطلٍ ومُنكرٍ وموضوعٍ ومجهولٍ وضعيفٍ!

وجميعُ أحاديث الفُرقة والسّفه والضّلال من هذه الآلاف الباطلة المهولة!

أرجو، ثُمّ أرجو يا مولاي أن تُصدروا بيانًا، أو فتوى تقول:

لا يجوزُ الاستدلالُ بأحاديث من كتاب الكافي وليبقَ هذا الكتاب مقصورًا على المُميّزين من أهل العلم، فوالله يا سيّدي إنّ ضرر هذا الكتاب أضعاف نفعه، والصّحيحُ الّذي فيه يُغني عنهُ كتابُ (الفقيه) للصّدوق، فهُو خيرٌ منهُ بمّراتٍ.

آملُ أن أجد على مُناشدتي الحزينة هذه جوابًا من سماحتكم، تُلجمُ هؤُلاء الجُهّال، وتُعيد الحقّ إلى نصابه.

أبو بكرٍ وعُمر رضي اللهُ عنهما، وقد ترضَيتُ عنهُما في حضرتك مرّاتٍ، ولم تُنكر عليّ أبدًا!

الإمامُ أميرُ المُؤمنين سيّدُ الخلق بعد الرّسول صلّى اللهُ عليه وآله وسلّم، لا شكّ ولا ارتياب عندي!

لكن ألم يستطع الرّسول الأعظم تربيةَ أحدٍ إلاعليًّا؟

ومن هُم الصّحابةُ الّذين كان الإمامُ يحنُّ إليهم ويصفُهُم بأجمل الأوصاف، إن لم يكن أبو بكرٍ وعُمر منهُم؟

وتفضّلوا بقبول احترامي وتحيّاتي.

والسّلامُ عليكم ورحمةُ الله وبركاتُهُ

والحمدُ لله ربّ العالمين.

لماذا تنكّرتَ لتَلامذتِكَ؟!

أحدُ زُملائي الأفاضل كتب يقولُ:

(نحنُ ما زلنا على العهد نذتمي إليك، ونُحبُّك، ونُتابعُ منشوراتك، ونجمعُها، فَلِمَ أعرضت عنّا وطردتنا من شرف تلمذتك؟!).

أقولُ وبالله التّوفيقُ:

الفقيرُ مُنذُ عشر سنواتٍ (كسر الدّف، وبطّل الغناء) كما يقولون في المثل الحمويّ.

فمن كان من طُلّابي يومها في السّنة الجامعيّة الأولى؛ فهُو الآن دُكتورٌ وأُستاذٌ جامعيٌّ مُتميّزٌ.

وقُصارى ما وصل إليه عداب الحمش من الوظائف العلميّة أنّهُ أُستاذٌ جامعيٌّ!

أَوَ ليس كُلُّ أُستاذٍ جامعيّ زميلًا لكُلّ أُستاذٍ جامعيّ ومدرسيّ أيضًا؟

هذه واحدةٌ.

والثّانية: أنّ بعض تلامذتي يتباهون بمُخالفتهم إيّاي وشتمي وتكفيري.

فقطعُ الطّريق على تواقُحهم؛ أولى من الاسترسال في تصديق أنّهُم تلامذةٌ؟!

والثّالثةُ: إنّ التّلمذة تقتضي البرّ والاحسان، وأنا لاأُحبُّ تكليف زُملائي حتّى بالكلمة الطيّبة.

وأخيرًا:

تحت يدي الآن آلافُ الصّفحات من كُتُبي، تحتاجُ إلى مُراجعةٍ بعد الطّباعة، لُغويًّا، وإلى تنبيهي على بعض الخُشونة أحيانًا، فالخُشونة أثرٌ من الانفعال النّفسيّ، وليست من الحكمة في العلم، ولا في الدّعوة إلى الله.

وأكثرُ طُلّابي أقوياءُ في العربيّة، ومع هذا فهُم لا يفعلون شيئًا!

ينتظرون موتي، ويزعُمون أنّهُم بعد موتي سيُكرّسون جُهودهُم لخدمة مُؤلّفاتي!

أمّاما دُمتُ حيًّا؛ فهُم نائمون!

فانطبق عليهم قولُ الشّاعر:

مالي رَأَيْتُكَ بَعْدَ الـْمَوْتِ تَنْدُبُنِي

وَفي حَياتي ما زَوَّدْتَـنِي زادي!

لكُلّ هذه الأمور، فمن كان سابقًا يعُدُّ نفسهُ من تلامذتي؛ فهُو اليوم أسمى عقلًا وفكرًا منّي.

ومن كان هذا شأنُهُ؛ فقد شبّ على الطّوق، وصار هُو صاحبُ فكرٍ مُستقلٍّ ومشروعٍ خاصٍّ.

فاحترامُهُم واحترامُ شخصي أمامهُم؛ أن أعُدّهُم زُملائي، وأُخاطبهُم بالزّمالة، أليس هذا أهدى سبيلًا!؟

واللهُ تعالى أعلمُ، والحمدُ لله على كُلّ حالٍ.

1- أنا والنّساء؟!

كثيراتٌ هُنّ النّساءُ القريباتُ والغريباتُ اللّواتي يرمينني بعداوتهنّ وبُغضهنّ والاستخفاف بهنّ!

وممّا يجهلنهُ أو تجهلُهُ كثيراتٌ منهُنّ أنّهُ لا يوجدُ شاعرٌ على وجه الأرض، لا يرتعشُ بدنُهُ ويرتجفُ فُؤادُهُ لرُؤية المرأة الحسناء!

بيد أنّ ممّا تجهلُهُ أكثرُ النّساء أنّ غضّ البصر فرضُ عينٍ على الرّجال والنّساء معًا!

وأنّ الابتعاد عن الخُضوع بالقول؛ فرضُ عينٍ على الرّجال والنّساء معًا!

وأنّ الصّداقة والمُواعدة سرًّا، ولو لمُجرّد اللّقاء في المسجد؛ حرامٌ على الرّجال والنّساء معًا!

وأنّ على العالِم أن يكون أكثرَ احتشامًا وجدّيّة من سائر النّاس الآخرين؛ لأنّهُ بمنزلة الوالد للجميع!

ولّ فرض الوقتِ، وأدب الوقت؛ يوجبان على الرّجُل كُلّ رجُلٍ، فضلًا عن العُلماء والمُفكّرين أن لا يتجاوزوا الواجب الشّرعيّ إلى اللّهو المُباح، فضلًا عن غَزَل النّساء!

ما ذا لو كتبتُ لكم في كُلّ يومٍ قصيدةً غزليّةً، وأنا قادرٌ أن أكتُب في كُلّ يومٍ قصائد؟!

ونحنُ نعيشُ الحُروب والقتل والتّشريد والسُّجون والجوع ونقصٍ من الأموال والأنفُس والثّمرات؟

ما ذا لو كتبتُ لكم في كُلّ يومٍ قصّةً قصيرةً عن تجربة حُبٍّ حقيقيّةٍ أو تصوُّريّةٍ؟

ما ذا لو جعلتُ صفحتي هذه مسرحًا لصُور الصّديقات والغانيات وربّات الجمال؟!

مهامّ الرّجُل في الحياة؛ غير مهامّ المرأة، ومسؤوليّاتها مُختلفةٌ تمامًا!

إنّ ممّا حفظناهُ عن عُلمائنا الشُّعراء من أمثال العلّامة الدُّكتور مُصطفى السّباعيّ قولُهُ:

(تبدأُ رغبات المرأة؛ عندما تنتهي رغبات الرّجُل!

كماليّاتُ الرّجُل؛ ضروريّاتُ المرأة.

مدارُ تفكير المرأة؛ هُو الرّجُلُ، ومدارُ تفكير الرّجُل؛ الحياةُ بأبعادها!).

خُلاصةُ القول:

أنا خطبتُ أكثر من عشر نساءٍ، أتمنّى لو أنّي تزوجتهُنّ كلّهُنّ!

وعقدتُ قراني على خمس نساءٍ، أتمنّى لو كنتُ بنيتُ بهنّ كلّهنّ!

وتزوّجتُ ثلاث نساءٍ، أتمنّى لو أنهُنّ أنجبن لي كلّهُنّ!

وقد رزقني اللهُ تعالى ثلاث نساءٍ فُضلياتٍ صالحاتٍ.

ورزقني اللهُ تعالى تسعة عشر ولدًا.

وقضى اللهُ تعالى أن يقبض من أولادي بنتًا وخمسة أولادٍ!

أخذ القليل وأبقى الكثير، ولهُ الحمدُ والمنّةُ والثّناءُ الحسنُ.

وأتمنّى اليوم لو أتزوّجُ عددًا من النّساء الصّالحات الجميلات، لكنّ الأماني تُضلُّ أهلها، فأنا أمسيتُ كما قال الشّاعرُ العربيُّ:

فَصِرْتُ إذا أَصابَتْني سِهامٌ

تَكَسَّرَتِ النِّصالُ عَلى النِّصالِ!!

وفي الختام:

أنا أُحبُّ النّساء، وسأظلُّ أُحبُّ النّساء حتّى يضعوني على خشبة غُسل الموتى، هل يُرضيكُنّ هذا معشرَ النّساء ويُسعدُكنّ؟!

فليُسعدُ القولُ، إن لم يُسعد الحال!؟

لكنّ حُبّ النّساء لا يُشهر عند العرب، فضلًا عن المُسلمين، ولا يُذاعُ على صفحات التّواصُل الاجتماعيّ، فهذا من وُجهة نظري عيبٌ، فضلًا عن كونه حرامًا من الوُجهة الشّرعيّة.

وأستغفرُ الله العظيم أوّلًا وآخرًا.

والحمدُ لله على كُلّ حالٍ.

2- أنا والنّساء!

يتبادرُ إلى السّامع والقارئ أنّني ضدُّ النّساء، رُبّما كان هذالمرارة الكلمات الّتي أُسجّلُها، ولكنّ الحقيقة غير ذلك تمامًا.

فأنا لا أُحبُّ شيئًا من متاع هذه الدُّنيا مثلما أُحبُّ المرأة.

ولا أُشفقُ على مخلوقٍ في هذه الحياة كما أُشفقُ على المرأة.

وأستحيي من الله تعالى أن تطالُب المرأةُ (أُمًّا أو أُختًا أو بنتًا أو زوجةً، أو جارةً، أو فقيرةً) شيئًا مشروعًا أستطيعُهُ، ثُمّ لا أُحقّقُهُ لها.

أرى أنّ تعليم المرأة أوجبُ من تعليم الرّجُل.

أرى أنّ كفاية البنات أولى من كفاية الأولاد.

أرى حرمان البنت من الميراث جريمةً اكبرُ من حرمان الولد.

أرى العناية بتربية البنت أهمُّ من العناية بتربية الولد، الّذي يُمكنُ أن تعهد بتربيته إلى شيخٍ غيرك.

ابنتي (فاطمة) عليها السّلامُ؛ أغلى عليّ من اثني عشر أخًا وأُختًا لها، ومن العسير أن تطالُب شيئًا مُمكنًا، ثُمّ لا أُنفذُهُ لها.

إذا توجّعت المرأةُ؛ أُصلّي وأدعو الله تعالى لها.

إذا مرضت المرأةُ أُسارعُ إلى علاجها دون نظرٍ إلى مقدرتي الماليّة في تلك الحال.

إذا أضجرتني فصرختُ عليها، أو أنّبتُها، ثُمّ رأيتُها حزينةً؛ راضيتُها وطيّبتُ خاطرها، وإذا ضربتُها ضربةً ولو خفيفةً؛ اشتريتُ لها هديّةً، وطلبتُ مُسامحتها.

أُحبُّ المرأة (أُمًّا أو أُختًا أو بنتًا أو زوجةً) أن تكون لطيفةً، فلا تصرُخ، ولا تضجر ولا تتأفّف.

أُحبُّها أن تكون شاكرةً لأنعُم الله فلا تسخط.

أُحبُّها أن تقرأ كُتُب زوجها وتُحاول فهمها وأن تقرأ شعره وتلتذّ به.

لكن...

إذا كانت ابنة العالم أو أُخته أو زوجته؛ لا تختلفُ عن الكرسيّ الّذي يجلسُ عليه، أو الطّاولة الّتي يكتُبُ عليها، أو كأس الشّاي الّتي يشربُها، فكيف يكونُ التّعايُشُ؟

كيف يتُّم التّواصُلُ، كيف يمو الحُبُّ، كيف ستفهمُ المرأةُ مَن زوجُها هذا، وما منزلتُهُ بين أهل العلم، وكيف ستتعايشُ معهُ في هذه المنزلة، وتُهيّئُ لهُ الجوّ المُساعد على العطاء؟

كان لي صديقٌ طالبُ علمٍ مُتميّزٌ، بل مُبدعٌ في كثيرٍ من مجالات الدّراسة والمُسابقات، وذات مرّةٍ فاز في مُسابقةٍ، وحصل على جائزةٍ (17،000) ريالٍ سُعوديّ، فاشترى سيّارةً، واشترى لزوجته قطعة ذهبٍ، واشترى لجميع أولاده هدايا.

ثُمّ دخل على زوجته ورمى شهادات التّقدير على طاولته، ففتّشتها ونظرت في شهادات التّقدير، ثُمّ التفتت لِي زوجها وقالت: هكذا أنت دائمًا، تسعى إلى الشُّهرة والبُروز ليقولوا: إنّك مُتميّزٌ، هذا شيءٌ كُلُّهُ لا يُرضي الله تعالى.

حدّثني زوجُها قال: قُلتُ لها: وما الّذي يُرضي الله تعالى في مثل هذه المُسابقات؟

قالت: كُلُّها لا تُرضي الله تعالى، الّذي يُرضي الله تعالى تصوم وتُصلّي وتتصدّق بالسّرّ!

حصل الرّجُلُ على درجة البكالوريوس، ثُمّ حصل على الماجستير، ورفضت رفضًا قاطعًا أن يُكمل الدُّكتوراه!

ثُمّ أكمل الدُّكتوراه، بعد سنين طويلةٍ، ثُمّ صار بروفيسورًا، وهي تُربّي أولادها تربيةً عاميّةً لم ترتق درجةً واحدةً عن يوم تزوّجها! لماذا؟ لأنّها ليست لديها قابليّة الارتقاء، فماذا يصنعُ الرّجُلُ العالمُ المُفكّرُ؟

عليه أن يموت الموت البطيء، وعليه أن يقف أمام المرآة ويُخاطب نفسهُ، وعليه أن يعيش قُرب امرأةٍ هي أبعد عنهُ من المشرق عن المغرب، هذا قدرُهُ، وهذا اختيارُهُ.

فإذا فكّر أن يتزوّج بأُخرى؛ فهُو ظالمٌ، وإذا فكّر أن يُفارقها لئلّا تأتيه الجلطاتُ المُتعدّدة؛ فهُو مُجرمٌ، وإذا عاش معها؛ عاش عالمًا شريكًا لأُمّيّ.

والمُجتمعُ كلُّ المُجتمع يقولُ: ليس لها ذنبٌ، هذا اختيارُك، وعليك أن تتحمّل نتيجة اختيارك.

أليس عيبًا عليك أن تمُصّ رحيق شبابها، حتّى إذا تقدّمت بها السّنُّ؛ آذيتها بضُرّةٍ، أو طلّقتها؟

هي جاهلةٌ، وأهلُك جُهّالٌ، والمُجتمعُ جاهلٌ بعاداته وتقاليده ومُستوى تفكيره.

والحلُّ الوحيدُ الّذي بين يديك أن تتمثّل عمليًّا قول الشّاعر:

ولمّا رأيتُ الجهل في النّاس فاشيًا... تجاهلتُ حتّى قيل: إنّي جاهلُ...

لكن هل تستطيعُ؟

وهُناك حلٌّ آخرُ لكنّهُ حرامٌ: هُو أن تُعجّل بخلاصك من هذه الدُّنيا، والعياذ بالله من الخُذلان!

والحمدُ لله على كُلّ حالٍ!

3- أنا والنّساء!

قال اللهُ تبارك وتعالى:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلادِكُمْ عَدُوّاً لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) [سورةُ التّغابُن: الآية 14].

كلّ من يصدّك عن ذكر الله تعالى، ويحول بينك وبين الدعوة إلى الله، ويعكّر صفوك، ويشغلك عن السموّ العلمي والفكري والروحي؛ فهو إما يصرفك عن حسناتٍ كثيرةٍ ترجو نوالها، أو يوقعك في أخطاء ومخالفاتٍ شرعية بسوء تصرفه؛ تجلب لك غضب الله تعالى.

وفي كلا الحالين؛ فهو يوقعك في البعد عن الله تعالى، وأيّ عداوة أكبر من صدك عن الحقّ؟

ولهذا... فإنني أرى أنّ على كلّ شابّ مسلم عازمٍ على الزواج في هذا الزمان الذي فسدت فيه المفاهيم، وغاب عن أذهان بناتنا مهمة الإنسان في الحياة، وصار (التلفاز) مصدر التربية الأقوى لهنّ؛ أن يجعل فترة الخطوبة لا تقلّ عن ثلاثة أشهر، يجلس مع الفتاة وأحد محارمها في أوّل لقاء، أو الثاني، ويسألها عن طموحاتها في هذه الحياة، والرغبات السامية لديها، ثم يوضح لها أهداف الحياة في نظره، والوسائل الشرعية المحققة لهذه الأهداف، ويؤكد على هذه المعاني في كلّ لقاء، ويراقب مدى تفهمها لأهدافه ووظيفته الإسلامية.

فإذا رآها لا تستجيب لرغباته، ولا تسمو عن الرغبات الدنيوية الهزيلة؛ فليبحث له عن فتاة أخرى، إذ من العسير جداً أن تتغيّر رغبات الأنثى وطموحاتها؛ بعيداً عما نشأت عليه في بيت والديها.

حدثني شيخي الشّيخ (سعيد حوّى) رحمهُ اللهُ تعالى قال: حين خطبت عمّتك (أُمّ مُحمّد) قُلتُ لها: أنا رجل صاحب دعوة محارَبة من القوى العالمية كلها، وأنا طالب علم شرعي، فأريد امرأة تنظر بعينيّ، وتسمع بإذنيّ، وتنطق بلساني، وتشمّ بأنفي، وتستطيع أن تواجه مصاعب الحياة؛ إذ أنا إحدى رِجليّ في القبر، وأخرى في السجن.

ففكري في كلماتي هذه، وردّي عليّ الجواب متى شئت!

واحدة من محارمي خُطبت ، فاشترت ثيابًا تكفي لمائة سنة قادمة إذا لم يتبدل هيكلها البشريّ نحافةً وضخامةً، فسألتها عن سبب هذه الكثرة المفرطة، فقالت: أنا عروس؟

قلت لها: أنت الآن بنت، وربما بعد سنة غدوت حاملاً، فهل هذه الثياب تصلح لحامل؟ قالت: لا... في يومها أشتري ثيابًا للحمل!

قلت: وبعد زوال الحمل، هل تتوقعين أن تناسب جسمك هذه الثياب؟

قالت: (مش ضروري، ولكل حادث حديث!)

قلت: أنتن معاشر النساء تبكين إذا لبستنّ الثوب ثلاث مراتٍ أمام بعضكن بعضًا، فهل هذه الثياب معدة لمثل هذا المنطق؟

قالت بعصبية: كل البنات يشترين هكذا، من غير التفات إلى هذا الكلام هل تريدني أن أخرج من بيت أهلي بدون حمل من الثياب أتباهى به؟

حدثني رجل تزوج أكثر من مرة قال: عشت مع إحدى زوجاتي عشرين سنة تمامًا، فلا أعلم لديها سوى جلبابين صيفيين، ومثلهما شتويين، وعشت مع الأخرى اثنتين وعشرين سنة، فلم يكن لديها غير ذلك، وأظنّ أن مجموع الجلابيب التي اشترتها كلّ واحدة منهن لا تصل إلى عشرة طيلة صحبتي لهما!

قال: وأعيش الآن مع الثالثة، ولديها أكثر من عشرين جلبابًا، وتصدقت بأكثر من عشرين في غضون خمس سنوات، ولديها أكثر من (200) قطعة منوعة من الثياب، وأكثر من خمسين حذاءً متنوعًا، بعدما تصدقت لفقيرات (الزعتري) بكيس (قمامة) كبيرٍ ملآن من الأحذية الجديدة تمامًا والمتوسطة التي تخدم خمس سنواتٍ إلى الأمام، ومثله من الثياب المتنوعة، بعدما غسلتها بأدوية تزيل أيّ أثرٍ لها، وتظنّ أنها تؤجر على ذلك!

فتذكرت قول الله تعالى:

(قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا) (سورةُ الكهف: الآيتين 103-104).

والحمدُ لله على كُلّ حالٍ!

4- أنا والنّساء!

نصيحةٌ حزينةٌ لعلّها تُسهِمُ في استقرار البُيوت!

صح من الحديث عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال في النساء (ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكنّ).

وصح عنه بروحي أفتدي نعله: (إنّ منهن من لو أحسنت إليها الدهر كله، ثم رأت منك شيئا؛ قالت: ما رأيت منك خيراً قط!)

وصح عنه صلوات ربي وسلامه عليه: (خلقت المرأة من ضِلع، وإنّ أعوج ما في الضلع أعلاه، فإن جئت تقومه؛ كسرتَه، وكسرها طلاقها، فاستمتعوا بهن على عوج).

وقال الشاعر:

أأحاسب امرأة على نكرانها؟ ومتى استقام مع النساء حساب؟

وقد مضى على زواجي الأول أكثر من أربعين سنةً، ولا أذكر في مرة واحدة من مرات الاختلاف الكثيرة بيني وبين زوجاتي أنّ واحدة اعترفت بخطأ، أو صوّبت لي موقفًا يخصها، إنما أنا غلطان على طول!

بيد أن واحدة منهنّ قالت لي مرة:

أليس الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يقول عن النساء: ناقصات عقل ودين؟

قلت: بلى والله!

قالت: نحن والله كذلك، لكن لماذا لا تعاملني على هذا الأساس؟

أنت تحاسبني وكأنني أكمل الرجال، وتدقق حتى على وضع الكأس في غير موضعها، وتغضب إذا كان في إناء الضيافة قطرة ماء، وتثور غيرتك حتى تعمل مشكلة لو سمعت همسةً مني أو من امرأة عندي إذا كان عندك ضيف!

نحن لا نستطيع إلا أن نخطئ، ولا نستطيع إلا أن نخالف، ولا نستطيع إلا أن نجرب مدى قدرتنا على إغضاب الرجل والتلاعب بأعصابه هكذا نحن، فتعاملوا معنا كما قال الرسول الأكرم!

ألستم أنتم العصاة للرسول الكريم؟

ذات مرة استشارني أحد تلامذتي بأنه يريد الزواج من فتاة في الخامسة عشرة من عمرها، فنصحته بأن يتزوج بنت عشرين!

وقلت له: إذا تزوجت بنت خمسة عشر عامًا، فستبقى في هذا السن حتى لو صارت بنت سبعين!

وقد تزوجت زوجتي الأولى بهذا العمر، وتعبت معها كثيراً، فالمرأة يتعذر عليها أن تنضج وتتطور فكريا وعلميًا بعد الزواج غالبًا لانشغالها بالأولاد والبيت، ويضعف دافع التطور عندها لأنها تزوجت وانتهى الأمر.

فتزوج تلك الفتاة وهو في الخامسة والثلاثين من عمره، لكنه كان رحب الصدر، طويل البال!

ففي إحدى المرات وبعد عشر سنين من زواجها؛ نزلت معه إلى السوق، فاشترى مشطًا، وربطات شعر، وحبتين من الحلوى (الشوكولاته) فلم أسأله لم هذا، وظننته لابنته الصغيرة.

فبادر هو وقال: أتعرف لمن هذه الملاعيب؟ قلت: لا!

قال: لزوجتي فلانة!

قلت: وتقبل منك هذا؟

قال: بل يطير عقلها فرحا به، أما قلت لي قبل زواجي منها: إنها ستبقى بنت خمسة عشر عامًا إلى آخر عمرها؟

أنا الفقير عداب الحمش لا أذكر أنه خطر في بالي مرةً أن زوجتي تحتاج إلى (علكة، وسكاكر، وشكولا) خاصة بها، مع أنني أحضره جملة إلى بناتي الصغار!

لكن لما تزوجت الثالثة الفلسطينية قبل خمس سنوات، وكانت جريئة كنت أشتري لابنتها الصغيرة من غيري هذه الأشياء، ففي واحدة من المرات؛ رأيت الكدر في وجهها، فسألتها عن ذلك؟

قالت: أنت دائما تشتري لفلانة من هذه الأشياء، ثم هي تستأثر بها ولا تطعمنا منها أنا وأخاها إلا بالتوسل!؟

فاستغربت أن تكون زوجتي تأكل (شبس، وعلكة، وشوكولا أطفال) مع أن شوكولا الضيافة عندنا راقية في البيت.

كما استغربت أن تكون البنت تعدّ ما أحضره لها ملكا صرفًا لها!

فقلت في نفسي: سبحان الله العظيم! كم ظلمت الطفولة الأبدية في نفوس زوجاتي وأنا جاهل بها حتى بعد الستين من عمري!

أقول هذا تنبيهًا، لكنني لا أستطيع إلا محاسبة زوجتي على أنها أكمل من كمل الرجال، وهذا أكبر أسباب فشلي في حياتي الزوجية مع أنني كتبت عن المرأة ثلاثة كتب (المرأة المسلمة في رحلة الحياة) و (أدب البيت المسلم) و(فقه المرأة المسلمة).

فاعتبروا يا أولي الأبصار، وسلامتكم!؟

الحمدُ لله الّذي بنعمته تتمُّ الصّالحات!

بعضُ النّاس يخافون من (مرض السّرطان) لأنّهُم يُحبّون الحياة الدُّنيا، وهُو مظنّةٌ انتهاء وُجود الإنسان فيها من ضراوة آثاره الخطيرة، وكُنتُ أخافُ من (مرض السّرطان)؛ لأنّ نفسي (الأمّارة بالسّوء) لم تُطاوعني بالمُكوث في ساحة الطّاعات، فكُنتُ أخافُ ذُنوبي، وأخافُ حدّتي، وأخافُ باطن الإثم فكان لقاء الله تعالى يُرعبُني، أمّا الدُّنيا فلا تُساوي عندي شراك نعلٍ واحدةٍ!

تردّدتُ كثيرًا في إجراء (عمليّة السّرطان)، ثُمّ أجريتُها بعد مائة استخارةٍ أو أكثر أو أقلّ، نسيتُ!

وبعد العمليّة عانيتُ ولا زلتُ أُعاني لأنّ كياني كُلّه تغيّر.

واليوم تبيّن في النّتائج شبه النّهائيّة أنّ (السّرطان) ابتدأ وانحصر في الكلية الّتي استأصلوها.

لكنّ الطّبيب الجرّاح المُعالج تشجّع اليوم وقال: في غُضون أُسبوعين سنُجري لك (عمليّة البروستاتا) ونخلص!

فضحكتُ وقُلتُ لهُ: أنا جئتُك من أجل (البروستاتا) فطلعت عليّ بـ(السّرطان)، ثُمّ رجعت إلى (البروستاتا) ثانيةً؟

قال: يا دُكتور إذا وُجد (السّرطان)، فعلاجُ سواهُ عبثٌ لا قيمة لهُ!

أما وقد اطمأننا إلى عدم انتشاره؛ فلا بُدّ من (عمليّة البروستاتا)

وأمّا تركيب (مفصلٍ) لكتفك فهذا ليس من اختصاصي!!؟

فا لحمدُ لله ربّ العالمين الّذي عافاني من هذا (السّرطان) الخبيث وأسألُهُ دوام العافية لعلّي أستطيعُ أن أُعاود نشاطي العلميّ المُتوقّف مُنذُ شُهورٍ.

كما أسألُهُ جلّت قُدرتُهُ أن يُبعد سائر الأسقام والأوجاع عن جميع المُسلمين، والحمدُ لله ربّ العالمين.

(تفسيرُ رُؤيا الشّيخ (البوطّي) رحمهُ اللهُ تعالى!)

رُؤًى ذاتُ معنًى في حياتي!

من المُسلّم لدى علماء الأمة حيال الرؤى ما يأتي:

أوّلاً: إن الرؤيا مهما بلغت من الوضوح، ومهما بلغ صاحبها من التقوى، فهي لا تزيد على أن تكون جزءاً من ستة وأربعين جزءاً من النبوة.

فنحن حين نروي حديث ابن عباس الصحيح (رؤيا الأنبياء وحي) أو (حقّ) فهذا يعني أن تفسير الحقّ في رؤانا هو تفسير احتمالي لا يتجاوز هذه النسبة(1/ 46) .

ثانيًا: مما لا يختلف عليه العلماء أن الرؤيا إما مبشرة، وإما منذرة (تذهب النبوة وتبقى المبشرات) وعليه فلا يصحّ أن يبنى على الرؤيا أحكام عقدية أو فقهية ملزمة.

ثالثًا: من المسلّم به عند العلماء عامة، وعند علماء الصوفية خاصّة أنه ليس من شرط أن يكون المؤمن وليًّا لله أن لا يخطئ، فقد يكون من كبار أولياء الله تعالى ويخطئ.

ولا أدلّ على ذلك من أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم قدّ حرّم على نفسه ما أحلّ الله له، اجتهاداً، وتحليل ما حرّم الله، وتحريم ما أحلّ الله خطأ، مهما سميناه في حالتي السلب والإيجاب.. فعاتبه الله تعالى على ذلك فقال: (لم تحرّم ما أحلّ الله لك).

ومن هذه البابة تقريع القرآن العظيم لبعض أمهات المؤمنين وللصحابة في بعض مواقفهم وأخطائهم، وهم عندنا من كبار أولياء الله تعالى.

رابعًا: من المتسالم عليه أن الابتلاءات والأسقام مكفرة لذنوب العبد التي يقوم بها بمحض إرادته، أما الذنوب المبتناه على اجتهادٍ ممن امتلك أدواته، مهما كانت خطأ، فلا تسمى جريمةً في القضاء الدنيويّ، بل إننا نروي حديثًا، أنا لا أصححه في أنه (إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران، وإذا اجتهد فأخطأ؛ فله أجر واحد).

لكني أقول: إذا اجتهد المتأهّل للاجتهاد فأصاب فله أجر اجتهاده، والحسنة بعشر أمثالها والله يضاعف لمن يشاء.

وإذا اجتهد المتأهل فأخطأ؛ فالله يعفو عن خطئه، إذا كانت نيته خالصة تمامًا.

لكن ههنا ثلاثة أمور:

الأمر الأول : قد تكون النية خالصة لله تعالى، لكن ربما رافقها شيءٌ من خوف القتل أو العذاب، أو حب الدنيا وكراهية الموت.

الأمر الثاني: من الذي يضمن نفسه عند النازلة أن تكون نيته خالصة لله تعالى، خصوصًا إذا كان في المسألة دماء، فالعالم الصوفيّ يرجّح غالبًا الرأي الذي يعارض الدماء، وخصوصًا بين المسلمين.

الأمر الثالث: قد تترتّب آثار على الاجتهاد، ربما دخلت تحت عموم قوله صلى الله عليه وآله وسلم (ومن سنّ سنّة سيئة؛ فعليه وزرها ووزر من عمل بها).

وقد تدخل من باب أولى تحت عموم قوله صلى الله عليه وآله وسلم (ولتأخذنّ على يد الظالم، ولتأطرنّه على الحقّ أطراً) فمن أداه اجتهاده إلى حقن الدماء، لكن هذا الاجتهاد وُظّف في صالح الظالم، ولم يقم ذلك المجتهد بما يتوجب عليه من (الأخذ على يد الظالم) فربما حاسبه الله تعالى على ذلك حسابًا عسيرًا.

خامسًا : من المتفق عليه بين المعبّرين في حدود اطّلاعي أنّ ما يصدر عن الموتى فهو حقّ، لأنهم في دار حقّ، فإذا ضبط الرائي أقوالهم حقيقة، فما ضبطه حقّ بنسبته إلى درجة النبوة (1/ 46) لكن يكون عاريًا عن الباطل.

هذه ممهدات ضرورية يجب اصطحابها عند تعبير الرؤيا.

أمّا لماذا سررتُ أنا بهذه الرؤيا؛ فلأنّ زيارة شيخي البوطي لي في بيتي، وتقرّبه مني وتقبيلي وعناقي؛ فيه إشارة إلى أنّ ما اختلفت عليه معه؛ كنت فيه على صواب.

وفيه إشارة إلى أني الآن أيضًا على صواب في مواقفي الوسطية، وإلا لما جاءني ذلك العالم الرباني بكل هذا التواضع وكل هذا الحبّ والابتسام والارتياح.

فهذا هو ما أزاح عني كثيراً من القهر والعجز.

وهو في الوقت ذاته طيّب قلبي وخاطري بأنّ شيخي الدّكتور (البوطّي)، وإن كان أخطأ في حقي وفي حقّ غيري باجتها ده، إلا أنه غدا من أهل النجاة بإذن الله تعالى، ويعلم الله أنني كنت مهمومًا لجله من يوم وفاته إلى وقت هذه الرؤيا.

وصغر جسمه عن الطبيعيّ، وسمرة وجهه دليلان على أنّ مواقفه الاجتهادية الخاطئة حصدت جبالًا من حسناته، وبقي عليه ديون، أو لا يملك كثيراً من الحسنات الإضافية.

فكأنّه والله تعالى أعلم يشير إلى أنّ علمه وعلمي وعلوم تلامذته كلهم يستفيد هو منها في رجحان كفة حسناته بنسب مقدرة يعلمها الله تعالى.

وقد أفدت من الرؤيا أكثر من نذارة تخصني أنا شخصيًا، منها:

أنني بحكم قوتي وشجاعتي في أيام شبابي؛ أحتقر الاستقواء على الضعيف والفقير وأقف دائمًا بجانبه ضدّ القويّ، حتى لو كان الضعيف مخطئًا، فأحاسبه على قدر خطئه ولا أسمح لخصومه أن يتجاوزوا في إهانته وإذلاله.

هكذا كنت فعلاً في شبابي، وما زالت هذه الصفة عندي، لكنها اليوم نظرية بسبب عجزي الجسمي.

وأنا أستحيي غاية الحياء والله أن تجتمع عشر دول لتحارب دولةً فقيرةً بنفس طائفيّ بغيض، لماذا عشر دول؟ ودول ذات إمكانات هائلة؟ هذا عندي عيب وجبن ونذالة لأنّ الفروسية تقضي التسامح مع الضعيف، والاكتفاء بزجره وتوقيفه عند حده بالحسنى.

ومن هذه النذارات ما هو معلوم من تعصبي لآل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحبي لهم، ورهبي الشديد أن أسيء إلى أحدٍ منهم، خوفًا من الله الذي أوصى بهم، وحياء من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي من المحال عندي أن يشفع لمُحزنهم، فضلاً عن مهينهم، فضلاً عن قاتلهم، قتل الله من يقتلهم.

هذه المواقف وأمثالها تجعلني أميل في آرائي إلى التخفيف من غلط الضعيف وخصوصًا إن كان من أهل البيت، وربما كان هذا ظاهراً، لا يحتاج إلى تفتيش عنه.

فكانت هذه الرؤيلنبهة إلى (وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) و(وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ).

هذا وصلّى اللهُ وسلّم وبارك على سيّدنا مُحمّدٍ وعلى آله وصحبه وسلّم تسليمًا.

والحمدُ لله ربّ العالمين.

هل أحرق كتبي ؟!

شاهدتُ فيديو للشّيخ (أبو عبد الرّحمن الظاهريّ) الكاتب... المعروف (باسم عماد حسن المصريّ)، أحرق فيه كتبه وأبحاثه وتحقيقاته، المخطوط منها والمطبوع.

وصّدر الفيديو بقوله: (حرقتُ تراثي كله، ومعه حرقت كرامة شيوخٍ كذبةٍ، أنا أوّلهم، ما قدمنا للمسلمين إلا الخزي والعار وتصوير السّيلفي).

في تاريخنا الإسلاميّ آلاف العلماء الذين قدموا لأجيالهم بحوثًا ودراساتٍ ومؤلفاتٍ أسهمت في تعليمهم، ورفع مستواهم الفكريّ والتربويّ.

من بين هؤلاء العلماء الكثيرين؛ نُقل عن عشرةٍ منهم، أو دون العشرة؛ أنهم أحرقوا كتبهم، أو دفنوها، أو غسلوها بالماء، لأحوال نفسيّة انتابتهم، كتلك الحال التي انتابت الشيخ (أبو عبد الرّحمن الظاهريّ)؛ احتجاجًا على واقع الأمة المزري، في شتى مناحي الحياة!

ولست في معرضِ تصويب الشيخ أو تخطئته بما صنع في تراثه الفكريّ، إنما أنا في مورد تقويم أثرِ هذا الحدثِ على المسلمين ؟!

شعوبُ الأمة العربية لم تثر على طغاتها احتجاجًا على ما يجري في (سوريا) و(العراق) و(اليمن) قبل إحراق الشّيخ (الظّاهريّ) كتبَه.

فهل ستثور الأمة بعد قيامه بهذه الفعلة الملفتة ؟

أو هل سيتأثّر حكام العرب، ويراجعون أنفسهم، بعد مشاهدتهم، أو سماعهم هذه الفعلة الرمزية من الشيخ (الظّاهريّ)؟

لقد تربّت شعوبُنا على طاعة الحاكم (وإن أخذ مالك وجلد ظهرك) طيلة تاريخها الإسلاميّ المديد، فلن يؤثّر فيها إحراق (الظّاهريّ) كتبَه، أو إحراق بيتِه، أو حتى إحراق نفسه !

أمّا وصفه طائفةٍ من الشيوخ بالكذبة، فيقصد به أنّ أقوالهم تخالف أفعالهم، ومواقفهم تجاه الظالمين يندى لها الجبين!

لكن بالمقابل هناك علماء ومفكرون كثيرون في (السُّعوديّة) و(الخليج) وسائر البلاد العربية خالفوا حكامهم، وقالوا لهم كلمة الحقّ، فزجوا بهم في السجون والمعتقلات، أو طرحوهم في القبور ولم يسأل عنهم أحد، وخصوصًا في (السُّعوديّة) الّتي تُحرّم على الأهل والأصحاب السُّؤال عن مصير المُعتقلين السّياسيّين أصلًا!؟

نحن لا ندعو العلماء والباحثين إلى إحراق كتبهم، ولا إلى إحراق قلوبهم على ما يجري في عالمنا العربيّ البائس!

إنما نريد منهم أن يتوحّدوا في توجهاتهم وأفكارهم وخطابهم الدينيّ والسياسيّ؛ لتثق بهم جماهير الأمة، وتسير خلفهم، فيحصل من وراء ذلك التغيير السياسيّ والاجتماعيّ المطلوب.

واللهُ تعالى أعلمُ.

والحمدُ لله على كُلّ حالٍ.

شهادة في حق شيخي السيستاني

عن وفاة شيخي السيستاني؟!

قرأت لأحد السادة وللأسف كلامً مقذعًا، تعليقًا على تناقل خبر وفاة شيخي الكبير السيد علي الحسيني السيستاني، رضي الله عنه، وتقبله في الصالحين(1).

ومما يعلمه الجميع ، أنني لا أعتقد بجميع عقائد الإمامة عند الجعفرية مطلقًا:

(النص والتعيين والعصمة وانحصار الإمامة في آل الحسين، والرجعة والمهدي).

فكتبت هناك تعليقًا، أحببت أن تقرؤوه على صفحتي وها هو ذا:

(ما أقسى أن يتحدث الأنسان من موقف مسبق.

وأنا أشهد بالله أن شيخي السيد علي السيستاني خير من كثير وكثير وكثير من مشايخكم الكبار.

وهو التقي الحيي الخفي.

رحمه الله تعالى حيًا أو متوفي.

ووالله لينالن كل واحد منكم نصيبه من سخط الله تعالى)

انتهى.

والله أعلم.

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

إنا لله وإنا إليه راجعون.

والحمد لله على كل حال.

---

(1) علق أحد المتابعين لصفحة شيخنا الشريف - حفظه الله ورعاه -مستنكراً لاطلاقه لفظ السيادة على السيد السيستاني فكان رد شيخنا الشريف عليه كالآتي:

=السيد السيستاني يقول: إنه من أهل البيت.

والناس مؤتمنون على أديانهم وأنسابهم.

وبمعزل عن نسبه، فهو أحد علماء الإمامية المهذبين الهادئين، يمكن أن تحاوره ساعات، فلا يستفز، ولا يشعرك بالملل.

ذات مرة قلت في مجلسه:

أبو بكر وعمر رضي الله عنهما.

فانبرى أحد طلابه من القطيف غاضبا صارخا، قائلا:

تقول هذا الكلام في حضرة السيد؟

قلت له: اخرس ولاك، نعال أبو بكر وعمر تساوي كل الطائفيين أمثالك!

فأشار إليه السيد بالخروج، فخرج!

ثم تابعنا حديثنا من دون أن يعقب السيد السيستاني على كلامي بحرف!

هذا هو السيد السيستاني، لم أسمع منه كلمة نابية، ولا كلمة غيرها أجمل منها.

لكن المتهجمين عليه طائفيون حاقدون، والطائفي خارج من حدود العقل والمنطق.

قريبًا من السياسةِ: التَوبةُ عن السِياسَةِ !؟

بسم اللهِ الرحمن الرحيم

(رَبَّنا: عَلَيْكَ تَوَكَّلْنا، وَإِلَيْكَ أَنَبْنا، وَإِلَيْكَ الْمَصيرُ.

رَبَّنا: لا تَجْعَلْنا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا، وَاغْفِرْ لَنَا.

رَبَّنا: إنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ).

رَبَّنا(افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ، وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِين).

إنّ العلماءَ بشرٌ من البَشَرِ، يفرحون كما يفرح البشر، ويغضبون كما يَغضب البشر، ويُخدَعون كما يُخدَع البشر، ويخافون مثلما يخاف البشر!؟

وليس المطلوب من العالم أن لا يخاف، إنما المطلوبُ منه أن لا يَجبُنَ إذا لزمه أن يقول كلمة الحقّ!

عِشتُ في بلدي سوريا في ظلّ شكري القوّتلي، وفي ظلّ عبدالناصر، وفي ظلّ ناظم القدسيّ، وفي ظلّ أمين الحافظ، وفي ظلّ حافظِ الأسدِ، وتعيش سوريّا الآن في ظلّ ابنه بشّار الأسد!

لم أرَ فرقاً بين شكري القوتلي، وبين غيره، من جهة انتسابهم إلى الإسلام، جميعهم علمانيون، وجميعهم يحكمون سوريّا بالقوانين الوضعيّة، والتزام جميعهم بتعاليم الإسلام معدومٌ، أو نادر!

غايةُ ما هنالك من خلافٍ حقيقيّ أنّ حافظَ الأسد وابنه بشّار علمانيّان نصيريّان علويّان (من فرقِ الشيعةِ الإماميّة) وبقيةُ رؤسائنا علمانيون ينتمون بالولادةِ إلى أهل السنة!

أنا الفقيرُ إلى الله تعالى، مذ عَقلتُ الحياةَ أعلمُ أنّ النصرانيّ كافر، وأنّ اليهوديّ كافر، وأنّ الإسماعيلي كافر، وأنّ الدرزيّ كافر، وأن اليزيديَّ كافر، وأنّ النصيريّ العلويّ كافر!

وأنّ الخوارجَ والزيديّة والإماميّة، منهم ضلّال، ومنهم كفّارُ تأويل!

هذا ما علَّمنا إيّاه علماؤنا، وقالوا لنا: هذا إجماع الأمة، والأمة عند مشايخنا؛ أهلُ السنة فحسب!

ليس في بلادنا سوريّا خوارجُ ولا زيديّة، والإماميّة في عام (1970) كان عددهم يقرب من مائة ألف إنسانٍ تقديراً، كما حدّثني شيخي حسن حبنّكة، وشيخي محمد لطفي الفيّومي، ومُعظم الإماميّة في حيّ الأمين بدمشق!

وجميعُ هذه الفِرقِ كانت أقلّياتٍ قليلةً، لا تصل بمجموعها إلى (20%) من مجموع عدد سكّان سوريّا، بينما تصل نسبة أهل السنة (80%) من الشعب السوريّ.

لم يكن أكرم الحورانيّ أكبرَ وأشهرَ زعيمٍ في مدينة حماة خاصّةً، وفي سوريّا عامّةً على شيءٍ من الدين!

ولم يكن منافسه في مدينة حماة الدكتور عبدالرحمن العظم على شيءٍ من الدين!

ولم يكن زميله المحامي رئيف الملقي على شيءٍ من الدين!

لكنهم كانوا ينتمون إلى أهل السنة، مجرّد انتماء!

فتعصّب لكلّ واحدٍ منهم قومٌ من أهل السنة وغيرهم، وانتخبوهم ممثلين عن المسلمين السنّة في البرلمان السوريّ!

ليس هذا فحسب، بل قتَل بعضهم بعضًا حبّاً بهم، ودفاعًا عن بعض هؤلاء وغيرهم!

هذا يعني أنّ السوريين لم يكونوا ملتزمين بدين أهل السنّة، ولا بدين غيرهم، وأقصى ما كان منهم أنّ (10%) منهم كانوا يؤدّون الصلوات الخمس ويصومون رمضان!

في عام (1973) سألت أحد شيوخي من الإخوان المسلمين: كم يبلغ عدد سكّان حماة؟

قال: لا أدري والله، لكن لنقل إنّ أهل مدينة حماة مائةُ ألف نسمة!

قلت له: وكم تقدّر عدد الإخوان المسلمين في حماة؟

قال: أيضًا لا أدري، لكن لنقل: إنهم ألف بين صغير وكبير، ما الذي تريد أن تصل إليه؟

قلت له: إذا كان عدد أهل حماة مائة ألف؛ فعليكم أن تربّوا شبابَكم جميعًا على برنامجٍ قياديٍّ، لا أن تربوهم جنوداً (على السمع والطاعة في المنشط والمكره) إذ لا يمكن لمن تربّى جنديّاً أن يقودَ مائةً من الناس!

كانت قيادةُ الإخوان المسلمين تكتم علينا الأمور السياسيـّة، فلم نكن نعلم شيئًا، إلّا ما يُلقّنوننا هم إيّاه!

ولم يكن مشايخنا من غير الإخوان المسلمين، والذين كنّا نتلقى عليهم مبادئ العلوم؛ يتعاطون السياسة، ولا يعرفون عنها إلّا النزر اليسير.

ولمْيكن أساتذتنا في المدارس الابتدائيّة والإعدادية والثانويّة يعلّموننا شيئًا من السياسةِ داخلَ المدرسة ولا خارجها.

ولم يكن الإعلام السوريّ يعلّمنا من السياسةِ، إلّا تمجيد فخامة الرئيس، وتعداد إنجازاته التي هي الكذب الصراح!

ومع هذا كنّا نمارس السياسة الجاهلة، ويضرب بعضنا بعضًا، وربما طعن بعضنا بعضاً بالخناجر، انتصاراً للإخوان، أو انتصاراً للإشتراكيّة، أو انتصاراً للناصريّة!

وعندما كبرنا، ودرسنا، وتخرّجنا من الجامعات والمعاهد العليا؛ ظللنا نمارس السياسة، ظنًّا منا أننا نفهم السياسة،!

والحقيقة أنني أنا - ولا أتحدّث باسم زملائي -لا أعرف من السياسةِ شيئًا، على الرغم من أني قرأت أكثر من مائة كتابٍ في السياسة، وأكثر من مائة وخمسين من مذكرات القادة السياسيين والعسكريّين!

ولا أظنّ (999%) ينطلقون في الفهم السياسيّ، بأحسن مما انطلقتُ منه أنا!؟

وجميع المثقفين الذين عرفتهم، والذين أقرأ لهم؛ ينطلقون من منطلق مذهبيّ طائفيّ حاقدٍ!

ومواقفهم على مثل المثل العراقي السائد: (أحبّ واحْكِ، وأبغِضْ واحْكِ)!!

وأحوال الساسةِ - كل الساسة -متقلّبة، ما بين حالٍ جيّدةٍ، فنثني عليه وندعو له!

وما بين حال ملتبسةٍ؛ فنُحار ما ذا نقول فيها وفي صاحبها!؟

وما بين حالٍ غير شرعيّةٍ مطلقًا، فلا نجرؤ على معارضتها، لأنّنا مشرّدون في بلادِ الآخرين، ونحن ضيوفٌ فيها!؟

في البلد الذي نعيش فيه اليومَ؛ خمور وزنا وفجور وربا وسفور وعُريّ وتقبيل وضمّ في الشارع وفي المواصلات، ولا يُقام فيها حدٌّ من حدود الله تعالى، ولا يحاسَب فيها أحد على ترك الصلاة والصيام والزكاة، وقادتها هم يصرّحون بأنّ دولتهم علمانيّة![1]

ولا ترى أحداً منّا ينكر من ذلك شيئًا، بل ترى كثيرين منّا يجعلون حاكمَ البلد هذا حاميَ حمى الإسلام، وناصر الدين، وبعضُنا يرشّحه ليكون خليفة المسلمين!؟[2]

وعلماؤنا - في الجملة - ليسوا احسنَ حالاً من حكّامنا!

فهذا أحدُ مشايخنا الكبار يحرّض على قتل رئيسٍ من الرؤساء، ويقول: عليّ ديته!

وهذا الشيخ نفسه يطالبُ الغرب وأمريكا بقتل وقتالِ الجيش السوريّ، وكأنّ الجيش السوريّ ليس جنوده من هؤلاء المسلمين العوامّ السنّة!

هذا الشيخ نفسه يخالف القرآن الصريح والسنّة، فيزعم أنّ للمرأة الأوربيّة إذا أسلمت أن تبقى على عصمة زوجها غير المسلم، وتعيش معه في البيت!

وهذا الشيخ نفسه يفتي المسلمين الأمريكان والأوربيّين؛ بأن يقاتلوا إخوانهم المسلمين في أفغانستان والعراق وغيرهما، إذا توجّبت عليهم الخدمة العسكرية في بلادهم!

وهذا الشيخ نفسه يفتي بربا النسيئة مَن يريد أن يبني منزلاً في بلادِ الغرب؛ لأنّ التعامل الربويّ جائزٌ في بلاد الكفّار!

أفلا يجوز لي ولأمثالي من طلبة العلم؛ أن يُعرضوا عن الحديثِ بالسياسةِ إعراضًا تامّاً!؟

سألني أحد الإخوة الأحبّة - وهو غاضب يكاد ينفجر من الألم - قائلاً: ما تقول فيما فعلته السعوديّة من إعدام ثمانين مسلماً في يومٍ واحدٍ، ولماذا لم تكتب منشوراً تندّد بذلك؟

1-المقصود تركيا.

2-المقصود هنا الرئيس التركي رجب طيب اردوغان.

قلت له: إنّ الإعلام السعوديَّ يقول: إنّ هؤلاء القتلى عُرضوا على ثلاثة عشر قاضيًا شرعيًّا، وقد استنفدوا مراحل القضاء الثلاث!

ختامًا: أرجو من الإخوة الأفاضل روّادِ صفحتي؛ أن لا يسألوني أيَّ سؤالٍ سياسيّ بعد اليوم، عن أيّ بلدٍ من بلدانِ المسلمين، حتى لا يحرجوني.

أسأل الله تبارك وتعالى أن يُصلح حكامنا، وأن يولّ علينا خيارَنا ممّن يستحقّون الولاية، وأن يأخذ الظالمين والفاسقين والمنافقين والكفّار منهم أخذَ عزيزٍ مقتدر.

(رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنا، وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنا؛ لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ).

هذا.. وصلّى اللهُ على سيّدنا محمّد بن عبداللهِ، وعلى آله وصحبه وسلّم تسليماً.

والحمد لله على كل حال.

بسم الله الرّحمن الرّحيم

قال الله تعالى:

(وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) (الأعراف: 200).

(وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) (فُصّلت: 36).

(وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا) (الإسراء: 53).

كثُرت الكتابات الشّائنة التّافهة في الوقيعة بعداب الحمْش، ومن المُؤسف أن تستضيف هذه الكتابات مواقع تعُدّ أنفُسها موضوعيّةً ومُحايدةً وعلميّةً.

وأبرزُ التُّهم الّتي يرمون بها الفقير إلى الله تعالى:

1- الطّعنُ في الصّحابة رضي اللهُ عنهُم.

2- الطّعنُ في أُمّ المُؤمنين عائشة رضي اللهُ عنها.

3- الطّعنُ في الصّحيحين.

(1) أمّا التُّهمةُ الأولى وهي الطّعنُ في الصّحابة؛ فهي تهمةٌ وقحةٌ قذرةٌ، فالصّحابة رضي اللهُ عنهُم عند وفاة رسول الله صلّى اللهُ عليه وآله وسلّم (60) ألفًا، أو (120) ألفًا، سوى الأعراب الّذين آمنوا (أسلموا)، ولم يتيسّر لهُم مُلاقاة النّبيّ الأعظم (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، ويدعوهُم أهلُ الحديث (المُخضرمين).

وها أنا ذا أقولُ على الملأ:

رضي اللهُ عن أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ورفع قدرهُم وأرضاهُم، ما عدا نفرًا قليلين دون العشرة، منهُم: مُعاوية الظّالم، وبُسْر بن أرطأة السّفّاح، ومروان بن الحكم الملعون بلسان عائشة رضي اللهُ عنها.

أَلسّابقون الأوّلون من المُهاجرين والأنصار، وفيهم الرّاشدون الأربعة وبقيّةُ العشرة المُبشّرة، وأهلُ بدر، وأهلُ الحُديبية؛ فهؤُلاء ساداتُنا وعلى رُؤوسنا من فوق.

وأنا لستُ مُقلّدًا جاهلًا حتّى يُفرض عليّ ما يُفرض على عوامّ أهل السُّنّة، فأنا أعرفُ موضع قدميّ في عُلوم الشّريعة، وأعرفُ ما أُحاسبُ عليه.

وأسألُ الله تعالى أن يحشُر مُعاوية بن أبي سُفيان مع جميع مُحبّيه وأنصاره ومن يترضّى عنهُ، أمّا أنا فأُبغضُهُ وحزبهُ النّاصبيّ في الله، أكبر البُغض وأسودهُ.

ومن يوجبُ عليّ حُبّهُ وحُبّ البُغاة وحُبّ المُنافقين (ولو النّفاق العمليّ) فليأتني بنصٍّ من كتاب الله تعالى أو من سُنّة رسوله (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، حتّى ألتزم به!

(2) وأمّا التُّهمةُ الثّانيةُ، وهي الطّعنُ في أُمّ المُؤمنين عائشة رضي اللهُ عنها وأرضاها، فلعن اللهُ من اتّهمني بها لعنةً تصحبُهُ إلى حين دُخوله نار الجحيم!

فأنا أقولُ: كلُّ مُسلمٍ من أهل السُّنّة يتّهمُ عائشة رضي اللهُ عنها بِعِرْضِها، يعني يقول: إنّها بغيٌّ؛ فهُو كافرٌ كفرًا ناقلًا عن الملّة؛ لأنّ أهل السُّنّة مُجمعون على أنّ صدر (سورة النّور) نزل تبرئةً لعائشة رضي اللهُ عنها.

ومن يتّهمُها من غير أهل السُّنّة؛ فأمامهُ شُبهتان تحولان دون تكفيره:

الأولى: أنّ الآيات مُجملةٌ، وليست نصًّا صريحًا في تبرئة عائشة، وعائشةُ وحدها هي الّتي قالت: إنّ هذه الآيات نزلت في تبرئتها، ففسّرت المُجمل.

والثّانية: أنّ في صحيح مُسلمٍ حديثًا يقولُ: إنّ مارية القبطيّة هي الّتي اتُّهمت بابن عمٍّ لها، فهُم يقولون لقد برّأها اللهُ تعالى من هذه التُّهمة بتلك الآيات الكريمات.

وهذا لا يعني أنّهُم مُصيبون في نظري، لكنّي أذهبُ مذهب جميع عُلماء المُسلمين من أنّ التّكفير لا يجوزُ مع قيام الشُّبهة، ووُجود المانع.

لكن من أين لبستني هذه التُّهمةُ السّافلةُ؟

كانت مُناقشةُ رسالتي للدّكتوراه حامية الوطيس، فأراد رئيسُ لجنة المُناقشة أن يصُبّ على نارها نفطًا لتزداد حريقًا، فالتفت إليّ وقال بالحرف الواحد: يا ظالم عائشة أُمّ المُؤمنين (باغية)؟!

فخاص الجُهّال بالقاعة وماصوا، فصرختُ به وقلتُ: بل أنت -والله- الظّالمُ، تُريد أن تُؤلّب عليّ العوامّ الّذين لا يُحسنون الفرق بين (باغية) و(بغيّ).

والتفتُّ إلى النّاس وقُلتُ لهم: على رسلكم أيُّها النّاسُ، لقد أجمع أهلُ السُّنّة على أنّ كُلّ من حارب عليًّا فهو باغٍ عليه، وظالمٌ لهُ، بمن فيهم الزُّبير وطلحة وعبدُ الله بن الزُّبير وآلافٍ سواهم!

والباغي في المُصطلح الفقهيّ هُو (من خرج على الإمام الحقّ بتأويلٍ سائغٍ عند نفسه)وابنُ تيميّة وابنُ القيّم لا يريان الباغي مُتّهمًا!!

أمّا البغيّ ؛ فهي الزّانية، وحاشا لله أن تكون عائشةُ زانيةً، أو مُتّهمةً بذلك إلا من مُنافقي عصرها.

لكن نظرًا للأحقاد الوسخة القذرة في النُّفوس؛ فقد بقي أعداءُ الحقّ والأمانة يُشيعون كلمة السّوء، وينسبونها لعداب الفقير (عاملهُم اللهُ تعالى بعدله، وأراني فيهم بأسهُ الشّديد).

(3) وأمّا التُّهمةُ الثّالثة، وهي الطّعنُ في الصّحيحين، فاللهُ يشهدُ أنّني قُلتُ حتّى للحارة العُمانيّة الإباضيّة، وأقولُ الآن:

ليس على وجه الأرض كتابٌ بشريٌّ أصحّ من الصّحيحين، فهُما أصحُّ كُتب الحديث النّبويّ على الإطلاق... لكن القول بأنّ الإجماع مُنعقدٌ على صحّة جميع ما فيهما؛ فهُو جهلٌ مُركّبٌ!

والقولُ بأنّ جميع ما فيهما من الحديث صحيحٌ؛ من أجهل الجهل أيضًا؛ لأنّ البُخاريّ خرّج في صحيحه (160) حديثًا مُعلّقًا لم يوصلها في أيّ موضعٍ من صحيحه، وهُو مُحتاجٌ إليها، فلو كان يراها صحيحةً؛ لخرّجها في جامعه الصّحيح، فأسانيدُها تحت يديه، وقد خرّجتُها جميعًا، وفي جميعها عللٌ، وليس فيها حديثٌ واحدٌ يرقى إلى درجة الصّحّة.

وأخرج البُخاريُّ في صحيحه (93) حديثًا مُرسلًا، وهُو يعلمُ أنّها مُرسلةٌ والمُرسلُ عنده وعند المُحدّثين ضعيفٌ، إلا أن يأتي من طريقٍ أُخرى.

وأخرج في صحيحه (26) حديثًا مُنقطعًا، وهُو يعلمُ أنّها مُنقطعةٌ، إنّما خرّجها لبيان انقطاعها من هذه الطّريق...

فكيف يقولُ إنسانٌ عاقلٌ: (كُلُّ ما في البُخاريّ صحيحٌ) والبُخاريُّ نفسُهُ قد أخرج ما ليس بصحيحٍ، وهُو يعلمُ ذلك.

ناهيك عن الأحاديث المُتعارضة الّتي أخرجها ليُوضّح عللها.

ثُمّ هب أنّ البُخاريّ قال: كُلُّ ما في كتابي صحيحٌ، ومثله قال مُسلمُ بنُ الحجّاج، ثُمّ ظهر للعُلماء من بعدهما أنّ كلامُهما ليس على إطلاقه، بل في الصّحيحين الحديثُ الصّحيحُ، والحديثُ الحسنُ، وهُو كثيرٌ، والحديثُ الضّعيفُ، سوى المُعلّقات والمراسيل والمُنقطعات.

فلماذا الاصرارُ على إعطاء العصمة للصّحابة وإعطاء العصمة للصّحيحين وصاحبيهما، ولو بالباطل؟! لماذا؟ لا أدري!

فمن يقولُ: إن لدى (عداب) انحرافًا فكريًّا أو سُلوكيًّا أو علميًّا، أو غير ذلك؛ هُو من هُو أوّلًا، وما قيمتُهُ بين العُلماء المُنصفين؟

وآخرًا: إنّ من يرمون عدابًا بهذه البائقات؛ هُم أحفادُ أُولئك البربهاريّين النّتنى الّذين رموا ابنَ جريرٍ الطّبريّ، وابنَ حبّانَ، والأشعريَّ، والقُشيريَّ بالزّندقة والهرطقة، وهُم الّذين دعاهُم الطّبريّ (الطّائفة الخسيسة الّتي لا يُعلم في الإسلام أخسّ منها!) لأنّهُم جميعًا على المبدأ الأعرابيّ الوسخ القائل: (من ليس معي؛ فهُو ضدّي، من ليس على هواي؛ فهُو كافرٌ!)

تبًّا لكم ولسفالتكم سائر الدّهر!

والحمدُ لله على كُلّ حالٍ.

الفهرست

أهل البيت

العقيدة

فقه

فِرَق

شخصيات

ذكريات

آن أنْ أمدحَ بلحنٍ جلي... شيخَ الزمانِ مِنْ نسلِ على

ظاهرٌ فضلُهُ بينَ الورى... خصَّهُ الربُّ علماً أمثلِ

طاهرٌ كلَّما أبصرتَهُ... شَبَّهتَ بالنبيِّ المُرسَلِ

يهدي الورى للجِنانِ غدا... يدعوهمُ لحالٍ أفضلِ

أوتيَ الفصلَ والفضلَ بما... بانَ من علمهِ في المحفلِ

شيخُنا الشمسُ من ينظرْ عمى... ساطعٌ نورُهُ كالمشعلِ

أفديهِ والآلَ مَنْ دارهمْ... مَنزِلُ الوحي نوراً مُنزَلِ

في قلبي تلقاهُ عين الرضا... في حُبِّهِ النظمُ ها رتِّلي

أبو الحسن كريم بن طارق العشري السَبَاذُلِي

21 نوفمبر 2021/ 16 ربيع الثاني 1443